

تاريخ سادات العجم

في
عصر الفرس الزاهرة

البرجستامى ، عصر الانسلاام

تأليف

انجمنى كاشغرى

المكتبة العلميه
بمصر

جَمْعُ مَرْسَلَاتِ الْعَرَبِ

فِي
عُصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

الجزء الأول

العصراحتى ، عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكى صموت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة الجمالية

متوزعة - لبنان

مُقَدِّمَةٌ

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على سابغ نعمائك ، وضافى آلائك ، وأصلى وأسلم على صفوة أنبيائك ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار .

وبعد : فقد كنت عند اختتام « جمهرة خطب العرب » ، قطعت على نفسى عهداً بإتلاؤها بصنويها في الرسائل ، وقد يسّر لي التقدير المنان السبيل إلى إنجاز عدتى ، فهأنذا أصدر :

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة

حاوية ماوسعه اطلاعى من رسائل أبناء العربية في عصور البلاغة ، في أجزاء أربعة :

الجزء الأول : ويحوى الرسائل في العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام .

« الثانى : ويحوى الرسائل في العصر الأموى .

« الثالث : ويحوى الرسائل في العصر العباسى الأول .

« الرابع : ويحوى رسائل الأندلسيين .

ولم أورد في الجزء الأول ، مما أورده الشريف الرضى في نهج البلاغة من رسائل .

الإمام عليّ كرم الله وجهه ، إلا ما اقتضاه المقام : مما كان حلقة مكملة لسلسلة مكاتبات ، أو رسالة مختصرة عثرت على تمتها في مصدر آخر ، أو ما شا كل ذلك .

وقد أخرجت هذه الجهرة على غرار سابقتها ، ونهجت فيها منهجها ، فدأبت على التوفيق بين الروايات المختلفة للرسالة الواحدة ، وصفت منها صورة كاملة تؤلف بين أشتاتها ، وعنيت بضبط الشكل من ألفاظها ، وتصحيح الحرف ، وتحقيق المشوّه منها ، ورده إلى أصله ، وشفعتها بنبذة تاريخية توضح المقام الذي كتبت فيه ، وذيلتها بشرح مسهب بجلى للقارئ فخواها . ولست أغلو إن قلت إن ذلك الشرح بما حواه من فوائد لغوية ، وفرائد أدبية ، وطرائف تاريخية ، حرى أن يعد كتاباً قائماً بذاته .

وإخالني بإصدار هاتين الجهرتين قد عبّدت طريق النثر القديم : الخطابى والكتابى : للمتأدبين ، ووطأت لهم مهاده ، ويسرت لمؤرخى الأدب العربى أن يتصفحوا خطب كل عصر ورسائله مجتمعة الشمل ، قريبة المأخذ ، سائفة التناول ، ووفرت عليهم ما يضطرم إليه البحث من بذل مجهود شاق ، وإضاعة وقت طويل ، فى التنقيب عنها ، وما تتطلبه من التحقيق والتعليق .

كما أراى قد حبيت إلى شبابنا المتعلمين أن يجتنوا من ثمر الأدب العربى الشهى ، وينهلوا من مناهله العذبة ، ويلفوا فيه من فصاحة اللسان ، وحصانة البيان ، ما يؤمنون معه ببراء لغتهم ، وعلو كعبها ، وسمو مكانتها ؛ بين لغات الأمم ، أجل لقد كان من أكبر البواعث التى حدثت بى إلى تأليف تينكم الجهرتين ، ما رأيت فى طلابنا المتأدبين من عزوف عن كتب الأدب العربى القديم وصدوف عنها ، لأنها عطل من الضبط ، خلو من التعليق والشرح ، فضلا عما أفعمت به من التحريف للشائن ، والتشويه الشنيع ؛ فهم إذا ما تاقت نفوسهم إلى مطالعتها لم يعتمدوا أن يسهم الضيق والضجر ، ويستحوذ عليهم السأم والملل ، لوعورة مسلكها ، وصعوبة مرتقاها ، فسرعان ما يطوونها ، ويلقون بها دون أن يفيدوا منها ما ينشدون .

وإني لا أستطيع أن أصور للقراء مبلغ ما عانيت من نصب في هذا السبيل الذي يبدو لأول وهلة لاجبًا سهل المسلك ، وحسبي أن يطلعوا على عملي فيلمسوا بأيديهم ما بذلته فيه من جهد مضن ، وكدممض ، فحيت فيه بالكثير من وقتي وراحتي ، وبالنفيس من صحتي وقوتي ، لا أبتغي بذلك مالا ولا صيتا ، ولا أتمس فيه جزاء إلا من العدل التقدير ، وإنما هو واجب البر بهذه اللغة الشريفة ، والإخلاص في خدمتها والوفاء لها ، حفزني أن أضع حجراً في بنيان نهضتها ، وأنظم خرزة في عقد زينتها .

اللهم سدد إلى طريق الخير خطانا ، ووقفنا إلى ما تطيب به ذكرانا ، وتحمد به عقبانا ، وهي لنا من أمرنا رشداً ؟

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { المحرم ١٣٥٦
{ أبريل ١٩٣٧

فہرس

مآخذ الرسائل في هذا الجزء

- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : الجزء الثاني - السادس - الخامس عشر - الحادي والعشرون
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبري : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس - السادس
- تاريخ الكامل : لعز الدين بن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث
- صبح الأعشى : لأبي العباس القاسمي : « الأول - الثاني - الرابع - السادس - التاسع - العاشر - الثالث عشر - الرابع عشر
- مجمع الأمثال : لأبي الفضل الميداني : الجزء الأول - الثاني
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثاني
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري : « الأول
- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : لابن هشام : « الأول - الثاني
- السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : « الثاني
- صحيح الإمام البخاري : « الأول - الثاني - الرابع
- الجامع الصحيح : للإمام مسلم : « الخامس
- سنن النسائي : « الخامس - الثامن
- المواهب اللدنية : للنسباني شرح الزرقاني : « الثالث - الرابع
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين : « الأول - الثاني - الثالث - الرابع
- لابن الأثير : الرابع

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : الجزء الثالث - السادس
المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار : « الأول
للمقرئى
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : « الأول
للسيوطى
معجم البلدان : لياقوت الحموى : « الثانى - الثالث - الرابع -
الخامس :
تهذيب تاريخ ابن عساكر : الجزء الأول - الثانى - الثالث
الروض الأنف : للسهيلى : « الثانى
البيان والتبيين : للجاحظ : « الثانى
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « الثانى
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث -
الرابع :
زهر الآداب : لأبى إسحق الحصرى : الجزء الأول
الكامل : للمبرد : « الأول - الثانى
لسان العرب : لابن منظور : الجزء السادس - السابع
أشهر مشاهير الإسلام : لرفيق بك العظم : « الثالث - الرابع
الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : « الأول
لأمالى : لأبى على التمالى : « الجزء الثانى
مروج الذهب للمسعودى : « الأول - الثانى

- نهاية الأرب : لشهاب الدين التويرى : الجزء السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة : المجلد الثاني
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : الجزء الأول
لابن تفرى بردى
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأثير
الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه
وسلم : للقاضي عياض
خاص الخاص للثعالبي
الخراج : لأبي يوسف
فتوح الشام : لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله
الأزدى البصرى
ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموى
إعجاز القرآن : لأبي بكر الباقلانى
فتوح البلدان : للبلاذرى
تاريخ آداب اللغة العربية : للأستاذ
حسن توفيق
مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرسائل

فی

العصر الجاهلی

لسنا نعرض في هذا المقام للكلام على نشأة الكتابة العربية وتاريخها في العصر الجاهلي ، وإنما يعنيننا هنا أن نقول : إن جمهرة العرب في ذلك العصر كانت متبدية^(١) ، فلم تكن الكتابة فيهم فاشية ، ولذا كانوا يعتمدون في ترسلهم على المشافهة ، فيبعثون برسالاتهم شفوية مع أمناء ينتجبونهم^(٢) لإبلاغها ، وكانوا يحتفظون بأثارهم الأدبية فيستظهِرونها في الصدور ، ويتناقضونها على الألسن ، ولم يزاولوا من العلوم والفنون ما يقضى عليهم أن يدونوه ويقيدهوه في سجل يدراً عنه عادية الضياع والاضحاج .

أما أهل الحضارة منهم فقد أمروا بالحضارة بعض الإلمام ، وكانوا يمارسون الكتابة ، ويتبادلون الرسائل المكتوبة ، ولكنهم لتقادم العهد لم يؤثر عنهم إلا رسائل قلائل معدودة ، سنوردها لك بعد ، وهي لتزورها^(٣) لا تقفنا على صورة صحيحة تامة لكتابة الرسائل في ذلك العهد .

(١) تبدى : أقام بالبادية . (٢) اتجبه : اختاره .

(٣) نزر الشيء : ككرم نزرأ ونزارة (بالفتح) ونزورة ونزورا (بالضم) : قل .

١ - كتاب المنذر الأكبر إلى أنوشروان

روى أن المنذر الأكبر^(١) أهدى إلى أنوشروان جاريةً ، كان أصابها إذ أغار على الحرث الأكبر بن أبي شمير الفسائي^(٢) ، فكتب إلى أنوشروان بصفتها ، فقال : « إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخلق ، نقيّةَ اللون والثغر ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءً كحلاء ، دَعْبَاءَ حوزاء عييناء ، قنواء شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ^(٣) ، أسيلة الخلد ،

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس الأخمى ملك الحيرة ، وقد اشتهر بأمه ، فقيل له : المنذر ابن ماء السماء (سميت بذلك لحسنها وجمالها ، واسمها ماوية) وهو جد النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وقد ولي إمارة الحيرة من سنة ٥١٤ إلى سنة ٥٦٣ م ماعدافرة طرده فيها قباز ملك الفرس ، وقتل في حربه مع الحرث بن أبي شمير الفسائي يوم أباغ (وأباغ كغراب : موضع بين الكوفة والرقبة) وكانت إمارة الحيرة (وهي على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف) يليها المناذرة من قبل ملوك الفرس . ومعنى أنوشروان : صاحب العقل الراجح .

(٢) هو الحرث الأعرج بن أبي شمير جيلة الفسائي أحد ملوك الفساسنة ، ويلقبه مؤرخو العرب بالأكبر كما ترى ، وقد رجعت إلى سلسلة ملوك الفساسنة في الجدول الذي وضعه الأستاذ برسيغال في كتابه « العرب قبل الإسلام » . فوجدت أن الحرث الملقب بالأكبر هو أبو شمير جيلة ، وهو الحرث الرابع الذي ولي من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٩ م ، وأن من يلقبه مؤرخو العرب بالأكبر هو ابنه الحرث الأعرج هذا وهو الحرث الخامس الأوسط الذي ولي من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٧٢ م . ولعلم لقبوه بالأكبر لقوة سلطانه وعظم شأنه ، وكانت إمارة الفساسنة بالشام يليها ملوك غسان من قبل الدولة الرومانية الشرقية ، وقد عين الحرث بن أبي شمير من قبل العاهل الروماني جوستينيان (الذي حكم من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ م) . قال المسعودي في مروج الذهب - ١ : ص ٢٩٩ « وكانت ديار ملوك غسان بالرموك والحولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام » . وقد نشبت بين المناذرة والفساسنة حروب شديدة امتلأت بها كتب التاريخ .

(٣) الثمر : الأسنان . ووجه أقر : مشبه بالقرم . وقال ابن قتيبة « الأقر : الأبيض الشديد البياض والأثني قراء » . ووظفاء : وصف من الوطف بالتحريك ، وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشعار مع استرخاء وطول . وكحلاء : وصف من الكحل بالتحريك ، وهو سواد يعلو الجفون خلقة . والدعج بالتحريك والدعجة بالضم : شدة سواد العين مع سعتها . والخور بالتحريك : شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد . والعين بالتحريك ، والعينة بالكسر : عظم سواد العين في سعة . وقنا الأنف : ارتفاع أعلاه ، واحديداب وسطه ، وسبوغ طرفه ، وهو أفنى ، وهي قنواء . والشم بالتحريك : ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة ، وهو أشم ، وهي شماء . والرج بالتحريك : تباعد ما بين الحاجبين ، وقيل هو سعة العين في شدة بياض صاحبها ، وقيل سعة بياض العين وعظم المقلة وحسن المدقة ، وقيل أن يكون بياض العين محمداً بالسواد كله . والرجج بالتحريك دقة الحاجبين في طول .

شَبِيَّةُ الْمُقْبَلِ ، جَثَلَةُ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةُ الْهَامَةِ^(۱) ، بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَيْطَاءُ عَرِيضَةِ
الصدر ، كَاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةُ مُشَاشِ الْمَنْكِبِ وَالْعَضُدِ ، حَسَنَةُ الْمِعْصَمِ ، لَطِيفَةُ
الكَفِّ ، سَبِيطَةُ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، خَيْصَةُ الْخَصْرِ^(۲) ، غَرَثَى الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ
الْأَقْبَالِ ، رَابِيَةَ الْكَفَلِ ، لَفَاءَ الْفَخْذَيْنِ ، رَبَّاءَ الرَّوَادِفِ ، ضَخْمَةُ الْمَا كَتَيْنِ ، عَظِيمَةُ
الرَّكْبَةِ ، مُفَعَّمَةُ السَّاقِ ، مُشَبَّعَةُ الْخَلْخَالِ^(۳) ، لَطِيفَةُ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُوفُ الْمَشَى ،
مِكَالُ الضُّحَى ، بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ^(۴) ، سَمُوعًا لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخَنْسَاءٍ وَلَا سَفْعَاءَ ، رَقِيقَةُ
الْأَنْفِ ، عَزِيزَةُ النَّفْسِ^(۵) ، لَمْ تُفْزِدْ فِي بؤْسِ ، حَيِيَّةُ حَصِينَةِ رَزِينَةَ ، حَلِيمَةُ رَاكِينَةَ^(۶) ،

(۱) الحد الأسيل : الطويل المترسل ، وفعله ككرم . وفي الطبري وابن الأثير . « شهية القد »
عل قوله « شهية المقبل » والشعر الجتل : الكثير اللثف ، وفعله كسح وكرم ، والهامة : الرأس .
(۲) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق ، قال الشاعر :

أكلت دما إن لم أركع بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النضر

والعيط محرّكة : طول العنق والعنط أيضاً محرّكة : طول العنق وحسنه ، أو الطول عامة . وكعب الثدي
كضرب ونصر : نهد . والمشاش جمع مشاشة : وهي ما أشرف من عظم المنكب . والمعصم : موضع السوار
(أو اليد) . وسبطة : طويلة . وفي الطبري وابن الأثير « لطيفة طلى البطن » . بدل قوله « ضامرة
البطن » . وخيصة : ضامرة .

(۳) الغرن بالتحرّيك : الجوع ، وهو غرثان وهي غرثى . والوشاح بالضم والكسر أديم
عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ويتولون امرأة غرثى الوشاح : أي خيصة البطن دقيقة
الحصر ، ووشاح غرثان : لا يملؤه الحصر ، فكأنه غرثان . وامرأة رداح : عجزاء ، ثقيلة الأوراك ، تامة
الخلي . والأقبال بالفتح : ما استقبلك من مشرف ، جمع قبل بالتحرّيك . والمعنى : أنها رابية الوركين
مشرفتهما ، أو هو الإقبال بالكسر : أي تمتلئ ما تقبل به من ساقها ووركها . وفي الطبري وابن الأثير
« رداح القبل » . والكفل : العجز . واللفاء : الضخمة الفخذين . وربا : ممتلئة ، مؤنث ريان .
والردف بالكسر : الكفل والعجز ، وخص بعضهم به عجيذة المرأة ، والجمع أرداف ، والروادف :
الأعجاز ، قال ابن سيده : ولا أدري أهو جمع ردف نادر أم هو جمع رادفة . والمأكمة وتكسر كافه :
لحمة على رأس الورك . ومفعمة : ممتلئة . وأراد بالخلخال المخلخل : أي موضعه من الساق .

(۴) القطوف من الدواب : المنقارب الخطو البطيء ، وقد يستعمل في الإنسان ، وفعله كضرب .
ومكّال الضحى : كناية عن النعم ، وهو كقول امرئ القيس « شوم الضحى لم تنتطق عن نفضل »
والبضة : الرخصة الجسد الرقيقة الجلد المثلثة . والمتجرد إن كسرت راؤه ، فهو الجسم : أي الجسم
المتجرد ، وإن فتحت فهو مصدر ميمي : أي بضة عند التجرد .

(۵) المنس بالتحرّيك : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، وهو أخنس وهي
خنساء . والقع بالتحرّيك ، والشفعة بالضم : في الوجه سواد في خدي المرأة الشاحبة ، وفي الطبري
وإبن الأثير : « ذليلة الأنف ، عزيزة النفر » وعليه ، فمضى ذليلة الأنف أنها طبيعة سلسة القياد .
(۶) الحسينة : العفيفة . والركينة : الرزينة .

كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها .
 قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأيها رأي أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ،
 صناع الكفين ، قطيعة اللسان^(۱) ، رهوة الصوت ساكنته ، تزين الولي^(۲) ، وتشين
 العدو ، إن أردتها أشتمت ، وإن تركتها أنهت ، تُحَمَلِقُ^(۳) عينها ، وتحمُرُّ وجنتها ،
 وتذبذب شفتها ، وتبادرُك الوثبة إذا قت ، ولا تجلس إلا بأمرِك إذا جلست .

(الأغاني ج ۲ : ص ۲۸ ، وتاريخ الطبري ج ۲ : ص ۱۵۰ ،
 وتاريخ الكامل لابن الأثير ج ۱ : ص ۲۱۸)

۲ - كتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين

« صحيفة المتلمس »

وروى أن طرفة بن العبد وخاله المتلمس - واسمه جرير بن عبد المسيح^(۱) - كانا
 ينادمان عمرو بن هند^(۵) ملك الحيرة ، فهجواه ، فكتب لهما إلى المكعبر عامله على
 البحرين كتابين ، أوهمهما أنه أمر لهما بجائزة ، وكتب إليه بأمره بقتلهما ، فخرجا فلقيا
 غلاما من أهل الحيرة ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، فقلت صحيفته ، ودفعتها
 إليه ، فإذا فيها :

(۱) امرأة صناع الديدن : ماهرة حاذقة . وقطيعة : مقطوعة ، والمعنى أنها تكف لسانها ، ليست
 بكثيرة الكلام ولا بيذينة .

(۲) الرهو : الساكن ، والرهو : المكان المنخفض (والمرفع أيضاً) ، والمعنى : ساكنة الصوت
 منخفضة ، وفي الطبري وابن الأثير : « تزين البيت » محل قوله « تزين الولي » .

(۳) حلق : فتح عينيه ونظر شديدا ، والمراد تحمَلِقُ لبعطها .

(۴) كذا في الأغاني ، وفي الشعر والشعراء أيضا ؛ وفي جمع الأمثال « عبد المسيح بن جرير » .

(۵) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، آل إليه الملك بعد قتل أبيه في يوم عين أبغ ، ويعرف
 باسم أمه هند بنت الحارث بن عمرو عمه امرئ القيس بن حجر بن الحارث (الشاعر المشهور) ، وكان
 يلقب بمضط الحجارة لشدة ولسوته ، وقد ولي إمارة الحيرة من سنة ۵۶۳ إلى سنة ۵۷۸ م .

« يَا سَمِيكَ اللَّهُمَّ (۱) ، من عمرو بن هند إلى المكعبر . أما بعدُ فإذا أتاك كتابي

هذا مع المتلس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيًّا . »

فقال لطفرة : ادفع إليه صحيفتك بقروها ، ففيها وآله ماني صحيفتي ! فقال لطفرة : كلا !

(۱) كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها « باسمك اللهم » . وقد روى الرواة في تعليل ذلك قصة سنوردها على علاتها ، وللقاري حكمة عليها ، وهي : « ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس ، وأخبار من سلف ، كابن داب والميم بن عدي وأبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن السائب الكلابي : أن السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو أن أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غير لهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً واجتمعوا لمشائهم ، إذ أقبلت حبة صغيرة حتى دنت منهم ، فخصبها بعضهم بحجر في وجهها فرجعت ، فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كتيب رمل متوكئة على عصا لها ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رحيمة ، (وفي رواية : رحية ، وفي أخرى : رحيمة) الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قالت : أم العوام ، أرملت منذ أعوام ، أما ورب العباد ، لتفترقن في البلاد ثم ضربت بعصاها الأرض ، وأتارت بها الرمل ، وقالت : أطيل لي إياهم ، ونفري ركابهم . فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطاناً ، ما يملكون منها شيئاً ، حتى افتقرت في البوادي ، فجمعوها من آخر النهار إلى غدوة ، فلما أناخوا الرواحل طلعت عليهم العجوز وفعلت مثل فعلتها الأولى ، ففترقت الإبل ، فجمعوها من غد فلما أناخواها ليرحلوها فعلت العجوز مثل فعلها في اليوم الأول والثاني ، فنفرت الإبل ، وأمسوا في ليلة مقمرة وبنسوا من ظهورهم ، فقالوا أمية بن أبي الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعلمك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني ، فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من ثنيته الأخرى ، ثم صعد كتيباً آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنية فيها قناديل ، فإذا رجل مضطجع معرض على بابها ، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية ، قال أمية : فلما وقفت عليه ، رفع رأسه إلى وقال : إنك لتبوع ؟ قلت : أجل ! قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذن اليسرى ، قال : فبأي الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد ، قال : هذا خطيب الجن ، كدت والله أن نكونه ولم تفعل ! إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ، فيأمره بلباس البياض ، فما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز ، فقال : صدقت ، وليست بصادقة ، هي امرأة يهودية ، هلك زوجها منذ أعوام وإنما لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تهلكم إن استطاعت ، قال أمية : قلت فما الحيلة ؟ قال : اجعوا ظموركم ، فإذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل ، فقولوا لها : سباً من فوق وسباً من أسفل : باسمك اللهم . فإنها لن تضركم ، فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له ، وجاءتهم العجوز ففعلت كما كانت تفعل ، فقالوا : سباً من فوق وسباً من أسفل « باسمك اللهم » فلم تضركم ، فلما رأت الإبل لا تتحرك قالت : قد علمتكم صاحبكم ، ليبيضن الله أعلاه ، ويبودن أسفله ، وتاروا ، فلما أدركهم الصبح نظروا إلى أمية قد برس في عذاريه ورقبته وصدره واسود أسنانه ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث ، فكتبت قريش في أول كتبها « باسمك اللهم » . فكان أول ما كتبها أهل مكة ، وفي رواية : وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » إلى أن جاء الإسلام فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » . انظر مروج الذهب ج ۱ : ص ۴۲ . والأغانى ج ۳ : ص ۱۸۱ . وصبح الأعشى ج ۶ : ص ۲۱۷ .

لم يكن ليحتريء عليّ ، فقدف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة ، وأخذ نحو الشام ، وأخذ طرفه نحو البحرين ، فأتى المكعبر ، فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا .
(الأغاني ج ٢١ : ص ١٢٧ ، وجمع الأمثال للميداني ج ١ : ص ٢٧١)

٣ - كتاب عبد العزى بن امرى القيس الكلابي إلى قومه

وروى الطبري أن عبد العزى بن امرى القيس الكلابي أهدى أفراساً إلى الحرث ابن مارية النسانية^(١) ، ووفد إليه ، فأعجبته وأعجب به عبد العزى وحديثه ، وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم بن عوف من بني عبد ودّ من كلب ، فنهشته حية ، فظن الملك أنهم آغتلوه ، فقال لعبد العزى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعال^(٢) ، فقال : لتأتيني بهم ، أو لأفعلن ولأفعلن ... فقال : رجونا من حياثك^(٣) أمراً حال دونه عاقبك ، ودعا ابنه شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جزائي (جزاه الله شرّاً جزائه) جزاء سنمار وما كان ذا ذائب^(٤)

(١) هو الحرث السادس الأصغر بن الحرث الخامس الأعرج بن أبي نمر النسانية ولي من سنة ٥٧٢ إلى سنة ٥٨٧ م ، ومارية أمه ، وهي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي ، قال حسان بن ثابت :
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكرمي المفضل

وكان لها قرطان فيهما درتان كبيضتي الحمام لم ير الناس مثلها ، وبها ضرب المثل فقيل : « خذه ولو بقرطى مارية » يضرب في الشيء الثمين : أي لا يفوتك بأى ثمن يكون .

(٢) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم (أو يكون في الخير والشر) .

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) من أمثال العرب « جزاء سنمار » : أي جزائي جزاء سنمار ، وهو رجل روى بني قصر الخورنق بظهر الحيرة للنعمان بن امرى القيس فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتا ، وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره ، فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة ، وورد في تاريخ الطبري ج ٢ : ص ٧٢ « أنه لما مات امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرى القيس بن عمرو بن عدى في عهد يزيدجرد ملك الفرس ، استخلف يزيدجرد مكانه ابنه النعمان بن امرى القيس ، قال وهو صاحب الخورنق ، وكان سبب بنائه الخورنق فيما ذكر أن يزيدجرد كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل برى مرى صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له وأنزله إياه ، وأمره باخراجه إلى بوادي العرب ، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سنمار ، فلما فرغ من بنائه تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم توفرونني أجرى وتصنمون بي =

سوى رصه البنيان عشرين حجةً يعلى عليه بالقراميد والتكب (۱)
 فلما رأى البنيان تمَّ سُحوقه وأض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب (۲)
 فأثمه من بعد حرسٍ وحِقْبَةٍ وقد هداه أهلُ المشارِقِ والغربِ (۳)
 وظنَّ سِنَاراً به ككلِّ حَبْرَةٍ وفاز لديه بالسودَّةِ والقربِ (۴)
 فقال اقدِفوا بالعلاج من فوق بُرجه فهذا كعمرُ الله من أعجب الخطبِ! (۵)
 وما كان لي عند ابن جفنة فاعلموا من الذنب ما آلى يمينا على كلبِ (۶)
 كَيْلْتَمِسِنَ بالخيل عُقرَ بلادهم تحلَّل (أبيت اللعن) من قولك المزبى (۷)

= ما أنا أهله بفته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدر على أن تبني ما هو أفضل منه ثم لم تبنيه ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق .

وقال الميداني في مجمع الأمثال ج ۱ : ص ۱۰۷ . ويقال إن سنار هو الذي بنى أطم أحيحة بن الجلاح (والأطم بضمة وضمتين : القصر) ، فلما فرغ منه قال له أحيحة : لقد أحكمته ، قال : إن لأعرف فيه حجراً لو تزع لتفوض من عند آخره (كذا) فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتا ، وأورد صاحب القاموس هذا الخبر ، وقال كان سنار غلاماً لأحيحة .

(۱) الحججة : السنة . والقرمد بالفتح والقرميد بالكسر : الآجر ، وحجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها ، قال ابن دريد : هو روى تكلمت به العرب قديماً . والتكب : النحاس أو الرصاص ويحرك . والطلل بالتحريك : الشرب بعد الشرب تباطاً ، عله يعله كضرب وضرب ، وعل الضارب المضروب : إذا تابع عليه الضرب ، ومعنى يعلى عليه هنا : يتابع رفع البنيان ويواليه ، وربما كان الأصل « يعلى » . (۲) سحق النخل ككرم : طال ، ونخلة سحق كصبورة : طويلة (وسحق النخل أيضاً كنصر سمفا وسموفا : ارتفع وعلا وطال ، فهو سامق وسميق) وآض : صار . والطود : الجبل العظيم والباذخ : العالى . والصعب : أى الصعب المرتقى .

(۳) أتهم الرجل وأتهمه وأوهمه : أدخل عليه التهمة أى ما يتهم عليه . والحرس : وقت من الدهر . والحقبة : مدة من الدهر أيضاً . ويقال : فلان يهد بالبناء للمجهول : إذا أتى عليه بالجلد والقوة . ويقال : هدد الرجل (برفع الرجل) أى ما أجلده ، وفي الأصل « وقد هره » وهو تحريف (وهره : كرهه) وربما كان « وقد هزه » من هز الحادى الإبل : أى نشطها بمحدثه ، والمعنى : أنتوا عليه .

(۴) الحبرة : السرور . (۵) الطلج : الرجل الشديد الضخم ، والطلح : الرجل من كفار العجم ، والمراد به هنا سنار وهو روى كما تقدم لك . والخطب : الشأن والأمر .

(۶) ابن جفنة : يعنى به الحرث الأصغر المذكور ، وجفنة أحد أجداده ، وهو جفنة الأول بن عمرو مزيبيا أول ملوك الفساسنة ؛ ولى من سنة ۲۰۵ إلى سنة ۲۴۸ م . وآلى : أقسم .

(۷) عقر الدار بالضم ويفتح وسطها . وتحلل من يمينه : إذا خرج منها بكفارة . وأبيت اللعن : من تحايا الملوك فى الجاهلية والدعاء لهم ، معناه : أبيت أن تأتى من الأمور ما تلحن عليه وتندم بسببه . والمزبى الزرع ، جاء فى اللسان : « ... فقلت له كلمة أزيه بها : أى أزيجه وأفلكه ، من قولهم أزيبت الشيء إذا حملته ، ويقال فيه زيبته ، لأن الشيء إذا حمل أزرع وأزيل عن مكانه » .

ودون الذي منى ابن جفنة نفسه رجال يردون الظلوم عن الشعب
وقد رامنا من قبلك المره حارث ففودر مسلولاً لدى الأكم الصهب^(۱)
(تاريخ الطبری ۲ : ۷۳)

۴ - کتاب عدی بن زید العبادی إلى أخیه أبی

ولما مات المنذر بن المنذر^(۲) بن ماء السماء ، ولی کسری أبرويز بن هرمز ملك الفرس
ابنه النعمان بن المنذر علی الحيرة ، وكان عدی بن زید العبادی وإخوته فی کتاب
کسری یترجمون له^(۳) ، وكان لعدی ید فی فوز النعمان بالإمارة ، إذ احتال له حتی
آثره بها کسری دون إخوته^(۴) ، فجعل أعداء عدی یکیدون له عند النعمان ، ووشوا

(۱) الأکم کسب ، وعنق ، وأجیل ، وجبال ، وأجبال جمع أكمة کرفبة : وهی دون الجبل .
والصهب جمع أصهب ، والأصهب من الإبل : الذی یخالط بیاضه حمرة .

(۲) ولی من سنة ۵۸۲ إلى سنة ۵۸۵ م ، قیل إنه قتل يوم مرج حلیمة فی حربه مع الحرت
الأعرج النسانی ، وكان قد سار إليه للطلب بنأر أبيه عنده ، وقیل إنه لم یقتل ، وولی ابنه النعمان بن المنذر
من سنة ۵۸۵ إلى سنة ۶۱۳ م ، وکسری أبرويز هو الذی کتب إليه رسول الله صلی الله علیه وسلم
یدعوه إلى الإسلام ، قال الزرقانی فی شرحه علی المواهب ج ۳ : ص ۳۸۹ « بفتح الواو وکسرهما ،
ومعناه بالعریة المظفر » .

(۳) كان قابوس بن المنذر الأكبر (عم النعمان) بعث إلى کسری أبرويز بن هرمز بعدی بن زید
وإخوته فكانوا من تراجته ، وكان عدی شاعراً خطیباً ، وقد قرأ کتب العرب والفرس ، والعبادی نبة
إلى العباد بالکسر : وهم قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا علی النصرانية بالحيرة ، فأثفوا
أن یتسموا بالعبيد وقالوا نحن العباد .

(۴) كان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فی حجر عدی بن زید فهم الذین أرضوه وربوه
وكان المنذر ثلاثة عشر ولداً ، وكان یقال لهم الأشاهب من جاهلهم ، وكان النعمان من بینهم أحر أرض
قصيراً ، فلما مات المنذر دعا کسری عدی بن زید ، فقال له : من بقى من آل المنذر ، وهل فیهم أحد
فیہ خیر ؟ قال : نعم ، إن فی ولد المنذر لبقية ، وفیهم کلهم خیر ، قال : ابعت لیهم . فکتب فیهم ، فقدموا
علیه ، فأنزلهم علی عدی بن زید ، فقال عدی للنعمان : لست أملك غیرک ، فلا یوحشک ما أفضل به إخوتک
علیک من الکرامة ، فإنی إنما أغترهم بذلك ، ثم كان یفضل إخوته جیعاً علیہ فی النزول والإکرام والملازمة
ویریهم تنقضا للنعمان ، وجعل یخلو بهم رجلاً رجلاً ، فیقول لهم : إن سالکم الملك : أنکفونی العرب ؟
فقولوا : نکفیکم إلا النعمان ، وقال للنعمان : إن یسألک الملك عن إخوتک ، فقل له : إن عجزت عنهم فأنا
عن غیرهم أعجز . وفی رواية الأغانی : (وجعل یخلو بهم رجلاً رجلاً : فیقول : إذا أدخلتکم علی الملك ،
فقال لکم : أنکفونی العرب فقولوا : نعم ! فإذا قال لکم : فإن شد أحدکم عن الطاعة وأفد ، أنکفونی
فقولوا : لا ، إن بعضنا لا یقدر علی بعض ، لیهابکم ولا یطمع فی تفرقکم ، ویعلم أن للعرب منعة وبأس ، =

إليه أنه يقول : إن الملك « يعني النعمان » عامله ، وإنه هو ولأه ما ولأه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضعفوه عليه ، فأرسل إليه : عزمتُ عليك إلا زرتني ، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك وعدى يومئذ عند كسرى ، فاستأذن كسرى فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في سجن لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى يقول الشعر وهو في السجن^(۱) ، وكان كلما قال شعرا بلغ النعمان وسمعه ، فقدم على حبسه إياه ، وجعل يرسل إليه ويَعِدُه وَيُمنِّيهِ ، ويفرق أن يرسله فيبغيه الفوائل . فلما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى بشعر فقال :

أبلغُ أبا علي نأيه (وهل ينفعُ المرء ما قد علم)^(۲)
 بأن أخاك شقيقَ الفؤاد كنت به واثقا ما سلم^(۳)
 لدى ملكٍ ، مؤثقٌ بالحديد ، إماما بحق وإماما ظلم
 فلا أعرفنك كذاتِ الغلام م ما لم يجد عارما تعترم^(۴)
 فأرضك أرضك إن تاتنا تم نومة ليس فيها حلم^(۵)

= فقبلوا منه ، وخلا بالنعمان فقال له : إذا سألك هل تكفيني العرب؟ فقل نعم ! فإذا قال لك : من لي ياخوتك فقل له : إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز ! ففعلوا جميعاً ما أمرهم به عدى ، فملك كسرى النعمان وكساه وألبه تاجاً .

(۱) أورد صاحب الأغاني في هذا الخبر عدة مختارات من قصائد مطولة قالها في سجنه ، ثم عقب عليها بقوله : « هذه رواية الكلبي في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ، ويكتب بها إليه ، فلا نفى عنده شيئاً » فارجع إليها إن شئت .

(۲) هذا البيت دخله الحرم . (۳) في الطبري « كنت به والها » .

(۴) ورد هذا البيت في الأغاني والطبري :

فلا أعرفنك كذاب الغلام م ما لم يجد عارما يعترم

وهو تحريف ، والصواب ما ذكرنا ، والتصحيح عن لسان العرب ، وإليك ما جاء فيه « عرم الصبي » أمه (كنصر) : رضعها ، واعترم ثديها : مصه ، واعترمت هي : تبغت من يبرمها . قال :

ولا تلفين كأم الغلام م إن لم تجد عارما تعترم

يقول : إن لم تجد من ترضعه درت هي ، فحلبت ثديها ، وربما رضعته ثم بجنه من فيها . وقال ابن الأعرابي : لأنما يقال هذا للمتكاف ما ليس من شأنه ، أراد بذات الغلام : الأم المرضع لأن لم تجد من يرضع ثديها مصته هي ، قال الأزهرى : ومعناه لا تكن كمن يهجو نفسه إذا لم يجد من يهجو . وعلق عليه مصححه ، فقال : « قوله : أراد بذات الغلام ... الخ » هذه عبارة الأزهرى لإنشاده له : « كذات الغلام » وأنشده في المحكم : « كأم الغلام » .

(۵) في الأغاني : « تم ليلة » .

(۲ - جبهة رسائل العرب - أول)

۵ - رد أخيه أبي عليه

فكتب إليه أخوه :

إن يكن خا نك الزمان ، فلا عا جزُ بليع ، ولا ألفٌ ضعيف^(۱)
 ويمين الإله ! لو أن جأوا ، طحوناً تضيء فيها السيوف^(۲)
 ذات رزٍّ مُجتابةً غمرة الموات صحیحٌ سرباً لها مكفوف^(۳)
 كنت في حميها ، لجنتك أسمى فاعلمن لو سمعت ، إذ تستضيف^(۴)
 أو بنالٍ سُئلتُ دونك كم يُمنع تِلَادٌ لحاجة أو طريف^(۵)
 أو بأرضٍ أسطيعُ آتيك فيها لم يهني بعيدها أو مخوف^(۶)
 في الأعادي وأنت مني بعيد عزّ هذا الزمان والتعنيف^(۷)
 إن تفتني والله إلفاً ججوعاً لا يعقبك ما يصبو الخريف^(۸)

- (۱) الألف : الرجل الثقيل البطيء ، واللف في الكلام (بالتحريك) ثقل وعى مع ضعف ، رجل ألف : أي عبي بطيء الكلام إذا تكلم ملاً لسانه فيه ، وفي الأغاني : « باغ » ، وهو تصحيف .
 (۲) جأى الشيء كسى جأياً وجأوا : سزوه وغطاه ، وكتيبة جأوا : بينة الجأى ، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة ذات الشوك والكترة تطحن ما لقيت .
 (۳) الرز : الصوت تسمعه من بعيد أو أغم ، أو صوت الرعد . مجتابة : أي مفتحة مخترقة ، جاب واجتباب وطمع وخرق . والعمره : الشدة . والسربال : الدرع ، أو كل ما لبس . وكف الثوب : خاط حاشيته ، وهي الحياطة الثانية بعد الثل ، ومنه قولهم : « عيبة مكفوفة » : أي مسرجة مشدودة على ما فيها ، وستاق في كتاب صلح المدينة .
 (۴) حميت النار كرضي حما وحوا : اشتد حرها . واستضاف : استفت .
 (۵) التلاد والتلبد والتالد والمتلد : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك . والطارف والطريرف : المال المستحدث .
 (۶) هاله الأمر . أفزعه ، وفي الأغاني : « بعد بها » .
 (۷) في الطيرى « والتمريف » وأراه محرفاً ، والصواب « والتعنيف » كما في الأغاني . والمعنى : ليس تجدى تعنيفنا الزمان ولومنا إياه وعتبنا عليه « بما رمانا به من خطوبه وملعانه ، وهو كقول القائل :
 أخلاى لو غير الحمام أصابكم عتبت ، ولكن ما على الدهر معتب
 أو عز بمعنى غلب (عزه كده : غلبه) والتعنيف بمعنى الإيلام ، أي غلبنا الزمان على أمرنا وقهرنا بمؤلماته وفواجعه .
 (۸) إلفاً حال من فتل تفتني . وجوعاً مبالغة من فاجع . لا يعقبك . لا يخافك . والمخريف : المطر في فصل الخريف . وأول المطر في أول الشتاء . وصاب المطر صوباً : نزل ، وكفى بصوب الخريف عن =

فَلَعَمْرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ كَجَزُوعٍ عَلَى الصَّدِيقِ أُسُوفٍ^(۱)
 وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكْتُ عَزَائِي لِقَلِيلٍ شَرُّوَاكَ فِيمَا أُطُوفُ^(۲)
 فلما قرأ أبيُّ كتابِ عَدِيِّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمرِهِ وعَرَفَه خبره ، فكتب
 إلى النعمان بأمره بإطلاقه ، ولكن النعمان اغتاله ، وتقدّم إلى رسول كسرى أن ينبئه
 بأنّ عديا قد مات قبل أن يقدم عليه^(۳) .

(تاريخ الطبري ۲ : ۱۴۹ ، والأغانى ۲ : ۲۶)

۶ - كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وندم النعمان على قتل عَدِيِّ . وعَرَفَ أنه احتيل عليه في أمره ، واجترأ أعداء عَدِيِّ
 على النعمان ، وهاجمهم هَيْبَةً شَدِيدَةً ، ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فاقى ابنا لعدي
 يقال له زيد ، فلما رآه عَرَفَ شبهه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدي بن زيد ،
 فكلّمه فإذا غلام ظريف ، ففرح به فرحا شديداً ، وقرّبه وأعطاه ووصّله ، واعتذر إليه
 من أمر أبيه وجهزه ، ثم كتب إلى كسرى :

= الخيروالنعمة، والمعنى: إن تذهب عني وتفجعي ببيعتك ، فإن ما ألقاه بعدك من نعمة - وإن جلت - لن تكون
 خلفا عنك ، ولن أرى فيها بديلا منك ، وفي الأغانى : « إن يعنى والله إلف فجوع لا يعنك ... » ،
 وهو تحريف . (۱) الأسوف والأسيف : الحزين .
 (۲) الشروى : التل .

(۳) وذلك أن أيا كان قد تقدم إلى رسول كسرى ورشاه وأمره أن يبدأ بعدي ، وقال له :
 ادخل عليه فانظر ما يأمر بك به ، فدخل الرسول على عدي ، فقال : إني قد جئت بارسالك ، فما عندك ؟
 قال : عندي الذي تحب ، ووعده عدة سنية ، وقال له لا تخرجن من عندي ، وأعطاني الكتاب حتى أرسله
 إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله
 إليه ، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى قد دخل على عدي وهو ذاهب
 به ، وإن فعل لم يستبق منا أحدا أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمان أعداءه فقموه حتى مات ثم دفنوه
 ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية
 حسناء ، وقال له إذا أصبحت فادخل عليه فأخرجه أنت بنفسك ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأعلمه
 الحارس أنه قد مات منذ أيام ، فلم نجزي على أن نخبر الملك للفرق منه وقد علمنا كراهته لموته . فرجع
 إلى النعمان فقال : إني قد دخلت عليه وهو حي ! فقال له النعمان ، أبيع بك الملك إلى فتدخل إليه قبل ؟
 كذبت ! ولكنك أردت الرشوة والحديث ، فهدده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى
 إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى فقال : لأنه قد مات قبل أن أدخل عليه .

« إن عديا كان ممن أُعِينَ به الملك في نُصْحِهِ ولُبِّهِ ، فأصابه مالا بُدِّ منه ، وانقطعت مُدَّتُهُ ، وانقضى أَجْلُهُ ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أَشدَّ من مصيبتِي ، وأما الملكُ فلم يكن لِيَفْقِدَ رجلا إلا جعل الله له منه خَلْفًا ، لِما عَظَّمَ اللهُ من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيتُه يصلح لخدمة الملك فسرَّحتُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فَلْيَفْعَلْ ، وليصرف عَمَّهُ عن ذلك إلى عمل آخر . »

فلما قَدِمَ الغلام على كسرى ، جعله مكان أبيه ، وصرف عمه إلى عمل آخر ، فكان هو الذي يلى المكاتبَةَ عن الملك إلى ملوك العرب في أمورِها ، وفي خواصِّ أمور الملك . (تاريخ الطرى ٢ : ١٥٠ ، والأغانى ٢ : ٢٧)

٧ - كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وروى صاحب العقد الفريد أن النعمان بن المنذر قَدِمَ على كسرى ، وعنده وفودُ الروم والهند والصين ، فذَكَرُوا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارسَ ولا غيرها ، فأنبرى كسرى بعدد ما أثرَ الأمم ومفاخرها ، ثم تنقَّص العرب ، وهجَّن^(١) أمرهم وامتنهم ، فردَّ عليه النعمان مُقنِّدًا قوله ، مُباهيًا بمناقب العرب ومحاسنها .

فلما رجع إلى الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، بعث إلى بعض وجوه العرب^(٢) ، فاقتصَّ عليهم مقالاتِ كسرى ، وما ردَّ عليه ، وقال لهم : الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيُّها الرَهْطُ ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم فطق كل رجل منكم بما حَضَرَه ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدَّثته نفسه ، ثم جهَّزهم وكتب معهم كتابا وهو :

(١) هجنه : قبحه . (٢) بعث إلى أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين . وإلى الحرث ابن عباد ، وقيس بن مسعود البكرين . وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين . وإلى عمرو بن الشريد السامى . وإلى عمرو بن معد يكرب الزبيدى . والحرث بن ظالم المرى . وقد أتيت على خطابهم ، وما رد به كسرى عليهم في كتابي « جهرة خطب العرب ج ١ : ص ١٥ » .

« أما بعدُ ، فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُهُ بما قد فهم ، مما أحببتُ أن يكون منه على علم ، ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتججرتُ دونه بمملكته ، وحتت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدتُ إليها الملك رهطاً من العرب ، لهم فضلٌ في أحسابهم وأنسابهم وعمولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقتهم ، وليكرمني يا كرامهم وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم . »

(القصد الفريد ١ : ١٠٣)

٨ - كتاب عبد المطلب بن هاشم إلى أخواله يثرب

وروى الطبري أن هاشم بن عبد مناف كان شخصاً في تجرة له إلى الشام ، فسلك طريق المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن زيد الخزرجي ، من بني عدي ابن النجار فخطب إليه ابنته سلمى ، فأنكحه إياها ، وشرط عليه ألا تلد ولداً إلا في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبني بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فبنى بها في أهلها يثرب فحملت منه ، ثم ارتحل إلى مكة وحملها معه ، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فأت بها بغزة ، فولدت له سلمى عبد المطلب - وكان اسمه شيبية - فكث يثرب سبع سنين أو ثمان سنين .

ثم إن عمه المطلب بن عبد مناف خرج إلى المدينة ليأتي بابن أخيه ، فأقبل به إلى مكة قد أردفه ، فإذا لقيه الألقى وقال : من هذا وراءك يا مطلب ؟ قال : عبد لي ، فسمي عبد المطلب .

فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه وسلمه إليه ، فعرض له عمه نوفل بن عبد مناف في رُكح^(١) له ، فاغتصبه إياه ، فمضى عبد المطلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النصرة على عمه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب في كتابه :

(١) رُكح الدار : ساحتها وفناؤها .

أَبْلِغْ بَنِي النَّجَّارِ إِنْ جِئْتَهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ وَأَبْنُهُمْ وَالْحَمِيسُ^(۱)
رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ هَوُوا لِقَائِي وَأَحْبَبُوا حَسِيسَ^(۲)
فَإِنَّ عَمِّي نَوْفَلًا قَدْ أَبِي إِلَّا الَّتِي يُغْضِي عَلَيْهَا الْحَسِيسُ

نفرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين راكباً حتى أتى الأبطح^(۳) ، فتأتماه
عبد المطلب ، وكان نوفل جالساً في الحجر^(۴) في مشايخ قريش ، فأقبل أبو أسعد حتى
وقف على رأسه ، ثم استل سيفه ، ثم قال : وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ^(۵) كَرَدَنَّ عَلَيَّ ابْنَ أُخْتِنَا
رُكْحَهُ ، أَوْ لِأَمْلَانٍ مِنْكَ السِّيفَ ، قَالَ : فَإِنِّي وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ أُرِدُّ رُكْحَهُ ، فَأَشْهَدُ عَلَيْهِ
مَنْ حَضَرَ^(۶) . (تاريخ الطبري ۲ : ۱۷۸)

۹ - كتاب عبد المطلب إلى أخواله

وروى الطبري أيضاً حديثاً في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، قال :
كان سبب بدء الحلف^(۷) الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسببه مكة^(۸) ، أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من
بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاج له - وهي الساحات -

- (۱) رجل حمس كفرح وحميس وأحمس : شجاع ، وفي الأصل : « والحميس » وهو تصحيف .
« والحميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب واليمينه والميسرة والساقة » .
(۲) هويه كرضيه : أحبه والحميس والحمس (بالكسر) الصوت .
(۳) أي أبطح مكة ، والأبطح والبطحاء : بطن الوادي - مسيل واسع فيه دقاق الحمص .
(۴) الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال .
(۵) البنية : الكعبة .

(۶) ورد في الطبري بعد ذلك : « قال محمد بن أبي بكر الأنصاري ، فحدثت بهذا الحديث موسى
ابن عيسى ، فقال : يا ابن أبي بكر ، هذا شيء ترويه الأنصار تقريباً إلينا إذ صير الله الدولة قينا ، عبد المطلب كان أعز
في قومه من أن يحتاج إلى أن يركب بنو النجار من المدينة إليه . قلت : أصلى الله الأمير ، قد احتاج إلى نصرهم من
كان خيراً من عبد المطلب قال : وكان متوكفاً فجلس مفضباً وقال : من خير من عبد المطلب ؟ قلت : محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت وعاد إلى مكانه وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر » .
(۷) الحلف : العهد بين القوم ، والصدقة .

(۸) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عقد مع قريش صلح الحديبية (سنة ۶ هـ) كان
من شروط الصلح وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل =

وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، فتنصفت^(۱) عبد المطلب عمه فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

يا طولَ لَيْلِي لِأَحْزَانِي وَأَشْغَالِي هل من رسول إلى النجّار أخوالي ؟
بُذِي « عَدِيًّا » و « دِينَارًا » و « مازتِهَا »

و « مالِكا » عِصْمَةَ الْجِرَانِ ، عن حالي

قد كنتُ فيكم ولا أخشى ظلامَةَ ذِي

ظُلْمٍ عَزِيزًا مَنِيعًا نَاعِمَ الْبَالِ^(۲)

حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزعجني

و كنتُ - ما كان حيًّا - ناعماً جذلاً

فغاب « مُطَلِبٌ » في قعرِ مُظْلِمَةٍ

أَنْ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُومَتُهُ

أُنحَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَحْمًا

فاسْتَنْفِرُوا وَاْمْتَعُوا ضَيْمَ ابْنِ أُخْتِكُمْ

مَا مِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً

حَيَّ الْجَارِ وَإِنْعَامِ وَإِفْضَالِ^(۳)

== فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتوانبت خزاعة ، فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتوانبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، كما سيأتي ، وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كنت نارها بظهور الإسلام ، فلما كانت الهدنة ، وقف رجل بكري يتنقى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي ، فضربه الخزاعي ، فعرك ذلك كامن الأحقاد ، وهب بنو بكر لثأر من أعدائهم ، واستمانوا بأولياهم من قريش ، فأعلنوا سرا بالعدة والرجال ، ثم قصدوا إلى خزاعة وهم آتون ، فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ، فبعثت خزاعة وفدا منهم إلى رسول الله ليخبره بما فعل بهم بنو بكر وقريش ، فقال لهم : والله لأنضجكم مما أضع منه نفسي ، وكان ذلك سبب فتحه مكة .
(۱) تنصفت : سأله أن ينصفه .

(۲) الظلامه : ما نطلبه عند الظالم ، وهو اسم مأخذه منك . (۳) من قولهم : فلان يمسي المرضة والمرضى بالتقصير : أي في مشيته بنى من نشاطه . (۴) عدا عليه : ظلمه . منع نوفل من الصرف لضرورة الشعر . (۵) استنفره : دعاه أن ينفر معه ، ونفر للحرب كضرب : أسرع إليها . (۶) قاطبة : جميعاً .

أَتَمَّ لِيَانَ لِمَنْ لَانَتْ عَرَبِيكْتَهُ سَلِمٌ لَكُمْ وَسِمَامٌ الْأَبْنَحِ الْعَالِي (۱)
 فقدم عليه منهم ثمانون راكبا ، فأناخوا بفناء الكعبة ، فلما رآهم نوفل بن
 عبد مناف . قال لهم : أَنْعِمُوا (۲) صباحاً ، فقالوا له : لا نعيم صباحك أيها الرجل !
 أنصف ابن أختنا من ظلامته ، قال : أفعل بالحب لكم والكرامة ، فرد عليه الأركاح
 وأنصفه ، فانصرفوا عنه إلى بلادهم .

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف ، فدعا عبد المطلب بشر بن عمرو وورقاء بن فلان
 ورجالا من رجال خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابا .

(تاريخ الطبري ج ۲ : ص ۱۷۹)

۱۰ - كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة

« باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجال عمرو بن ربيعة
 من خزاعة (۳) : تحالفوا على التناصر والمواساة ، ما بل بحر صوفة (۴) ، حلفا جامعاً
 غير مفرق ؛ الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ،
 وتعاهدوا وتعاهدوا أو كد عهد وأوثق عقد ، لا يبتقض ولا ينكث ، ما أشرفت

(۱) ليان : إما بفتح اللام مصدر لان كاللين ، فهو على تقدير مضاف أي ذوالين ، أو بكسر
 اللام مصدر لابن كالملاينة ، فهو على تقدير مضاف أيضاً ، أو جمع لين بالتشديد كجيد وجياد وعيل وعيال .
 والعريكة : الطبيعة ، وفلان لين العريكة : سلس الخلق . والسلام : المسالم . أي أتم ليان لمن هو سلم لكم .
 وسمام بالكسر (وسوم بالضم) جمع سم مثل السبن ، وهو السم القاتل . والأبغ : التكبر ، وصف
 من البلخ بالتحريك وهو التكبر ، أي وأتم سموم للتكبر الطاغى المتجاوز الحد .

(۲) من تحية العرب في الجاهلية « عم صباحا » بكسر العين ، وفي كتب اللغة « كأنه محذوف
 من نعم بنعم بكسر العين فيهما ، كما تقول كل من أكل يأكل ، فحذف منه الألف والنون تخفيفاً » .
 ويقولون أيضاً : أنعم الله صباحك ، من النعومة . (۳) خزاعة : حى من الأزدي ، وهم بنو عمرو بن

ربيعة قيل سموا بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فاتهموا إلى مكة تخزعوا عنهم (أي تخلفوا)
 فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام . (۴) جاء في اللسان « وصوف البحر : شيء على شكل هذا

الصوف الحيواني ، واحدته صوفة ، ومن الأبيات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة .
 وحكى اللحياني : ما بل البحر صوفة « والمفهوم من صوف البحر أنه الإسفنج .

شَمْسٌ عَلَى ثَبِيرٍ^(۱) ، وَحَنَّ بِفَلَاةٍ بَعِيرٍ ، وَمَا أَقَامَ الْأَخْشَبَانِ^(۲) ، وَاعْتَمَرَ بِمَكَّةَ إِنْسَانٌ ،
حَلَفَ أَبَدٍ ، لَطُولِ أَمَدٍ ، يَزِيدُهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ شَدًّا ، وَظِلَامُ اللَّيْلِ مَدًّا ، وَأَنَّ
عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَوَلَدَهُ وَمَنْ مَعَهُمْ وَرِجَالُ خِزَاعَةِ مَتَكَافِئُونَ مَتَظَاهِرُونَ^(۳) مَتَعَاوِنُونَ ، فَعَلَى
عَبْدِ الْمَطْلَبِ النَّصْرَةَ لَهُمْ بِمَنْ تَابَعَهُ عَلَى كُلِّ طَالِبٍ ، وَعَلَى خِزَاعَةِ النَّصْرَةَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ
وَوَلَدِهِ وَمَنْ مَعَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْعَرَبِ فِي شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ ، أَوْ حَزْنٍ^(۴) أَوْ سَهْلٍ ، وَجَعَلُوا
اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ كَفِيلًا ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ جَمِيلًا .

وروى هكذا :

« بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ : هَذَا حَلْفُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ لَخِزَاعَةِ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ سِرْوَاتُهُمْ^(۵)
وَأَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، غَائِبُهُمْ يُقَرِّمُ مَا قَانَى عَلَيْهِ شَاهِدُهُمْ : إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عُهُودَ اللَّهِ
وَمِيثَاقَهُ وَمَالًا يُنْسَى أَبَدًا ، أَلَيْدٌ وَاحِدَةٌ ، وَالنَّصْرُ وَاحِدٌ ، مَا أَشْرَفَ ثَبِيرٌ ، وَثَبِتَ
حِرَاءُ^(۶) بِمَكَانِهِ ، وَمَا بَلَّ بِبَحْرٍ صُوفَةٌ » .

(مفتاح الأفكار ص ۳۱)

۱۱ - كتاب أكرم بن صيفي إلى طي

وروى أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال أن أكرم بن صيفي كتب إلى طي
بوصية ، وهي :

« أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحِ الْخُتْمَاءِ ، فَإِنْ نَكَحَهَا
غَرَّرَ^(۷) ، وَوَلَدَهَا ضِيَاعٌ ، وَعَايِمُكُمْ بِالْحَيْلِ فَأَكْرِمُوها ، فَإِنَّهَا حُصُونُ الْعَرَبِ ، وَلَا تَضَمُّوا
رِقَابَ الْإِبِلِ فِي غَيْرِ حَتْمِهَا ، فَإِنْ فِيهَا مَنَّ الْكَرِيمَةَ^(۸) ، وَرُقُوءَ الدَّمِ^(۹) ، وَبِالْبَانِهَا يُتْحَفُ

(۱) ثبير : جبل بقرب مكة . والفلاة : البادية . (۲) الأخشبان : جيلامة ، أبو قبيس والأحمر .

(۳) تظاهروا : تعاونوا . (۴) الحزن : ما غلظ من الأرض . (۵) السرو بالفتح :

المروءة في شرف ، سرو فهو سري ، واسم الجمع سراة بالفتح ، وجمعها سروات .

(۶) حراء : جبل بمكة . (۷) الغرر : الخطر ، غرر بنفسه تفريراً : عرضها للملكة ، والاسم

الغرر . (۸) يرمسها (۹) زقا الدم : جف وسكن . والرُقوء ، كصبور : ما يوضع على

الدم ليرتقه . والمعنى أنها تعطى في الديارات فتتخفن بها الدماء .

الكبير^(١) ، وَيُغْذَى الصَّغِيرَ ، ولو أن الإبل كَلَّفَتِ الطَّحْنَ لَطَحَّنتَ ، ولن يَهْنِكَ
 امرؤ عَرَفَ قَدْرَهُ ، والعُدْمُ^(٢) عُدْمُ العَقْلِ لا عَدَمُ المَالِ ، وَلرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ ،
 وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسْمِ^(٣) طَابَتْ مَعِيشَتُهُ ، وآتَةُ الرَّأْيِ
 الهَوَى ، والعَادَةُ أَمْلَكُ^(٤) ، والحَاجَةُ مَعَ المَحَبَةِ خَيْرٌ مِنَ البَغْضِ مَعَ الغِنَى ، والدُّنْيَا دُوَلٌ :
 فَمَا كَانَ لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعَهُ بِقُوَّتِكَ ، والحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ
 دَوَاءٌ ، والشَّمَاتَةُ تُتَقَبُّ ، وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ . قَبْلَ الرَّمَاءِ تَمَلُّهُ الكِنَانُ^(٥) . النَّدَامَةُ
 مَعَ السَّفَاهَةِ . دِعَامَةُ العَقْلِ الحِلْمُ . خَيْرُ الأُمُورِ مَعَبَّةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ المُوَدَّةِ عَدْلٌ^(٦) التَّعَاهُدِ .
 مِنْ يَزُرُ غَيْبًا يَزِدُّ حَبًّا . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ البُؤْسِ . مِنَ التَّوَانِي وَالعَجْزِ نُتِجَتِ^(٧)
 الهَنَكَةُ . لِكُلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ^(٨) ، فَضَرَّ لِسَانِكَ بِالخَيْرِ . عِيٌّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ
 عِيِّ المَنْطِقِ . الحَزْمُ حِفْظُ مَا كَلَّفْتَ وَتَرْكُ مَا كُفِّيتَ . كَثِيرُ التَّنْصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ
 الظَّنَّةِ^(٩) . مِنْ أَلْحَفِ^(١٠) فِي المَسْأَلَةِ ثَقُلُ . مِنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الحُرْمَانَ .
 الرِّفْقُ يُمَسِّنُ ، وَالخُرْقُ شَوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الحَاجَةَ . خَيْرُ العَفْوِ مَا كَانَ
 بَعْدَ القُدْرَةِ .

(يجمع الأمثال للميداني ج ٢ : ص : ٨٧)

(١) التحفة: البر والالطف (بالتحريك) والطرفة (بالضم) وقد أتخفته تحفة .

(٢) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك : الفقدان ، وغلب على فقدان المال .

(٣) القسم : القدر . (٤) وفي رواية : « المادة أملك من الأدب » .

(٥) الرماء مصدر رامي كالمرامة . والكنائن جمع كنانة (بالكسر) ، وهي جعبة (بالفتح)

السهام ، وهو مثل معناه : تؤخذ للأمر أهبه قبل وقوعه . ومثله قولهم : « قبل الرمي يراش السهم »

أى يوضع له الريش . (٦) العدل : الاستقامة . أى بقاء المودة فى استقامة التعاهد والحرس على

سلامة شروطه . (٧) ويروى « نتجت الفاقة » . (٨) يقال : ضرى الكلب بالصيد

كأرح ضراوة : أى تعود ، وكتب ضار . وأضراه صاحبه : عوده . وأضراه به : أغراه . وضراه أيضاً

تضرية . (٩) أى التهمة . (١٠) ألح .

۱۲ - کتاب اکثم بن صيفى إلى النعمان بن خميصة البارقي

وروى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خميصة البارقي إلى أكثم بن صيفى^(۱) : « مثل لنا مثالا

نأخذ به » ، فقال :

« قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(۲) فَعَرَفْتُ حُلُوهُ وَمُرَّهُ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ^(۳) ،
إِنْ أَمَامِي مَا لَا أُسَامِي^(۴) ، رَبِّ سَامِعٍ بِخَبْرِي لَمْ يَسْمَعْ بُعْذَرِي ، كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ ،
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ ، كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخَذَلُ ، تَبَارَوْا فَإِنَّ الْبِرَّ يَنْبِي^(۵) عَلَيْهِ
الْعَدَدُ ، كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ ، فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فِكْيِهِ ، إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي
صَدِيقًا ، الصَّدَقُ مَنجَاةٌ ، لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّ ، وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ التَّوَقُّ ، سَتَسَاقُ
إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ ، فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ^(۶) ، وَالْاِقْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(۷)
مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى مَا فَاتَهُ وَدُعَا بَدَنَهُ ، وَمَنْ قَنِعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ
التَّنَدُّمِ^(۸) ، أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَخْبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبِحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ
مَنْ مَالِكٌ مَا وَعَظَكَ . وَبِلْ لِعَالِمٍ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ ، يَتَشَابَهُ الْأَمْرَ إِذَا أَقْبَلَ إِذَا أَدْبَرَ

(۱) هكذا روى أبو هلال . وذكر الميداني أن أكثم وصى بهذه الوصية بنيه حين جمعهم .
ورواية ابن هلال أطول بكثير من رواية الميداني ، وقد جمعت بين الروایتين ، ولينبه إلى أنه قد ورد في
هذا الكتاب بعض ما ورد في الكتاب السالف . (۲) للناقة شطران : فادمان وآخران ، فكل
خلفين من أخلافها شطر بالفتح (والحاف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل من الدهر . والمعنى
أنه اختبر شطري الدهر خيره وشره ، فعرف ما فيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر .

(۳) ذرفت عينه كضرب : سال دمعها ، وذرفت العين دمعها : أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى
الأمر فعرف حقيقته . (۴) ساماه : باراه في السمو . (۵) يزيد ، وفي جمع الأمثال « يبنى »

(۶) في جمهرة الأمثال « يكون الغز » . (۷) أي أبقى للقوة ، من جم الفرس جاما (بالفتح) :
ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم الماء يجم بضم الجيم وكسرهما جوما : كثر واجتمع ، والبئر : تراجع
ماؤها ، والجمام بالفتح أيضا : الراحة . ولم يأس : لم يحزن .

(۸) أي فكر في التقدم قبل أن تندم .

عَرَفَهُ السَّكِيْسُ وَالْأَحْمَقُ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ ^(۱) . الْبَطْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ حُحُقٌ ، وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ ^(۲) . لَا تَغْضَبُوا مِنَ الْبَسِيرِ فَرَّبَمَا جَنَى الْكَثِيرَ . لَا تُجِيبُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ ، وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيْلَةٌ مَنْ لَا حِيْلَةَ لَهُ الصَّبْرُ ، كُونُوا جَمِيعًا فَإِنِ الْجَمْعُ غَالِبٌ ، تَذَبَّتُوا وَلَا تُسَارِعُوا فَإِنِ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ . رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَبِيْشًا ^(۳) . اذْرِعُوا اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا ، فَإِنِ اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَفَى . تَنَاءَوْا فِي الدِّيَارِ وَلَا تَبَاغَضُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَقَّعُ ^(۴) عَمْدُهُ . اذْرِمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ ^(۵) ، نَعِمَ كَهْوُ الْغُرَّةِ الْمِغْزَلِ . إِنِ تَعِشْ تَرَ مَا لَمْ تَرَ ، قَدْ أَقْرَبَتْ صَامِتٌ ، الْمَكْثَارُ كحَاطِبٍ ^(۶) لَيْلٍ ، مَنْ أَكْثَرَ اسْقَطَ ^(۷) . لَا تَجْهَلُوا سِرًّا إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَفَرِّقُوا فِي الْقَبَائِلِ ، فَإِنِ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ . عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ ^(۸) ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَشَائِظَ ^(۹) ، فَإِنِ مَعَ الْقَلَّةِ الْذَلَّةُ ، لَوْ سُوِّلَتِ الْعَارِيَّةُ قَالَتْ : أَبْنَى لِأَهْلِ ذُلٍّ . الرَّسُولُ مُبَلِّغٌ غَيْرَ مَلُومٍ . مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً ^(۱۰) ، الدَّلَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَوْفَعِ الْمَسْكِنَةِ ، قَدْ تَجَمَّعَ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشِدَّةٍ ^(۱۱) ، لَمْ يَجْرُ سَالِكُ الْقَصْدِ ،

(۱) الأعلام جمع علم بالتحريك ، وهو سبب القوم . (۲) الأفن : ضعف الرأي والعقل . وفي الأصل « أفن » : وهو تحريف . (۳) الركين : الرزين . والرث : الإبطاء . (۴) تفقع : اضطرب وتحرك . وفي الأصل : « غنده » بدل « عمده » ، وهو تحريف ، وهذا مثل معناه : لا بد من الافتراق بعد الاجتماع . أو معناه : إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر ففرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بعمرض الزوال والانتشار . (۵) أي أن يهينكم ويوقركم . وفي الأصل : « المهابة » وهو تصحيف . والغرة : الشريفة . (۶) الحاطب : الذي يجمع الحطب ، وهو حاطب ليل : أي مخلط في كلامه . (۷) أسقط كلمة ، وأسقط في كلمة : أخطأ .

(۸) عاقدوا : حالفوا . والثروة : كثرة العدد من الناس . (۹) يقال : هم وشيظة في قومهم : أي حشوفهم . (۱۰) جابة أي بمعنى لإجابة : اسم وضع موضع المصدر ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعارة قال المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ، فوقف بمزورة مكة (والمزورة كقسورة : الراية الصغيرة) . فأقبل الأخنس بن شريق النقي . فقال ، من هذا ؟ قال سهيل ابني . قال الأخنس : حياك الله يا فتى ! قال لا ، والله ما أي في البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً . فقال أبوه : « أساء سمعاً فأساء جابة » : فأرسلها مثلاً .

(۱۱) أي لا تعيش بسبب تديبها وتبا يفلان عليها من أجرة الإرضاع . يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب . وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان =

ولم يعم قاصد الحق . من شدّد نَفْرًا ، ومن تراخى نَأْفًا . الشَّرْفُ التَّفَافُلُ . أَوْفَى
 التَّوَلُّ أَوْجَزُهُ . أصوبُ الأمور تركُ الفُضُولِ . التَّغْرِيرُ مفتاحُ البؤسِ . التَّوَانِي والعجزُ
 يُنتجانُ الهَلَكَةَ . لكلِّ شيءٍ ضَرَاوَةٌ . أحوجُ الناسِ إلى الغنى من لا يُصْلِحُهُ إلا الغنى
 وهم الملوكُ : حُبُّ المدحِ رأسُ الضياعِ . رِضا الناسِ غاية لا تُبْلَغُ . لا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ
 رِضاهُ الجَوْزُ . مُعَالَجَةُ العَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوَّذْ بِالصَّبْرِ . اقْصُرْ لِسَانَكَ عَلَى الخَيْرِ ، وَأخِّرْ
 الغَضَبَ ، فإنَّ القُدْرَةَ من ورائِكَ . مَنْ قَدَّرَ أَرْمَعَ . أَمْرٌ أَعْمَالُ المَقْتَدِرِينَ الانتقامُ ، جازٍ
 بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكْفِي بِالسَّيِّئَةِ ، أَغْنَى النَّاسَ عَنِ الحِمْدِ مَنْ عَظُمَ عَنِ المِجَازَاةِ ، مَنْ حَسَدَ
 مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ لِحَسَنِ الظَّنِّ نَصِيبًا رَوَّحَ عَنِ قَلْبِهِ . عِيٌّ الصَّمْتُ أَحْمَدُ
 مِنْ عِيٍّ المَنْطِقِ . النَّاسُ رِجَالانُ : مُحْتَرِمٌ وَمُحْتَرَسٌ مِنْهُ . كَثِيرُ النُّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ
 الظَّنَّةِ . مَنْ أَلْحَ فِي المَسْأَلَةِ أُبْرِمَ (١) . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الحَاجَةَ . الصَّمْتُ يُكْسِبُ
 الحِجْبَةَ . إِنْ يَغْلِبَ الكَذِبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ ، القَلْبُ قَدْ يُتَّهَمُ وَإِنْ صَدَقَ
 اللِّسَانُ . الانْتِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيْبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِلقَرِينِ السُّوءِ ، فَكُنْ

== حليفا لعلقة بن خصفة الطائي، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجل أهل دهرها، فأعجب بها
 فقال له: أتيتك خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، وينزع الراغب. فقال له علقمة: أنت كفه
 كريم، يقبل منك الصفو، ويؤخذ منك الغفو، أقم تنظر في أمرك، ثم انكفأ إلى أمها. فقال: إن الحرث
 ابن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً، وقد خطب إلينا الزباء، فلا ينصرفن إلا بحاجته. فقالت المرأة
 لابنتها: أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الججاج (أي السيد) الواصل الناح، أم التي الواضح؟ قالت
 لا، بل التي الواضح، قالت: إن التي يفبرك، وإن الشيخ يعبرك؛ وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل،
 كالمديث السن، الكثير المن، قالت: يا أمته، إن الفتاة تحب التي تحب الرعاء أتيتي الكلا، قالت: أي
 بنية، إن التي شديداً الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يبلى شباني، ويدنس ثيابي، ويشمت بي
 أرابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألب
 درهم فابتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه، إذ أقبل
 إليه شباب من بني أسد يعتاجون: (أي يتصارعون ويتفانلون) فتنفست الصعداء، ثم أرخت عينيها بالبكاء.
 فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضن كالفرخ! فقال لها: ثكلتك أمك! تجوع المرأة
 ولا تأكل بتديها، أما وأبيك لرب غارة شهدتها، وسبة أردتها، وخمرة شربتها، فالحنى بأهلك فلا
 حاجة ر فيك. (١) أبرمه: أضجره وأمله.

من الناس بين القرب والبعد ، فإن خير الأمور أوساطها . فسُؤلة^(۱) الوزراء أضرب من
بغض الأعداء . خير القرّناء المرأة الصالحة . وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له
من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوّه على أسوأ عمله . لن يَهْلِكَ
امرؤ حتى يَمَلَّ^(۲) الناس عتيد فعله ، ويشتد على قومه ، وبعجب بما ظهر من مروءته ،
ويغتر بقوته ، والأمر يأتيه من فوقه . ليس المُختال في حسن الثناء نصيبٌ ، لا ثناء مع
العدم ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه ، العيُّ أن تكلم فوق ما تُسدُّ به
حاجتكَ . لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاءٍ من تضطره إلى إخائه حاجة . أقلُّ الناس راحةً
الحقودُ ، من تَعَمَّدَ الذَّنْبَ لا تحيلُ رحمته دون عقوبة ، فإن الأدب رِفْقٌ والرِفْقُ يُمْنٌ «
(جهرة الأمثال ۱ : ۳۲۰ ، وجمع الأمثال ۲ : ۱۴۵)

(۱) فسل ككرم وعلم فسولة ، فهو فسل كضخم : أي رذل لامروءة له ، والوزراء جمع وزير ،
وهو النصير والظهير . (۲) في الأصل : « يملك » . وأرى صوابه : « يمل » .

الرسائل

في

عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها

١ - كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة

لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط عليهم ، واشترط لهم ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمؤمنات من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رباعتهم يتعاقلون^(١) بينهم ، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف

(١) رباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أي ثابت مقيم ، ويقال : تركناهم على رباعتهم بفتح الراء وكسرهما ، ورباعهم بفتحها ، ورباعتهم بالتحريك ، وربعتهم ككفف ، وربعتهم كفضة : أي على حالة حسنة من استقامتهم وأمرهم الأول ، لا يكون في غير حسن الحال ، والمعنى : إنهم على أمرهم الذي كانوا عليه . والتعاقل : تفاعل من العقل (وعقل القليل عقلا : أعطى دينه) والمعقل : جمع معقله (بضم =

والقِسط^(۲) بين المؤمنين. وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة
تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين . وبنو سَاعِدَةَ على رباعتهم يتعاقلون
معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين .
وبنو الحُرث على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ
وَالْقِسطِ بين المؤمنين . وبنو جُشَمٍ على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة
منهم تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين . وبنو النَّجَارِ على رباعتهم يتعاقلون
معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين .
وبنو عمرو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِي عَانِيَهَا
بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين . وبنو النَّبِيْتِ على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ،
وكل طائفة تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين . وبنو الأَوْسِ على رباعتهم
يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسطِ بين المؤمنين .
وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ مُفْرَحًا^(۳) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ ،
وَلَا يَخَالِفُ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ ، أَوْ ابْتَغَى
دَسِيسَةَ ظَلْمٍ ، أَوْ إِثْمٍ ، أَوْ عُدْوَانٍ ، أَوْ فُسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ،
وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ ، وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَأَنَّ
ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ . يُجِيرُ^(۱) عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ .

(= القاف) وهي الذبية : ومعنى يتعاقلون معاقلهم الأولى : أى يكونون على ما كانوا عليه والجاهلية من أخذ
الديان وإعطائها ، أو على مراتب آباءهم ، وأصله من ذلك .

(۲) العاقى : الأسير . والقسط : العدل . (۳) المفرح : الذى قد أفرحه الدين والكرم : أى

فدحه وأنتقله ، ولا يحدقضاؤه (ومعنى أفرحه هنا : سلبه الفرح) ويروى : « مفرجا » بالجيم . والمفرج :

هو الرجل يكون في القوم من غيرهم فيلزمهم أن يعقلوا عنه . وقيل : هو المنقل بحق دية أو فداء أو غرم .

وقيل : أن يسلّم الرجل ولا يوالى أحداً ، فإذا جنى جناية كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له .

وقيل : هو الذى لا مال له . وقيل : هو الذى لا عشيرة له . وقيل : هو القليل يوجد في فلاة من الأرس ، فهو

يودى من بيت المال ولا يبطل دمه ، وكان الأصمعى يقول هو مفرح بالماء وينكر قولهم مفرج بالجيم .

(۱) أى إذا أجاز واحد من المسلمين حر أو عبد أو امرأة واحداً أو جماعة من الكفار أو خفرهم

وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين ، لا ينقض عليه جواره وأمانه وفي الأصل : « يجير عليهم » وهو تصحيف .

وأنه من تبعنا من يهود^(۱)، فإن له النصر والأسوة^(۲) غير مظلومين، ولا متناصر عليهم، وأن سلم^(۳) المؤمنين واحدة، لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء^(۴) وعدل بينهم، وأن كل غازية غزرت معنا يعقب بعضها بعضاً^(۵)، وأن المؤمنين يبي^(۶) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالا ليرش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط^(۷) مؤمناً قتلاً عن يمينه فإنه قود^(۸) به إلى أن يرضى ولي القتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثنا^(۹) ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضابه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل^(۱۰)، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردّه إلى الله عز وجل، وإلى محمد.

(۱) يقال : « يهود » . بدون ألف ولام . وهو اسم للقبيلة وعليه قول الشاعر : « أولئك أولى من يهود بعدة » . وقالوا : « اليهود » فأدخلوا الألف واللام فيها على لإرادة النسب يريدون اليهوديين . (۲) الأسوة بالضم والكسر . القدوة : ويقال : القوم أسوة في هذا الأمر : أى حالهم فيه واحدة . (۳) السلم بكسر السين وفتحها : الصلح ويؤت . والمعنى : لا يصلح واحد دون أصحابه، وإنما يقع الصلح بينهم، وبين عدوهم باجتماع ملثهم على ذلك .

(۴) السواء : العدل والصفة كالسوية ، ومنه قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » أى عدل . (۵) أى يكون العرب بينهم بونا ، فإذا حرحت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود ثانية حتى تصبها أخرى غيرها .

(۶) أباه به : سواء به . من البواء بالفتح وهو السواء والتكافؤ . يقال القوم بواء : أى سواء وما فلان ببواء لفلان : أى ما هو بكت له .

(۷) أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، وأصله من اعتبط الديحة إذا نحرها من عداء ولا كسر ، وهى سميت فنية . (۸) القود : القصاص أى فإن القاتل يقاد به ويقتل .

(۹) أى إن ينصر جانباً ويحيره من خصمه ويعول بينه وبين أن يقتص منه .

(۱۰) الصرف : التوبة . والعدل : القدية . وقيل الصرف : القيمة . والعدل : المثل ، وأصله في القدية . يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، أى لم يأخذوا منهم دية ، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلاً واحداً : أى طلبوا منهم أكثر من ذلك، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه .

وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ^(۱) إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَرْثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَنَّ جَفْنَةَ بَطْنِ مَنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ لِبَنِي الشُّطْنَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ الْبِرَّ^(۲) دُونَ الْإِثْمِ ، وَأَنَّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ بَطَانَ يَهُودِ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْحَجِرُ عَلَيَّ تَأْرَجِرِحُ ، وَأَنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى أَبْرٍ هَذَا^(۳) ، وَأَنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتِهِمْ ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِأَمْرٍ يُحْلِفُهُ وَأَنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ ، وَأَنَّ الْيَهُودَ يَنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَأَنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ^(۴) وَأَنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرِ مُضَارَّةٍ^(۵) ، وَلَا آثِمٍ ، وَأَنَّهُ لِأُتْحَارِ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا .

وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ^(۶) يُخَافُ فُسَادَهُ ، فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وَأَنَّهُ لَا أُتْحَارِ قَرِيشٍ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صَلَاحٍ بِصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، فَإِنَّهُمْ بِصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دُعُوا

(۱) أوتغى : أهلك ، وألقاه في بئيه .

(۲) أى أن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم . (۳) أى أن الله وحزبه للمؤمنين على الرضا به . (۴) أى حرم لهم لا يحل انتهاكه . (۵) ضاره ضاراً ومضارة : ضره . والحرمة : مالا يحل انتهاكه . (۶) الاشتجار : النزاع والتنازع .

إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ الحسن من أهل هذه الصحيفة ، وأن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وأن الله جارّ لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله^(۱) .

(سيرة ابن هشام ۱ : ۳۰۱)

۲ - كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش

عام الحديبية

ولما صدّت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة البيت الحرام عام الحديبية^(۲) - سنة ست للهجرة - وكان بينه وبينهم ما كان^(۳) ، بعثوا إليه سهيل بن عمرو في طلب الصلح ، فدعا صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : لا أعرف هذا^(۴) ، ولكن

(۱) وجاء في الروص الأتف للسهيل شرح السيرة النبوية لابن هشام : « وقال أبو عبد في كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذا كان الإسلام سعيًا ، قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المنعم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب » . (۲) الحديبية : بئر بقرب مكة على طريق جدة ، ثم أطلق على الموضع ، وكان عليه الصلاة والسلام قد نزل بها حين قصد إلى مكة لزيارة البيت سنة ست هجرية .

(۳) بعث صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت الحرب ، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت معظما لحرمة . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظما قريش ، فبلغهم ما أرسل به ، فقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل . فقال عليه الصلاة والسلام : لا تبرح حتى تناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة على قتال قريش ، فكانت بيعة الرصوان تحت الشجرة . وذلك قوله تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وجنحوا إلى الصلح . (۴) وفي صحيح البخارى : « أما الرحمن فوالله ما أدرى ماى ؟ » .

اكتب « باسمك اللهم^(۱) » كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لانكتب
إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب : « باسمك اللهم »
فكتبها ، ثم قال اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو »
فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ،
ولكن اكتب « محمد بن عبد الله » فقال صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن
كذبتوني ، ثم قال لعلي كرم الله وجهه : أمخ رسول الله ، فقال : والله لا أنحوك أبدا ،
فقال : أرنيه ، فأراه إياه ، فمجاه بيده الشريفة ، وقال : اكتب :

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : اصطالحا على وضع الحرب
عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من
أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ،
وأن بيننا عهبة مكفوفة^(۲) وأنه لا إسلال ولا إغللال^(۳) ، وأنه من أحب أن يدخل

(۱) قدمنا أن قريشاً كانت قبل البعثة تكتب في أول كتبها : « باسمك اللهم » . وجاء في السيرة الحلبية
أنه عليه الصلاة والسلام كتبها في أربعة كتب . ج ۲ : ص ۱۴۳ . وجاء في صبح الأعشى . ج ۶ ص ۲۱۹ .
« روى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش : « باسمك اللهم » . حتى
نزل عليه : « وَقَالَ أَرَأَيْتَ كَبُّوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » فكتب : « باسم الله » .
حتى نزل : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ » . فكتب : « بسم الله الرحمن » . حتى
نزل : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . فكتب : « بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وكذا ورد في السيرة الحلبية .

(۲) العيبة في الأصل : زبيل من آدم ، وما يجعل فيه الثياب والجمع عياب بالكسر ، وعيبة
مكفوفة : مشرحة مشدودة على ما فيها ، والعرب تشبه الصدور التي فيها القلوب بالعياب التي تخرج على حر
الثياب وفاخر الناع ، فجعل عليه الصلاة والسلام العياب المشرحة على ما فيها مثلالقلوب طويت على ما تعاقدوا
عليه ، مثل بها الذمة المحفوظة التي لاتنكث . أو معناه أن الشر يكون مكفوفا بينهم كما تكف العياب إذا
أشرجت على ما فيها من الناع ، كذلك الدخول التي كانت بينهم قد اصطالحوا على أن لا ينشروها ، بل يتكفون
عنها كأنهم قد جعلوها في وعاء وأشرجوا عليها . (۳) لا إسلال : أي لاسرقة . وقيل : لارشوة ، من أسل
إذا سرق ، وسله كنصر سلا مثله ، ولا إغللال : أي لاختيانه ، من أغل إذا خان ، وغل كنصر غلولا مثله :

فی عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ ^(۱) .

قال سهيل : « وَأَنْتَ تَرْجِعُ عِنَّا عَامَكَ هَذَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنْهَ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ ^(۲) خَرَجْنَا عَنْكَ ، فَدَخَلْنَا بِأَصْحَابِكَ ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاَكِبِ : السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ ^(۳) ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ هَذَا » .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجلاً من المسلمين ورجلاً من المشركين : أبا بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص - وهو يومئذ مشرك ^(۴) - وعلي بن أبي طالب .

(صيرة ابن هشام ۲ : ۲۱۶ ، وتاريخ الطبري ۳ : ۷۹ ، وصبح الأعشى ۴ : ۱۲ ، والسيرة الحلبية ۲ : ۱۴۴ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۷۷ ، وكتاب الحراج لأبي يوسف ص ۲۵۰ ، وصحيح الإمام البخاري ۲ ص ۷۹ ، وإعجاز القرآن ص ۱۱۴ والجامع الصحيح للإمام مسلم ۵ : ۱۷۵)

۳ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي ، إلى هرقل قيصر الروم ^(۵) سنة ست ^(۶) بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام ، ونسخته :

(۱) فتواثبت خزاعة . فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده ، وتواثبت بكر . فقالوا : نحن وعقد قريش وعهدهم . (۲) قبل العام والشهر قولاً كقعد قعوداً ، فهو قابل . وأقبل فهو مقبل : ضد دبردبوراً . (كقعد قعوداً أيضاً) وأدبر . (۳) القرب جمع قراب ككتاب : وهو عهد السيف . (۴) وقد أسلم سهيل بن عمرو يوم الفتح . (۵) وقيل أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفع الكتاب إلى عظيم بصرى (بصرى كحلبى : بلد بالشام) وهو الحارث ملك غسان ، ليدفعه إلى قيصر ، ولما انتهى دحية إلى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم ليوصله إلى قيصر ، فذهب به إليه ، وقد أتته بيت المقدس . (۶) كان ذلك زمن هدنة المدينة أواخر سنة ست ، وقيل كتب إليه صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة ثمان . وجمع بينهما بأنه عليه الصلاة والسلام كتب لقيصر مرتين ، والأول هو ما في الصحيحين ، فقد حدث أبو سفيان أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأنوه وهو بائلياء وحدثه هرقل في شأن ۴۴ إلى أن قال : ثم دعا بكتاب رسول الله الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ رُومٍ ، سَلَامٌ
عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ (۱) الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا ، أَسْلِمْتُ يَوْمَ نِكَاحِ اللَّهِ
أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ (۲) ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِيْمُ الْأَرِيْسِيِّينَ (۳) ، وَ « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ،

(۱) أى بالكلمة الداعية إلى الإسلام ، وهى كلمة التوحيد : أى أدعوك إليها ، فالباء بمعنى إلى .
(۲) أى لإيمان أتباعك بسبب إيمانك ، أو لإيمانك بعيسى ، ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام .
(۳) وردت هذه الكلمة فى متن البخارى : « اليريسين » . وجاء فى إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطائى . ج ۱ : ص ۹۳ . « اليريسين » جمع يريس على وزن كريم ، وفى رواية : « الأريسين » بقلب الياء الأولى همزة ، وفى أخرى : « اليريسين » . بتشديد الياء بعد السين جمع يريسى ، وفى أخرى : « الأريسين » . بتشديد الياء بعد السين أيضاً : وقلب الياء الأولى همزة جمع أريسى ، وجاءت فى صحيح مسلم مرة بالرواية الثالثة : « اليريسين » . وأخرى بالرواية الرابعة : « الأريسين » . وفى لسان العرب : « الإريسين » جمع لإريس كسكيت ، ومن ذلك يتبين لك أن فى مفرداتها لغات : أريس ويريس ككريم . وأريسى ويريسى كحقيقى : وإريس كسكيت . وهو الأكار : أى الفلاح . قال الأزهري : أحسب الأريس والإريس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام ، وقد جاء فى رواية الطبرى : « فإن إثم الأكارين عليك » . وكذا فى تاريخ ابن الأثير ، وقال صاحب السيرة الحلبية : « وجاء فى رواية : إثم الفلاحين » . وكذا فى شرح الزرقانى على المواهب « وفى فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى . ج ۱ : ص ۳۶ .

وفى الكلام حذف دل عليه المعنى : أى فإن عليك مع إثمك إثم الأريسين ، ولما خص هؤلاء : لأنهم أغلب رعاياءه ، وأسرعهم انقياداً ، لجهاهم وسذاجتهم . وقيل المراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلى ذلك بنفسه أم بغيره ، والعجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث . فالمعنى : فإن عليك إثم رعايائك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . وقيل : كان أهل السواد ومن هو على دين كسرى أهل فلاحه وإثارة للأرض ، وكان أهل الروم أهل أثان وصنعة ، فكانوا يقولون المعجوسى أريسى نسبة إلى الأريس ، وهو الأكار وكانت العرب تسميهم الفلاحين ، فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم الروم أنهم وإن كانوا أهل كتاب ، فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إثم المجوس وفلاحى السواد الذين لا كتاب لهم . وقيل : أراد أن عليه إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصغر أتباع الأكبر . وقيل : الإريس كسكيت : الأمير والأصل فيه رئيس كسكيت أيضاً من الرياسة فقلب : أى فعليك إثم كدراهم ، وقد جاء فى رواية الأغانى : « فإن إثم الأكبر عليك » . والمعنى : أنك إن توليت عن إجابة الدعوة لم يجب إليها كبراء دولتك تبعاً لك ، ولو أنهم أسلموا لهدوا قومهم إلى الإسلام ، لما لهم فيهم من الأمر الطاع والكلمة النافذة وقوة التأثير ، فامتناعك عن الإسلام يحملهم إثمًا مضاعفاً : إثم الامتناع عنه ، وإثم القعود عن نصرته ونشره والسعى فى التنفير منه والصد عنه .

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ^(۱) .

(السيرة الخلية ۲ : ۳۶۶ ، وصحيح الإمام البخارى ۱ : ۵ ، والجامع الصحيح للإمام مسلم ۵ : ۱۶۵ ، وتاريخ الطبرى ۳ : ۸۷ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۸۱ ، والأغانى ۶ : ۹۳ ، وصبح الأعشى ۶ : ۳۷۶ ، والمواهب اللدنية للقسطانى شرح الزرقانى ۳ : ۳۸۴)

* * *

وجاء في صبح الأعشى :

وذكر أبو عبيد في « كتاب الأموال » أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ،

كان فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب الروم :

إني أدعوك إلى الإسلام ، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ، وإن لم تدخل في الإسلام ، فأعط الجزية ، فإن الله تعالى يقول : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ^(۲) » وَإِلَّا فَلَا تَحِلُّ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ^(۳) .

(۱) الآية من سورة آل عمران .

(۲) الجزية : المراج الذى يضرب عليهم كل عام . واليد : الذلة والاسلام . أى حتى يؤدوها منقادين خاضعين ، أو عن يدهم أى مسلمين بأيديهم غير باعنين بأيدي غيرهم ، واليد أيضاً : القدرة والقوة : أى عن قدرة عليهم وغلب ، أو عن قدرة منهم على الدفع وغنى ، ولذلك قيل لا تؤخذ من العتق . واليد : النعمة والصنعة ، أى عن إناعم عليهم وإحسان فإن إبتاءهم بالجزية نعمة عليهم ، أو معناه : نقداً مائة عن يد إلى يد لانيئة ، وهم صاغرون : أى أذلاء منقادون لحكم الإسلام ، وهو يؤكد لقوله : « عن يد » على المعنى الأول ، والآية من سورة التوبة .

(۳) وروى أن هرقل لما رجع إلى حمص دار ملكه ، كان له فيها قصر عظيم ، فأغاق أبوابه ، وأمر منادياً بنادى : ألا إن هرقل قدآ من محمد واتبعه ، فأقلت الأجناد في سلاحها ، وطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم لئى أردت اختبار صلابتكم في دينكم ، فقد رضيت ، فرسوا عنه . وفي صحيح البخارى : « وسار هرقل إلى حمص فأذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص (والدسكرة بفتح الدال والكاف : بناء للعلوك يشبه القصر حوله بيوت للخدم والحشم) ، ثم أمر بأبوابها فمكنت ، ثم أطلع فقال : يا معشر =

٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس

وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي^(١) إلى كسرى أبرويز ملك الفرس ، سنة ست ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لا نذير من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت عليك إثم الجحوس^(٢) . »

ولما قرأ كسرى الكتاب غضب ومزقه وقال : يكتب إلى هذا وهو عبدى ، فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك مرق ملكه .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٨ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٩٠ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٨١ ، وإعجاز القرآن ص ١١٣ ، والمواهب اللدبية للفضلاز « شرح الرقاني ٣ : ٣٨٩ »)

٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة سنة ست . وبعث معه كتابا فيه

« الزوم . هل لكم والفلاح والرشد ، وأن يثبت منكم ، فتابعوا هذا النبي ؟ فاصوا حصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد عانت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان منهم ، (إذ قالوا له : اتدعوننا أن نترك النصرانية ونصير عبدا لأعرابي ؟) قال : زدوهم على ، وقال : لاني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شديكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه . » وروى أنه كتب كتابا وأرسله مع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : لاني مسلم ، ولكنني مغلوب ، وأرسل بهدية ، فلما قرئ عليه الكتاب ، قال : كذب عدو الله ليس يتسلم ، وقبل هديته وقسمها بين المسلمين .

(١) وكان يردد على كسرى كثيرا ، وقيل بعث أخاه خنيسا ، وقيل أخاد خارجة ، وقيل شجاع ابن وهب ، وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

(٢) أى لأم أتباعك ورعاياك .

« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم^(١) ملك الحبشة، سلم^(٢) أنت، فإني أحمد إليك الله^(٣) الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول^(٤) الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من رُوحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاته على طاعته، وأن تتبني، وتؤمن^(٥) بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا^(٦) ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم^(٧) ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٩ وأسد الغابة ١ : ٦٢ ، وإعجاز القرآن ص ١١٣ ، والمواهب اللدنية للقطاوي شرح الزرقاني ٣ : ٣٩٣ .

٦ - رد النجاشي على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إليه النجاشي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصحم بن أبجر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني إلى الإسلام ، أما بعد : فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى عليه

(١) هكذا في رواية الطبري ، وفي السيرة الحلبية وصبح الأعشى والمواهب وكتب اللغة : « أصحمة » . والأصحم انظر ج ١ : ص ٦١ و ٩٩ . (٢) السلم بالكسر والفتح : السلام ، وهو مصدر وصف به : أي أنت دو سلم . (٣) أي أحده معك ، فأقام إلى مقام مع . وقيل : معناه أحد إليك نعمة الله بتحديثك إياها . (٤) البتول : النقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم ، أو النقطعة عن الدنيا وزينتها إلى الله تعالى ، ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول ، وأصله من يتله كنصر وضرب إذا قطعه .

(٥) وفي رواية : « وتوقن » . (٦) هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة حين اشتد إيذاء كفار قريش للمسلمين بدء الإسلام . (٧) قرى الضيف كرى قرى بالكسر والنصر وقراء بالفتح والمد : أحسن إليه .

الصلاة والسلام ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ تُفْرُوقًا^(١) ،
إِنَّهُ لَكَمَا قُلْتَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْتَ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدْ قَرَيْنَا ابْنَ عَمِكَ وَأَصْحَابَهُ ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتَ ابْنَ عَمِكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ يَا بَنِي أَرْهَابِ بْنِ الْأَصْحَمِ بْنِ أَبِي جَرٍّ^(٢) ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ،
وَإِن شِئْتَ أَنْ آتِيكَ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ مَا تَقُولُ حَقٌّ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٦٦ ،
وأسد الغابة ١ : ٦٢ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ٣ : ٣٩٤ ،

٧ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

وبعث صلى الله عليه وسلم حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوِّسِ^(٣) عَظِيمِ الْقِبْطِ
سنة ست ، وبعث معه كتابا يدعو به إلى الإسلام فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ ، سَلَامٌ
عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا ، يُؤْتِيكَ اللَّهُ
أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِيْمُ التَّمَطُّ . وَ « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧١ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٨ ، وخطط المقرئى ١ :
٢٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ٤٣ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني
٣ : ٣٩٧) .

(١) التفروق : فم التمرة ، أو ما يلتحق به قعها ، وماله تفروق : أى شئ .
(٢) وفى أسد الغابة : « أرمى » بالميم . وفى شرح الزرقاني على المواهب : أرخى . بالماء أو أرمى ،
وروى أن النجاشي بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ، فلما كانوا فى وسط البحر غرقت بهم
فهلكوا . (٣) اسمه جريج بن مينا .

وجاء في صبح الأعشى :

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،
وأن فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد : فإن الله أرسلني رسولا ، وأنزل علي قرآنا ، وأمرني بالإعذار والإنذار
ومقاتلة الكفار ، حتى يدِينوا بديني ، وَيَدْخُلَ النَّاسُ فِي مِلَّتِي ، وقد دعوتك إلى
الإقرار بوحْدَانِيَّتِهِ ؛ فإن فعلت سَعِدْتَ ، وإن أبيت شَقِيتَ . والسلام . »

٨ - رد المقوقس على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب المقوقس إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط .
سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو
إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقي ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت
رسولك^(١) ، وبعثت إليك بجاريتين^(٢) لهما مكان في القبط عظيم ، وبثياب^(٣) ،
وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٢ ، وخطط المقرئ ١ : ٢٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ٣ : .
وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٧ ، والمواهب اللدنية للسفطاني « شرح الزرقاني ٣ : ٢٠٠ »)

(١) ذكروا أنه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب . (٢) همامية التي تسمى بها عليه الصلاة
والسلام ، وجاء منها بولده إبراهيم ، وأختها سيرين - بكسر السين - وقيل : أهدى إليه ثلاث جوار
وقيل أربعاً ، ووهب عليه الصلاة والسلام سيرين لسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، فهو
ولإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ابنا خاله . انظر أسد الغابة ، ج ١ : ص ٣٨ .

(٣) هي عشرون ثوبا من قباطي مصر . وفي كتب السيرة أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم
عسلا من عمل بنها ، وأرسل مع الهدية طيبا . فقال له النبي : ارجع إلى أمك ، نحن قوم لا نأكل حتى
نجموع . وإذا أكلنا لا نشبع . ولم يلم المقوقس .

وجاء في صبح الأعشى أيضاً :

وذكر الواقدي أن في كتابه إليه :

« بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، من المقوقس إلى محمد .

أما بعد : فقد بلغني كتابك وفهمته ، وأنت تقول : إن الله أرسلك رسولا وفضلك

تفصيلاً ، وأنزل عليك قرآناً مُبيناً ، فكشفتنا عن خبرك فوجدناك أقرب دافع دعا

إلى الله ، وأصدق من تكلم بالصدق ، ولولا أني مَلَكْتُ ملكاً عظيماً ، لكنتُ أول

من آمن بك ، لعلمي أنك خاتمُ النبيين ، وإمام المرسلين ، والسلام عليك مني إلى

يوم الدين . »

٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني

صاحب دمشق

وبعث صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر

الغساني^(١) صاحب دمشق - من قبل قيصر - سنة ست ، وبعث معه كتاباً فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر .

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده

لا شريك له يبقى لك مُلكك . »

(١) ليس هو الحرث الخامس بن أبي شمر الذي أسلفنا ذكره في صفحة ١٠ فإنه قد توفي سنة ٥٧٢ م أي بعد ميلاده عليه الصلاة والسلام بستين ، وكان هذا الكتاب سنة ست للهجرة أي سنة ٦٢٨ ميلادية ، فلا يقل أن يكون هو المكتوب إليه وإنما هو الحرث السابع شرحبيل بن عمرو الرابع المعروف بأبي شمر الأصغر الذي ولى من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٣٠ م . (انظر بيان الأستاذ برسيفال في كتابه العرب قبل الإسلام) ، وقد ذكر الطبري في تاريخه مرة أنه الحرث بن أبي شمر . ج ٣ : ص ٨٤ . وأخرى أنه المنذر بن الحرث ابن أبي شمر . ج ٣ : ص ٨٨ والأول هو ما في السيرة الحلبية ، وسيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٣٩٢ ، والمواهب .

فلما قرأ الكتاب رمى به ، ثم قال : مَنْ يَنْزِعُ مِنِّي مَلِكِي ؟ أَنَا سَائِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَادِ مُلْكُهُ ، وَقَدْ ثَنَّاهُ قَيْصَرَ عَنْ عَزْمِهِ .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٨٨ ، والمواهب اللادنية « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٨ »)

١٠ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى

ملك البحرين

وبعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي^(١) صاحب البحرين^(٢) من قبل الفرس ، سنة ست^(٣) ، وبعث معه كتابا فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوَى :
سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَتَمُّدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ مِنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، وَأَسْتَقْبِلُ قَبْلَتِنَا ، وَأَأْكُلُ ذَيْبِحَتِنَا ، فَذَلِكَ الْمُسَلِّمُ ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَجُوسِ ، فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ عَلَيْهِ الْجَزْيَةَ . »

(صبح الأعشى ٦ : ٣٧٦ ، وكتاب الحراج لأبي يوسف ص ١٥٦ ، وأسد الغابة ٤ : ١١٧ ، والإصابة ٦ : ١٢٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٨ وشرح الزرقاني على المواهب ٢ : ٤٠٠)

(١) هو المنذر بن ساوى بن الأحنس بن بنان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، وذكر الطبري في تاريخه أنه أخو بني عبد القيس . ج ٣ : ص ٨٥ . وجاء في أسد الغابة : « وقيل هو من عبد القيس » . وفي الإصابة : « وزعم غير الكلبي أنه من عبد القيس ، وبين الرشاشي السبب في ذلك أنه يقال له العبدي لأنه من ولد عبد الله بن دارم ، فظن بعض الناس أنه من عبد القيس » . (٢) شرق جزيرة العرب على خليج فارس .

(٣) وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي . ج ٢ : ص ٧٤ . فلما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سييخت مرزبان هجر - قسبة البحرين - يدعوها إلى الإسلام ، أو إلى الجزية ... إلى أن قال وقد قيل : إن رسول الله وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست . وكذا ورد في فتوح البلدان للبلاذري : ص ٨٥ .

١١ - رد المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم

فأسلم المنذر وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أما بعد يا رسول الله : فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحبَّ
الإسلام وأعجبته ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث لي
في ذلك أمرك . »

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٤ ، والمواهب اللدنية للقسطاني « شرح الزرقاني ٣ : ٢٠٢ : «)

١٢ - رده صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :
« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .
سلام عليك ، فإني أتحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله ،
وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما
ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رُسُلِي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد
نصح لي ، وإن رسلِي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفقتك في قومك ، فأترك للمسلمين
ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن
نُعزلك عن عمالك ، ومن أقام على يهوديته ، أو مجوسيته فعليه الجزية . »

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٤ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٦٧ ، والمواهب

اللدنية للقسطاني « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٢ : «)

١٣ - عهد العلاء بن الحضرمي لأهل البحرين

وصالح المجوس واليهود والنصارى من أهل البحرين العلاء بن الحضرمي وكتب
بينه وبينهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين : صالحهم على أن يكفونا العمل ، ويقاسمونا التمر ، فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وأما جزية الروس فإنه أخذها من كل حامل ديناراً .

(معجم البلدان ٢ : ٧٤ ، وفنوح البلدان للبلاذري ص ٨٦)

١٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل البحرين :

« أما بعد : فإنكم إذا أقمت الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، ونصحتم لله ورسوله ، وآتيتم عُشْر النَّخْلِ ، ونصف عُشْر الحَبِّ ، ولم تُتَجَسَّسوا أولادكم ، فلكم ما أسلمت عليه ، غير أن بيت النار لله ورسوله^(١) . وإن أبيتم فعليكم الجزية » .

(فنوح البلدان للبلاذري ص ٨٦)

١٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل هجر^(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي إلى أهل هجر ، سلم أتم ، فإني أحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تَضِلُّوا بعد إذ هديتم ، ولا تَفُتُّوا^(٣) بعد إذ رُشِدْتُمْ ، أما بعد : فإنه قد أتاني الذي صنعتُم ، وإنه من يُحْسِن منكم لا يَحْمَل عليه ذنبُ المَسِي ، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم وأعينوهم على أمر الله وفي سبيله ، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فإن يضل له عند الله

(١) أي مال بيت النار كما سيأتي في كتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان .

(٢) قاعدة البحرين .

(٣) غوى بفتح الواو كرى غيا وغوى بكسرهما غواية : ضل ، ورشد كصر فهو راشد ورشد كفح فهو رشيد .

وعندي ، وأما بعدُ : فقد جاءني وفدٌكم فلم آتِ إليهم إلا ما سرتهم ، وإني لو جَهدتُ^(١) حتى فيكم كله أخرجتكم من هَجْر ، فشَفَعْتُ غائبكم ، وأفضلتُ علي شاهدكم^(٢) ، فاذكروا نعمة الله عليكم . (فتوح البلدان للبلذري ص ٨٧)

١٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي

صاحب الإمامة

وبعث صلى الله عليه وسلم سَلِيطَ بنَ عَمْرٍو العامريّ إلى هُوذَةَ بنِ عليّ صاحب الإمامة^(٣) ، سنة ست ، وبعث معه كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هُوذَةَ بنِ عليّ ، سلام عليّ من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سَيَظْهَرُ إلى مُنتهى الخلفِ والخافِرِ^(٤) ، فَأَسْلِمِ تَسْلِمًا وَأَجْعَلْ لَكَ مَا نَحْتُ يَدَيْكَ . »

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٩ ،
والمواهب اللدنية شرح الزرقاني ٣ ، ٤٠٧)

١٧ - رد هوزة على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

« ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعربُ تهابُ مكاني ، فأجعلُ إلىّ بعضَ الأمرِ أتبعك . »

(١) أي فرقت واستنفدت ، من جهد الرجل ماله ، جاء في اللسان : « وفي حديث الحسن : لا يجهد (على وزان يفتح) الرجل ماله ، ثم يقعد يسأل الناس . قال النضر : قوله لا يجهد ماله : أي يعطيه . ويفرقه جميعه ما هنا وما هنا . وجاء في القاموس : « وأجهد ماله : أفناه وفرقه » . وأورد شارح القاموس ماورد في اللسان ، ثم قال : « ولكن الذي ضبطه الصاغاني بخطه في الحديث : « لا يجهد الرجل » . من حد ضرب وذكر المعنى المذكور عن النضر ، فتأمل . » (٢) وجاء في مفتاح الأفكار : « فشفت شاهدكم ومننت علي غائبكم . » (٣) صقع شرقي الحجاز غربي البحرين .
(٤) أي حيث تقطع الإبل والحمل .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه قال : لو سألتني سَيِّبَةً^(١) ما فعلتُ ،
بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ :

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٨ »)

١٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد الخزاعي

وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدُنَةَ الحُدَيْبِيَّةِ - أو آخر سنة ست -
رِفَاعَةُ بن زيد الخَزَاعِي^(٢) ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتاباً إلى قومه ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِرِفَاعَةَ بن زيد : إني
بعثته إلى قومه عامّةً ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم
فمن حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين . »

فلما قَدِمَ رِفَاعَةُ على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحُرَّةِ حَرَّةِ الرَّجَلَاءِ^(٣)
فنزلوها .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٦٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٢ ، وسيرة

ابن هشام ٢ : ٢٨٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨٢ و١٣ : ٣٢٣)

١٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد ابني الجلندي

ملكي عمان

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ ابْنِي الجُلَنْدِيِّ^(٤)
الأزديَّيْنِ ملكي عُمان^(٥) ، سنة ثمان ، وبعث معه كتاباً فيه :

(١) السياب كحباب ورماني : اللج أو البسر الأخضر واحده سَيَابَةٌ كحبابة ورمانة .

(٢) في الطبري وسيرة ابن هشام : « الجذامى » . وفي السيرة الحلبية : الخزاعي ، وقد ضبطه بالعبارة .
فقال : « بالخاء المعجمة والزاي » .

(٣) علم لحة في ديار بني الفين بن جسر بين المدينة والشام . (٤) قال صاحب القاموس :
« جلنداء ضم أوله وفتح ثانيه ممدودة ، وضم ثانيه مقصورة : اسم ملك عمان ، وومم الجوهرى فقصره
مع فتح ثانيه » . (٥) شرقي جزيرة العرب على خليج عمان .

(٤ - جمهرة رسائل العرب - أول)

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى جَيْفِرٍ وَعَبْدِ ابْنِي الْجَلْنَدِيِّ .
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعدُ : فإني أدعوكم بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمُوا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
وَإِنكُمْ إِن أَقْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتُكُمْ ، وَإِن أُبَيِّتُمْ أَنْ تُقِرُّوا بِالْإِسْلَامِ ، فَإِن مَلَكَكُمْ
زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخَيْبِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمْ ، وَتَظَهَّرَ^(۱) نَبَوْتِي عَلَى مَلَكَكُمْ » وَكَتَبَ أَبِي
ابْنُ كَعْبٍ . وَقَدْ أَجَابَا إِلَى الْإِسْلَامِ .

(السيرة الحلبية ۲ : ۳۷۴ ، وصبح الأعشى ۶ : ۳۸۰ ،
والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ۳ : ۴۰۴ »)

وجاء في صبح الأعشى :

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب إليهما :

« من محمد رسول الله ، لعباد الله الْأَسْدِيِّينَ^(۲) ملوك عُمان ، وَأَسْدِ عُمان ، وَمَنْ
كَانَ مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، إِنَّهُمْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَطَاعُوا اللَّهَ

(۱) ظهر عليه : غلبه . (۲) في الأصل : لعباد الله أسيد بن ملوك عمان ، وأسيد عمان
من كان منهم بالبحرين . وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى ، والأسد لفة في الأزدي ، قال صاحب
القاموس : « أزدي بن الفوت وبالسبب أفصح : أبو حنيفة باليمن ، ويقال : أزدي شنوءة وعمان والسراة » . وفي
صبح الأعشى ج ۱ : ص ۳۱۸ : « قال أبو عبيد . ويقال : بالسبب بدل الزاي وقال الجوهرى : بالزاي
أفصح » . وقد رجعت إلى صحاح الجوهرى فوجدته يقول « هو بالسبب أفصح » . ولعل الخطأ في صبح
الأعشى من النسخ ، وقد جاء عقب هذا الكتاب في صبح الأعشى :

« قال أبو عبيد ، وبعضهم يرويه « لعباد الله الأسديين » اسما أحميا نسبهم إليه . قال : وإنما سموا
بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية « أسب » فنسبوا إليه ، وهم قوم من الفرس ، وو
رواية من العرب » . أقول : وربما كان الأصل « لعباد الله الأسديين » نسبة إلى « أسب » كجعفر ، وهي
مدينة بعمان أو بالبحرين ، قال ياقوت في معجم البلدان (ج ۱ ص ۲۱۹) « أسب : قرية بالبحرين ،
وصاحبها المنذر بن ساوى ، وقد اختلف في الأسديين من بني تميم لم سموا بذلك ؟ فقيل : هم ولد عبد الله
ابن زيد بن عبد الله بن دارم (جد المنذر بن ساوى) ، وقيل لهم الأسديون لأنهم كانوا يعبدون فرسا .
قلت أنا : الفرس بالفارسية اسمه « أسب » زادوا فيه ذالا تعريفا ، وقيل : كانوا يسكنون مدينة يقال لها
أسب بعمان فنسبوا إليها ، وقيل : أسب اسم ملك كان من الفرس ملك كسرى على البحرين فاستعبدهم
وأذلهم ، فذهب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم ، وعليه قول طرفة :

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفاء عبيد أسب ، والقرض يجرى من القرض

« والمفقر كعظم والصفاء : حصان بالبحرين » اه باختصار .

ورسولہ ، وأَعْطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَسَكُوا نُسُكَ^(۱) الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آمَنُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنْ مَالُ بَيْتِ النَّارِ ثُنْيَا^(۲) لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ عُسُورَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ ، وَنِصْفَ عُسُورِ الْحَبِّ : وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ أَرْحَاءَ يَطْحَنُونَ بِهَا^(۳) .

۲۰ - عهده صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة بالأمان

ولما كان صلى الله عليه وسلم بقبوكة^(۴) - سنة تسع - أتاه ليحنة بن رؤبة صاحب أيلة^(۵) ، وصحبتة أهل جرّباء ، وأهل أذرح ، وأهل ميناء ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على إعطاء الجزية ، وكتب له ولأهل أيلة كتاباً صورته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا أَمْنَةٌ^(۶) مِنْ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُوَيْبَةَ ، وَأَهْلِ أَيْلَةَ ، سُفْنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ^(۷) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ؛ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحْزُرُ مَالَهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ^(۸) لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُتَمَعُوا مَاءَ يَرْدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ » .

السيرة الحلبية ۲ : ۲۶۴ ، وسيرة ابن هشام ۲ : ۳۳۸ ، والمواهب شرح
الزرقاني ۳ : ۴۱۲ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۱۱۴ .

- (۱) النسك مثل النون وبصمتين : العبادة وكل حق لله تعالى .
(۲) الثنيا والثوى : ما استثنيت .
(۳) الأرحاء جمع رحي ، وهي التي يطحن بها معروفة ، والمعنى : أنهم يستقلون بشؤونهم ، ويديرون أمورهم كما يشاءون . وجاء من هذه المادة في لسان العرب : « والأرحى (كالأبدى) القبائل التي تستقل بنفسها وتستغنى عن غيرها . وفي أساس البلاغة : وهؤلاء رحي من أرحاء العرب وهي قبائل لا تنتجع ولا تبرح مكانها » . (۴) موضع بين وادي القرى والشام ، وكان عليه الصلاة والسلام قد سار إليها لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع بها من الروم وعاملة ولحم وجدام فوجدهم قد تفرقوا ، وهي آخر غزواته (۵) مدينة على خليج العقبة من شماله . (۶) أي أمان آمن كفرح أمانا بالكون وأمانا وأماناً أمنة محرّكين وأمانا بالكسر . (۷) السيارة : القافلة . وفي تاريخ ابن عساكر والمواهب « أساقفتهم وسائرهم » . أي باقيهم مكان قوله : « سفنهم وسياراتهم » . (۸) وفي السيرة الحلبية : « وإنه لطيب » . وهو على تقدير أنه صفة لموصوف محذوف : أي لغنيمة طيبة لمن أخذه .

۲۱ - كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء بالأمان

وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح وجرباء : إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيلاً عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومَن لجأ إليهم من المسلمين في المخافة والتعزير^(۱) .
وصالح أهل مينا على رُبْع ثمارهم .

(السيرة الحلبية ۲ : ۲۶۴ ، وتهذيب تاريخ ابن عساکر ۱ : ۱۱۵ ،
والمواهب شرح الررقي ۳ : ۴۱۳)

۲۲ - كتابه صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

وكتب صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك الكندي^(۲) ،
وكان ملكاً على دومة الجندل ، وكان نصرانياً :
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر دومة ، حين
أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام^(۳) ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة
الجندل وأكنافيها^(۴) .

(۱) التعزير : الإغاة والنصر . (۲) بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في سريره إلى
أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل (بين الشام والدينة) في رجب سنة تسع ، فخرج للقاء خالد ، وتلقاه
خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ، فخن له
دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع . وقد اختلف في إسلامه ، فقيل إنه أسلم لما قدم على
رسول الله - كما يدل عليه كتابه له - ثم ارتد بعد موت الرسول ، وحاصره خالد في خلافة أبي بكر الصديق
وقتله لانتفضه العهد . وقيل إنه لم يسلم وإنما صالحه صلى الله عليه وسلم عاد إلى حصنه وبقى فيه على نصرانيته .
(۳) الأنداد : جمع ند بالكسر وهو ضد الشيء الذي يناده أي يخالفه ، والمراد ما كانوا يتخذونه
آلهة من دون الله تعالى . الأصنام : جمع صنم ، وهو ما اتخذ لها من دون الله .
(۴) الأكناف : جمع كنف بالتحريك . وهو الجانب والناحية .

إن لنا الضاحية من الضحّل والبور والمعامى وأغفال الأرض والحلقة والسلاح
والخافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من العمور^(۱) ، لا تعدل
سارحتكم ، ولا تعدد فاردتكم^(۲) ولا يحظر^(۳) عايكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ،
وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ،
شهد الله ومن حضر من المسلمين .

(صبح الأعشى ۲ : ۲۴۶ ، و ۶ : ۳۷۰ ، والسيرة الحلبية ۲ : ۳۲۹ ،
وفتوح البلدان للبلاذرى ص ۶۸ ، والعقد الفريد ۱ : ۱۱۲ ، والروض الأنف
۲ : ۳۱۹ ، ومعجم البلدان ۴ : ۱۰۸ والمواهب شرح الزرقانى ۳ : ۴۱۴)

۲۳ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني كلب

وقدم قطن بن حارثة العُلَيْمِيُّ^(۴) في وفد كلب على النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر كلاما ، فكتب له رسول الله كتابا ، نسخته :

(۱) الضاحية : الناحية البارزة التي لاحائل دونها ، والمراد هنا أطراف الأرض . الضحّل : القليل
من الماء يكون في الغدير ونحوه ، وبالتعريب مكان الضحل . وقال أبو عبيد « الضاحية من الضحل :
ما ظهر وبرز ، وكان خارجا من العمارة في البر من النخل » . ويروى : الضاحية من البعل ، والبعل : النخل
الراسخ عمروقه في الأرض ، فهو يشرب بها من غير سقى . البور : الأرض التي لم تزرع ، وهو بالفتح
مصدر وصف به ، ويروى : بالضم وهو جمع بوار (بالفتح) ، وهي الأرض الخراب التي لم تزرع .
المعامى : الأراضي المجهولة التي ليس فيها أثر عمارة واحدها معنى (كذهب) وهو موضع الصبي كالجمل .
أغفال الأرض : أى المجهولة التي ليس فيها أثر يعرف ، وحكى اللحياني : « أرض أغفال » كأنهم جعلوا كل
جزء منها غفلا (بالضم) . الحلقة : السلاح عاما ، وقيل : الدروع خاصا . السلاح : ما أعد للحرب من
آلة الحديد مما يقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاطا . الخافر : الخيل والراذين والبغال والحمير .
الحصن : هو حصن أكيدر بدومة الجندل ، وكان يقال له : « مارد » . وفي العقد الفريد : « ...
والحلقة ، ولكم السلاح والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ... » . الضامنة من النخل : ما تضمنته
أمصارهم وقراهم ، وكان داخل في العمارة وأطاف به سور المدينة . وقيل : سميت ضامنة لأن أربابها ضموا
عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان ، كعبثة راضية بمعنى ذات رضا . المعين من العمور : الماء الذي يسبغ من
المين في العاصم من الأرض ، وفي العقد « ... والمعين من العمور بعد الخمس » .

(۲) لا تعدل سارحتكم : لا تصرف ما شئتم ولا تقال عن المرعى ولا تمنع . الفاردة : الزائدة
على الفريضة ، ولا تعد فاردتكم : أى لانضم إلى غيرها وتحشر إلى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحب .

(۳) الحظر : المنع ، أى لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم .

(۴) نسبة لبني عام من كلب .

« هذا كتاب من محمد رسول الله لِعَمَائِرِ كَلْبٍ وَأَحْلَافِهَا، وَمَنْ ظَأَّرَهُ ^(١) الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِهَا، مَعَ قَطْنِ بْنِ حَارِثَةَ الْعَلَيْمِيِّ، بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَوْقَهَا، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ بِحَقِّهَا، فِي شِدَّةِ عَقْدِهَا، وَوَفَاءِ عَهْدِهَا، بِمَحْضَرِ شُهُودِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَنْبَيْسٍ، وَدِرْحِيَةَ ابْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ؛ عَلَيْهِمْ فِي الْهَمُؤَلَةِ الرَّاعِيَةِ الْبِسَاطِ الظُّوَارِ: فِي كُلِّ خَمْسِينَ نَاقَةً غَيْرُ ذَاتِ عَوَارٍ ^(٢) وَالْحَمُؤَلَةَ الْمَائِرَةَ لَهُمْ لِأَغْيَةِ ^(٣)، وَفِي الشَّوِيِّ الْوَرِيِّ مُسِنَّةٌ حَامِلٌ أَوْ حَافِلٌ ^(٤)، وَفِيمَا سَقَى الْجَدُولُ مِنَ الْعَيْنِ الْمَعِينِ ^(٥) الْعُشْرُ مِنْ ثَمَرِهَا مِمَّا أَخْرَجَتْ أَرْضُهَا، وَفِي الْعِدْيِ شَطْرُهُ بِقِيَمَةِ الْأَمِينِ ^(٦)، فَلَا تُزَادُ عَلَيْهِمْ وَظِيْفَةٌ ^(٧) وَلَا تَفْرَقُ، يَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَرَسُولُهُ » .

وكتب ثابت بن قيس بن شماس . (العقد الفريد ١ : ١٠٩)

٢٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان سنة تسع، وفد عليه في ذلك الشهر وفد من أشرف ثقيف ^(٨)، فأسلموا وبايعوا، وقد كتب لهم خالد بن سعيد بن العاص كتاباً فيه :

(١) العمائر: جمع عمارة بالفتح وتكسر، وهي أصغر من القبيلة. الأحلاف: جمع حلف بالكسر وهو المخالف (الصديق يحلف لصديقه أن لا يندربه). ظأره: عطفه وجمعه (وفي العقد «ومن صاده» وهو تحريف). (٢) الهمولة: التي قد أهملت ترعى بنفسها. البساط: يروى بالفتح والضم والكسر، جمع بسط بالكسر، وهي الناقة التي تركت وولدها لا يمنع منها ولا تعطف على غيره. الظوار: جمع ظئر بالكسر وهي العاطفة على غير ولدها المرصعة له في الناس وغيرهم. العوار: مثلثة العيب.
(٣) الحمولة: ما احتمل عليه القوم من بعير وغيره. المائرة: التي تحمل عليها الميرة، وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع. لاغية: أي ملغاة، فاعلة بمعنى مفعولة: أي لا تعد عليهم ولا يلزمون لها صدقة لأنها عوامل.
(٤) الشوي: جمع شاة. الوري: السينة. شاة حافل: احتفل لبها، أي اجتمع في صرعها.
(٥) العين: مطر أيام لا يقطع. العين: الماء الجاري على وجه الأرض، من معن الماء ككرم ومنم أي جرى، فوزنه، فعيل. وقيل من عان الماء يعين إذا جرى أيضاً فوزنه مفعول في الأصل.
(٦) العدي: النخل والزرع الذي لا يسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه، ويسمى أيضاً العثري بفتح أوله وثانيه وتشديد الياء، سمي به لأنه لا يحتاج في سقيه إلى تعب بدالية وغيرها، كأنه عثر على الماء عنراً بلا عمل من صاحبه. الشطر: نصف الشيء: بقية الأمين: أي بتقويته.
(٧) الوظيفة: النصاب في الزكاة، وأصله الشيء الرائب.
(٨) كانوا ينزلون بالطائف شرق مكة.

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين :
 إن عِضَاهَ وَجٍّ^(۱) وَصَيْدَهُ حَرَامٌ . لَا يُعْضَدُ^(۲) شَجَرُهُ ، وَمَنْ وَجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ
 ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَعُ ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ، وَإِنْ
 هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدّه أحد ، يظلم نفسه
 فيما أمره به محمد رسول الله .

(سيرة ابن هشام ۲ : ۳۵۱ ، والسيرة الحلبية ۲ : ۳۳۹ ، والمواهب : شرح الزرقاني ۴ : ۱۰)

* * *

وروى صاحب العمد قال :

وَقَدَّتْ تَقِيْفٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُتِبَ لَهُمْ كِتَابًا حِينَ أَسْلَمُوا : أَنْ لَهُمْ
 ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَأَنْ وَاذِيَهُمْ حَرَامٌ عِضَاهُهُ ، وَصَيْدُهُ ، وَظُلْمٌ فِيهِ ، وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ
 إِلَى أَجَلٍ فَلْيَبْلُغْ أَجَلَهُ ، فَإِنَّهُ لِيَاطٌ^(۳) مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ
 فِي رَهْنٍ وَرَاءَ عُكَاظٍ ، فَإِنَّهُ يُقْضَى إِلَى رَأْسِهِ وَيَلَاطُ بِعُكَاظٍ^(۴) .

(العقد الفريد ۱ : ۱۱۰)

۲۵ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حمير

وَقَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا مَلُوكِ حَمِيرٍ ، مَقْدَمَةٌ مِنْ تَسُوكٍ ،
 وَرُسُلُهُمْ إِلَيْهِ بِإِسْلَامِهِمْ : الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَنَعِيمٌ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ وَالنَّعْمَانُ

(۱) العضاء : كل شجر يعظم وله شوك ، واحدها عصاة كقلادة ، وعظمه كعنه ، وعنه بالهاء
 كعنب ، وعضة بالناء كعدة . وج : اسم واد بالطائف . وقيل هو الطائف ، وكانت تسمى « وحاء » بوح
 ابن عبد الحمى من العماليق ، وهو أخو أجبأ الذي سمي به جبل طي .

(۲) عضده : كضربه قطعه (وكنصر : أعانه ونصره ، وأصاب عضده) .

(۳) اللياط : الربا ، سمي لياطاً لأنه شئ لا يخل الصق بشئ ، وكل شئ ، الصق شئ ، وأصيب
 إليه ، فقد أليط به ، والربا ملصق برأس المال ، واللياط في هذا الحديث : الربا الذي كانوا يربونه و
 الجاهلية ، ردم الله لك أن يأخذوا رءوس أموالهم ويدعوا الفضل عليها .

(۴) وفي لسان العرب بعد ذلك « ولا يؤحر » انظر مادة « ليط » .

قَبِيلُ ذِي رُعَيْنٍ ، وَهَمْدَانُ ، وَمَعَاظِرُ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةُ ذُو يَزْنَ مَالِكُ بْنُ مُرَّةَ الرَّهَّاءِيِّ^(۱) بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمَفَارِقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْخَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَنَعِيمِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَالنُّعْمَانِ قَبِيلِ ذِي رُعَيْنٍ ، وَهَمْدَانَ ، وَمَعَاظِرَ .

أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ^(۲)

بِنَا رَسُولِكُمْ مَقْفَلَنَا^(۳) مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَّغَ مَا أُرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَّرَ

مَا قَبْلَكُمْ . وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَايَتِهِ . إِنْ

أَصْلَحْتُمْ ، وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَأَنْتُمْ الزَّكَاةَ ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ

خُمْسَ اللَّهِ ، وَسَهْمَ نَدِيئِهِ وَصَفِيئِهِ ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، مِنَ الْعَقَارِ^(۴)

عَشْرًا مَا سَمَّتِ الْعَيْنُ ، وَمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ ، وَكُلِّ مَاسِقِي بِالْفَرْبِ^(۵) نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَفِي

الْإِبِلِ : فِي الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ ، وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ^(۶) ، وَفِي كُلِّ

خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ

بَقْرَةٌ^(۷) ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيْعٌ : جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ^(۸) ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ

مِنَ الْغَنَمِ سِبْأَةٌ^(۹) وَحَدَّهَا شَاةٌ ، وَإِنِّي فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ،

فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ ، وَظَاهَرَ^(۱۰) الْمُؤْمِنِينَ

عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ،

(۱) نسبة إلى رهاء كسواء : حتى من مذحج . (۲) أي نزل بنا ، من وقع الطائر على

الشجرة إذا نزل عن طيرانه . (۳) وقت تقولنا أي رجوعنا ، وفعله كنعصر وضرب ، وفي رواية

« مقفلنا » . (۴) العقار : الصيغة أي يجب العشر في كل ما سقى بهاء يجري على الأرض وما سقى

بالطير . (۵) الفرب : الدلو العظيمة . (۶) ابن لبون : ولد الناقة إذا استكمل العام الثاني ودخل

في الثالث والأربعين لبون ، وذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبون ، وهو نكرة ويعرف بأل فيقال : ابن لبون .

(۷) وحددت بأن تكون ذات سنتين . (۸) التببيع : ولد البقرة أول سنة . والجذع من البقر : ما دخل

في السنة الثانية . (۹) انظر النهاية لابن الأثير ج ۱ : ص ۱۵۰) فالعني : فيها تببيع دخل في السنة الثانية

(۱۰) أي راعية لاملوفة ، من سامت الماشية : إذا رعت . (۱۰) ناصر وأعان .

وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإن له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيتها، فإنه لا يُفْتَنَ عنها، وعليه الجزية، على كل حالم^(۱)، ذكر أو أنثى، حرّاً أو عبد، ديناراً وافر، أو قيمته من المعافير^(۲) أو عوّضه ثياباً، فمن أدى ذلك إلى رسول الله، فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو الله ورسوله.

أما بعد: فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يَزَنَ: أن إذا أتكم رُسُلِي، فأوصيكم بهم خيراً: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم، وأن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من تخاليفكم^(۳) وأبلغوها رُسُلِي، وأن أميرهم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فلا ينقلبن إلا راضياً.

أما بعد: فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله، وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مُرَّة الرَّهَاقِي، قد حدّثني أنك قد أسلمت من أول خَيْرٍ، وقتلت المشركين، فأبشِرْ بخير، وأمرُك بحمير خيراً، ولا تخونوا، ولا تتخاذلوا، فإن رسول الله مَوَالِي غنمكم وفقيركم.

وإن الصدقة لا تخل لمحمد ولا لأهله، إنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل، وإن مالكا قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً.

وإني قد بعثت إليكم من صالحى أهلى، وأولى دينهم، وأولى علمهم، فأمركم بهم خيراً، فإنهم منظورون إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(تاريخ الضرى ۳ : ۱۵۳ ، وسيرة ابن هشام ۲ : ۳۸۰ ، والسيرة الحبية ۲ : ۳۵۱ ، وفتح البلدان للبلاذرى ص ۷۷ وص ۷۸)

(۱) حالم الصي كقتل، واحتمل: أدرك وبلغ مبلغ الرجال فهو حالم وحنلم.

(۲) معافر بفتح الميم: بلد باليمن، وأبو حنيفة من همدان باليمن أيضاً، وإلى أحدهما نسب اثنيان المعافرية، وجاء في اللسان: «وتوب معافرى لأنه نسب إلى رجل اسمه معافر». ولا يقال بضم الميم ولأنما هو معافر غير منسوب، وقد جاء في الرجز الفصيح منسوباً. قال الأزهري: برد معافرى: منسوب إلى معافر اليمن. ثم صار اسماً لها: (أى للرد) بغير نسبة. فيقال: معافر. وفي الحديث: أنه بعث معاذاً إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً، أو عدله من المعافرى، وهي برود باليمن... الخ. وجاء في معجم البلدان: قال الأصمعي: ثوب معافر غير منسوب، فمن نسب، وقال معافرى فهو عنده خطأ، وقد جاء في الرجز الفصيح منسوباً. (۳) مخاليف: جمع مخلاف بالكسر، وهو بلفة اليمن الكورة

۲۶ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى همدان

وقَدِمَ ذُو الْمِشْعَارِ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ فِي وَفْدٍ مِنْ هَمْدَانَ^(۱) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّجِعَهُ مِنْ تَبُوكَ ، فَخَطَبَ مَالِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكُتِبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِإِخْلَافِ خَارِفٍ^(۲) ، وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ ، وَحِقَافِ الرَّمْلِ ، مَعَ وَافِدِهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنْ لَهُمْ قِرَاعَهَا وَوَهَاطَهَا^(۳) ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، بِأَكْلُونِ عِلَاقَهَا ، وَيَرْعَوْنَ عَافِيَهَا^(۴) ، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ ، وَذِمَامُ رَسُولِهِ ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . »

(صبح الأعشى ۲ : ۲۴۵ ، و ۶ : ۳۷۴ ، وسيرة ابن هشام ۲ : ۳۸۶)

رواية أخرى

وفي رواية أخرى أن كتابه إليهم :

« إِنْ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوَهَاطَهَا وَعَزَازَهَا^(۵) ، تَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا ، وَتَرْعَوْنَ عَافِيَهَا^(۶) ، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ^(۷) مَا سَأَلُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ

(۱) قبيلة من اليمن . (۲) خارف : بطن من همدان . الجناب : الناحية كالجنة (بالفتح) الحقاف : جمع حقف بالكسر وهو المعوح من الرمل ، أو الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف ، أو هي رمال مستطيلة بناحية الشجر (ساحل البحر بين عمان وعدن ، بالفتح وبكسر) ويجمع الحقف أيضاً على أحقاف وحقوف . (۳) الفراع : جمع فرعة كوردة ، وهي ما ارتفع من الأرض . الوهاط : جمع وهطة وهي ما اطمان من الأرض ، لغة في وهدة . (۴) جمع عاف (كجبل) وهو ما تتلفه الدواب من نبات الأرض . العافي : ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم . عفا الأثر إذا درس . (۵) المزار : ما صلب من الأرض واشتد وخشن ، ويكون ذلك في أطرافها . (۶) العفا : العاق ، وهو في المقعد واللسان والقاموس بالقصر ، وفي الشفاء بالمد . (۷) الدف : نتاج الإبل وما ينتفع به منها ، سمي دفئاً لأنه ينخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به ، والمراد هنا الإبل والعم . الصرام : النخل وأصله قطع الثمرة .

الثَّلبُ، والنَّابُ، والفَصِيلُ، والفَارِضُ، والدَّاجِنُ^(۱)، والكَبْشُ الحَوْرِيُّ^(۲)، وعليهم فيها الصَّالِحُ والقَارِحُ^(۳) .

(الشفا للقاضي عياض ص ۴۸ ، وصبح الأعشى ۶ : ۳۷۴ ، والعقد الفريد ۱ : ۱۰۹)

۲۷ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى بني نهد

وكتب صلى الله عليه وسلم مع طهفة بن أبي زهير النهدي حين وفد عليه كتاباً إلى بني نهد^(۴) ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد : السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة^(۵) ، ولكم العارض^(۶) ، والفريش ، وذو العنان الركوب ، والفلق الضبيس لا يمنع سرحكم ، ولا يعصد^(۷) طلحكم ، ولا يحبس دركم^(۸) ولا يؤكل أكلكم ، ما لم تضمروا الإماق^(۸) ،

(۱) الثلب : الجمل تكسرت أنبابه هرما . الناب : الناقة المسنة . الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه من الرضاع . الفارض : السن من الإبل : الداجن : الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم ، والمراد أنه لا يؤخذ منهم في الزكاة . (۲) الكبش الحوري : منسوب إلى الحور ، وهي جلود تتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دبح من الجلود بغير القرط .

(۳) الصالح : بالصاد والسين هو من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ، ويكون ذلك في السنة السادسة . القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة . (۴) قبيلة باليمن

(۵) الوظيفة : النصاب في الزكاة ، وأصله الشيء الراتب . الفريضة : الهزمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة ، بل تكون لهم . ويروي « عليكم في الوظيفة الفريضة » أي في كل نصاب مافرض فيه . (۶) يروي بالعين وبالفاء ، فالعارض بالعين : المريضة ، وقيل : هي التي أصابها كسر ، يقال : عرضت الناقة إذا أصابها آفة أو كسر أي لانا لا تأخذ ذات العيب فنضر بالصدقة .

العارض بالفاء : السنة كالفريضة . الفريش : هي التي وضعت حديثنا كالنساء من النساء ، والفرس بعد نتاجها بسبع ليال ، وهو خير أوقات الحمل عليها . ذو العنان الركوب : العرس التلول . الفلق : كحمل وعدو وسمو المهر الصغير ، وقيل العظيم من جميع أولاد الحافر . الضبيس : العسر الصعب الذي لم يرس . (۷) السرح : المواشي السائمة ، أي أنها لا تمنع من المرعى . يعصد : يقطع . الطلح : شجر عظام .

الدر : اللبن ، والمراد ذوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تحترق إلى المصدق ، وتمنع المرعى إلى أن تجتمع الماشية ثم تعد ، لما في ذلك من الإضرار . (۸) الإماق : مخفف من الإماق ترك الهمز منه ليوازن الرباق .

الإماق : نكت العبد من الأتفة ، من أماق إذا صار ذا مائة (بالفتح) وهي الحبة والأتفة . يقول : لكم الوفاء بما كتبت لكم ما لم تأتوا بالمائة فتفدروا وتنكثوا ، وقيل الإماق مصدر أماق ، وهو أفضل من الوق (بضم) أي الحق ، والمراد إضرار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله تعالى .

وتأكلوا الرباق^(١) ، مَنْ أَقْرَبَ بِنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ فَلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ
وَالذِّمَّةَ ، وَمَنْ أَبِي فَعَلِيهِ الرَّبْوَةُ^(٢) .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤ و ٦ : ٣٦٨ ، والعقد الفريد ١ : ١١٤ ،
والشفا للقاضي عياض ص ٤٨ ، والمثل السائر ص ٦٣ ، المواهب اللدنية للقسطلاني
شرح الررقاني ٤ : ١٩٢)

٢٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضرموت

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضرموت موت :
« من محمد رسول الله إلى الأقبال العباهلة من أهل حضرموت موت^(٣) ، بإقامة الصلاة ،
وإيتاء الزكاة ، على التبعة^(٤) الشاة ، والتيمة^(٥) لصاحبها ، وفي الشيوب^(٦) الخمس ،

(١) الرباق: جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها، كل عروة
ربقة بالكسر والفتح ، والمعنى : وتقطعوا رباق العهد الذي في أعناقكم وتقتضوه . واستعار الأكل لذلك
لأن البهيمة إذا أكلت الربقة خلصت من الشد .

(٢) الربوة: الزيادة ، أى من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالمقوية له
وبروى من أقر بالجرية فعليه الربوة أى من امتنع عن الإسلام لأجل الزكاة كان عليه من الجزية أكثر
تما يجب عليه الزكاة . (٣) الأقبال : جمع قبيل (كشمس) وهو الملك من ملوك حمير أو هو دون الملك الأعلى ، فهو
في حمير كالوزير في الإسلام . العباهلة : الذين أقروا على ملكهم فلم يزلوا عنه (بالبناء للمجهول) وجاء في اللسان
« وواحد العباهلة عبهل (كعفر) والباء لتأكيد الجمع كقشعم وقشاعة ، ويجوز أن يكون الأصل عباهيل
جمع عبهول (كعصفور) أو عبهال (كقرطاس) فخذفت الباء وعوس منها الهاء... الخ » . حضرموت بفتح الميم وتضم :
في أقصى اليمن . (٤) التبعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، كالتمس من الإبل ، والأربعين من
الغنم ، قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعادة عليها سبيل ، من ناع إليه يتبع : إذا ذهب إليه .

(٥) التيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون
لصاحبها في منزله يعطيها وليست بسائمة ، وهى بمعنى الداجن .

(٦) الشيوب جمع شيب (كشمس) وهو الركاز (ككتاب) ويشمل المعدن والكنز ، فالمعدن
ما خلقه الله تعالى تحت الأرض . والكنز مادفته العباد ، وسمى شيبا لأنه من شيب الله أى من عطائه
وفضله لمن أصابه .

لا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ^(١) وَلَا شِنَاقَ^(٢) وَلَا شِفَارَ^(٣) ، وَمَنْ أُجِبِيَ فَقَدْ أُرْبِيَ^(٤) ، وَكُلُّ
مُسْكِرٍ حَرَامٌ .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٥٦ ، ٦ : ٣٧١ . والعقد الفريد ، ١ : ١١٢ ، والبيان والنبين ٢ : ١٣)

رواية أخرى

وفي رواية أخرى أن كتابه لهم :

« إلى الأقبال العباهة ، والأرواع المشاييب^(٥) ، في التبعة شاة ، لا مقورة
الألباط ولا ضناك^(٦) ، وأنطوا التبعة^(٧) ، وفي السيوب الخمس ، ومن زنى من بكر^(٨) »

(١) الخلاط: مصدر خالط كالمخالطة ، والمراد أن يخلط الرجل لإبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ، ويبيض المصدق (بتشديد الدال المكسورة : آخذ الصدقات) فيما يجبله والوراط : أن تحمل الغنم في وحدة من الأرض لتخفق على المصدق ، مأخوذ من الورطة (كوردة) وهي الهوة من الأرض .
(٢) الشناق : المعاركة في الشنق بالتحريك ، وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، ففي الغنم مثلا في أربعين شاة شاة واحدة ، وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وما بينهما عفو أي لاركاة فيما بين النصابين ، ولا تؤخذ من الشنق حتى يتم . وقيل أي لا يشنق الرجل غنمه أو إبله إلى مال غيره ليطل ما يجب عليه من الصدقة ، وذلك أن يكون لكل واحد منهما أربعون شاة ، فيجب عليهما شاتان ، فإذا أشنق أحدهما (أي أضاف) غنمه إلى غنم الآخر ، فوجدتها المصدق في يده أخذ منها شاة ، وهو مثل قوله « لا خلاط » لكن جملة على الأول أولى لتعدد المعنى . (٣) الشفار : نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه ابنته أو أخته بغير مهر .

(٤) الإجابة ببيع الزرع قبل بدو صلاحه ، وقيل هو أن يفيب لإبله عن المصدق أخذها من أجباته : إذا واربت ، وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعة بثمان معلوم إلى أجل معلوم ، ثم يشترها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به .
أربي : وقع في الربا . (٥) الأرواع جمع أروع ، وهو من يعجبك بحسن منظره أو بشجاعته كالرائع ، وقيل هم الذين يروعون الناس أي يفرعونهم بشدة الهيبة . المشاييب : السادة الروس ، الزهر الألوان ، الحسان المناظر واحد من مشوب كأنها أوقدت ألوانهم بالنار ، ويروي الأشياء جمع شيب ، فعمل بمعنى مفعول .

(٦) الألباط : جمع لبط (بالسكس) وهو الجلد وقشر كل شيء . الإفراز : استرخاء الجلد ، والمقورة الألباط : السرخية الجلد لها . الضناك : الكثير اللحم للذكر والأنثى ، والمراد أنه لا تؤخذ القرطة في السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . (٧) أنطوا : هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلفظهم - التبعة : الوسط من المال التي ليست من خياره ولا رذالته أخذنا من تبعة الناقة : ما بين الكاهل إلى الظهر . (٨) جرى فيه على لغة أهل اليمن حيث يدلون لام التعريف ميا . قال ابن الأثير : وعلى هذا فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام ميا بقيت الحركة مجازا ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبقار . قال : والأشبه أن تكون بكر منونة . وقد أبدلت نون من ميا ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء قلبت في اللفظ ميا نحو عنبر ومنبر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر .

فاصقوه مائة واستوفضوه^(١) عاما ، ومن زنى مِمَّ تَدَبَّ فضرَّ جوه بالأضاميم^(٢) ،
ولا توصيم^(٣) في الدين ، ولا نُغْمَة^(٤) في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام . ووائل
ابن حُجْرٍ يترقل^(٥) على الأقيال .

(الشفا للقاضي عياض ص ٤٩ . وصبح الأعشى ٢ : ٢٤٦ و ٦ : ٢٧١)

٢٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي^(٦) - وقد بعث إليه
رسولا بإسلامه :

« من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو :

أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخير عما قبلكم خيراً ،
وأنا بإسلامك وأن الله هداك بهداه »
(صبح الأعشى ٦ : ٣٦٨)

٣٠ - كتاب خالد بن الوليد إليه صلى الله عليه وسلم

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُنبئ
بإسلام بني الحُرث^(٧) بن كعب سنة عشر :

-
- (١) أى اضربوه ، وأصل الصفع الضرب على الرأس ، وقيل الضرب ببطن الكف . استوفضوه :
انفوه وغربوه ، أخذنا من قولهم استوفضت الأبل إذا تفرقت في رعيها .
(٢) أى أدموه بالضرب ، تضرع بالدم : تاطخ به الأضاميم : جمع لإضامة بالكسر وهى الحجارة ،
والعنى ارموه بالحجارة . (٣) التوصيم : الفترة والتواني أى لا تفزوا في إقامة الحدود ولا تتوانوا
فيها . (٤) النغمة : السرأى لا تسروا فرائض الله ولا تخفوها ، بل اجهروا بها وأعلنوها .
(٥) أى يسود وينرأس ، استعارة من ترفيل الثوب ، وهو لإسباغه وإرساله .
(٦) وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ومنزله معان (كسحاب : مدينة في طرف
بادية الشام تلقاه الحجاز من نواحي البلقاء) وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم لإسلامه طلبوه حتى
أخذوه ، فحبسوه ثم قتلوه وصلبوه .
(٧) وكان عليه الصلاة والسلام قد بعثه إليهم بنجران في ربيع الآخر - أو جادى الأولى - سنة
عشر ، ليدعوهم إلى الإسلام .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد ابن الوليد : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَنْ لَا أَقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا أَقَمْتُ فِيهِمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ ، وَعَلَّمْتُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا قَاتَلْتُهُمْ . وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رُكْبَانًا قَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ أَسَلِمُوا تَسَلِمُوا ، فَاسَلِمُوا وَلَمْ يَقَاتِلُوا ، وَأَنَا مَقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمَرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَعَلَّمَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى يَكْتُبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٦٥ : ٢)

٣١ - رده صلى الله عليه وسلم على خالد

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ يُخْبِرُنِي أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تَقَاتِلَهُمْ ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَيْدَاهِ ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلِيُقْبِلَ مَعَكَ وَفَدِّمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٧٦)

٣٢ - عهده صلى الله عليه وسلم لعمر و بن حزم الأنصاري

حين و لاه اليمن

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب - بعد أن ولى
وفدّهم - عمرو بن حزم الأنصاري ، ليفقّهم في الدين ، ويعلمهم السنّة ، و معالم
الإسلام ، و يأخذ منهم صدقاتهم ، و كتب له كتاباً عهد إليه فيه ، و أمره فيه بأمره :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا
بِالْعُقُودِ » عَقَدَ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرِ وَ بِنِ حَزْمٍ ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، أَمْرَهُ
بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ فَذَكَرَ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » وَأَمْرَهُ أَنْ
يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ ،
وَيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسَ أَحَدٌ الْقُرْآنَ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُنْخَبِرُ النَّاسَ
بِالَّذِي لَهُمْ وَبِالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَبْلِغُ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ ، وَقَالَ « أَلَا أَعْتَبُ اللَّهَ عَلَى الظَّالِمِينَ » وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ
وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنْذِرُ بِالنَّارِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ
مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَالْحَجِّ الْأَصْفَرِ ، وَهُوَ
الْعُمْرَةُ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَصِلِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا وَاحِدًا
يَدْنِي طَرَفِيهِ عَلَى عَاتِقِيهِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَحْتَبِي (١) أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بِفَرْجِهِ
إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَنْهَى أَنْ لَا يَغْقِصَ (٢) أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ إِذَا عَفَا (٣) فِي قَفَاةٍ ، وَيَنْهَى
- إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ (٤) - عَنِ الدَّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلِيَكُنْ دُعَاؤُهُمْ

(١) احتبى الرجل : جمع ظهره و ساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى بيديه .

(٢) عقص شعره : صغره وفتله . (٣) أى كثر و طال .

(٤) أى توران ، هاج هيجا و هيجانا و هيجا بالكسر فى الأخير .

إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر ، فليَقَطَّعُوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسْبَاغ الوضوء^(١) : وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع . ويُفَلِّسُ^(٢) بالفجر ، ويُهَجِّرُ^(٣) بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ . والغرب حين يقبل الليل ، لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء . والعشاء أول الليل . ويأمر بالسَّعْيِ إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرواح إليها . وأمره أن يأخذ من المغنم خمسَ الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة ، من العقار عشر ما سنت العين^(٤) وما سنت السماء ، وعلى ما سقى الغرْبُ نصفُ العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة . وفي كل ثلاثين من البقر تبيع^(٥) : جَدَعٌ أو حذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمةٌ وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين . له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرايته أو يهوديته فإنه لا يُبْتَنَ عنها ، وعلى كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى ، حرٌّ أو عبدٌ دينارٌ وافرٌ أو عوصه

(٣) إسباغ الوضوء : إتمامه . (٤) الغنم محرقة : ظلمة آحر الليل إذا احتاطت بصوء الصباح . وغاس في الصلاة : صلاها بالفلس أي ويكر بالصلاة العجر . (٥) التهجير : التكبير إلى الصلوات ، وهو المضي في أوائل أوقاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة » وقال « ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه » والهاجرة نصف النهار عند روال الشمس . والمراد صلاة الهاجرة : أي الظهر . وفي رواية صحح الأعمش : « ويهجر بالظهر » . (٦) وفي الطبري ونسوح البلدان « ماسني الرمل » وفسره البلاذري بأنه « السبح » أي الماء الجاري ، وفي كتب اللغة « الرمل : كل محل وشجر وزرع لا يسقى ، أو ما سقته السماء » وربما كان « القيل » كما سيأتي في الكتاب التالي ، ماء في اللسان « القيل (بالفتح) الماء الجاري على وجه الأرض ، وفي الحديث : ماسني بالقيل معه العشر ، وماسني الدلو فيه نصف العشر » . (٥) انظر ص ٥٦ .

ثياباً ، فمن أدّى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله
والمؤمنين جميعاً .

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٤ ، وصبح الأعشى
١٠ : ٩ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٧٧)

٣٣ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وهو باليمن^(١) « أن
فيما سقت السماء أو سقي غيلاً العشر ، وفيما سقي بالغرب والدالية^(٢) نصف العشر ،
وأن على كل حالم ديناراً أو عدل ذلك من المعافر^(٣) ، وأن لا يفتن يهودى عن
يهوديته » . (فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٨)

٣٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل^(٤) رضي الله عنه يعزّيه بأبن له مات :
« من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل :
سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فبعض الله لك
الأجر ، وأهلك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا^(٥)
من مواهب الله السنية ، وعوارفه^(٦) المستودعة ، نتمتع بها إلى أجل معدود ، وتقبض

(١) وكان عليه الصلاة والسلام بعث سنة عشر معاذين جبل عاملاً على الكورة العليا من جهة عدن،
وبعث أبا موسى الأشعري على الكورة السفلى ، وقد مكث معاذين جبل باليمن حتى توفي رسول الله .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة - الدالية : هي ما يعرف عندنا « بالكادوف » .

(٣) انظر هامش ص ٥٧ . (٤) هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي ، شهد بدر ، وبعثه .

عليه الصلاة والسلام واليا على اليمن كما قدمنا وكان ممن جمع القرآن ، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ .

(٥) الموالى جمع مولى : وهو القريب والصاحب والعبد . (٦) العوارف : جمع عارفة وهي المعروف

بالعرف بالضم .

لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة ، وعوارفه المستودعة ، متمتع به في غبطة^(١) وسرور ، وقبضه منك بأجرٍ كثيرٍ : الصلاة^(٢) والرحمة والهدى ، إن صبرت واحتسبت^(٣) ، فلا تجمعن عليك أياماً خصلتين^(٤) : أن يحبط جزعك صبرك ، فتندم على ما فاتك ، فلو قدمت على ثواب متيبتك ، قد أطعت ربك ، وتنجزت موعودته ، عرفت أن المصيبة قد قضرت عنه ، وأعلم أن الجزع لا يراد ميثماً ، ولا يدفع حزناً ، فأحسن الجزاء وتنجز الموعود ، وليذهب أسنك ما هو نازلاً بك فكان قد^(٥) .

(صبح الأعشى ٩ : ٨٠)

٣٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم لمجاعة بن مرارة

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، وفيهم مسيلة بن حبيب ، ومجاعة بن مرارة ، فسأل مجاعة رسول الله أن يقطع أرضاً ، فأقطعها إياها ، وكتب له كتاباً ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة ابن سلمى ، إني أقطعك الفورة وغرابة والحبل^(٦) ، فمن حاجك فإلى » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٠٠)

٣٦ - كتاب مسيلة بن حبيب إليه صلى الله عليه وسلم

فما عاد وفد بني حنيفة إلى الإمامة ، ادعى مسيلة النبوة ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك آخر سنة عشر - :

(١) الغبطة : المسرة . (٢) الصلاة وما بعدها بدل من أجر . (٣) احتسب بكذا أجراً عند الله : اعتده بنوى به وجه الله ، واحتسب فلان ابنه إذا مات كبيراً ، فإن مات صغيراً قبل افترطه . (٤) أي فقد الولد وفقد الثواب ، ويحبط : يفسد . (٥) أي فكان قد نزل بك الموت لأنه لا محالة ، يدركك . (٦) الفورة بالفتح ، ورواه بعضهم بالضم ، وغرابة والحبل : مواضع بالإمامة .

« من مُسِيمة رسول الله إلى محمد رسول الله .
سلام عليك ، أما بعدُ فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك ، وإن لنا نِصْفَ الأرض ،
ولقريشٍ نِصْفَ الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون^(١) . »
وكتب عمرو بن الجارود الخنفي .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٦٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية
٢ : ٣٤٧ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٨ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ،
وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٤ ، والمواهب شرح الزرقاني ٤ : ٢٥)

٣٧ - رده صلى الله عليه وسلم على مسيمة

فكتب صلى الله عليه وسلم إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيمة الكذاب . سلام على
من اتبع الهدى ، أما بعدُ ، فإنَّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمُتَّقِينَ » .

وكتب ابن كعب .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٦٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية
٢ : ٣٤٧ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ،
وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٥ ، والمواهب شرح الزرقاني ٤ : ٢٥)

٣٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني زهير بن أقيش

وكتب صلى الله عليه وسلم لبني زهير بن أقيش :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله لبني زهير بن أقيش من عكَل^(٢) .
إنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وفارقوا المشركين ، وأقاموا

(١) وفي فتوح البلدان « ولكن قريشاً لا ينصفون » وفي السيرة الحلبية « ولبس قريش قوماً يدلون »
(٢) اسم قبيلة ، وهم بنو عكل بن عبدمناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ومنهم النمر بن نواب .
وكان في هذه القبيلة غباوة وقلة فهم ولذلك يقال لكل من فيه غفلة وبسحق : عكلى .

الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأقرؤوا بالخمسة من غنائمهم^(١) ، وسَمَّهم النبي وصَفِيَّه ، فإنهم آمنون بأمان الله ورسوله .

(شرح الزرقاني على المواهب ٣ : ٣٨٢ ، صبح الأعشى ١٣ : ٣٢٩)

٣٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكتم بن صيفي

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى أكتم بن صيفي :

« من محمد رسول الله إلى أكتم بن صيفي .

أحمدُ الله إليك ، إن الله أمرني أن أقولَ لا إلهَ إلا اللهُ . أقولها ، وأمرَ الناسَ بها والخَلْقُ خلقُ اللهُ ، والأمرُ أمرُ اللهُ ، خَلَقَهُم وأَمَاتَهُم ، وهو يُنْشِرُهُم^(٢) ، ولتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ^(٣) . »

(تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ حسن توفيق ص ٧٩)

(١) وو صبح الأعشى « وأعضيم من الغنائم الخمس » .

(٢) نشر الله الموتى كقعد ، وأنشروهم : أحيائهم . (٣) وجاء في شرح العيون ص ١٤ في ترجمته :

« أدركت معث التي صلى الله عليه وسلم وراسله ، واختانف في إسلامه ، والأكثر على صحته .

حكى أنه لما بلغه بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه : اهلوني إليه ، فقالوا : لا والله ، وأنت

سن من أسنان العرب ، قال : فليأته أحدكم فليأله عن ربه وعمه أمره به ، فأناه حبيش بن أكتم .

فقال : يا محمد ! يم بعتك ربك ؟ قال : نعمي بأن أكبر الأوثان ، قال : يم أمرك ؟ قال :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيِ بَعْضُكُمْ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » فأصرف حبيش إلى أبيه ، فأخبره بكلام رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتلا عليه الآية الشريفة ، فعمل يرددها ويقول : إن هذا الرب كريم ، بأمر

بتحسين الأخلاق ، وينهى عن مساوئها . ثم جمع إليه بنى تميم وقام فيهم خطيباً يدعوهم إلى الإسلام (وقد

أوردنا خطبته في جهرة خطب العرب . ج ١ : ص ١٥٩ فقام مالك بن نويرة ، وقال : لقد خرف شيخكم ،

فلا تمرضوا للبلاء ! فقال أكتم : ويل للشجي من الحلي ، لهي على أمر لم أدركه ولم يسبقني . (وفي مجموع

الأمثال ج ٢ : ص ٢١٧ « ولم يسبقني ») ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبات في الطريق ،

وبعث بإسلامه مع من أسلم من كان معه . وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آية :

« وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ

عَلَى اللَّهِ » نزلت في أكتم ومن تبعه من أصحابه . وقال قوم آخرون : خرج مهاجراً وله يلم . وجاء

في أسد الغابة ج ١ : ص ١٢٤) في ترجمته : « ولا يبلغ أكتم ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل

۴۰ - كتابه صلى الله عليه وسلم لأبي ضميرة

وكتب صلى الله عليه وسلم لأبي ضميرة وأهل بيته^(۱) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته ، إن رسول الله أعتهم ، وإنهم أهل بيت من العرب ، إن أحببوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحببوا رجعوا إلى قومهم ، فلا يعرض لهم إلا بحق ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوهم خيرا . »

وكتب أبي بن كعب .

فاختار أبو ضميرة الله ورسوله ، ودخل في الإسلام .

(المواهب اللدنية للنسباني شرح الزرقاني ۳ : ۱۴ : وأسد الغابة ۳ : ۲۷ ، والإصابة ۳ : ۲۷۵)

۴۱ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضميرة بالموادعة

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضميرة ، بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من ناوهم^(۲) ، وأن لا يحاربوا في دين الله ما بلب^(۳) بحر صوفة^(۳) ، وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى . »

(مفتاح الأفكار ص ۴۹)

== إليه رجاء يسألانه عن نسيه ، وما جاء به فأخبرها وقرأ عليهما : « إن الله يأمر . . . الآية » . فـ دا إلى أكم فأخبراه وقرأ عليه الآية ، فلما سمع أكم ذلك قال : يا قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملامها ، فكونوا في هذا الأمر رهوسا ولا تكونوا أذنابا ، وكونوا فيه أولا ولا تكونوا فيه آخرا ، فلم يلبث أن حضرته الوفاة . (۱) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبى ضميرة وهي تبكي فقال : ما بك؟ أجاثمة أنت أم عارية؟ فقالت : يا رسول الله! فرق بيني وبين ابني - وكانوا أهل بيت من العرب سما أفاء الله على رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفرق بين الوالدة وولدها : ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فابتاعه منه ببيكر وأعطاه لأمه ، وأبو ضميرة قيل اسمه سعد ، وقيل روح .

(۲) أي دعاهم . (۳) انظر هامش ص ۲۴ .

٤٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بمكة

وروى أنه قدم من الشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة نفر من الدارين^(١)، فأسألوا وسألوا رسول الله أن يُقَطِّعَهُمْ أرضاً من أرض الشام^(٢)، فدعا بقطعة من آدم، وكتب لهم فيها كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا أعطاه الله الأرض . وهب لهم بيت عَيْنُون^(٣) وخبزون والمرطوم^(٤) ، وبيت

(١) هم بنو الدار بن هاني بن حبيب بن نمار بن لحم بن عدى ... ينتهي سبهم إلى كهلان بن حباب ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وفي حديث أحدهم « أني هند انداري » أنهم كانوا ستة نفر وهم : نعم ابن أوس ، ونعم أخوه (بضم النون) ويزيد بن قيس ، وأبو هند بن عبد الله ، والطيب أخوه ، وفاكه ابن النعمان - كما جاء في صبح الأعشى نقلًا عن تاريخ ابن عساكر، وفي المواهب - وسامم ابن هشام تسعة - زاد على هؤلاء : عرفة بن مالك ، ومروان بن مالك ، وجبل بن مالك ، - انظر سيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٢٣٩ - وفي السيرة الحلبية أنهم سبعة ، قال : « ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون : أبو هند الداري وتيم الداري وأخوه نعم وأربعة آخرون » وفي تاريخ ابن عساكر عن الواقدي أنهم لما وفدوا على رسول الله منصرفه من تبوك (أي في المرة الثانية) كانوا عشرة نفر ، يزداد على من ذكرنا هاني ابن حبيب .

(٢) فقال لهم عليه الصلاة والسلام : سلوا حيث شئتم . فمضوا من عنده ينشاورون ، فقال تيم : أرى أن نسأله بيت المقدس وكورها . فقال أبو هند : هذا محل ملك العجم ، وكذلك يكون فيها ملك العرب ، وأخاف أن لا يتم لنا هذا . فقال تيم : فنسأله بيت جبرين وكورتها (هكذا في صبح الأعشى . وبيت جبرين بالجم المكسورة وبالباء الساكنة : قرية غربي بيت المقدس ، وبين عسقلان . وفي المواهب اللدنية « بيت جبرون » بالجم المفتوحة وبالياء الساكنة ، وقد ضبطها بالعبارة ، وهو ما في السيرة الحلبية ، وجبرون : هي دمشق أو بابها الذي بقرب الجامع) فقال أبو هند : هذا أكبر وأكبر ! فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل (أي لتكون حصوناً لهم) وقد جاء في المواهب : أرى أن نسأله القرى التي صنع فيها حصوناً مع آثار إبراهيم . فقال تيم : أصبت ووقفت ! ثم مضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا تيم أتحب أن تخبرني بما كنتم فيه أو أخبركم ؟ فقال تيم : بل نخبرنا يا رسول الله فنزداد إيماناً . فقال صلى الله عليه وسلم : أردت يا تيم أمراً ، وأراد أبو هند غيره ، ونعم الرأي رأى أي هند ! فدعا بقطعة من آدم ، وكتب لهم الكتاب المذكور .

(٣) عينون : من قرى بيت المقدس . جبرون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام جنوبي بيت المقدس ، وقد غلب على اسمها « الخليل » ويقال لها أيضاً جبرى ككبرى .

(٤) وردت هذه الكلمة في السيرة الحلبية ، وفي المواهب في هذا الكتاب ، وفي الكتاب التالي ياليم في أولها « المرطوم » ولم ترد في تاريخ ابن عساكر ، وصبح الأعشى في الكتاب الأول ، ووردت =

إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمن فيهن لهم إلى الأبد^(۱) .

شهد بذلك عباس بن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس^(۲) ، وشرحبيل بن حسنة ،
وكتب وأعظام الكتاب ، وقال : أنصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت ، فأنصرفوا .
(السيرة الحلبية ۲ : ۳۳۵ ، وصحح الأعشى ۱۰ : ۱۱۹ ، وتهذيب
تاريخ ابن عساکر ۳ : ۳۵۲ ، والمواهب شرح الزرقاني ۲ : ۴۱۱)

۴۳ - كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بالمدينة

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمُوا عليه فسألوه أن يُجَدِّدَ لهم كتابا
آخر ، فكتب لهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أنطى^(۳) محمد رسول الله لتمي الداري^(۴) وأصحابه ،
إني أنطيتكم بيت عيون وخبزون والمرطوم ، وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام
برمتهم^(۵) ، وجميع ما فيهم نطيّة بيت^(۶) ، ونفدت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم

في الكتاب الثاني وصحح الأعشى بدون ضم في أولها « المرطوم » وفي ابن عساکر في رواية باليم ، وفي
رواية أخرى بدوتها . وأورد ياقوت ومعجمه الكتاب الثاني ، وفيه « المرطوم » ولم يورد كلتا الكلمتين
بين أسماء اللدان . وفي شرح الزرقاني على المواهب بيأس بالأصل ، وعلى هامشه « وفي بعض النسخ المرطوموم »
ولم أجدها في كتب اللغة ولا في مصور فلسطين الكبير ، وقد سألت بعض أهل فلسطين عنها فلم يعرفوا
موقعها ، والمفهوم من سياق العبارة أنها قرية تاريخية بقرب حبرون وعيون .

(۱) يقال لا آتية أبد الأبد ، وأبد الآباد ، وأبد الأبد ، وأبد الأبدية ، وأبد الدهر . . . بمعنى ،
وفي المواهب « ومن فيهم إلى أبد الأبد » وقال الزرقاني في شرحه : غير أنهم جمع الذكور العقلاء فلم يقل
من سما تنزيلا لها منزلة العقلاء تجوزا . (۲) في ابن عساکر وصحح الأعشى « وجهم بن قيس » .

(۳) أنطى : أعطى ، والنطيّة العطية بلغة أهل اليمن . (۴) ورد في أسد الغابة (ج ۱ : ۱) :

من (۲۱۵) في ترجمته أنه « تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة بن ذراع بن عدى بن الدار . . . الخ ،
كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة (تنبه لي أن الخبر الذي أوردناه في مقدمة الكتاب الأول ،
فيه تصريح بأنه هو وأصحابه أسلموا بكافة قبل الهجرة ، أجل إنهم وفدوا عليه ثانية منصرفه من تبوك أي سنة
تسع كما قدمنا) وأقطع النبي صلى الله عليه وسلم قرية عيون بفلسطين ، وكتب له كتابا ، وكان يسكن المدينة ،
ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ، وهو أول من قصر ، استأذن عمر بن الخطاب في ذلك فأذن له . . .
(۵) يقال أعطته هذه الأشياء برمتها : أي بجملتها ، والرمة بالضم ويكسر : قطعة من جبل .
وأصله أن رجلا دفع إلى آخر بعبرا بجبل في عنقه ، فقيل لكل من دفع شيئا بجملته ، أعطاه برمته ،
وفي معجم ياقوت « بنمتهم » . والرواية الأولى أصح لقوله بعد « وجميع ما فيهم » .

(۶) البيت : القطع ، أي عطية لا تردد ولا رجعة فيها ، وفي السيرة الحلبية « نطيّة بيت » وهو تحريف .

أبد الأبد ، فمن آذاهم فيها آذاه الله^(۱) .

شهد بذلك أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب .

(السيرة الحلبية ۲ : ۳۳۶ ، وصبح الأعشى ۱۴ : ۱۲۰ ، ومعجم البلدان ۳ : ۲۰۸)
وتهذيب تاريخ ابن عساکر ۳ : ۳۵۲ ، والمواهب شرح الررقانی ۳ : ۴۱۱)

۴۴ - کتاب أبي بكر رضی الله عنه لهم^(۲)

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووتى أبو بكر رضی الله عنه ووجه الجنود إلى الشام ، كتب لهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر الصديق إلى أبي عبیدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الدارين ، وإن كان أهلها قد جَلّوا عنها ، وأراد الدارثون أن يزرعوها ، فليزرعوها بلا خراج ، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم ، وأحقّ بهم ، والسلام عليك .

(تهذيب تاريخ ابن عساکر ۳ : ۳۵۲ وصح الأعشى ۱۳ : ۱۲۰)
والمواهب شرح الررقانی ۳ : ۴۱۱)

رواية أخرى

۴۵ - كتابه صلى الله عليه وسلم للدارين

وروى أن تميم بن أوس الداري قام فقال : يا رسول الله ! إن لي جيرة من الرثوم بفلسطين لهم قرية يقال لها حبري ، وأخرى يقال لها بيت عثنون ، فإن فتح الله عليك الشام فمبهما لي ، قال : هالك ، قال : فكتب لي بذلك ، فكتب له :

(۱) وو معجم ياقوت « أبد الآبدين » وفيه « آذى الله » . (۲) أوردنا هذا الكتاب هنا . ولم نرجعه إلى خلافة أبي بكر ، كي تتصل حلقة خير الدارين .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى ، إن له قرية حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ قَرِيَّتَيْهَا كُلَّهَا : سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءُهَا وَحَرَّتُهَا وَأَنْبَاطُهَا^(۱) وَنَقْرُهَا^(۲) وَلِعَقِبِهِ^(۳) مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يُنْحَاقُهُ^(۴) فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَأْجِئُهَا^(۵) عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بَظَلْمٍ ، فَمَنْ ظَلَمَهُمْ ، أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ۳ : ۳۵۳ ، وصبح الأعشى ۱۳ : ۱۲۱)

۴۶ - كتاب أبي بكر رضى الله لهم

فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه كتب لهم كتابا نسخته :

« هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى استخلف فى الأرض بعده . كتبه للداريين أن لا تُفْسِدَ عليهم ما أُثِرَتْهُمْ^(۵) قَرِيَةُ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهُمَا شَيْئًا ، وَلِيَقْمَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمَفْسِدِينَ » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ۳ : ۵۳ ، وصبح الأعشى ۱۳ ، ۱۲۱)

رواية ثاشة

۴۷ - كتابه صلى الله عليه وسلم لهم

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تيم الدارى ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى ،

(۱) وى صبح الأعشى « وحررتها » والحرة بالفتح : أرض صلبة غليظة ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار ، والأنباط جمع ببط بالتحريك : وهو الماء الذى يذبط كينصر ويضرب : أى ينبع من قعر البئر إذا حفر . (۲) وى صبح الأعشى : « ونقرها » . (۳) حاقه : خاصمه ، وى ابن عساكر « لا ينحفه » . (۴) فى صبح الأعشى : « ولا يلجه » وهو تحريف .

(۵) الأثرة بضم الاء وفتحها : الكرمة المتوارثة . وى ابن عساكر « أن لا يفسد عليهم ما بيدهم » .

إِنْ لَهُ صِهْيُونُ^(١) قَرِيبَتَهَا كَلَمَا ، سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَا هَا وَكُرُومَهَا وَأَنْبَاطَهَا وَوَرَقَهَا ،
وَلِعَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقِقُهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ بِظُلْمٍ ، فَمَنْ أَرَادَ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَهُ
مِنْهُمْ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٢) . (صبح الأعشى ١٣ : ١٢٢)

٤٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران^(٣) .
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْتُوبَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ
وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنِ أَبَيْتُمْ فَالْجَزِيَّةُ ، فَإِنِ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ^(٤) .
(صبح الأعشى ٦ : ٣٨٠ و ٣٨١)

٤٩ - عهده صلى الله عليه وسلم لأهل نجران

وفتحت « نجران » سنة عشر صلحا ، وفي هذه السنة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران ، وفيهم السيد واسمه وهب ، والعاقب واسمه عبد المسيح ، والأستف وهو أبو حارثة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعتهم فامتنعوا وصالحوه ، فكتب لهم كتاب الصلح^(٥) ، ونسخته :

(١) صهيون : اسم لبيت المقدس أو موضع به .

(٢) وعقب الفلقندي على ذلك فقال : قلت « وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن ، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليوقف عليها ، ويكف عنهم من يظلمهم ، وقد أخبرني برؤيتها عبر واحد ، والأديم الذي هي فيه قد خلق أطول الأمد » . (٣) في شمالي اليمن . (٤) وفي مفتاح الأملكار : « بحرب ، والسلام » . (٥) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ج ٨ : ص ٢٦٢ ، ٢٦٤) وتاريخ الحموي (ج ٣ : ص ١٦٣) الباهلة : الملائنة ، أي الدعاء باللعنة على الكاذب . وحديثها أنهم لما قدموا عليه ، قالوا له : يا محمد لم تعيب عيسى ونسبه عبداً ؟ فقال : أجل ! عيب الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم . قالوا : فأرنا مثله يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ويأمننا على أئمه ابن الله ، ونحن نبايعك على أنك رسول الله !! فقال صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك =

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران ، إذ كان له عليهم حُكْمُهُ فِي كُلِّ تَمْرَةٍ وَفِي كُلِّ صَفْرَاءٍ وَبِيضَاءٍ وَسُودَاءٍ وَرَقِيقٍ ^(۱) ، فَأَفْضَلَ ^(۲) ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُمْ ، عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْأَوَاقِي ، فِي كُلِّ رَجَبِ أَلْفِ حُلَّةٍ ، وَفِي كُلِّ صَفْرٍ أَلْفِ حُلَّةٍ ، كُلِّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٍ ^(۳) مِنَ الْفِضَّةِ ، فَهَا زَادَتْ

= ما زالوا يحاجونه وعبسى وبلاحونه ، حتى أنزل الله : « فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » . فقال لهم : إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم ، فقالوا : يا أبا القاسم ! بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك . فلما رجعوا ، ولوا للعاقب - وكان دارأيهم - يا عبد المسيح ماترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الأسماعيل ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . وكان صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود (المرط بالكسر : كساء من صوف أرحر) وقد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلى رضى الله عنه خلفها ، وهو يقول « إذا دعوت فأمنوا » . (وروى أنه عليه الصلاة والسلام لما خرج في المرط ، جاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم على رضى الله عنهم ، ثم قال « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » من ذلك الوقت سمي الخمة أصحاب الكساء) فقال أسقف نجران : « يا معشر النصارى ! إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تباهلوا قتلكم ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة » ثم قالوا : « يا أبا القاسم ! رأينا أن لا نباهلك » فقال عليه الصلاة والسلام « فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين » فأبوا . فقال « فإني أناجزكم القتال » . فقالوا « ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدى إليك في كل عام ألفي حلة ، ألفا في صفر ، وألفا في رجب ، ثمن كل حلة أوقية من الفضة » فصالحهم على ذلك وقال « والذي نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا المسخوفا قرده وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادى نارا ، ولاستأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على رءوس الشجر ، ولما حال الموت على النصارى كلمهم حتى يهلكوا » (انظر كتاب ثمار القلوب و المضاف والمنسوب للثعالبي ص ۴۸۳ وتفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ۲ : ۶۹۹ وغيره من كتب التفسير والسيرة الحلية ۲ : ۳۲۵) .

(۱) الصفراء : الذهب . البيضاء : الفضة . سوداء وورقيق : أى جارية وعبد .

(۲) أى أبقاه لهم . (۳) أى ثمن كل حلة أوقية . والأوقية : زنة سبعة مثاقيل ، وزنة أربعين درهما ، والجمع الأوقاق بالتشديد والتخفيف . وفي كتاب الخراج : « مع كل حلة أوقية من الفضة » . وكلمة « مع » معرفة عن « ثمن » أو « قيمة » .

على الخراج ، أو نقصت عن الأوقاف فبالحساب^(۱) ، وما قضا من دروع ، أو خيل ،
أو ركاب ، أو عروض^(۲) أخذ منهم بالحساب .

وعلى نجران مئوي^(۳) رُسلي شهراً فدونه ، ولا تخبس رُسلي فوق شهر ، وعليهم
عارية^(۴) ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ومعرفة^(۵) ،
وما هلك مما أعاروا رُسلي من دروع أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض ، فهم ضمن^(۶)
حتى يردوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم ،
وأرضهم ومائتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم وبيعتهم^(۷) ، وكل ما تحت أيديهم
من قليل أو كثير ، لا يُغير أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانته ، ولا كاهن

(۱) أي أنهم إن أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب فضل ذلك ، وإن أدوها بما دون الأوقية
أخذ منهم التقصان . (۲) قضا : أدوا . الركاب : الإبل ، وأحدثها راحلة . العروض : الأمتعة
جمع عرس كشمس وهو المتاع ، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين .

(۳) مئوي الرجل : منزله ، من نوى بالسكان كرمي إذا نزل فيه ، أي مسكنهم مدة مقامهم ونزلهم .
والعنى : وعليهم إضافتهم . وفي كتاب الخراج « وعلى نجران مئونة رُسلي ومنتهم ، ما بين عشرين يوماً
ثا دون ذلك » . (۴) العارية بالشديد وقد تخفف : الشيء المستعار . قال الأزهري « نسبة إلى
العارة ، وهي اسم من الإعارة » والمراد بها هنا المعنى المصدرى ، أي الإعارة .

(۵) هكذا في كتاب الخراج ، والمرة : الحيانة والأذى والإثم . وفي نسخة أخرى « دو معرفة »
وجاء في فتوح البلدان « إذا كان كيد باليمن ذو مقدرة » معقبة بتفسيرها وهو « أي إذا كان كيد بغير
منهم » وعليه فمقدرة مصدر ميمي من القدر ، وهو ترك الوفاء ، وهو معنى منتهم . وأرى له أيضاً معنى
آخر : وهو أن يكون مفعلة من القدر تهى التخلف ، يقال : غدر الرجل عن أصحابه بكر اندال غدرا
يكونها : أي تخلف . والمعنى : إذا كان كيد باليمن يدعو لك تخلفهم هنالك ولينهم لدرء هذا الكيد .

(۶) أي فهم ضامنون له وكافلون . والضامن والصمين : الكافل . وفي كتاب الخراج : « فهو
ضمن على رُسلي حتى يردوه إليهم » . أي مصور مكفول ، فهو فعيل بمعنى مفعول .

(۷) هكذا في كتاب الخراج : وفي نسخة أخرى « وعبادتهم » محل « عشيرتهم » . والبيع
« بيع » وهي متعبد النصرى . وفي فتوح البلدان « على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم
وشاهدهم وعيرهم وبيعتهم وأمنتهم » والعير : بالسكر القافلة ، أو الإبل تحمل الميرة بلا واحد من لفظها .
الأمثلة : جمع مثال وهو الفرائش .

عن كِبَانَتِهِ^(١) ، وليس عليهم دَرِيَّةٌ^(٢) ، ولا دمُ جاهليَّةٍ ، ولا يُحْشَرُونَ ، ولا يُعْشَرُونَ^(٣) ، ولا يَطَأُ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فينهم النصف^(٤) غيرَ ظالمين ، ولا مظلومين ، ومن أكل منهم رباً من ذى قَبَلٍ^(٥) فذمَّتْ منه بريئة ، ولا يؤخذ رجلٌ منهم بظلمٍ آخر ، ولهم على ما في هذا الكتاب جوارُ الله ، وذمة محمد النبي رسول الله أبداً ، حتى يأتى الله بأمره ما نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فيما عليهم غير مُنْفَلِتِينَ^(٦) بظلم .

شهد أبو سفيان بن حرب ، وغيلان بن عمرو . ومالك بن عوف من بني نصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة بن شعبة ، وكتب^(٧) .

(كتاب المراج لأبي يوسف ص ٨٥ . وفتوح البلدان للبلاذري ص ٧١)

(١) وفي نسخة أخرى من كتاب المراج « ولأرافه من رِفَاهِ » وهو تحريف وصوابه « ولا واقه عن وفهينه » والواقه بالواو والفاء : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة كالواهف ، والواقه بالكسر : وظيفته . والوفية بفتح الواو وسكون الفاء : رتبته . وفي لسان العرب : ويروي وايف . وزاد « ولا قيس عن قيسيته » . وفي فتوح البلدان واللسان « ولا واقه عن وقاهيته » الواقه بالقاف : الوافه . قال في اللسان : « والصواب الفاء » . الوفاية كضواعة وكراهية : قيامه بها .

(٢) الدية : الشيء الذي الحيس . وفي فتوح البلدان « وليس عليهم رهق » والرهق بالتحريك : الظلم ، واسم من الإرهاق ، وهو أن تحمل على الإنسان ما لا يطيقه .

(٣) لا يحشرون : أي لا يندبون إلى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث . ولا يحشرون : أي لا يؤخذ عشر أموالهم من عشرت ماله كنصر إذا أخذت عشره . وفي الحديث « ليس على المسلمين عشر . إنما العشر على اليهود والنصارى » . وفي كتاب المراج « ولا يخسرون ولا يسرون » وهو تصحيف (أخسرت الشيء وخسرته كضرب : نقصته . أعسرت الغريم وعسرته كنصر وضرب : طابت منه الدين على عشرة ولم ترفق به إلى ميسرة) . (٤) النصف : ملك النون وبالتحريك : الإصاف والعدل .

(٥) أي في المستقبل . تقول : أفعال ذلك من ذى قبل بفتح الباء وفتح القاف وكسرهما : أي فيما أستقبل ، وأفعال ذلك من ذى قبل : أي فيما تستقبل . وفي كتاب المراج « قبل » وهو تصحيف . وفي نسخة أخرى « من ذى قتل » وهو تحريف . (٦) مكلفاً في كتاب المراج . وفي نسخة أخرى « غير متغلبين » . وفي فتوح البلدان « غير مكلفين شيئاً بظلم » . (٧) وفي كتاب المراج : « وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر » . وفي خبر في فتوح البلدان : « وكتب على بن أبي طالب » .

۵۔ عہدِ اَبی بکر رضی اللہ عنہ لہم^(۱)

ثم جاءوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر رضی اللہ عنہ ، فكتب لهم :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأهل نَجْرَانَ . أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأرضيتهم ، وملتهم وأموالهم ، وحاشيتهم
وعبادتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأساققتهم ورهبانهم وبيعتهم ، وكل ما تحت أيديهم
من قليل أو كثير ، لا يُحْشَرُونَ ، ولا يُعْشَرُونَ ، ولا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ عن أسقفيتته ، ولا
راهب عن رهبانيتته ، وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى
ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم أبداً ، وعليهم النصحُ
والإصلاح فيما عليهم من الحق » .

شہد المستورد بن عمرو أحد بنی القین ، وعمرو مولى أبي بكر ، وراشد بن حذيفة
والمغيرة ، وكتب .
(كتاب الخراج ص ۸۷)

صورة أخرى

وروى الطبرى هذا العهد ، بصورة تختلف بعض الأختلاف عن الصورة السالفة ،
قال : ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثوا وفداً ليجددوا
عهداً ، فقدموا إليه ، فكتب لهم كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأهل نجران .

(۱) ذكرنا هنا عهد الخلفاء الراشدين لأهل نجران ، ولم نرجعها إلى خلافتهم ، كي تتصل حلقة خبر

النجرانيين .

أجارهم من جُنْدِهِ وَنَفْسِهِ ، وَأَجَازَ لَهُمْ ذِمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا مَا رَجَعَ عَنْهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِمْ وَأَرْضِ الْعَرَبِ ، أَنْ
لَا يَسْكُنَ بِهَا دِينَانِ .

أَجَارَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمِلَّتِهِمْ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ^(۱)
وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَأُسْتَقْفَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ وَبَيْعِهِمْ حَيْثَمَا وَقَعَتْ ، وَعَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ
مِنْ قَائِلٍ أَوْ كَثِيرٍ ، عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَدَّوهُ فَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ ، وَلَا
يُغَيَّرُ أُسْتَقْفَتَهُمْ مِنْ أُسْتَقْفَتِهِ ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رُهْبَانِيَّتِهِ ، وَوَفَّى لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ذِمَّةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَجِوَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْهِمُ النَّصْحُ وَالْإِصْلَاحُ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ » .

شَهِدَ الْمِسْوَرُ بْنُ عَمْرٍو وَعَمْرٍو مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ۳ : ۲۶۵)

۵۱ - عهد عمر رضی اللہ عنہ لهم

ثُمَّ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ أَنْ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ . وَقَدْ كَانَ عُمَرُ أَجْلَاهُمْ
عَنْ نَجْرَانَ الْيَمَنِ ، وَأَسْكَنَهُمْ بِنَجْرَانَ الْعِرَاقِ^(۲) لِأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَتَبَ لَهُمْ :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ ، مِنْ
سَارِ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَاءَ لَهُمْ بِمَا كَتَبَ مُحَمَّدُ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(۱) فِي الْأَصْلِ « وَعَادِيَتِهِمْ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(۲) مَوْضِعٌ عَلَى يَوْمَيْنِ مِنَ السُّكُوفَةِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَاسِطٍ . سَكَنَهُ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا أُخْرِجُوا ، وَسَمِيَ
بِاسْمِ بَلَدِهِمْ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ يَاقُوتَ : « وَإِنَّمَا أُجَازَ عُمَرُ لِإِخْرَاجِ أَهْلِ نَجْرَانَ وَهُمْ أَهْلُ صَاحِجٍ بِحَدِيثٍ رَوَى
عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ خَاصَّةً عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ كَانَ آخِرَ
مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّهُ قَالَ : « أُخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنَ الْحِجَازِ ، وَأُخْرِجُوا أَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »
وَرَوَى الْبَلَاذُرِيُّ فِي فَتُوْحِ الْبُلْدَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ : « لَا يَبْقَيْنَ دِينَانِ
فِي أَرْضِ الْعَرَبِ » . فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ أَجْلَى أَهْلِ نَجْرَانَ إِلَى النُّجْرَانِيَّةِ وَاشْتَرَى عَقَارَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

أما بعد فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليؤسغهم^(۱) من حرث^(۲) الأرض ، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة^(۳) لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مفترم .

أما بعد : فمن حضرهم من رجل مسلم فليتنصروهم على من ظلمهم فأفانهم أقوام لهم الذمة ، وجزيبتهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا ، ولا يكتلوا إلا صنعتهم البر ، غير مظلومين ولا معتدى عليهم .

شهد عثمان بن عفان ومُعَيْقِبُ^(۴) ، وكتب .

(كتاب المراج ص ۸۷ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ۷۲ ، ۷۳)

۵۲ - عهد عثمان رضى الله عنه لهم

فلما قبض عمر رضى الله عنه واستخلف عثمان أتوه إلى المدينة ، فكتب لهم إلى الوليد ابن عقبة - وهو عامله على الكوفة - :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة ، سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن الأسقف والعاقب وسرارة أهل نجران الذين بالعراق أتوني فشكروا إلي وأرؤني شرطاً عمر لهم ، وقد علمت ما أصابهم من المسامين ، وإني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيبتهم تركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه ، وإني وفيت لهم بكل أرضهم

(۱) في كتاب المراج « فليؤسغهم » وفي نسخة « فليؤسغهم » وها محرونان والصواب « فليؤسغهم » وقد وجدتها كذلك في فتوح البلدان للبلاذري ، من أوسعه الشيء : إذا حماه يحميه . وفي الدعاء « اللهم أوسنا رحمتك » أي اجعلها تسعنا . والمعنى : فليجعل بينهم وبين حرث الأرض ، وليبيع لهم زرعها .

(۲) أوردها كذلك للبلاذري في فتوح البلدان . ثم قال : وسعت بعضهم يقول : من خرب الأرض وهو تحريف وصوابه خرب كفرج . (۳) اعتمل : عمل بنفسه . العقبة : البديل .

(۴) هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(۶ - جمرة رسائل العرب - أول)

التي تصدق عليهم عمر عتبي^(۱) مكان أرضهم باليمن ، فاستوص بهم خيرا فإنهم أقوام لهم ذمة ، وكانت بيني وبينهم معرفة ، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها ، وإذا قرأت صحيفةهم فأرددها عليهم والسلام .

وكتب حمران بن أبان ، للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين .

(كتاب المراج ص ۸۸)

رواية أخرى

وروى البلاذري في فتوح البلدان عهد عثمان لهم هكذا :

« أما بعد فإن العاقب والأُسُفَّ وسرارة نجران أتوني بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأروني شرط عمر ، وقد سألت عثمان بن حنيف عن ذلك ، فأنبأني أنه كان يَحْت عن أمرهم فوجدته ضارًا للدِّهَاقين^(۲) لردعهم عن أرضهم ، وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حاة لوجه الله ، وعتبي لهم من أرضهم ، وإني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة . »

(فتوح البلدان للبلاذري ص ۷۳)

۵۳ - عهد علي رضي الله عنه لهم

فلما استخلف علي رضوان الله عليه وقدم العراق أتاه أُسُفُّ نجران ومعه كتاب في أديم أحمر قتال : أسألك يا أمير المؤمنين خطاً يدك وشفاعة لسانك - يعني كما ردَدْتنا إلى بلادنا - فأبى علي أن يردهم وقال : ويحك ! إن عمر كان رشيد الأمر - وكان عمر أجلاهم لأنه خافهم على المسلمين ، وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم ، فأجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم نجران العراق -

(۱) العتبي : البدل كالمقبة .

(۲) الدهاقين : جمع دهقان بكسر الدال وضمها : وهو زعيم فلاحى المعجم .

ثم كتب لهم على رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية ، إنكم أتيتموني بكتاب من نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم ، وإني وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، فمن أتى عليهم من المسلمين فليفلح لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا يذنبوا حق من حقوقهم . » .

وكتب عبد الله بن أبي رافع . لعشر خنوع من جهادى الآخرة سنة سبع وثلاثين .
(كتاب الخراج ص ۸۸)

۵۴ - كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر لما استخيف بعثه إلى البحرين عاملاً عليها ، وكتب له هذا الكتاب ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة^(۱) التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، والتي أمر الله بها رسوله ، فمن سئها من المسلمين على وجهها فأيعطها ومن سئل فوقها فلا يعط .

في أربع^(۲) وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم ، في كل خمس شاة ، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض^(۳) أنتى (فإن لم تكن بنت مخاض

(۱) أى هذه نسخة فريضة الصدقة ، فهو على تقدير مضاف حذف للعلم به . الصدقة : الزكاة . فرضها رسول الله : أى أوجبها أو شرعها بأمر الله تعالى . وقيل معناه : قدرها لأن إيجابها ثابت بالكتاب ففرضه صلى الله عليه وسلم لها بيان حجمها بتقدير الأنواع والأجناس . التى أمر الله بها رسوله : أى بتبليغها (۲) خبر مبتدأ محذوف ، ومن الغنم متعلق بالابتداء المحذوف ومن للبيان : أى فيها زكاة واجبة من الغنم . (۳) هى أنتى الإبل التى أتى عليها حول . دخلت في الثانی : سميت به لأن أمها آن لها أنت تلحق بالمخاض (أى الموائل) . وإن لم تحمل ، وقيدت بأنتى لتوكيد .

فَابْنُ لَبُونٍ ذَكَرَ^(۱) فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَعِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُتِي ،
فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَعِيهَا حِجَّةٌ طَرُوقَةٌ^(۲) الْجَمَلِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَسِتِّينَ
إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَعِيهَا جَذَعَةٌ^(۳) ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ فَعِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ ،
فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَعِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الْجَمَلِ ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى
عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِجَّةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا
أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا ، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ
فَعِيهَا شَاةٌ .

وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ ، وَعِنْدَهُ حِجَّةٌ ،
فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِجَّةُ وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتِينَ إِنْ اسْتَيْسَّرَتْ^(۴) لَهُ ، أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَمَنْ
بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِجَّةِ ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ الْحِجَّةُ ، وَعِنْدَهُ الْجَذَعَةُ ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْجَذَعَةُ ،
وَيُعْطِيهِ الْمَصَدَّقُ^(۵) عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتِينَ ، وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِجَّةِ ، وَلَيْسَتْ
عِنْدَهُ إِلَّا بِنْتُ لَبُونٍ ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَيُعْطَى الْمَصَدَّقُ^(۶) شَاتِينَ أَوْ عِشْرِينَ
دِرْهَمًا ، وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتَهُ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَعِنْدَهُ حِجَّةٌ ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِجَّةُ ، وَيُعْطِيهِ
الْمَصَدَّقُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتِينَ ، وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتَهُ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ ، وَعِنْدَهُ
بِنْتُ كَحَاضٍ ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ بِنْتُ كَحَاضٍ ، وَيُعْطَى مَعَهَا عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتِينَ ،
وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتَهُ بِنْتُ كَحَاضٍ ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ ، وَعِنْدَهُ بِنْتُ لَبُونٍ ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ مِنْهُ ،

(۱) هو ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية . دخل في الثالثة : سمي به لأن أمه وضعت غيره فصار لها ابن . وقيد بذكر للتوكيد أيضاً ، وهذه العبارة التي وضعناها بين قوسين وردت في المواهب . ولم ترد في صحيح البخاري ، وقد جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري أن حماد بن سلمة زادها في روايته .

(۲) طروقة : أي مطروقة (فعولة بمعنى مفعولة) أي بلغت أنت بطرقها الفحل ، وهي التي أنت عليها ثلاث سنين ودخلت في الرابعة . (۳) هي التي لها أربع سنين ودخلت في الخامسة ، سميت بذلك لأنها أجذعت مقدم أسنانها أي أسنطته وهي غاية أسنان الركاة .

(۴) أي وجدنا في ماله . (۵) المصدق بتخفيف الصاد : الساعي الذي يأخذ الزكاة .

(۶) المصدق بتشديد الصاد : المالك الذي يدفع الصدقة .

ويعطيه المصدقُ عشرين درهماً أو شاتين^(۱) فإن لم يكن عنده بنتُ تخاض على وجهها^(۲) وعنده ابنُ لبون ، فإنه يُقبل منه^(۳) وليس معه شيء .

وفي صدقة الغنم في سائماتها^(۴) ، إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة^(۵) ، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان ، فإذا زادت على مائتين إلى ثلثمائة ففيها ثلاث شياه ، فإذا زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة ، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة عن أربعين شاة واحدة^(۶) ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربُّها .

ولا يُجمع بين متفرِّق ، ولا يفرِّق بين مجتمع خشية الصدقة^(۷) .
وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية^(۸) . ولا يُخرج في الصدقة هَرَمَةٌ ولا ذاتُ عوارٍ ولا تيس^(۹) إلا أن يشاء المصدق^(۱۰) ، وفي الرقَّة ربعُ

(۱) أي أنه جبر كل مرتبة بشاتين أو عشرين درهماً . (۲) أي المورس .

(۳) أي وإن كان أقل قيمة منها ولا يكاف تحصيلها .

(۴) أي في راعيها لا العلوقة . (۵) أي جذعة شأن لها سنة . ودخلت في الثانية ، أو أجدعت منده أسنانها بعد مضي ستة أشهر ، أو ثنية معزها سندان ، ودخلت في الثالثة ، وقيل سنة . وشاة بالرفع خير لمبتدئ محذوف ، أو مبتدأ وفي صدقة الغنم خبره .

(۶) معول ناقصة . (۷) معناه : أن يكون النفر الثلاثة لـ كل واحد منهم أربعون شاة وجبت فيها الزكاة فيجمعوها حتى لا يجب عليهم كلهم فيها لإشاعة واحدة ، أو يكون للخليطين مائتا شاة وشاة فيكون عليهما فيها ثلاث شياه فيفرقاها حتى لا يكون على كل واحد إلا شاة واحدة . قيل : هو خطاب لرب المال من جهة ، والساعي من جهة . فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتقل ، والساعي يخشى أن تقل الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتكثر ، فأمر كل واحد منهما ألا يحدث شيئاً من الجمع والتفريق ، خشية الصدقة . وقيل : حمله على المالك أظهر .

(۸) السوية : العدل . ومعناه : أن المصدق إذا أخذ ما وجب أو بعضه من مال أحد الخليطين ، فإن ذلك الخياط يرجع على صاحبه بقدر حصته من مجموع المالكين ، فلو كان لكل منهما عشرين شاة رجع الخياط على خليطه بقيمة نصف شاة ، ولو كان لأحدهما مائة والآخر حمون ، فأخذ الساعي الشاتين الواحبتين من صاحب المائة رجع بثلاث قيمتهما ، أو من صاحب الخمسين رجع بثلاثي قيمتهما ، أو من كل واحد شاة رجع صاحب الخمسين بثلاث قيمة الشاة ، و لإرشاد الساري للقسطلاني : « أو من كل واحد شاة رجع صاحب المائة بثلاث قيمة شاة وصاحب الخمسين بثلاثي قيمة شاة » . وكذا في فتح المبدى للشرفوري ، وهو خطأ فحوره .

(۹) الهرمة : الكبيرة التي سقطت أسنانها . العوار : مئذ العين : أي أي ولا معية بما رده في البيع ، والتيس هو فعل الغنم أو مخصوص بالمعز .

(۱۰) قيل : هو بالتخفيف وهو أخذ الصدقات كما قدمنا : أي بأن يؤدي اجتهاده إلى أن ذلك خير للفقراء الذين وكل عنهم في قبض الزكاة ، فالاستثناء راجع إلى الثلاثة قبله . وقيل : بالتشديد أي المالك .

العشر^(۱) ، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة^(۲) فليس فيها شيء ، إلا أن يشاء ربها .
 وختمه بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر ، محمد سطر ،
 ورسول سطر ، والله سطر^(۳) .

(المواهب اللدنية للقطلائي شرح الرقائى ۳ : ۳۷۴ ، وصحيح الإمام
 البخارى ج ۱ : ۱۷۳ ، ۱۷۴ و ج ۲ : ۵۱ ، ۱۲۹ و ج ۳ : ۲۴ ، ۱۲۹ ،
 وسنن النسائي ج ۵ : ص ۱۸)

۵۵ - كتاب آخر له صلى الله عليه وسلم في الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(۴)
 فى الصدقة .

عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كتب صلى الله عليه وسلم
 كتاب الصدقة ولم يخرج به إلى عماله ، وقرنه^(۵) بسيفه ، حتى قبض ، فعمل به أبو بكر حتى
 قبض ، ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه :

= وتقديره : لا تؤخذ هرمة ولا ذات عيب أصلاً ، ولا يؤخذ التيس إلا برضا المالك لاحتياجه إليه ،
 فى أخذه بغير رضا لإضرار به ، فالاستثناء مختص بالثالث .

(۱) أى وفى مائتى درهم من الرقة ، وهى القصة الحاصة مضروبة كانت أو غير مضروبة ، والماء
 فيه عوس عن الواو المحذوفة فى الورك (بكسر الراء) كالعدة والوعد . ربع العشر : أى خمسة دراهم
 وما زاد على المائتين فبحسابه ، فوجب ربع عشره ، ولا شيء على ما زاد عليها حتى يبلغ أربعين درهما فقيه
 درهم واحد ، وكذا فى كل أربعين .

(۲) المسمى : أنه لاصدقة فيما نقص عن المائتين ، وإنما ذكر التسعين لأنه آخر عقد قبل المائة ، ويدل
 عليه قوله صلى الله عليه وسلم « ليس فيما دون خمس أواق من الورك صدقة » . والأوقية أربعون درهما .
 (۳) هذا الكتاب ورد متفرقا فى عشرة مواضع من صحيح البخارى . سنة فى كتاب الزكاة ، ثلاثة
 أبواب متوالية ، ثم فصل بباب ، ثم ثلاثة متوالية ، وفى كتاب الجهاد والسير (فى باب فرض الخمس) .
 وكتاب المظالم (فى باب الشركة) . وكتاب اللباس وكتاب الحيل .

(۴) قال الرقائى فى شرحه على المواهب : « وهو صريح فى أنه غير الذى كتبه أبو بكر لأنس ،
 وهو مفضى تغاير الفاظهما أيضاً » .

(۵) وقال هنا : « أى وضعه فى مرض موته فى قراب سيفه ، قاله ابن رسلان ، وحكمة ذلك :
 الإشارة إلى أنها تؤخذ كرها وإن يقتال ، ومن ثم قال أبو بكر : والله لو متعوى عناقا كانوا يؤدونها إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لغاتلتهم على منعها » اهـ . والعناق : كسحاب الأثني من أولاد المعز .

« في خمسٍ من الإبلِ شاةٌ ، وفي عَشْرٍ شاتان ، وفي خمسَ عشرةَ ثلاثُ شياهُ ، وفي عشرينَ أربعُ شياهُ ، وفي خمسَ وعشرينَ بنتُ مَخاضٍ إلى خمسٍ وثلاثينَ ، فإن زادت واحدة ففيها بنتُ لبونٍ إلى خمسٍ وأربعينَ ، فإن زادت واحدة ففيها حِمْهٌ إلى ستينَ ، فإن زادت واحدة ففيها جَدَّةٌ إلى خمسٍ وسبعينَ ، فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبونٍ إلى تسعينَ ، فإن زادت واحدة ففيها حِمْتانِ إلى عشرينَ ومائةَ ، فإن كانت الإبلُ أكثرَ من ذلك ففي كلِّ خمسينَ حِمْهٌ ، وفي كلِّ أربعينَ ابنة لبونٍ .

وفي الغنمِ في كلِّ أربعينَ شاةً شاةٌ إلى عشرينَ ومائةَ ، فإذا زادت واحدة فشاتان إلى مائتينَ ، فإذا زادت على المائتينَ ففيها ثلاثُ شياهُ إلى ثلثمائةَ ، فإن كانت الغنمُ أكثرَ من ذلك ففي كلِّ مائةِ شاةٍ شاةٌ ، ثم ليس فيها شيءٌ حتى تبلغ المائةَ ، ولا يُفرَّقُ بين مجتمعٍ ولا يجمع بين متفرِّقٍ مخافةَ الصدقةِ ، وما كان من الخليطينَ فإنهما يتراجعانَ بينهما بالسويةِ ، ولا يؤخذُ في الصدقةِ هَرِمَةٌ ولا ذاتُ عيبٍ .

(المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ۳ : ۳۷۸)

۵۶ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائضُ والسُّننُ والديّاتُ ، وبعث به مع عمرو بن حزم ، فقرأه على أهل اليمن ، وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي إلى شرّ حبيبا بن عبد كلالٍ و نعيم بن عبد كلالٍ والحارث بن عبد كلالٍ قبلي ذى رُعينٍ ومعاذٍ وهمدانٍ .

أما بعد : وكان في كتابه « أن من اعتَبَطَ^(۱) مؤمناً قتلاً عن بيئته فإنه قودٌ إلا أن يرضى أولياءه المقتول ، وأن في النفس^(۲) اللدّية ، مائةٌ من الإبل ، وفي الأنف إذا

(۱) أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .

(۲) القود : الفصام : أي فإن القاتل يقاد به ويقتل ، وأن في النفس : أي في قتل النفس .

أَوْعِبَ جَدْعُهُ^(۱) الدية، وفي اللسان الدية، وفي الشفتين الدية، وفي البيضتين^(۲) الدية، وفي الذَّكَرِ الدية، وفي الصُّلْبِ الدية، وفي العينين الدية، وفي الرَّجْلِ الواحدة نصف الدية، وفي المأخوذة ثلث الدية، وفي الجائفة ثلث الدية، وفي المنقاة خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل، وفي السن خمس من الإبل، وفي الموضحة^(۳) خمس من الإبل، وأن الرجل يُقتل بالمرأة، وعلى أهل الذهب ألف دينار .

وفي رواية « وفي العين الواحدة نصف الدية، وفي اليد الواحدة نصف الدية، وفي الرجل الواحدة نصف الدية » .

(سنن النسائي ج ۸ : ص ۵۷ ، والمواهب اللدنية شرح الزرقاني ج ۳ ص ۳۸۱) .

(۱) أي قطع حبه .

(۲) أي الحصين .

(۳) المأخوذة : الشجة التي بلغت أم الرأس وهي الجلدة التي تجمع الدماغ ويقال : شجة آمة ومأخوذة . الجائفة : الضمة التي تلمع الجوف . وطمنة جائفة : تخالط الجوف ، وقيل : هي التي تنفده . المنقاة : الشجة التي تنقل العظم أي يكسره حتى يخرج منها فراس العظام . الموضحة : الشجة التي بلغت العظم فأوضحت عنه .

خلافة أبي بكر الصديق

رضى الله عنه

٥٧ - رسالة مفتعلة على أبي بكر

وهي الرسالة التي زعم أبو حيان التوحيدى أن أبا بكر أرسلها إلى الإمام عليّ عليّ لسان أبي عبّيدة بن الجراح ، وما انضم إليها من كلام عمر ، وما كان من جواب عليّ رضي الله عنهم (١)

(١) ليس عندي من ريب في أن هذه الرسالة موضوعة مفتعلة ، وقد كتبت عنها كلمة في كتابي : « ترجمة علي بن أبي طالب » . ص ٩ . قلت : « أما ما رواه أبو حيان التوحيدى عن القاضي أبي حامد بشر من تلك الرسالة التي زعم أن أبا بكر بعث بها إلى علي حين تذكاً عن مبايعته علي لسان أبي عبّيدة بن الجراح ، وما انضم إلى ذلك من المقال الذي حمله إياه عمر ليلفقه علياً إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، فيشهد الله أننا ما بدأنا قراءتها حتى ساورتنا منها ريبة ، ولم نأت عليها حتى تحممت في نظرنا تلك الريبة ، واستيقنا أنها قصة موضوعة منجولة ، لا غلب عليها من الصنعة البديعة البينة الأثر في أسلوبها مما لم يعرف في رسائل أبي بكر وعمر وخطبهما ولا في كلام أحد من أهل هذا العصر ، فضلاً عما فيها من إسهاب مديد لم يعهد منهم ، وإن ما تراه فيها من الفقر القصيرة المسجوعة المجنسة ليحملك على الاعتقاد بأنها شبيهة بنسخ البديع الهمداني وأضرابه من كتاب العصر الذي نشأ فيه أبو حيان (القرن الرابع) .

واقصد صدق حدسنا حين قرأنا تعليق ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة عليها (وصنوردك كالمته) ثم إنك إذا تدبرت ما عزي إلى أبي حامد من قوله « هي والله من درر الحقائق المصونة ، ومخبات الصادق في الخزان المحوطة ، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلي في وزارته ، فكاتبها عني في خلوة بيده عرفت أن هذا القول نفسه يحمل في تضاعيفه تكذيبها .

وكيف يقول عمر لعل في مستهل خلافة أبي بكر تأمل لإخوان دارس وأبناء الأصغر ، قد جعلهم الله جزرا السيوفنا ، ودرية لرماحنا ، ومرى لطماتنا ، وتبعاً لسلطانتنا مع أن المسلمين في ذلك الحين لم يكونوا قد بدءوا الفتوح ، ولا غزوا القرس والروم !

أما كلمة ابن أبي الحديد عنها فهي قوله « الذي يفلح على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع ، وأنه من كلام أبي حيان التوحيدى لأنه لكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه وقد حفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبي بكر وخطبه فلم نجد فيهما يذهبان هذا المذهب ، ولا يملك هذا السبيل في كلامهما ، وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس ينحى ، وأين أبو بكر وعمر من البديع وصناعة المحدثين؟ ومن تأمل كلام أبي حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدل عليه أنه أسنده =

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدى البغدادي :

سَمَرْنَا امِيلةً عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروروذى^(۱) ببغداد . فتصرف
في الحديث كل متصرف ، وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية ، فخرى حديث السقيفة ،

= إلى القاضي أبي حامد المروروذى ، وهذه عاداته في كتاب البصائر يسند إلى القاضي أبي حامد كل ما يريد
أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه .
ومما يوضح لك أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والأشعرية وأصحاب
الحديث وكل من صنف في علم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ، ولقد
كان الرضى رحمه الله ينفذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه
في معرض التأم والتظلم فيحتج بها ، ويعتمد عليها ، نحو قوله « ما زالت مظلوما مذقبى رسول الله حتى
قوم الناس هذا » وقوله « لقد ظلمت عدد الحجر والمر » وقوله « إن لنا حقا إن نعظه نأخذه ، وإن
ننعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السرى » وقوله « فصبرت وفي الحلق شجا وفي العين قذى » وقوله
« اللهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني حتى وغصوني لارثي » . وكان الرضى إذا ظفر بكلمة من
هذه فكأنما ظفر بملك الدنيا . ويودعها كتبه وتصانيفه ، فأين كان الرضى عن هذا الحديث ؟ وهلا ذكر
في كتاب (الشافى في الإمامة) كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا ؟ وكذلك من قبله من الإمامية كابن
الزيمان وبنى نوبخت ، بنى بويه وغيرهم ، وكذلك جاء بعده من متأخري متكلمي الشيعة وأصحاب الأخبار
والحديث منهم إلى وقتنا هذا ، وأين كان أحد أبنا عن كلام أبي بكر وعمر له عليه السلام ؟ وهلا ذكره قاضى
القضاة في المغنى مع احتوائه على كل ما جرى بينهم حتى إنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد في أخبار
السقيفة ، وهلا ذكر من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا وأصحابنا ومن جاء بعده من متكلمي ورجالنا ؟
وكذلك القول في متكلمي الأشعرية ، وأصحاب الحديث كابن الباقلانى وغيره ، وكان ابن الباقلانى شديدا
على الشيعة عظيم العصبية على أمير المؤمنين عليه السلام ، فلو ظفر بكلمة من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث
لألأ الكتب ، والتصانيف بها ، جعلها هجيرا (بكسر الهاء والميم مع تشديدها أى دأبه وشأنه) ودأبه
والأمر فيما ذكرناه من وصح هذه النصبة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ، ولن
عده أقل معرفة بعلم السير ، وأقل أنس بالتاريخ « اه .

وقال النويرى في نهاية الأرب في هذا الصدد : « وهذه الرسالة قد اعتمى الناس بها وأوردوها في الجامع ،
ومنهم من أفردوها في جزء وقطع بأنها من كلامهم رضى الله عنهم ، من أنكرها ونفاها عنهم . وقال لأنها
موضوعة ، واختلاف القائلون بوضعها : فهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها ، وأرادوا بذلك الاستناد
إلى أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه إمام بايع أبابكر الصديق بسبب ما تضمنته ، وهذا الاستناد ضعيف
وحجة واهية . والصحيح أن علي بن أبي طالب بايع بيعة رضى باطنه فيها كصاهره ، والدليل على ذلك أنه
وطىء من السبى الذى سى في خلافة أبي بكر واستولد منه محمد بن الحنفية ، ولا جواب لهم عن هذا ، ومنهم
من زعم أن فضلاء السنة وضعوها ، والله أعلم ، وعلى الجملة فهذه الرسالة لم نوردوها في هذا الكتاب إثباتا لها
أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيا وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة واتساق الكلام وجودة الألفاظ » اه .
وأقول أنا أيضاً : لاني مع يقين أنها منجولة موضوعة لم أوردوها في جملة الرسائل إلا لأنها أثر أدبى بليغ .
(۱) مرو الروذ : مدينة بخراسان . ينسبون إليها فيقولون : مروروذى بضم الراء الثانية . ومروذى
بضم الراء مشددة .

فركب كل مر كبا ، وقال قولاً ، وعرض بشيء ، ونزع إلى فن ، فقال هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجواب علي عنها ، ومبايعته إياه عقيب^(۱) تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة لا والله ، فقال : هي والله من دُرر الحقائق المصونة ، ومجبات الصناديق في الخزان المحوطة^(۲) ومنذ حفظها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلب في وزارته^(۳) ، فكتبها عنى في خلوة بيده . وقال : لا أعرف في الأرض رسالة أعتل منها ولا أبين ، وإنها لتدل على علم وحلم ، وفصاحة ونباهة ، وبعُد غور ، وشدة غوص ، فقال له العباداني^(۴) : أيها القاضي ! فلو أتممت المنة علينا بروايتها ؟ أسمعناها فنحن أوعدى لها عنك من المهلب ، وأوجب ذماماً^(۵) عليك ، فاندفع وقال :

حدثنا الخراعي بمكة ، عن أبي ميسرة ، قال حدثنا محمد بن فليح^(۶) عن عيسى ابن دأب^(۷) ، نبأ صالح بن كيسان وي زيد بن رومان ، قالا : حدثنا هشام بن عروة ، نبأ أبو النفاح^(۸) ، قال : سمعت مولاي أبا عبيدة يقول :

(۱) قال صاحب مختار الصحاح « وأما قولهم : جاء عقبيه بمعنى بعده فليس في الصحاح ولا في التهذيب جوازه . ولم أرفيها عقياً ظرفاً ، بل بمعنى العاقب فقط كالليل والنهار عقبان لا غير » .

(۲) وفي رواية صبح الأعشى ونهاية الأرب « هي والله من بنات الحقائق ومجبات الصناديق » .

(۳) هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة ، كان وزير معز الدولة بن بويه الديلمي ببغداد ، وتوفي سنة ۳۵۲ ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ۱ : س ۱۴۲ .

(۴) نسبة إلى عبادان ، وهو موضع تحت البصرة قرب البحر الملح ، منسوب إلى عباد بن حصين الحبلي لأنه أول من رابط به . وأما زيادة الألف والنون فهو لغة كانت مستعملة في البصرة ونواحيها ، كانوا إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألماً ونوناً كقولهم في قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه زيادان ، وأخرى إلى عبد الله عبد اللبان ، وأخرى إلى بلال بن أبي بردة بلالان - انظر معجم البلدان لباقوت ج ۶ : ص ۱۰۵ . (۵) الدمام : الحق والحكمة .

(۶) هكذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى « محمد بن أبي فليح » . وحاء في خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي ص ۲۶۵ « فليح بن ساهان الأسلمي أو الخراعي أحد أئمة العلم مات سنة ۱۶۸ هـ » .

(۷) كذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى « عن عيسى بن دأب بن الناح » . وفي شرح ابن أبي الحديد « عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أبي عبيدة بن الجراح » . (۸) مولى أبي عبيدة .

لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فتنة كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، ويسر خيرها ، بلغ^(۱) أبا بكر عن عليّ تلوّك وشماس^(۲) ، وتهمّم ونفاس^(۳) ، فكره أن يتأدى الحال فتبدؤ العورة ، وتشتعل الجرة ، وتتفرق ذات البين ، فدعاني فحضرته في خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده فقال^(۴) : يا أبا عبيدة ما أئمن^(۵) ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، وطالما أعزّ الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحووط ، والمحل المغبوط^(۶) ، ولقد قال قبك في يوم مشهود « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة »^(۷) ولم تزل للدين ملتجياً ، وللمؤمنين مرتجياً ، ولأهلك ركناً ، ولإخوانك رداً^(۸) ، فقد أردت لك لأمر له خطر نخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندم لجرّحه بيدارك ورفقك ولم تجب حيتته برقيتك^(۹) ، وقع اليأس ، وأعضل البأس ، واحتيج بعد ذلك إلى

(۱) و ابن أبي الحديد « لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار ، ولخط بين الوفاة والبيعة بعد حنة كاد الشيطان بها يسر ، فدفع الله شرها ، وأدخس عسرها ، فركد كيدها ، وتيسر خيرها ، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها - بلغ . . . » (۲) من شمس الفرس كدخل حموسا وشماسا : أى منع ظهره . تهمم الشيء : طلبه . النفاس بالكسر : المناقصة . نفس عليه بخير كفرح : حمد . ونفس عليه الشيء نقاسة بفتح النون : لم يره أهلا له . (۳) وفي شرح ابن أبي الحديد : « فكره أن يتأدى الحال ، وتبدؤ العورة ، وتتفرق ذات البين ، ويصير ذلك درية لجاهل مغرور ، أو عاقل دى دهاء ، أو صاحب ملامة ضعيف القلب خوار العنان . فدعاني في خلوة فحضرته وعنده عمر وحده . وكان عمر قبسا له وظهيرا معه يستضيء بناره ، ويستملئ من لسانه . فقال لى . . . الخ » .
والدرية مخدوم الدريئة ، وهى فى الأصل : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها . القبس بالتحريك : شعلة نار تلبس من معظم النار . والظهير : العين . (۴) من اليمين بالضم : وهو البركة .

(۵) أى المصون المحفوظ . غبطه بما نال كضرب : تمنى مثل نعمته من غير أن يريد زوالها عنه . (۶) حديث شريف روى عن أنس رضى الله عنه . انظر أسد الغابة ۳ : ۸۶ ، وسبب هذه التسمية أن أهل نجران لما صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤدوا إليه فى كل عام ألفى حلة ألفا و صفر وألفا فى رجب (كما قدمنا لك فى ص ۷۶) قالوا له : أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة ، وقال لهم : هذا أمين هذه الأمة ، وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك . انظر السيرة الحلبية ۲ : ۳۳۵ .
(۷) أى عونا . (۸) اندمل الجرح : تماثل وبرى . اليسار واليسر : السهولة ، وفى رواية « يسارك » . المسبار : ما يسر به الجرح ليعرف عمقه . الجب : القطع . الرقية : العوذة ، وفى ابن أبي الحديد « ولم تجب جذوته برقيتك » وخبث النار تخبو : سكنت وانطلقت . الجذوة مثلثة : الجرة .

ما هو أمرٌ منه وأُغلقُ ، وأُعسرُ منه وأُغلقُ ، والله أسألُ تمامه بك ، ونظامه على يدك ، فَتَاتَ^(۱) له أبا عبيدة وتلطفَ فيه ، وانصحَ الله عزَّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة ، غيرَ آلِ جهدا ، ولا قالِ حمدا ، والله كاللثك^(۲) وناصرُك ، وهاديك ومبصرُك ، إن شاء الله . امضِ إلى عليّ ، واخفِضْ له جناحك ، واغضِضْ عنده صوتك ، واعلم أنه سَلالةُ أبي طالب ، ومكانه مَن قَدَّناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

« البحرُ مَفْرَقَةٌ ، والبرُّ مَفْرَقَةٌ ، والجوُّ أَكْلَفٌ ، والليلُ أَغْدَفٌ^(۳) ، والسماءُ جَنَوَاهُ ، والأرضُ صَلْعَاءُ ، والصعودُ متعذِّرٌ ، والهبوطُ متعسرٌ ، والحقُّ عَطُوفٌ رَأُوفٌ ، والباطلُ عَنُوفٌ عَصُوفٌ^(۴) ، والعُجْبُ قَدَّاحَةٌ الشرِّ ، والضَّغْنُ رائِدُ البوارِ^(۵) ، والتعريضُ شِجَارُ الفتنَةِ ، والقِحَّةُ ثَقُوبٌ^(۶) العداوة ، وهذا الشيطانُ مَتَكِيٌّ على شِمَالِهِ

(۱) تَأْتِي للأمر : ترفق وأناة من وجهه .

(۲) أَلَا يَأْلُو : قصر . قلاه كرمى ورضى : أبغضه ، وفي ابن أبي الحديد « ولا قال جدا » . كاللثك :

أى : حافظك وحارسك . (۳) مفرقة : أى مظنة الفرق ، يخاف الفرق فيه ويخشى . مفرقة :

أى مكان فرق بالتحريك : أى خوف وفزع . والمعنى : أن الفتنة عامة قد شملت البحر والرفهى مخوفة في كل

النواحي . أَكْلَفٌ وصف من الكاف بالتحريك : وهو لون بين السواد والحمرة . أَغْدَفٌ لم يرد في كتب

اللغة إلا فعلا ، قال صاحب اللسان « وأغدف الليل : أقبل وأرخى سدوله ، وأغدف الليل ستوره :

إذا أرسل ستور ظلمته وأنشد : حتى إذا الليل البهيم أغدفا » وفي ابن أبي الحديد « والليل أعلب » وقلب

أغلب : كأنه غشى بظلام ، والمعنى هنا مظلم . (۴) سماء جلواه : مصحية . الصلعاء : الأرض

لا نبات فيها . العنوف أراد به كثير العنف ، ولم ترد هذه الصيغة في كتب اللغة . العسوف : الطلوم ، صيغة

مبالغة من العصف وهو القلم ، وفي ابن أبي الحديد « والباطل نسوف عسوف » . النسوف مبالغة من النسف

(النسوف أيضا من الخيل : الواسع الخطو ، وناقاة نسوف : تنسف الراب في عدوها ، وبعير نسوف :

يقتلع الكلأ من أصله بمقدم فيه) وريح عسوف وعاصف وعاصفة .

(۵) القداح والقداحة : حجر الزند ، وفي ابن أبي الحديد « مقدحة الشر » والرائد : أصله المرسل

في طلب الكلأ ، والبوار : الهلاك . (۶) هكذا في ابن أبي الحديد وصيغ الأعرشى : الشجار والشجر

ككتاب ومنبر ويفتحان : عود الهودج ، وقيل : هو مركب أصفر من الهواج مكشوف الرأس ، وقيل :

هو خشب الهودج فإذا غشى غشاه صار هودجا . والمعنى : التعريض مركب الفتنة ، وفي نهاية الأرب

« سجال الفتنة » وسجال بالكسر جمع سجال بالفتح وهو الدلو العظيمة . والقحعة بالكسر والفتح :

الوقاحة أى قلة الحياء . الثقوب والثقاب ككتاب : ما تنقب أى توقد به النار .

متحجِّل (١) بيمينه ، نَافِجٌ حِضْنِيهِ (٢) لأهله ، ينتظر الشَّتاتَ والفُرقة ، وَيَدِبُ بين الأمة بالشَّحْناء والعداوة ، عِنَاداً لله عزَّ وجلَّ أوْلاً ، ولآدمَ ثانياً ، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً ، يُوسوس بالفجور ، وَيَدَلِّي (٣) بالفُرور، وَيَمْنِي أهل الشرور ، يُوحِي إلى أوليائه زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً بالباطل ، دَابَّاً له منذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم ، وعادةً له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا مَنجِي منه إلا بعضُ الناجذ (٤) على الحق ، وغَضُّ الطرف عن الباطل ، ووَطْءُ هَامَةٍ (٥) تدوُّ الله بالأشدَّ قالأشدَّ ، والآ كَدِ فالآ كَدِ (٦) ، وإسلام النفس لله عزَّ وجلَّ في ابتغاء رضاه ، ولا بد الآن من قول ينفعُ إذْ قد أضرَّ السكوتُ وخيفَ غيبُهُ ، ولقد أرشدك من أفاء (٧) ضالتك ، وضافك من أحيا مودتَهُ بِعَتَابِكَ وأراد لك الخيرَ مَن آثرَ البقاء معك .

ما هذا الذي تسوَّل لك نفسك ، وَيَدْوِي (٨) به قلبك ، وياتوى عليه رأْيك ،

(١) التحجيل : الاحتيال ، وهو بالياء في صبح الأعشى ، ووضيحه شارح نهاية الأرب بالياء التوحدة وقال : « التحجيل : التصيد بالجمالة ، وفي الأصل « متجيل » بالياء المثناة وهو نصيف « وأقول : إن الوارد في كتاب اللغة من هذه المادة في ذلك المعنى هو احتبل لا تحجل ، وفي ابن أبي الحديد « باسط ليمينه » .

(٢) في صبح الأعشى « خصيبه » وهو تصحيف ، وناجح أوردته صاحب اللسان في مادة ننج فقال « وفي حديث علي : نافع حِضْنِيهِ أي متفتح مستعد لأن يعمل عمله من الشر » وأوردته أيضاً في مادة نفع بالجيم فقال : « وفي حديث علي : نالجا حِضْنِيهِ ، كنى به عن التباطؤ والتكبر والخيلاء » وناججا : أي رافعا ، من نفع ندى المرأة قيصها إذا رفعه ، وقوله « في حديث علي » يريد ماورد في خطبته المعروفة بالشفقية انظر نهج البلاغة ١ : ١٧ وقد وردت فيه بالجيم وكذا في شرح ابن أبي الحديد .

(٣) أخذه من قوله تعالى « فدلَّاهما بِفُرُورٍ » قالوا في تفسيره : دلاهما في المعصية بأن غرهما ، وقيل معناه : فأطعمهما ، وأصله الرجل العطشان يدلي في البئر ليروي من مائها فلا يجد فيها ماء . فوضعت التداية موضع الإطعام فيما لا يجدي نفعا ، وقيل : جرأهما على المعصية بفروره .

(٤) الناجذ : واحد النواجد وهي أقصى الأصراس ، ويقولون : غص عليه بالنواجد : أي تمسك به كما يتمسك العاص بجميع أضراسه . (٥) الهامة : الرأس .

(٦) وفي ابن أبي الحديد « والأحد فالأحد » . (٧) الفب : عاقبة الشيء كالغلبة ، وأفاء رد .

(٨) دوى كفرح : مرض ، والدوى كالفتى : داء باطن في الصدر ، ويصح أن يكون « ويدوى » بالتشديد ، من دوى الطائر : إذا دار في طيرانه .

ويتخاوص^(۱) دونه طرأك ، ويستشري^(۲) به ضفكك ، ويترادف معه نفسك ،
وتكثر عنده صدائك^(۳) ، ولا يفيض^(۴) به لسانك؟ أعجمة بعد إفصاح؟ أتليس^(۵)
بعد إفصاح؟ أدين غير دين الله؟ أخاق غير خاق القرآن؟ أهدى غير هدى النبي
صلى الله عليه وسلم؟ أمثلي تمشي له الصراء ، وتدب له الخمر^(۶) أم مثلك ينتقبض عليه
الفضاء ، ويكسف^(۷) في عينه القمر؟ ما هذه القمعة بالشنان؟ وما هذه الوعوة^(۸)
باللسان؟ إنك والله جدي^(۹) عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ،
وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحببتنا ، هجرة إلى الله عز وجل ، ونصرة
لدينه ، في زمان أنت فيه في كين الصبا ، وخدر الفرارة ، وعنقوان الشببية^(۱۰) ،
غافل عما يشيب ويريب ، لا تعي ما يراد ويشاد ، ولا تحصل ما يساق ويقاد ، سوى
ما أنت جار^(۱۱) عليه إلى غابتك التي إليها عدل بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول
القدر ، ولا مجحود الفضل ، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالا تزيل الروابي ، ونقاسي

- (۱) تخاوص : إذا غض من بصره شيئاً وهو في ذلك يحدق النظر ، وكذا إذا نظر إلى عين الشمس .
(۲) استشري الأمر : عظم وتفاقم ، ووصح الأعشى ونهاية الأرب « وبسرى فيه طعنك » والسرى :
سيرامة الليل ، وطعن كمنع طعنا ونحرك : سار .
(۳) أي يتتابع ، وفي صبح الأعشى وابن أبي الحديد « ويتراد » أي يتراجع ، والصعداء : نفس
طويل . (۴) التليس : التخليط . (۵) الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال : تواري
الصيد منه في ضراء ، وفلان يتشى الضراء إذا مشى مستخفياً فيما يورى من الشجر . والخمر : كل ماواراك
من شجر أو بناء أو غيره ، وخمر كفرح تواري ، ومن أمثالهم : « يدب له الضراء ويتشى له الخمر »
وهو مثل يضرب الرجل يحتل صاحبه . (۶) جاء في اللسان والمصباح : « قال ثعلب : أجود
الكلام خف القمر وكسفت الشمس » . (۷) القمعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل
السلح وغيره ، والشنان : جمع شن بالفتح وهو القربة البالية ، وهم يحركونها إذ أرادواحت الإبل على السير
لتفرغ فتسرع ، ومن أمثالهم « ما يققع له بالشنان » مثل يضرب من لا يروعه مالا حقيقة له . الوعوة
والوعواع : صوت الذئب والكلاب . (۸) قالوا : هذا العالم جدالعالم ، وهذا عالم جد عالم : يريد بذلك
التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الحلال . (۹) الفرير والفر بالكسر : الشاب لا تجربة له ،
وقد غر يفر بالكسر غرارة بالفتح ، عنقوان الشباب : أوله ، أو أول بهجته .
(۱۰) رايه الأمر وأرابه : رأى منه ما يكرهه ، والإشادة : رفع الصوت بالشيء ، وتعريف الضالة ،
وفي ابن أبي الحديد : « سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك ، وسجايا الفتيان أشكالك ،
حتى بلغت إلى غابتك هذه التي إليها أجريت ، وعندها حط رحلك » .

أهوالاً تُشيب النَّوَاصِي ، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، تتجرّع صابها ، ونُشْرِج عِيَابَهَا ، وَنُحْكِمُ آسَاسَهَا^(١) ، وَنُبْرِمُ أَمْرَاسَهَا^(٢) ، وَالْعِيُونَ مُتَحَدِّجٌ^(٣) بِالْحَسَدِ ، وَالْأَنُوفُ تَعْطِسُ بِالْكِبْرِ ، وَالصُّدُورُ تَسْتَعِيرُ بِالغَيْظِ ، وَالْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ ، وَالْأَلْسِنَةُ^(٤) تُشَحِّدُ بِالْمَكْرِ ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ ، لَأَنْتَظِرُ عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا ، وَلَا عِنْدَ الصُّبْحِ مَسَاءً ، وَلَا نَدْفَعُ فِي تَحْرُأْمِرٍ^(٥) إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ ، وَلَا نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَّا بَعْدَ جَرِّعِ الْعَذَابِ مَعَهُ ، وَلَا نُتِمِّمُ مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ^(٦) مِنْ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ ، فَادْرِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَالْخَالِ وَالْعَمِّ ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ^(٧) . وَالسَّيِّدِ وَاللَّبِيدِ^(٨) ، وَالْهَلَّةِ وَالْبَلَّةِ^(٩) ، بِطَيْبِ أَنْفُسٍ . وَقُرَّةِ أَعْيُنٍ ، وَرُحْبِ أَعْطَانِ^(١٠) وَثِبَاتِ عِزَائِمٍ ، وَصِحَّةِ عَمُودِ^(١١) وَطَلَّاقَةِ أَوْجِهِ . وَذَلَّاقَةِ أَلْسُنٍ .

هذا مع خبيثات أسرار ، ومكنونات أخبار ، كنت عنها غافلا ، ولولا سنك

- (١) الرواسي أي الجبال الرواسي أي الثابتة، والنواصي جمع ناصية: وهي منبت الشعر في مقدم الرأس، والصاب: عصارة شجر مر ، وأشرح العيبة وشرحها وشرحها: أدخل بعض عراها في بصر ، والعيبة بالفتح: وعاء من آدم، وما يجعل فيه الثياب، والآساس جمع أس مثلنا: وهو أصل البناء وأصل كل شيء .
- (٢) المرسة بالتحريك: الحبل والجمع مرس بالتحريك أيضا وجمع الجمع أمراس وقد يكون المرس للواحد .
- (٣) التحديق: التحديق . (٤) في صبح الأعشى ونهاية الأرب « والشفار » بالكسر جمع شفرة بالفتح وهي السكين العظيمة وشد السيف ، والمراد بها الألسنة أيضا . وتيد: تضرب .
- (٥) في صبح الأعشى « اري » . (٦) أي اليأس .
- (٧) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت . (٨) جاء في اللسان « السيد: الوبر ، وقيل: الشعر ، واللبيد من الصوف اتلبده ، والعرب تقول: ماله سيد ولا ليد ، أي ماله ذو وبر ولا صوف متلبد ، يكتن به عن الإبل والغنم ، وقيل يكتن به عن المعز والغنم ، وقيل: يكتن به عن الأبل والمعز ، فالوبر للأبل والشعر للمعز ، وقال الأصمعي: ماله سيد ولا ليد، أي ماله قليل ولا كثير، وكان مال العرب الحيل والإبل والغنم فدخلت كلها في هذا المثل » . (٩) يقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بله ، وما أصاب عنده هلة ولا بله: أي شيئا والهلة من الاستهلال والفرح ، والبله: أدنى بل من الخير ، وحكماهما كراع جيما بالفتح . (١٠) الرحب: الاتساع ، والأعطان جمع عطن بالتحريك . ويقال: رجل رحب العطن ، وواسم العطن أي رحب الذراع كثير المال واسع الرجل ، وفي ابن أبي الحديد « ورحب أعطاف » والأعطاف جمع عطف بالكسر وهو الجانب .
- (١١) وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « وصحة عقول » وذلاقة اللسان: حدته .

مُ تَسْكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَا كَيْلًا^(۱) ، كَيْفَ وَقُوَادُكَ مَشْهُومٌ ، وَعُودُكَ مَعْجُومٌ^(۲) ،
وَعَيْبُكَ بَخْبُورٌ ، وَالْخَيْرُ مِنْكَ كَثِيرٌ ، وَالْآنَ قَدْ بَعَّ اللَّهُ بِكَ ، وَأَرْهَصَ^(۳) الْخَيْرَ لَكَ ،
وَجَعَلَ مُرَادَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَعَنْ عِلْمٍ أَقُولُ^(۴) مَا تَسْمَعُ . فَأَرْتَقِبُ زَمَانَكَ ، وَقَلِّصْ
أُردَانَكَ ، وَدَعِ التَّقَمُّسَ وَالتَّجَشُّسَ لِمَنْ لَا يَبْطَلِعُ لَكَ إِذَا خَطَا ، وَلَا يَبْزَحْزَحْ عَنْكَ إِذَا
عَطَا^(۵) ، فَالْأَمْرُ غَضٌّ ، وَالنَّفُوسُ فِيهَا مَضٌّ ، وَإِنَّكَ أُدْرِمُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَلَا تَحْمِلُ تَلْجَاجًا ،
وَسَيِّئُهَا الْعَضْبُ فَلَا تَنْبُ اعْوَجَاجًا ، وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ فَلَا تَحْمِلُ أُجَاجًا^(۶) ، وَاللَّهُ لَمَّا سَأَلَتْ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ لِي « يَا أَبَا بَكْرٍ : هُوَ لِمَنْ يَرْغَبُ عَنْهُ
لَا لِمَنْ يُجَاحِشُ عَلَيْهِ ، وَلِمَنْ يَتَضَاهَلُ عَنْهُ لَا لِمَنْ يَنْتَفِجُ إِلَيْهِ^(۷) » ، هُوَ لِمَنْ يَقَالُ لَهُ هُوَ لَكَ
لَا لِمَنْ يَقُولُ هُوَ لِي .

وَلَمَّا شَاوَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّهْرِ ، فَذَكَرَ فِتْيَانًا مِنْ قُرَيْشٍ
فَقَالَتْ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ لِفَاطِمَةَ مِئِيعَةً^(۸)
شَبَابَهُ ، وَحَدَاثَةَ سِنِّهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى كَنَفْتَهُ يَدُكَ ، وَرَعَيْتَهُ عَيْنُكَ ، حَمَّتْ بِهِمَا^(۹) ،
الْبَرَكَةُ ، وَأُسْبِغَتْ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةُ ، مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ خَاطِبْتَهُ بِهِ رَغْبَتَهُ فَبِكَ ، وَمَا كُنْتُ

(۱) نَكَلَ عَنْهُ كَضْرَبَ وَنَصَرَ وَعَلِمَ نَكُولًا : نَكَسَ وَجَسَ .

(۲) الْمَشْهُومُ وَالْمَشْهُومُ : الذِّكْرُ الْفَوَادُ التَّوَقُّدُ ، وَعَجْمُ عَوْدِهِ كَنَصْرٍ : عَضَهُ لِيَعْلَمَ صَلَاتَهُ مِنْ حَوْرِهِ .

(۳) فِي كِتَابِ اللَّفَّةِ : أَرْهَصَ اللَّهُ فَلَانَا لِالْخَيْرِ أَيْ جَعَلَهُ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَمَأْنً . وَفِي صَبْحِ الْأَعْمَى وَنَهَايَةِ

الْأَرْبِ « وَأَنْهَسَ » . (۴) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ ، وَاقْبَلْ مَا يَبُودُ قَوْلَهُ عَلَيْكَ ،

وَدَعِ التَّجَسُّسَ وَالتَّقَمُّسَ . . . الخ » . (۵) التَّقْلِيمُ . التَّشْمِيرُ ، وَالْأُردَانُ : جَمْعُ رَدَنٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ

أَصْلُ الْكَيْمِ ، وَالتَّقَمُّسُ وَالتَّقَاعْسُ : التَّأْخِرُ ، وَظَلَمَ الْبَعِيرَ كَمَنْعَ : غَمَزَ فِي مَنِيهِ . وَعَطَا الطَّبِي : اعْتَاوَلَ إِلَى

الشَّجَرِ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ . (۶) الْفَضُّ : الطَّرِيُّ ، وَمَضَهُ الشَّيْءُ مَضًا : بَلَغَ مِنْ قَلْبِهِ الْحَزْنَ بِهِ كَأَمْسِهِ ،

وَالْأُدِيمُ : الْجِلْدُ ، وَحَلَمَ الْجِلْدَ كَفَرَحَ : وَقَعَ فِيهِ الْحَلْمُ بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ دَرْدٌ يَقَعُ فِي الْجِلْدِ فَيَأْكُلُهُ فَإِذَا دَبِحَ وَهُوَ

مَوْصِعُ الْأَكْلِ ، وَسَيْفُ عَضْبٍ : قَاطِعٌ ، وَنَبَا السَّيْفِ عَنِ الضَّرْبِيَّةِ : كَلٌّ ، فَلَا تَحْمِلُ : أَيْ فَلَا تَتَحَوَّلُ وَلَا تَنْصَرُ ،

وَمَا أُجَاجٌ : أَيْ مَلْحٌ مَرٌّ . (۷) يُجَاحِشُ : يَدَافِعُ ، وَنَفَجَ وَانْتَفَجَ وَتَنْفَجَ : ارْتَمَعَ ، وَمِنْهُ انْتَفَجَ حَسَا

الْبَعِيرُ : أَيْ ارْتَفَعَا ، وَانْتَفَجَتِ الْأَرْبُ : أَيْ وَثَبَتْ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « لَا لِمَنْ يَسْمَعُ إِلَيْهِ » .

(۸) مِيعَةُ الْكِبَابِ : أَوْلَاهُ . (۹) أَيْ بَعَلِي وَفَاطِمَةَ ، وَأَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ . أَنْبَا .

عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء^(۱)، قلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد راحة سواك، وكنت لك إذ ذاك خيراً منك الآن لي، ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فلم يكن معرضاً عن غيرك، وإن كان قال نيك فما سكت عن سواك .

وإن تلجلج^(۲) في نفسك شيء فلهلم فالحكم مرضي^(۳)، والصواب مسموع^(۴)، والحق مطاع، واتقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وهو عن هذه العصابة راضٍ وعليها حدب^(۵) يسره ماسرها، ويسوءه ما ساءها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها. أما تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه^(۶) إلا أبانه بفضيلة، وخصه بجزية، وأفرده بحالة لو أصفقت الأمة عليه لأجلها، لكان عنده إيالتها وكفالتها، أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سدى بدداً^(۷) عباهل مباحل، طلاحى^(۸) مفتونة بالباطل، معنونة عن الحق، لا رائد ولا ذائد، ولا ضابط

- (۱) الحوطاء: الحاجة وكذا اللوجاء، ويقال: مالى فيه حوجاء ولا لوجاء، ولا حوينجاء ولا لوينجاء أى مالى فيه حاجة . (۲) تلجلج: تردد، وفي ابن أبي الحديد « اختلج » . (۳) حدب عليه كفرح: تعطف، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « حذر » . (۴) سجراء جمع سجير. وهو الخليل الصفي، وأصفقوا على كذا: أطبقوا . وآل على القوم لبالا ولبالاة: وفى . (۵) سدى بالضم والفتح والضم أكثر: أى مهمة للواحد والجمع، وبددا: أى متفرقة . يقال: جاءت الخيل بددا بددا على الصدر، وتفرقوا بداد، وفي الدعاء: « اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا » يروى بكسر الباء جمع بدة بالكسر وهى الحصاة والنصيب: أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح: أى متفرقين من التبيد، أى بدد شملهم . (۶) عباهل الإبل: أهملها، وإبل عباهل ومعبهلة: أى مهمة لاراعى لها ولا حافظ، قال الرازي: عباهل عبهلهل الورد . وأبهل الإبل: أهملها أيضاً كعبهلهل . والعب من مبدلة من الهمزة وهى مهلة ومبادل للجمع (وقد ضبط مباحل في لسان العرب والقاموس بضم الميم وكسر الهاء، وكتب مصحح اللسان عن هاشم: « كذا وقع في الأصل ميم مباحل مضموماً وكذا في القاموس، وليس فيه لفظ الجهم فانظر وحرر اه » والظاهر أنه بفتح أوله كما في عباهل) وطلح البعير كمنع طلاحة بالفتح: أى كل وأعبا، فهو طلح بالفتح والكسر وطلح وطلح، وإبل أطلاح وطلاح بالكسر وطلح كركم وطلاح، وجاء أيضاً لإبل طلاحى بفتح الصاد والهاء: أى تشكى بطونها من أكل الطلح (والطلح كشمس: شجر عظام) قال في اللسان « وأنكر أبو سعيد لإبل طلاحى إذا أكلت الطلح، قال: والطلحى هى الكاة المعية، قال: ولا يرضى الطلح الإبل، لأن رعى الطلح ناجم منها، وفي ابن أبي الحديد « طلاحا » .

وَلَا حَاطِطَ وَلَا رَابِطَ ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ (۱) ؟ كَلَّا !
 وَاللَّهِ مَا اشْتَقُّ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى ، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ
 الْمَدَى ، وَأَوْضَحَ الْهُدَى ، وَأَبَانَ الصُّوَى ، وَأَمَّنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ ، وَمَهَّلَ الْمُبَارِكَ
 وَالْمَهَابِعَ (۲) ، وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَخَ يَأْفُوخَ الشَّرِكِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَّمَ وَجْهَ النِّفَاقِ لَوَجْهِ
 اللَّهِ سُبْحَانَهُ . وَجَدَعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَفَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بِعَوْنِ اللَّهِ ، وَصَدَعَ (۳)
 بِمِلِّهِ فِيهِ وَيَدُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَعْدُ ، فَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكَ وَمَعَكَ فِي بُرْجَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَدَارٍ جَامِعَةٍ ،
 إِنْ اسْتَقَالُونِي (۴) لَكَ ، وَأَشَارُوا عِنْدِي بِكَ ، فَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي فِي يَدِكَ ، وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ
 فِيكَ ، وَإِنْ تَكُنَ الْآخَرَى فَادْخُلْ فِي صَاحِحِ مَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَكُنِ الْعَوْنُ عَلَى
 مَصَالِحِهِمْ ، وَالْفَاتِحُ لِمَغَالِبِهِمْ (۵) ، وَالرُّشِدُ لِمَصَالِحِهِمْ ، وَالرَّادِعُ لِعَوَايِبِهِمْ ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِالْتَعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالتَّنَاصُرِ عَلَى الْحَقِّ ، وَدَعَانَا نَتَقَضَى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِصُدُورِ
 بَرِيئَةٍ مِنَ الْفِئَلِ ، وَنَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِقَلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ الضُّغْنِ .

وَبَعْدُ ، فَالْنَّاسُ ثَمَامَةٌ (۶) فَارْفُقْ بِهِمْ ، وَأَحْنُ عَلَيْهِمْ ، وَلِيْنُ لَهُمْ ، وَلَا تَسْوَلْ لَكَ

(۱) عَنَتِ الْفَرَسَ وَأَعْنَتَهُ : حَبَسَتْهُ بِالْعَنَانِ ، وَفِي صَبْحِ الْأَعْمَى « مَفْبُونَةٌ » وَهُوَ تَصْجِيفٌ ، وَفِي
 ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « مَلُوبَةٌ » وَالذَّائِدُ : الدَّائِعُ ، وَفِي صَبْحِ الْأَعْمَى « زَائِدٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَحَاطِطٌ : أَيْ حَافِظٌ
 وَصَائِرٌ مِنْ حَاطَهُ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « خَابِطٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْحَادِي : سَائِقُ الْإِبِلِ .

(۲) الْمَدَى : الْمَايَةُ ، وَالْمَعْنَى : بَيْنَ الْغَايَةِ . وَالصُّوَى جَمْعُ صَوْتٍ كَقَوَى : وَهِيَ حَجَرٌ يَكُونُ عَلَامَةً فِي
 الطَّرِيقِ . وَالْمَطَارِحُ : الْأَمَاكِنُ الْبَعِيدَةُ ، طَرَحَهُ : أَبْعَدَهُ ، وَالطَّرُوحُ كَصُبُورٍ : الْمَكَانُ الْبَعِيدُ ، وَطَرَحَتْ بِهِ
 النَّوَى كُلُّ مَضْرُوحٍ : أَيْ نَأَتْ بِهِ . وَالْمَهَابِعُ : جَمْعُ مِهْبَعٍ كَقَعْدٍ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْبَيْنُ .

(۳) شَدَخَ : كَسَرَ ، وَالْيَأْفُوخُ : مَلْتَقَى عَظْمُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ . وَشَرَّمَ كَضَرْبٍ : شَقَّهُ ، وَجَدَعَ
 أَنْفَهُ : قَطَعَهُ . وَتَفَلَّ كَضَرْبٍ : بَصَقَ . وَصَدَعَ كَنَعٍ : جَهَرَ ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » أَيْ شَىءَ حَمَائِلِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ أَوْ أَجْمَرَ بِالتَّوْحِيدِ أَوْ أَطَهَرَ أَوْ أَحْكَمَ بِالْحَقِّ وَافْصَلَ
 بِالأَمْرِ أَوْ أَقْصَدَ بِمَا تُؤْمَرُ أَوْ أَفْرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالبَاطِلِ . (۴) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « إِنْ اسْتَقَادُوا
 لَكَ » وَاسْتَقَادَ لَهُ : أَعْطَاهُ مَقَادَتَهُ لَهُ وَانْقَادَ لَهُ . (۵) الْمَغَالِقُ جَمْعُ مَغْلَقٍ كَثِيرٌ : وَهُوَ مَا يَنْفُذُ بِهِ الْبَابُ كَالْمَغْلَاقِ .

(۶) الثَّمَامَةُ : وَاحِدَةُ الثَّمَامِ ، وَهُوَ نَبْتٌ صَعِيفٌ قَصِيرٌ لَا يَطُولُ ، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ « اغْزُوا وَالغَزْوُ
 حَلْوٌ خَضِرٌ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ ثَمَامًا ثُمَّ رَمَامًا ، ثُمَّ حَطَامًا » .

نَفْسِكَ فُرْقَتَهُمْ ، واختلاف كلمتهم ، ولا تُشَقِّ نَفْسَكَ بِنَا خَاصَّةً مِنْهُمْ ، واترك نَاجِمَ الحِتْدِ حَصِيداً^(۱) ، وطائر الشر واقعاً ، وباب الفتنة مُغْلَقًا ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا تعنيف ، ولا عتاب ولا تثریب^(۲) ، والله على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

* * *

قال أبو عبيدة : فلما تَأَهَّبْتَ للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه : كن لَدَى الباب هَنِيئَةً^(۳) فلي معك دَوْرٌ من القول ، فوَقِفْتُ وما أدري ما كان بعدى ، إلا أنه لِحَقْنِي بوجه يُبْدِي^(۴) تَهْلُلاً وقال لى : قل لعلى :

« الرُّقَادِ مَحْمَلَةٌ ، والهوى مَقْحَمَةٌ^(۵) ، « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ، وحق مُشَاعٌ أو مَمْسُومٌ ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ، وإن أُكَيْسَ الكَيْسَى^(۶) مَنْ مَنَحَ الشَّارِدَ تَأَلَّفًا ، وقارب البعيد تَلَطُّفًا ، ووَزَنَ كل شيء بميزانه ، ولم يَخْلِطْ خبره بعيانه ، ولم يجعل فِترَه مكان شِبره ، دينا كان أو دنيا ، ضلالا كان أو هدى ، ولا خيرا فى عِلْمٍ مستعمل فى جهل ، ولا خيرا فى مَعْرِفَةٍ مَشُوبَةٍ بِنُكْرٍ ، ولسنا كجِلْدَةٍ رُفِعَ البعير بين العِجَانِ وَالذَّنَبِ ، وكل صالٍ فِينَارِهِ يَصَلَّى^(۷) ، وكل سبيلٍ فإلى قَرَارِهِ يَجْرَى ، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لِعِي^(۸) وَشِي^(۸) ، ولا كلامها اليوم لفرق

(۱) نجم الديات : طلوع وظهور . حصيداً : محصوداً .

(۲) فى صبح الأعشى « ولا تبيع » وهو تصحيب وصوابه « تبيع » وتبيع عليه الأمر : اخلط . والدم : هاج وغلب . والتثریب : اللوم . (۳) هن كَأَخٍ معناه شيء ، وهو كناية عن كل اسم جاس ، والأنتى

هنة بهتج النون . وقالوا هنت بالياء ساكنة النون فجعلوه بمنزلة بنت وأخت ، ولأما محذوفة ، فى لفة هى هاء فيصغر على هنية ، ومنه يقال : مكث هنية أى تليلا من الرمان ، وفى لفة هى واو فيصغر على هنية ، وقيل هنية هو الفئاس ، وهنية على إبدال الهاء من الياء فى هنية .

(۴) فى صبح الأعشى « يندى » كيفرح ، (۵) قعم فى الأمر كنصر : رعى بنفسه فيه فجأه بلا روية . (۶) الكيس كشمس : خلاف الحق ، وهو كيس كجيد والجمع كيسى كرمى .

(۷) الرفع بالضم والفتح : أصل الفخذ من باطن ، وكل موضع يجتمع فيه الوسخ من الجسد ، كالإبط وغيره . العجان : الاست . ووجه الشبه الحسة وضعة المنزلة . صلى النار كيفرح وصلّى بها : قاسى حرها .

(۸) العى : الحصر . الشى : إتباع له . قالوا جاء بالى والشى وفلان عى شى وشوى ، وما أعياه وأشياه وأشواه : وفى ابن أن الحديد « لعى وحصر » ، ولا كلامها اليوم لفرق وحذر . الفرق : الخوف .

أورِفق ، وقد جَدَعَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفَ كُلِّ ذِي كِبَرٍ ، وَقَصَمَ ظَهْرَ كُلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ لِسَانَ كُلِّ كَذُوبٍ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، مَا هَذِهِ الْخُنْزُورَانَةُ الَّتِي فِي فِرَاشِ رَأْسِكَ ؟ مَا هَذَا الشَّجَا الْمَعْتَرِضُ فِي مَدَارِجِ أَنْفَاسِكَ ؟ مَا هَذِهِ الْقَدَاةُ^(۱) الَّتِي أَعَشَتْ نَاطِرَكَ ؟ وَمَا هَذِهِ الْوَحْرَةُ^(۲) الَّتِي أَكَلَتْ شِرَاسِيْفَكَ^(۳) ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي لَبِثْتَ بِسَبَبِهِ جِلْدَ النَّمْرِ^(۴) وَاشْتَمَلْتَ عَلَيْهِ بِالسَّحْنَاءِ وَالنُّكْرِ ؟

لَشَدَّ مَا اسْتَسَعَيْتَ^(۵) لَهَا ، وَسَرَبْتَ سُرَى أَنْقَدَ^(۶) إِلَيْهَا ، إِنْ الْعَوَانَ لَا تَعْلَمُ الْخِمْرَةَ^(۷) مَا أَحْوَجَ الْفِرْعَاءَ إِلَى فَالِيَةٍ^(۸) وَمَا أَفْقَرَ الصَّلْعَاءَ إِلَى حَالِيَةٍ ، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَمْرُ مُقَيَّدٌ مُحْبَسٌ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مَلَمَسٌ ، لَمْ يَسِيرْ فِيكَ قَوْلًا ، وَلَمْ يَسْتَنْزِلْ لَكَ قِرْآنًا ، وَلَمْ يَجْزِمِ فِي شَأْنِكَ حَكْمًا ، لَسْنَا فِي كِسْرَوِيَّةٍ كِشْرَى ، وَلَا فِي قَيْضَرِيَّةٍ قَيْصَرَ ، تَأْمَلُ لِإِخْوَانِ فَارِسَ وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ، قَدْ جَعَلَهُمُ اللهُ جِزْرًا^(۹) لِسَيْوفِنَا ، وَدَرِيثَةً لِرِمَاحِنَا ، وَمَرَمَى لِبَطْمَانِنَا ، وَتَبَعًا لِسُلْطَانِنَا ، بَلْ نَحْنُ فِي نُورِ نُبُوَّةٍ ،

(۱) الخنزوانة : الكبر . فراش الرأس : عظام رفاق تلي القحف . الشجا ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . القذى : ما يقع في العين والشراب . (۲) الوحرة : وزعة تكون في الصغارى أصفر من العظاءة (بكسر العين) وهي على شكل سام أبرص . وقيل : الوحرة : ضرب من العظاءة وهي صغيرة حمراء تعدو في الجباين لها ذنب دقيق تنصم به إذا عدت وهي أخبث العظاءة ، لانطأ طعاما ولا شرابا إلا شتمه ، ولا يأكله أحد إلا أخذه في . وربما هلك آكله . والوحر بالتحريك أيضا : غش الصدر وبلابله ، ويقال : إن أصل هذا من تلك الدويبة شهبوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتراق الوحرة بالأرس .

(۳) شراسيف جمع شرسوف : كمصفور وهو غضروف معلق بكل ضلع ، أو مقطع الضلع وهو الطرف المصرف على البطن . (۴) من أمثالهم « لبست له جلد النمر » أي تنكرت له . مثل يضرب في إظهار العداوة الشديدة وكشفها . وقالوا أيضا : نمر له أي تنكر وتغير ، وأصله من النمر لأنه من أنكر السباع وأخبثها ، ولا تلقاه أبدا إلا متنكرا غضبان . قالوا وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله . (۵) يريد به « سعيت » أو هو على بابها أي لشد ما طابت إلى نصرائك أن يسعوا حتى تنال الخلافة ، وفي كتب اللغة استسعى العبد : كافه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا اعتنى بعضه ليعتق به ما بقي . (۶) أنقد : اسم للنفذ معرفة لا يصرف ، كقولهم : أسامة للأسد وذؤالة للذئب . ومن أمثالهم « أسرى من أنقد » و « بات بليلة أنقد » إذا بات صاهرا ، وذلك أن القنفذ يسرى إليه أجمع ، لا ينام الليل كله . (۷) العوان من النساء : التي كان لها زوج . والخمرة : اسم هيئة من الاختيار ، وهو لبس الخمار بالكسر (مانسبه بالطارحة) أي أنها لا تحتاج إلى تعام الاختيار ، وهو مثل يضرب للرجل المحرب . (۸) الفرعاء : التامة الشعر . فالية : اسم فاعل من فلى رأسه من القمل يقلبه كفلاه . (۹) تركهم جزرا للسباع والطير أي قطعاً . والدريثة : الحلقة يتعلم عليها الطمن والرمي .

وضياء رسالة ، وثمره حكمة ، وأثره رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عاصمة ، بين أمة متهديّة بالحق والصدق ، مأمونة على الرّيق والفتق ، لها من الله تعالى قلبٌ أبى ، وساعد قوياً ويد ناصرة ، وعين باصرة .

أَتَظُنُّ ظَنًّا يَا عَلِيُّ أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَتَبَّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا لَهَا ، وَمَسْلُطًا عَلَيْهَا ؟ أَتُرَاهُ أَمْتَاخَ أَحْلَامِهَا ، وَأَزَاغَ أَبْصَارِهَا ، وَحَلَّ عَمُودَهَا ، وَأَحَالَ عُقُولَهَا ، وَاسْتَلَّ مِنْ صُدُورِهَا حَمِيَّتَهَا^(۱) ، وَنَكَثَ رِشَاءَهَا^(۲) ، وَصَبَّ مَاءَهَا ، وَأَضَلَّهَا عَنْ هِدَايَاهَا ، وَسَاقَهَا إِلَى رَدَايَاهَا ، وَجَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ، وَوَزَنَهَا كَيْلًا ، وَبَقَّظَتَهَا رُقَادًا ، وَصَلَّاحَهَا فُسَادًا ؟ إِنْ كَانَ هَكَذَا فَإِنَّ سِحْرَهُ كَلْبِينٌ ، وَإِنْ كَيْدُهُ لَمَتِينٌ ، كَلَّا وَاللَّهِ بِأَيِّ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، وَبِأَيِّ سِنَانٍ وَنَصْلِ ، وَبِأَيِّ مُنَّةٍ وَقُوَّةٍ ، وَبِأَيِّ مَالٍ وَعُدَّةٍ ، وَبِأَيِّ أَيْدٍ وَشِدَّةٍ ، وَبِأَيِّ عَشِيرَةٍ وَأُسْرَةٍ ، وَبِأَيِّ قُدْرَةٍ وَمَكِينَةٍ ، وَبِأَيِّ تَدْرُجٍ وَبَسْطَةٍ^(۳) ؟ لَمَّا أَصْبَحَ بِمَا وَسَمِيَّتَهُ مَنِيْعَ الرَّقِيْبَةِ ، رَفِيْعَ الْعَتَبَةِ ، لَا وَاللَّهِ لَكُنْ سَلَا عَنْهَا فَوَلِهَتْ^(۴) لَهُ ، وَتَطَامَنَ لَهَا فَلَصِيَّتْ بِهِ ، وَمَالَ عَنْهَا فَهَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْمَازَ دُونَهَا فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ، حَبْوَةً حَبَاهُ^(۵) اللَّهُ بِهَا ، وَعَاقِبَةً بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةَ سَرَّ بِهِ اللَّهُ جَمَالَهَا ، وَيَدٌ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُكْرَهَا ، وَأُمَّةً نَظَرَ اللَّهُ بِهَا إِلَيْهَا ، وَطَالَمَا حَلَقَتْ فَوْقَهُ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، وَلَا يَرْتَصِدُ وَقْتَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِخَلْفِهِ ، وَأَرَأْفُ بِعِبَادِهِ ، يَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ^(۶) ، وَإِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ ، وَكَهْفِ الْحِكْمَةِ ، وَلَا يُجْحَدُ حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ رَبُّكَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَنْحَكَ مِنَ الْفِقْهِ وَالْدِينِ ، هَذَا إِلَى مَزَايَا خُصِيصَتْ بِهَا ، وَفَضَائِلَ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ لَكَ مَنْ يَزَاحِمُكَ بِمَنْكِبِ

(۱) امتلغها : انتزعها . الأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . الحمية : الأفة .

(۲) نكث الجبل : نقضه . والرشاء : الجبل .

(۳) رجل : جمع راجل وهو ضد الفارس . والمنة : القوة . والأيد : القوة أيضاً ، وكذا المكنة .

البسطة : السعة . (۴) الوله بالتحريك : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، وفعله كفرح

(۵) حباه : أعطاه . والحبوة مثلثة ، والهباء ككتاب : العطاء .

(۶) الخيرة : اسم من الاختيار .

أَضْحَمَ مِنْ مَنْكِبِكَ ، وَقُرْبَى أَمْسٍ مِنْ قُرْبَاكَ ، وَسِنَّ أَعْلَى مِنْ سِنَّكَ ، وَشَيْبَةً
أَوْرَعَ مِنْ شَيْبَتِكَ ، وَسِيَادَةً لَهَا أَصْلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَرَعٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفٌ لَيْسَ لَكَ
فِيهَا جَمَلٌ وَلَا نَاقَةٌ^(۱) ، وَلَا تُذْكَرُ مِنْهَا فِي مُقَدِّمَةٍ وَلَا سَاقَةٍ^(۲) وَلَا تَضْرِبُ فِيهَا بِذِرَاعٍ
وَلَا إِصْبَعٍ ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْهَا بِبَازِلٍ وَلَا هُبُوعٍ^(۳) ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِلَاقَةَ نَفْسِهِ ، وَعَيْبَةَ سِرِّهِ ، وَمَفْرَعَ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، وَرَاحَةَ كَفِّهِ ،
وَمَرْمَقٍ^(۴) طَرَفِهِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مُشْهُرَتِهِ
مُغْنِيَةً عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ .

ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابةً ، ولكنه أقرب منك
قُرْبَةً^(۵) ، والقرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح ، وهذا يفرق عرفه المؤمنون
ولذلك صاروا إليه أجمعون ، ومهما شككت في ذلك ، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة ،
ورضوانه لأهل الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم ، وأنفع لك غداً ، وَالْفِظُّ مِنْ
فِيكَ مَا يَتَلَقَّ بِلَهَاتِكَ ، وَانْفِثْ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ تَقَانِكَ ، فَإِنْ يَكُ فِي الْأَمَدِ طَوْلٌ ،
وَفِي الْأَجْلِ فُسْحَةٌ ، فَسَأْ كُلَّهُ مَرِيئًا أَوْ غَيْرَ مَرِيٍّ^(۶) ، وَسَتَشْرِبُهُ هَنِئًا أَوْ غَيْرَ هَنِئٍ ،
حِينَ لَا رَادَ لِقَوْلِكَ إِلَّا مِنْ كَانَ آيِسًا مِنْكَ ، وَلَا تَاعَ لَكَ إِلَّا مِنْ كَانَ طَامِعًا فِيكَ ،
يُمِضُ إِهَابَكَ وَيَعْرُكُ أَدِيمَكَ ، وَيَزُرِي عَلَى هَدْيِكَ ، هُنَالِكَ تَقْرَعُ السَّنَّ^(۷) مِنْ نَدَمٍ ،

(۱) من أمثال العرب « لا ناقتي في هذا ولا جمل » قاله الحارث بن عباد البكري حين قتل جاس
ابن مرة كليبا وهاجت الحرب بين بكر وتغلب ، وكان الحارث اعترلها .

(۲) ساقه الجبش : مؤخره . (۳) جمل وناقته بازل وبزول كصبور : وذلك في تاسع سنه ،
وليس بدمه سن تسمى . والهبع : الفصيل في آخر التاج .

(۴) علاقة السيف بالكسر : حالته . والعلاقة بالفتح ويكسر : الحب الالزام للقلب . رمقه كتنصره :
نظر إليه ، وفي ابن أبي الحديد « وعلاقة هم ، وعيبة سره ، ومنوى حزنه ، وراحة باله ، ومرمق طرفه » .

(۵) القربة : الوسيلة (۶) اللهاة : اللحمة المصروفة على الحلق . السخيمة : الحقد ، والنقاة :
التفوى . وأصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تودة ونخمة ، والياء ألفا . ومرأ الطعام مثلثة
الراء مرادة فهو مريء هنيء حميد المنبة . (۷) مضه يمضه بضم الميم وفتحها ، وأمضه : آله وأحرقه .
الإهاب : الجلد . وكنا الأديم . وزررى عليه وأزرى : عابه . وقرع سنه : حرقه ندما .

وَتَجَزَعُ الْمَاءَ تَمْزُوجًا بِدَمٍ ، وَحِينَئِذٍ تَأْسَى ^(۱) عَلَى مَا مَعَى مِنْ عَمْرٍكَ ، وَدَارِجٍ قُوَّتِكَ ^(۲) فَتُودُ أَنْ لَوْ سَقَيْتَ بِالسَّكَّاسِ الَّتِي أَبَيْتُمْهَا ، وَرُدِدْتَ إِلَى حَالَتِكَ الَّتِي اسْتَفْوَيْتَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى فِينَا وَفِيكَ أَمْرٌ هُوَ بِالْغَيْهِ ، وَغَيْبٌ هُوَ شَاهِدُهُ ، وَعَاقِبَةٌ هُوَ الْمَرْجُوُّ لِسَرَائِبِهَا وَضَرَائِبِهَا ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْغَفُورُ الْوَدُودُ » .

* * *

قال أبو عبيدة : فمَشَيْتُ مَتَزَمِّلًا أَنْوَى كَأَنَّمَا أَخْطُو عَلَى أُمَّ رَأْسِي ، فَرَقَا ^(۳) مِنَ الْفَرَقَةِ ، وَشَفَقْنَا عَلَى الْأُمَّةِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَلَاءٍ ، فَأَبْثَثَهُ ^(۴) بَنِي كَلْبٍ ، وَبَرَّتْ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَرَفَقَتْ بِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا وَوَعَاها ، وَصَرَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ حَيَّاهَا ، قَالَ : حَلَّتْ مُعَلَّوْطَةً ^(۵) ، وَوَلَّتْ مُخْرَوِّطَةً . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِدْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي لَا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بِالْتَّعْرِيسِ ^(۶)

نعم يا أبا عبيدة ، أَكَلْتُ هَذَا فِي أَنْفُسِ الْقَوْمِ يُحْسِنُونَ بِهِ وَيَضْطَبِعُونَ ^(۷) عَلَيْهِ ؟ قَالَ أَبُو عبيدة . فَقُلْتُ : لَا جَوَابَ لَكَ عِنْدِي ، إِنَّمَا أَنَا قَاضٍ حَقَّ الدِّينِ ، وَرَاتِقٌ فَتَقَى السَّامِينَ ، وَسَادُّ نُؤْمَةَ الْأُمَّةِ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ جُلْجُلَانِ ^(۸) قَلْبِي ، وَقَرَارَةِ نَفْسِي .

فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَاللَّهِ مَا كَانَ قَعُودِي فِي كِسْرِ ^(۹) هَذَا الْبَيْتِ قَصْدًا »

(۱) أَسَى كَفَرَحَ : حَزَنَ . (۲) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « وَانْقَضَى وَانْقَرَضَ مِنْ دَارِجٍ قَوْمِكَ ، وَتُودُ أَنْ لَوْ سَقَيْتَ بِالسَّكَّاسِ الَّتِي سَقَيْتَهَا غَيْرَكَ ، وَرُدِدْتَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كُنْتَ تَكْرَهَهَا فِي أَمْسِكَ » . دَرَجُ الْقَوْمِ : انْقَرَضُوا . (۳) مَتَزَمِّلًا : أَيُّ مُتَلَفِّفًا ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « مُتَبَاطِلًا » وَنَاءٌ بِالْحَلِّ : نَهَضٌ مُتَفَلِّيًا . الْفَرَقُ : الْخَوْفُ . (۴) أَبْثَثَهُ السَّرُّ : أَظْهَرْتَهُ لَهُ . وَالْبَثُّ : الْحَالُ . وَرَفَقَتْ بِهِ وَعَلَيْهِ مِثْلَةٌ . وَالْحَيَّامِينَ كُلِّ شَيْءٍ : شَدَّتْهُ . حَيَّا السَّكَّاسُ : سَوَّرَتْهَا وَشَدَّتْهَا وَأَخَذَهَا بِالرَّأْسِ . وَحَيَّا الشَّبَابُ : أَوْلَاهُ وَنَشَاطَهُ . (۵) يُقَالُ : اَعْلَوْتُ فَلَانَ رَأْسَهُ . لِإِذَا رَكَ رَأْسَهُ وَتَفَعَّمْ عَلَى الْأَمْرِ بِغَيْرِ رُويَةٍ . وَاخْرُوطَ الْبَعِيرَ فِي سَيْرِهِ : إِذَا أَسْرَعَ . (۶) هَاسِي هَيْسِي هَيْسًا : سَارَ أَيُّ سِيرَ كَانُ . وَهُوَ مِثْلُ بَضْرَبٍ لِلرَّجْلِ يَأْتِي الْأَمْرَ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ . وَعَرَسَ الْقَوْمُ : نَزَلُوا فِي آخِرِ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ كَأَعْرَسُوا وَالْأَوَّلُ أَكْرَهُ . (۷) اضْطَبَعَ الشَّيْءُ : أَدْخَلَهُ تَحْتَ ضَبْعِيهِ - أَيُّ عَضْدِيهِ - وَالْمَعْنَى هُنَا يَشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ . وَفِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « يَسْتَبْطِنُونَهُ وَيَضْطَبِعُونَ عَلَيْهِ » وَالِاضْطَغَانُ : الْإِشْتِهَالُ أَيْضًا . (۸) جُلْجُلَانُ الْقَلْبِ : حَبْتُهُ . (۹) أَيُّ فِي جَانِبِهِ .

للخلاف ، ولا إنكاراً للمعروف ، ولا زياريةً على مسلم ، بل لما قد وَقَدَنِي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده ، وذلك أنني لم أشهد بعده مَشْهَدًا إلا جَدَّدَ عليّ حزناً ، وذكرني شَجَنًا^(۱) ، وإن الشوق إلى اللحاق به كافٍ عن الطمع في غيره ، وقد عَكَفْتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق منه ، رَجَاءً ثوابٍ مُعَدًّا لمن أخلص لله عمله ، وسلم لعلمه ومشيتته ، وأمره ونهيه ، على أنى ما علمت^(۲) أن التظاهر على واقِعٍ . ولا عن الحق الذي سيق إلى دافع ، وإذ قد أُفْعِمَ^(۳) الوادي بي ، وحُشِدَ النادى من أجلى ، فلا مرَّحَبًا بما ساءَ أحداً من المسلمين وسرَّني ؛ وفي النفس كلام ، لولا سابقُ عَمَدٍ ، وسالفُ عَهْدٍ ، لَشَفَيْتُ غِيظِي بِمُخْنَصِرِي وَبِنَصِرِي ، وَخُضْتُ لِحَبَّتِهِ بِأَخْصِي وَمَفْرَقِي^(۴) ولكنني مُلْجَمٌ إلى أن ألتقى الله ربي ، وعنده أحْسِبُ ما نزل بي ، وإني غادٍ إن شاء الله إلى جماعتكم ، مباحٍ صاحبكم ، صابر على ما ساءني وسرَّكم ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كان مفعولاً ، وكان الله على كل شيء شهيداً .

قال أبو عبيدة : فَعُدْتُ إلى أبي بكر رضي الله عنه . فَقَصَصْتُ عليه التول على غرّه^(۵) ، ولم أخترل شيئاً من حُلُوهِ وَوُجُوهِهِ ، وَبَكَرْتُ غُدُوَّةً^(۶) إلى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ ، إذا عليّ يَخْتَرِقُ الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما فبايعه ، وقال خيراً ، ووصف جميلًا ، وجلس زِمَّتًا^(۷) ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مُكْرِمًا له مستئيراً لما عنده .

(۱) وقده : صرعه وسكنه وغلبه وتركه عيلاً . والشجن : الهم والحزن .

(۲) وفي ابن أبي الحديد : على أن أعلم . (۳) أي ملئ .

(۴) المنصر بكسر الميم والماء والمعاد . وفتح المعاد . الإصبع الصغرى . البصر : الإصبع بين الوسطى والمنصر . والمعنى : لشفيت غيظي بيدي . والأخص من باطن القدم : ما لم يصب الأرض . المفرق كقعد ومجلس : وسط الرأس . وهو الذي يفرق فيه الشعر . (۵) الفرقة كل كسر مثني في ثوب أو جلد . ويقولون : اطو الثوب على غره . أي على كسره الأول كما كان مطويًا . والمعنى هنا : على أصله .

(۶) الغدوة : البكرة . أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(۷) الزميت ككريم : الوقور . والزميت ككيت : أقرمه .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : إِنَّ عَصَابَةَ أَنْتَ مِنْهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ كَأَعْصُومَةَ ،
وَأَنَّ أُمَّةً أَنْتَ فِيهَا كَأَرْحُومَةَ ، وَلَقَدْ أَصْبَحْتَ عَزِيزًا عَلَيْنَا ، كَرِيمًا لَدَيْنَا ، نَخَافُ اللَّهَ إِذَا
سَخِطْتَ ، وَنَرْجُوهُ إِذَا رَضِيتَ ، وَلَوْلَا أَنِّي شَدِيتُ^(۱) ، أَنَا أَجَبْتُ إِلَى مَا دُعِيتُ
إِلَيْهِ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ الْفُرْقَةَ ، وَاسْتَنْتَارَ الْأَنْصَارَ بِالْأَمْرِ عَلَى قُرَيْشٍ ، وَأَعْجَلْتُ عَنْ
حَضُورِكَ وَمَشَاوَرَتِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ حَاضِرًا لِبَايَعَتِكَ وَلَمْ أَعْدِلْ بِكَ ، وَلَقَدْ حَطَّ اللَّهُ
عَنْ ظَهْرِكَ مَا أَثْمَلَ كَاهِلِي بِهِ ، وَمَا أَسَدًا مَن يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالْكَفَايَةِ ، وَإِنَّا إِلَيْكَ
لِحَاجُونَ ، وَبِفَصْلِكَ عَالُونَ ، وَإِلَى رَأْيِكَ وَهَدْيِكَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ رَاغِبُونَ ، وَعَلَى
حَمَايَتِكَ وَحَفِيزَتِكَ^(۲) مَعْتَوِلُونَ ، ثُمَّ انصرفت وتركة مع عمر ، فالتفت على إلى عمر فقال :
يَا أَبَا حَنْصِ وَاللَّهِ مَا قَعَدْتُ عَنْ صَاحِبِكُمْ كَارِهًا لَهُ^(۳) ، وَلَا أَتَيْتَهُ فَرَقًا مِنْهُ ، وَلَا أَقُولُ
مَا أَقُولُ تَعَالَةً^(۴) ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ مَسْمَى^(۵) طَرْفِي ، وَنَحَطُّ قَدَمِي ، وَمَنْزِعَ قَوْمِي ،
وَمَوْقِعَ سَهْمِي ، وَلَكِنْ قَدْ أَرَمْتُ عَلَى نَأْسِي^(۶) ثِقَةً بَرِيًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ
تَخَلَّفْتُ إِعْذَارًا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَتَيْتُ فَبَايَعْتُ حَفْظًا لِلدِّينِ ، وَخَوْفًا مِنْ انْتِشَارِ أَمْرِ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَفَّفِكَ غَرْبَكَ ، وَاسْتَوْقِفْ سِرْبَكَ^(۷) وَدِرْعَ
العَصَا بِلِحَائِهَا ، وَالِدَّلَاءَ عَلَى رِشَائِهَا^(۸) ، فَإِنَّا مِنْ حَافِيهَا وَوَرَائِهَا ، إِن قَدَحْنَا أَوْ رَبَّيْنَا ،

(۱) شدة . دهش .

(۲) الهيظة : اسم بمعنى المحافظة والحفاظ .

(۳) وفي ابن أبي الحديد « جزعا على ما صار إليه » . (۴) التعللة والعلالة : ما يتعلل به .

(۵) اسم مكان من سما وكذا ما بعده . (۶) الفأس من اللجام : الحديدة القائمة في الخنك .

وأزم الفرس على فأس اللجام كضرب : قبض وعض . والمعنى هنا : كنت ما في نفسي .

(۷) الغرب : الهدية . والسرب : القطيع . وفي ابن أبي الحديد « كففك من غربك ، ونهته من

سربك » ونهته عن الأمر : كفه وزجره . والسرب : النفس .

(۸) اللحاء : القشر . والرشاء : الجبل .

وَإِنْ مَتَّحْنَا أَرْوَابَنَا ، وَإِنْ قَرَحْنَا^(۱) أَدْمِينَا ، وَقَدْ سَمِعْتُ أُمَائِيكَ الَّتِي لَفَزْتُ^(۲) بِهَا صَادِرَةً عَنْ صَدْرٍ أَكَلَهُ الْجَوَى ، وَلَوْ شِئْتُ لَمَلْتُ عَلَى مَقَالَتِكَ مَا إِنْ سَمِعْتَهُ نَدِمْتَ عَلَى مَا قُلْتَ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَعَدْتَ فِي كِسْرِ بَيْتِكَ لِمَا وَقَدَّكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَتْدِهِ ، فَهوَ وَقَدَّكَ وَلَمْ يَقْدُ غَيْرَكَ ؟ بَلْ مُصَابَهُ أَعْظَمُ وَأَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ مِنْ حَقٍّ مُصَابَهُ أَنْ لَا تَصْدَعُ كَشْمَلِ الْجَمَاعَةِ بَفُرْقَةٍ لِأَعْصَامِ^(۳) هَا ، وَلَا يُؤْمِنُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ فِي بَتَائِهَا ، هَذِهِ الْعَرَبُ حَوْلَنَا ، وَاللَّهُ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صَبِيحِ نَهَارٍ لَمْ نَلْتَقِ فِي مَسَائِهِ ، وَزَعَمْتَ أَنْ الشُّوقَ إِلَى اللَّحَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ ! فَمِنْ عِلَامَةِ الشُّوقِ إِلَيْهِ نُصْرَةٌ دِينَهُ وَمُؤَاوَزَةٌ أَوْلِيَائِهِ وَمَعَاوَنَتُهُمْ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ عَكَفْتَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ تَجْمَعُ مَا تَفْرُقُ مِنْهُ ، فَمِنْ الْعَكُوفِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ النَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ ، وَالرَّأْفَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، وَبَدَلُ مَا يَصْلِحُونَ بِهِ ، وَيَرْتُدُّونَ عَلَيْهِ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّظَاهِرَ وَقَعَ عَلَيْكَ ، وَأَيُّ حَقٍّ أَطَّ^(۴) دُونَكَ ؟ قَدْ سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ مَا قَالَ الْأَنْصَارُ بِالْأَمْسِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَتَقَلَّبْتَ عَلَيْهِ بَطْنًا وَظَهْرًا ، فَهَلْ ذَكَرْتِكَ أَوْ أَشَارْتَ بِكَ أَوْ وَجَدْتَ رِضَاهِمَ عِنْدَكَ ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلِسَانِهِ إِنَّكَ تَصْلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ ؟ أَوْ أَوْمَأَ بَعَيْنَهُ ؟ أَوْ هَمَّهِمْ^(۵) فِي نَفْسِهِ ، أُنْتَظَنُ أَنَّ النَّاسَ ضَلُّوا مِنْ أَجْلِكَ ، وَعَادُوا كِفَارًا زَهْدًا فِيكَ ، وَبَاعُوا اللَّهَ تَحَامُلًا عَلَيْكَ ؟ لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ جَاءَنِي عَقِيلُ بْنُ زِيَادِ الْخَزْرَجِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَعَهُمْ شُرْحُبِيلُ بْنُ يَعْقُوبِ الْخَزْرَجِيِّ وَقَالُوا : إِنْ عَلِيًّا يَنْتَظَرُ الْإِمَامَةَ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَبُنُكِرَ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِ الْخِلَافَةِ ، فَأَنْكَرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَرَدَدْتُ الْقَوْلَ فِي نَحْوِهِمْ حَيْثُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْتَظَرُ الْوَحْيَ ،

(۱) وری الزند کوعی ووی : خرجت ناره وأورجه . منح الماء كمنم : نزع . قرحه كمنع أيضا : جرحه . (۲) الأمائل : جمع أمثلة بالضم ، تمثل إذا أشد بيتنا ثم آخر ثم آخر وهي الأمثلة . وفي ابن أبي الحديد «أمائلك التي ألغزت بها» وألغز كلامه وفيه ولنز : عمى مراده .

(۳) العصام : جبل تشد به القربة . ورباط كل شيء .

(۴) لط حقه : ججده ، وفي ابن أبي الحديد « وزعمت أن التظاهر عليك واقع ، أي تظاهر وقع عليك : وأي حق استؤثر به دونك ؟ » . (۵) المهمة : الكلام الخفي ، وفي صبح الأعشى « أوهم » .

وبتوَكَّف^(۱) مُنَاجَاةَ الْمَلَكِ ، فقلت : ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،
أكان الأمر معموداً بأنشُوطَةً ، أو مشدوداً بأطراف لِيِطَّةٍ^(۲) ؟ كلا ! والله لا عَجْمَاءَ
بِحمد الله إلا وقد أَفْصَحَتْ ، ولا شوكاء^(۳) إلا وقد تَفَتَّحَتْ ، ومن أعجَبِ شأنك
قولك : ولولا سالفُ عهدٍ ، وسابقُ عقدٍ ، لشفيتُ غِيظِي بِخِنَصِرِي وَبِنَصِرِي ، وهل
ترك الدين لأهله أن يَشْفُوا غِيظَهُم بِيَدٍ أَوْ بِإِسَانٍ ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شَأْفَهَا
واقْتَلَ جُرْثُومَهَا ، وَهَوَّرَ لَيْلَهَا ، وَغَوَّرَ سَيْلَهَا ، وَأَبْدَلَ مِنْهَا الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَ^(۴) ،
والهدى والبرهان ، وزعمت أنك مُلْجَمٌ ، ولعمري إن من اتقى الله ، وآثرَ رضاهُ ،
وطلب ما عنده ، أمسَكَ لسانه ، وأطبَقَ فاهُ ، وغلب عقله ودينه على هواه ، وجعل
سَمِيهَ لِسَانِهِ .

وأما قولك : إني لَأَعْرِفُ مَنَزِعَ قَوْمِي ، فإذا عَرَفْتَ مَنَزِعَ قَوْمِكَ عَرَفْتَ غَيْرَكَ
مَضْرِبَ سَيْفِهِ ، وَمَطْعَنَ رِمْحِهِ ، وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم لك فتخلفت إِعْذاراً إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين ، فلو عَرَفَهُ الْمُسْلِمُونَ
لجَنَحُوا إِلَيْهِ وَأَصْفَقُوا عَلَيْهِ ، وما كان الله لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى الْعَمَى ، ولا لِيَضْرِبَهُم بِالضَّلَالِ
بعد الهدى ، ولو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم
بعثه الله ، فرأى اجتماع أمتيه على أبي بكر كما سَفَّهَ آراءَهُمْ ، ولا ضَلَّلَ أَحْلَامَهُمْ ،
ولا آثَرَكَ عَلَيْهِمْ ، ولا أرضاك بِسُخْطِهِمْ ، ولأَمَرَكَ بِاتِّبَاعِهِمْ وَالِدُخُولِ مَعَهُمْ فِيمَا
ارْتَضَوْهُ لَدِينِهِمْ .

(۱) التوكف : التوقع والانتظار . (۲) الأنشوطه : عقدة تحمل إذا جذب أحد طرفيها .
والليطة : قشرة القصبه . (۳) أي ولائبة شوكاء يريد ذات شوك ، والذي في كتب اللغة « شجرة
شاكه بتخفيف الكاف وشوكه كفرحة وشائكة ومشبكة بضم فكسر : ذات شوك ، وحلة شوكاء : عليها
خشونة الجدة ، أقول : وقد لوحظ في وضع شوكاء للحلة الجديدة أن لمسها خشن كأنه مفتش بالشوك .
(۴) الشأفة : الأصل ، وفرحة تخرج في أسفل القدم فتكوي فتذهب ، واستأصل الله شأفته : أزاله
من أصله : أو أذهب كما تذهب تلك الفرحة . وجرثومة الشيء : أصله ، وهور : أزاله وأذهب . من هور
البناء إذا هدمه ، وفي ابن أبي الحديد « ونور ليلها » والروح : الراحة . والريحان : الرزق الطيب .

فقال عليّ رضي الله عنه: مَهْلًا يَا أَبَا حَفْصٍ، أُرْسِدُكَ اللَّهُ، خَفَضَ عَلَيْكَ وَاللَّهِ مَا بَدَلْتُ مَا بَدَلْتُ وَأَنَا أُرِيدُ نَكَثَهُ، وَلَا أَقْرَرْتُ مَا أَقْرَرْتُ وَأَنَا أَبْتغِي حَوْلًا عَنْهُ، وَإِنْ أَحْسَرَ النَّاسَ صَفَقَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ آثَرِ النِّفَاقِ^(۱)، وَاحْتَضَنَ الشُّتَاقِ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ، وَعَمُوضٌ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ. وَسَلُوةٌ عَنِ كُلِّ حَادِثٍ، وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ، أَرْجِعْ يَا أَبَا حَفْصٍ إِلَى مَنَزَلِكَ نَاقِعِ الْقَلْبِ، مَبْرُودِ الْفَلِيلِ، فَسِيحِ اللَّبَّانَ، فَصِيحِ اللِّسَانَ، فَلَيْسَ وَرَاءَ مَا سَمِعْتَ وَقَلْتُ إِلَّا مَا يَشُدُّ الْأَزْرَ، وَيَخْطُ الْوِزْرَ، وَيَضَعُ الْإِصْرَ^(۲)، وَيَجْمَعُ الْأَلْفَةَ، وَيَرْفَعُ الْكُلْفَةَ، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ.

قال أبو عبيدة رضي الله عنه، فانصرف عليّ وعمر رضي الله عنهما، وهذا أصعب ما أمر عليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(صبح الأعشى ۱: ۲۳۷. ونهاية الأرب ۷: ۲۱۳، وشرح ابن أبي الحديد م ۲: ص ۵۹۲)

۵۸ - كتاب أبي بكر إلى أهل الردّة

كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - سنة ۱۱ هـ - كتابًا واحدًا، ونصه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ.

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى، فَإِنِّي أَحَدٌ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَقْرَبُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَأُكْفَرُ مَنْ أَبِي وَأَجَاهِدُهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَصِرَاجًا مُنِيرًا، لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى

(۱) وفي ابن أبي الحديد «من استبطن النفاق».

(۲) اللبان: الصدر. الأزر الظهر والقوة. الإصر: الذنب والاعقل.

الکافرین ، فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ، ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأُمَّته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام ، فى الكتاب الذى أنزله فقال : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ » وقال : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ » وقال للمؤمنين : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » فمن كان إنما يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له ، فإن الله له بالمرصاد حتى قيوم^(۱) لا يموت ، ولا تأخذه سنة^(۲) ، ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بخزبه .

وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحِظِّكُمْ وَنَصِيْبِكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيْكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهِدَايِهِ ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَلَّ مِنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ ضَالٌّ ، وَكُلٌّ مِنْ لَمْ يُعَافِهِ مُبْتَلًى ، وَكُلٌّ مِنْ لَمْ يُعْنَهُ مُخْذُولٌ ، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِئاً ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا » وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يُقِرَّ بِهِ ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ^(۳) .

وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، اغتراراً بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

(۱) المرصاد : الطريق . وفلان يرصد فلانا أى يقعد له على طريقه يترقبه . والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يموت منها شيء . القيوم : الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(۲) السنة : فتور يتقدم النوم . قال ابن الرقاع :

وسنان أقصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بناثم

(۳) انظر هامش ص ۳۳ .

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ نَسِيَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا « وقال جل ذكره :
« إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
أَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وإني أنفذت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ،
وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يتمتله ، حتى يدعوّه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقرّه
وكفّ وعمل صالحاً ، قبل منه وأعانته عليه ، ومن أبى أمرته أن يتمتله على ذلك ،
ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عايبه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن
يسبي النساء والذاري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن
تركه فإن يعجز الله .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ، فإذا
أذن المسلمون فأذّنوا كفّوا عنهم ، وإن لم يؤذّنوا عاجلّوهم ، وإذن أذّنوا سألوهم
ما عليهم ، وإن أبوا عاجلّوهم ، وإن أقرّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم .
(تاريخ الطبرى ۳ : ۲۲۶ ، وصبح الأعشى ۶ : ۳۸۴)

۵۹ - كتابه لأمرأه جيوش الردة

وعقد رضى الله عنه أحد عشر لواء لمحاربة المرتدين ، وكتب لأمرأه الجيوش
عهداً ، هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفلان حين بعثه فيمن بعثه لئنا من رجع عن الإسلام ، عهد إليه أن يتقى الله
ما استطاع فى أمره كله ، سرّه وعلايته ، وأمره بالجِدّة فى أمر الله ، ومجاهدة من
تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانيّ الشيطان ، بعد أن يُعذر إليهم ، فيدعوهم

بداعية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم^(۱) حتى يُقرُّوا له ، ثم يُنَّبِّئهم بالذي عليهم والذي لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذي لهم ، لا ينظرهم^(۲) ، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل ، وأقر له ، قبل ذلك منه ، وأعان عليه بالمعروف ، وإنما يقاتل من كفر بالله ، على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل ، وكان الله حسيبه بعدُ فيما استسرَّ به^(۳) ، ومن لم يُجِبْ داعية الله قتل وقوتل حيث كان ، وحيث بلغ مُراغمه^(۴) ، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقرَّ به قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فإن أظهره الله عليه قتل فيهم كل قتلته بالسلاح والذيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يُبَلِّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجالة والفساد ، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عيوناً ، ولئلا يؤتى المسلمون من قباهم ، وأن يقصد بالمسلمين ، ويرفق بهم في السير والمنزل ، ويتقدمهم ولا يُعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصُحبة ولين القول .

(تاريخ الطرى ۳ : ۲۲۷ ، وصبح الأعشى ۱۰ : ۱۹۲)

۶۰ - كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر

وسير أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما لقتال طليحة بن خويلد الأسدي - وكان قد ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستطار أمره ، واجتمعت إليه غطفان وطىء - ففاجزهم خالد على بزاحة^(۵) ، وكان بنوعامر قريباً منهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ، يتربصون على من تكون الدبرة^(۶) ، فلما أحيط بأسد

(۱) شن الغارة عليهم : صبها من كل وجه . (۲) أى لا يؤخرهم .

(۳) استسر : استتر . (۴) المراغم : المهاجر (اسم مكان) .

(۵) بزاحة : ماء من مياه بني أسد بأرض نجد . (۶) الدبرة : الهزيمة في القتال .

وغطفان ، و فرّ طليحة^(۱) ، أقبل بنو عامر يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا ، فبايعهم ولم يقبل منهم إلا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردّتهم ، فأتوه بهم ، فقبِلَ منهم إلا فرّة بن هبيرة^(۲) ونفرا معه أوثقهم ، ومثل بالذين عدوا على الإسلام ، فأحرقهم بالنيران ، ورضخهم بالحجارة ، وزمى بهم من الجبال ، ونكسهم في الآبار ، وخرق^(۳) بالنبال ، وبعث برّة وبالأسارى ، وكتب إلى أبي بكر :

« إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربيص ، وإني لم أقبل من أحد قاتلي أو سألني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدّا على المسلمين ، فقتلتهم كلّ قتلّة ، وبعثت إليك برّة وأصحابه . » (تاريخ الطبرى ۳ : ۲۳۳)

۶۱ - ردّ أبي بكر على كتاب خالد

فكتب أبو بكر إلى خالد رضى الله عنهما :

« ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتق الله في أمرك فإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » جِدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا تَبْنِينَ ، وَلَا تظفَرَنَّ بِأَحَدٍ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا قَتَلْتَهُ ، وَنَكَلْتَهُ^(۴) بِهِ غَيْرَهُ ، وَمَنْ أَصَابَتْ^(۵) مِمَّنْ حَادَّ اللَّهُ أَوْ ضَادَّهُ ، مَنْ تَرَى أَنْ فِي ذَلِكَ صِلَاحًا فَأَقْتَلْهُ . » (تاريخ الطبرى ۳ : ۲۳۳)

(۱) وقد لحق بالشام ثم أسلم هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان و عامراً قد أسلموا .

(۲) وكان على سادتهم وقادتهم في كعب ، ومى بطن من عامر .

(۳) رضخهم : أى رماهم ، وراضخه : رماه بالحجارة ، وهم يراضخون بالسهم أى يرامون ، وخرقه

كضربه : طغنه . (۴) نكل به تنكيلاً : صنع به صنيعاً يحفر غيره ، والنكال : ما نكلت به غيرك .

(۵) فى الأصل « ومن أحببت » وأراه محرّفاً وصوابه ما ذكرت . وحاده : غاضه وخالفه .

(۸ - جبهة رسائل العرب - أول)

۶۲ - کتاب ابی بکر إلى عكرمة بن أبی جهل

وبعث أبو بكر رضى الله عنه عكرمة بن أبی جهل إلى مسيلة ، وبني حنيفة باليمامة ، وأتبعه شرحبيل بن حسنة ، فعجل عكرمة ، فبادر شرحبيل ليذهب بصوتها^(۱) ، فواقعهم فذكبوه ، وأقام شرحبيل بالطريق حيث أدركه الخبر ، وكتب عكرمة إلى أبی بکر بالذى كان من أمره ، فكتب إليه أبو بكر :

« يا بن أم عكرمة ، لا أرينك ولا ترانى على حالها^(۲) ، لا ترجع فتوهن^(۳) الناس ، أمض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة^(۴) ، قتلت معها أهل عمان ومهرة ، وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جنك تستبرئون من مررتم به ، حتى تلتقوا أنتم والمهاجرين أبى أمية باليمن وحضرموت » .

(تاريخ الطبرى ۳ : ۲۴۳)

۶۳ - عهد خالد بن الوليد لبني حنيفة

ثم كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى مسيلة ، فسار إليه ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً ، ودارت الدائرة على بني حنيفة ، وقيل مسيلة ، فقال جماعة ابن ماردة - أحد سادات بني حنيفة - إنه والله ما جاك إلا سرعان^(۵) الناس ، وإن جماهيرهم لبني الحنمون ، وهلم لأصالحك على قومي ، وكان المسلمون قد هزمتهم الحرب ، واستحروا^(۶) فيهم التمثال ، ففصح خالد إلى الصلح ، وكتب لهم بذلك كتاباً نصه :

(۱) أى ايبكون له فضل العوز خاصة . (۲) وقال الطبرى فى موضع آخر ۳ : ۲۶۲ : « وكتب إلى عكرمة يمنة لتسرعه ويقول : « لا أرينك ولا أسمن بك إلا بعد بلاء » .
(۳) وهنه : أضعفه . (۴) وكان أبو بكر رضى الله عنه سير حذيفة بن محسن إلى أهل دبا ، وعرفجة بن هرثة إلى مهرة . (۵) سرعان الناس بالتحريك وسرعانهم يسكون الراء : أوائلهم المنفقون إلى الأمر . (۶) استحر : اشتد .

« هذا ما قاضى عليه خالد بن الوايد مجاعة بن مُرارة وسَلَمَة بن عُمَيْر وفلانا وفلانا قاضاهم عَلَى الصَّفراء والبيضاء ، ونصفِ السَّبِي (۱) ، والحَلَقَة وَالكَرَاع (۲) وحائطٍ من كل قرية ومزرعة عَلَى أن يُسَلَمُوا ، ثم أتم آمِنون بأمان الله ، ولكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذم المسلمين عَلَى الوفاء . »
(تاريخ الطبرى ۳ : ۲۵۳)

۶۴ - كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد

ثم إن خالداً تزوج ابنة مجاعة بن مُرارة ، فبلغ ذلك أباً بكر فكتب إليه كتاباً يَنْظُرُ الدَم :

« لعمرى يا بن أمِّ خالد ، إنك لفارغ تَنْكِحِ النساء ، وبِفِئَاءِ يَتَكَ دَمُ أَلْفِ ومائتى رجل من المسلمين لم يَجِفِ بعد . »

فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول : هذا عَمَلُ الأَعْيَسِر (۳) ، يعنى عمر بن الخطاب .
(تاريخ الطبرى ۳ : ۲۵۴)

۶۵ - كتاب العلاء بن الحضرمى إلى أبى بكر

وكتب العلاء بن الحضرمى ، وهو على قتال المرتدِّين بالبحرين ، إلى أبى بكر رضى الله عنه :

(۱) وكان قد صالحه أولاً على نصف السبي ، فقال مجاعة : أنطلق إليهم فأشاورهم ونظر فى هذا الأمر ثم أرجع إليك ، فدخل مجاعة الحصون ولبس فيها إلا النساء والصبيان ومشىخة فانية ورجال ضعفي ، فظاهر الحديد على النساء ، وأمرهن أن ينشرن شعورهن ، وأن يشرفن على رهوس الحصون حتى يرجع إليهم ، أتى خالدًا فقال : قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت وقد أشرف لك بعضهم نقضا على وهم منى براء ، فنظر خالد إلى رهوس الحصون ، وقد اسودت . فغالها ممتلئة بالرجال وعابهم الحديد ، فقال مجاعة : إن شئت صنعت شيئا فزمت على القوم ، قال : ما هو ؟ قال : تأخذ منى ربع السبي وتدع ربعا ، قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتك ، فلما فرغنا فتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان ! فقال خالد مجاعة : ويحك خدعتنى ! قال : قومي ، ولم أستطع إلا ما صنعت .

(۲) الحلقة : الدرع ، والكراع : اسم يجمع الخيل . (۳) الأعيسر مصغر الأعسر : وهو من يعمل بالشمال (وهو أعسر يسر - كسب - أى يعمل بيديه جيماً) .

« أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى فجر لنا الدهناء^(۱) قَيْضًا لا تُرَى غَوَارِبُهُ^(۲) ،
وأرانا آيةً وعبرةً بعد غمٍّ وكرب^(۳) ، لنحمد الله ونمجده ، فادعُ الله واستنصره
لجنوده وأعوان دينه . »

فحميد أبو بكر الله ودعاه . (تاريخ الطبری ۳ : ۲۶۰)

۶۶ - كتاب العلاء إلى أبي بكر

ثم كتب إليه العلاء بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطيم بن ضبيعة^(۴) :

« أما بعد : فإن الله تبارك اسمه سلبَ عدونا عموهم ، وأذهب ريحهم ، بشراب
أصابوه من النهار ، فاقترحنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سُكاري^(۵) ، فقتلناهم إلا الشريد ،
وقد قتل الله الحطيم . » (تاريخ الطبری ۳ : ۲۶۱)

۶۷ - كتاب أبي بكر إلى العلاء

فكتب إليه أبو بكر :

« أما بعد : فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمامٌ على ما بلغك وخاض فيه
المرجفون^(۶) ، فأبعث إليهم جنداً فأوطئهم وشرذ بهم من خلفهم .
فلم يجتمعوا ولم يبصر ذلك من إرجافهم إلى شيء . » (تاريخ الطبری ۳ : ۲۶۱)

(۱) الدهناء : من ديار بني تميم . (۲) غوارب الماء : أعلى موجه .

(۳) وذلك أن العلاء سلك بالمسلمين الدهناء ، حتى إذا كانوا في مجبوحاتها نزل وأمر الناس بالنزول ،
فنفرت الإبل في جوف الليل حتى لم يبق لهم بعير ولا زاد ، فغشبهم من الغم ما غشبهم ، فقال لهم العلاء : أيها
الناس لا تراعوا ، ألتم مسلمين ألتم وسبيل الله ، ألتم أنصار الله؟ قالوا: بلى ، قال: فأبشروا فوالله لا يتخذ
الله من كان في مثل حالكم ، فلما صلوا الصبح دعا ودعوا معه ، حتى لمع لهم ماء فشوا إليه ، فشربوا واغتسلوا ،
فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه ، فأناخت فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه .

(۴) هو الحطيم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة ، وكان متولى جيش المرتدين .

(۵) خندق كل من المشركين والمسلمين على نفسه ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم
فكانوا كذلك شهراً ، فبينما الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة كأنها ضوضاء
هزيمة أو قتال فقال العلاء : من يأتينا بنجر القوم؟ فجاءه الخبر أن القوم سُكاري ، فخرج المسلمون عليهم حتى
اقتحموا عسكرهم ووضعوا فيهم السيوف ، واستولوا على ما في العسكر وقتل الحطيم .

(۶) يقال: تم على الأمر وتم عليه (بفتحات) أي استمر عليه . وأرجفوا: حاضوا في أخبار الفتن ونحوها .

۶۸ - کتاب ابی بکر إلى الطاهر بن أبی هالة

وانتقضَ بتهمَة عَكَ والأشعرون ، حين بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ،
وتجمع منهم طَخَارِيرٌ^(۱) ، وأقاموا على الأَعْلَابِ^(۲) طريق الساحل ، وتَأَشَّبَ إليهم
أوزاعٌ^(۳) على غير رئيس ، فسار إليهم الطاهر بن أبی هالة ومعه مسروق العكبي ،
وكتب إلى أبی بکر بمسيره إليهم ، فأجابهُ :

« بلغني كتابك تُخبرني فيه مَسِيرِكَ ، واستنفارك مسروقاً وقومه إلى الأَخَابِثِ^(۴)
بالأَعْلَابِ ، فقد أَصَبْتَ ، فعاجلوا هذا الضربَ ، ولا ترفَّهوا^(۵) عنهم ، وأقيموا
بالأَعْلَابِ حتى يَأْمَنَ طريقُ الأَخَابِثِ ، ويأتيكم أمرى^(۶) . »

(تاريخ الطبري ۳ : ۲۶۵)

۶۹ - كتاب أبی بکر إلى وجوه اليمن

وكتب أبو بکر رضی الله عنه إلى وجوه من وجوه أهل اليمن :
« من أبی بکر خايفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمير بن أفلح ذي مران ،
وسعيد بن العاقب ذي زود ، وسميعة^(۷) بن ناكور ذي الكلاخ ، وحوشب ذي ظلميم ،
وشهر ذي يناف :

أما بعدُ : فأعينوا الأبناء^(۸) على من نأواهم ، وحوظوهم^(۹) ، واسمعوهم من فيروز ،
وجدوا معه فإني قد وليته . »

(تاريخ الطبري ۳ : ۲۶۶)

(۱) طخارير: جمع طخور (كصفور) أي أشابة من الناس متفرقون (والأشابة بالضم: الأخطا).
(۲) أرض لعك بين مكة والساحل . (۳) أوزاع: أي فرق وجماعات ، ولا واحده
وتأشبو إليهم: انضموا. (۴) وقد سميت تلك الجموع من عك ومن تأشب إليهم «الأخابث» وسمي
ذلك الطريق طريق الأخابث . (۵) رفه عنه: نفس . (۶) وقد التقى بهم الطاهر فاقتلوا
فهزمهم الله وقتلهم كل قتلته ، وأمنت السبل لقتلهم . وكان مقتلهم فتحا عظيما . (۷) وقد تضم سيئه
وحيث يجب كسر الفاء . (۸) الأبناء: هم قوم من الفرس استوطنوا اليمن ، وهم الذين أرسلهم
كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا في
العرب ، فليل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (كغلبة الأنصار)
وفيروز منهم . (۹) أي احفظوهم وصونوهم .

۷۰ - کتاب ابی بکر إلى المهاجر بن أبی أمیة

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر بن أبی أمیة، وهو على قتال كِنْدَةَ بِحَضْر مَوْتِ
حين ارتدت :

« إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا ، فإن ظفرتُم بالتموم فاقتلوا المُقَاتِلَةَ ، واسبوا
الذرية إن أخذتموهم عنوةً أو ينزلوا على حُكْمِي ، فإن جرى بينكم صلح قبل ذلك ،
فعلی أن تُخْرِجُوهم من ديارهم ، فإنی أكره أن أُقِرَّ أقوامًا فَعَلُوا قِطْلَهُمْ في منازلهم ،
ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وبالَ بعضِ الذی أتوا » .

(تاريخ الطبری ۳ : ۲۷۴)

۷۱ - کتاب ابی بکر إلى عمال الردة

وكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى عمال الردة :

« أما بعدُ : فإنَّ أحبَّ من أدخلتم في أموركم إلىَّ من لم يرتد ، ومن كان ممن لم
يرتد ، فأجمعوا على ذلك ، فاتخذوا منها صنائع ، وأذنوا لمن شاء في الأنصراف ،
ولا تستعينوا بمرتدِّ في جهاد عدو » .

(تاريخ الطبری ۳ : ۲۷۶)

۷۲ - کتاب ابی بکر إلى المهاجر بن أبی أمیة

ووقع إلى المهاجر بن أبی أمیة امرأتان مغنيتان ، غنَّت إحداها بَشْم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ، ونزع ثنيتيها^(۱) ، فكتب إليه أبو بكر رحمه الله :
« بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشيمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فلولا ما قد سبقتنى فيها لأمرتُك بقتلها ، لأن حدَّ الأنبياء ليس يُشبه
الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ، أو مُعَاهِدٍ فهو محارب غادر » .

(تاريخ الطبری ۳ : ۲۷۷)

(۱) الثنية : واحدة الثنايا من الأسنان ، وهي الأربم التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

۷۳ - کتاب أبي بكر إلى المهاجر

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنت بهجاء المسلمين :

« أما بعدُ : فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت
ثديتهما ، فإن كانت ممن تدعى الإسلام فأدب وتقدمت دون المثلة^(۱) ، وإن كانت
ذميمة فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ، ولو كنت تقدمت إليك في مثل
هذا لبانت مكروها ، فأقبل الدعوة ، وإياك والمثلة في الناس فإنها مأثم ومنفرة ،
إلا في قصاص . » (تاريخ الطبري ۳ : ۲۷۷)

۷۴ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد ومن معه

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المثنى بن حارثة الشيباني على جيش إلى
العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، فقاتل حولا أو نحوه ،
ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ،
وهو باليمامة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم ،
فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر
دينه ، وأعز وليه ، وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب فرداً ، فإن الله الذي لا إله إلا هو ،
وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم ، ولتكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم

(۱) مثل به : كنصر مثلاً بالفتح ومثله بالضم ، ومثل به تشيلاً : نكل به .

الْفَاسِقُونَ ، وَعَدَاً لَأَخْلَفَ لَهُ ، وَمَقَالاً لَأَرَيْبَ فِيهِ ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ ،
فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ » فَاسْتَمِعُوا مَوْعِدَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ
الْمَثْوُونَةُ ، وَاشْتَدَّتْ فِيهِ الرِّزْيَةُ ، وَبَعُدَتْ فِيهِ الشُّقَّةُ ^(۱) ، وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ،
فَإِنْ ذَلِكَ بِسِيرٍ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ ، وَلَمَّا ذَكَرْنَا لِنا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ اللَّهُ يَبْعَثُ الشُّهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرِينَ سَيُوفِهِمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ عَلَى اللَّهِ شَيْئاً إِلَّا آتَاهُمُوهُ ،
حَتَّى أُعْطُوا أَمَانِيَّتَهُمْ ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَمَا شَىءٌ يَتَمَنَّاهُ الشَّهِيدُ بَعْدَ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ !
إِلَّا أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا ، فَيُقَرَّرُ ضُورُنْ ^(۲) بِالْمَقَارِيضِ فِي اللَّهِ لِعَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ ، انْفِرُوا
- رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَقَدْ أَمَرْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ
لَا يَبْرَحُهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرِي ، فَسِيرُوا مَعَهُ ، وَلَا تَتَأَقَّلُوا عَنْهُ ، فَإِنَّهُ سَبِيلٌ يُعْظِمُ اللَّهُ فِيهِ
الْأَجْرَ لِمَنْ حَسُنَتْ فِيهِ نِيَّتُهُ ، وَعَظُمَتْ فِي الْخَيْرِ رَغْبَتُهُ ، فَإِذَا قَدِمْتُمْ الْعِرَاقَ فَكُونُوا بِهَا حَتَّى
يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ »
(فتوح الشام للأزدني ص ٤٦)

٧٥ - كتاب أبي بكر إلى المثنى بن حارثة

وكتب أبو بكر رضي الله عنه مع مسعود بن حارثة إلى المثنى بن حارثة :
« أما بعد ، فإني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق ، فاستقبله بمن

(١) الشقة بالضم والكسر : الناحية يقصدها المسافر والسفر البعيد ، والشقة .

(٢) أي فيجزون بنا فعلوا في سبيل الله ، قرضه كضربه : جزاه كقارضه ، والمقاريض جمع مقروض

بمعنى قرض وهو البلاء الحسن . قال تعالى . « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » وأصل

القرض : ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازي عليه ، والله عز وجل لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو عباده ،
فمعنى يقرض : يفعل فعلا حسنا في اتباع أمر الله وطاعته .

معك من قومك ، ثم ساعده ووازره وكانفه^(۱) ، ولا تعصين له أمراً ، ولا تخالفين له رأياً ، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه فقال : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » فما أقام معك فهو الأمير ، فإن شخّص عنك فأنت على ما كنت عليه ، والسلام عليك .
(فتوح الشام للأزدى ص ۵۱)

۷۶ - كتاب مذعور بن عدى إلى أبي بكر

وكتب رجل من بني عجل يقال له مذعور بن عدى إلى أبي بكر رضى الله عنه :
« أما بعدُ : فإني امرؤ من بني عجل أحلاس الخيل ، وفرسان الصباح^(۲) ومعى رجال من عشيرتى ، الرجل منهم خير من مائة رجل ، ولى علم بالبلد ، وجراءة على الحرب ، وبصر^(۳) بالأرض ، فولتى أمر السواد أ كفيك إن شاء الله ، والسلام عليك » .
(فتوح الشام للأزدى ص : ۵۲)

۷۷ - كتاب المثني بن حارثة إلى أبي بكر

وكتب المثني بن حارثة إلى أبي بكر رضى الله عنه :
« أما بعدُ : فإني أخبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امراً من قومنا يقال له مذعور بن عدى أحد بني عجل في عدد يسير ، وأنه أقبل ينازعنى ويخالفنى ، فأحببتُ إعلامك ذلك ، لترى رأيك فيما هنالك ، والسلام » .
(فتوح الشام ص : ۵۲)

(۱) وازره وكانفه: ساعده وعاونه .

(۲) الأحلاس: جمع حلس بالكسر ، وهو كساء يكون على ظهر البعير والداية تحت الرجل والقتب والمرج ، والمعنى : أنهم يزعمون ظهور الخيل كالجلس اللازم لظهر الفرس ، وفرسان الصباح : أى يننون الفارة على عدوهم وقت البكرة .
(۳) فى الأصل « ونصر » وهو تصحيف .

۷۸ - کتاب ابی بکر إلى مدعور بن عدی

فكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى مدعور بن عدی :

« أما بعدُ : فقد أتاني كتابك ، وفهمتُ ما ذكرت ، وأنت كما وصفتَ به نفسك ، وعشيرتُك نعمَ العشيرة ، وقد رأيتُ لك أن تنضمَّ إلى خالد بن الوليد فتكونَ معه ، وتقيمَ معه ما أقام بالعراق ، وتُشخصَ معه إذا شخصَ منها » .
(فتوح الشام ص ۵۳)

۷۹ - کتاب ابی بکر إلى المثنى بن حارثة

وكتب إلى المثنى بن حارثة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فإن صاحبك العجلیَّ كتب إلىَّ يسألني أموراً ، فكتبتُ إليه أمره بلزوم خالد حتى أرى رأيي ، وهذا كتابي إليك أمرُك ألاَّ تَبْرَحَ العراقَ حتى يخرجَ منه خالدُ بن الوليد ، فإذا خرج خالدُ منه فالزمَ مكانك الذي كنتَ به ، فانتَ أهلٌ لكل زيادة ، وجدیر بكل فضل ، والسلام عليك ورحمة الله » .
(فتوح الشام ص ۵۳)

۸۰ - کتاب ابی بکر إلى خالد بن الوليد

وروى الطبرى أنه لما فرغ خالد بن الوليد من حرب المرتدين باليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه - أول سنة ۱۲ هـ أن : « سِرْ إلى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند ، وهى « الأبلَّة »^(۱) ، وتألف أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأمم » .

(۱) نهر على الخليج الفارسى عند مصب دجلة ، وهى قرب البصرة من جانبها البحرى .

وفي رواية أخرى أنه كتب إليه :

« إن الله فتح عليك فَعَارِقَ^(۱) حتى تَلَقَى عِيَاضًا ». (تاريخ الطبري ۴ : ۲ و ۳)

۸۱ - كتاب أبي بكر إلى عياض بن غنم

وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النَّبَاجِ^(۲) والحِجَازِ أن : « سر حتى تأتي المصبيخَ فابدأ بها ، ثم ادخل العراقَ من أعلاها ، وعارق حتى تَلَقَى خالدًا ، وأذنا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحاً بمتكاريه ». (تاريخ الطبري ۴ : ۳)

۸۲ - كتاب أبي بكر إلى خالد وعياض

فَقَلَّ أهل المدينة وما حولها ، فاستمدا أبا بكر فأمدهما ، وكتب إليهما أن : « استنفرنا من قاتل أهل الردة ، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزون منكم أحد ارتد حتى أرى رأبي » .

فلم يشهد الأيام^(۳) مرتدًا . (تاريخ الطبري ۴ : ۳)

وفي رواية أخرى :

أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد - إذ أمره على حرب العراق - أن يدخلها من أسفلها ، وإلى عياض - إذ أمره على حرب العراق - أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا إلى الحيرة^(۴) ، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه .

(۱) معناه : ادخل العراق ، ولم توردته كتب اللغة ، وفي اللسان : « أعرقنا : أخذنا في العراق وأعرق القوم : أتوا العراق » وقد جاءت صيغة أفعل وفاعل وفعل في كلام العرب في هذا المعنى . من ذلك أن نجدنا وأتهمنا وأعرقنا وأعمننا ، من نجد وتهامة والعراق وعمان ، وأيمنا ويمنا ويامنا ، من اليمن وأشامنا من الشام ، وكوفنا وبصرنا من الكوفة والبصرة ، وشرقنا وغربنا من الشرق والغرب ، وأسهلنا وأحزنا من السهل والحزن ، وعالينا أتينا العالية ، وأحجزنا أتينا الحجاز ، وساحلنا أخذنا على الساحل ، وأسفنا أخذنا على السيف (بكسر السين وهو الساحل) وأربفنا صرنا إلى الريف ، وأبررنا ركبنا البر ، وأبحرنا ركبنا البحر - انظر المخصص ج ۱۲ ص ۵۰ . (۲) النباج : بين مكة والبصرة ، والمصبيخ : في بادية الشام بين حوران والفرات . (۳) العرب تقول الأيام في معنى الوقائع ، والمراد بالأيام هنا وقائع خالد بن الوليد في فتح العراق . (۴) غربي الفرات بالقرب من الكوفة .

وقال : إذا اجتمعنا بالحيرة وقد فضضت^(۱) مسال^(۱) فارس ، وأمنتما أن يوتى
المسلمون من خلفهم ، فايكن أحد كما ردد^(۲) للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم
الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ، ومستمراً عزهم « المدائن^(۳) » .
(تاريخ الطبري ۴ : ۵)

۸۳ - كتاب خالد بن الوليد إلى هرمز

وكتب خالد بن الوليد قبل خروجه إلى الأبله كتابا إلى هرمز صاحب
ذلك الثغر :

« أما بعد ، فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الدمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا
فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .
وجمع هرمز جموعه ونشبت الحرب بينه وبين خالد في « كاظمة^(۴) » وانجبت عن
قتل هرمز وهزيمة الفرس .
(تاريخ الطبري ۴ : ۵)

۸۴ - عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة

وتقدم خالد في فتح العراق شمالا حتى بلغ الحيرة ، فحاصر قصورها^(۵) ، ودعا أهلها
أن يختاروا واحدة من ثلاث : الإسلام أو الجزية أو المنابذة ، فاختاروا الجزية ، فكتب
بينه وبين أمراءها كتابا فيه :

(۱) المسال : جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر والقوم ذوو سلاح .
(۲) أي عوناً وعمادا وقوة . (۳) مدائن كسرى على نهر دجلة ، وكانت قاعدة فارس .
(۴) على الخليج الفارسي بينها وبين البصرة مرحلتان .
(۵) أمر خالد بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاثلهم ، فكان ضرار بن الأزور يحاصر
النصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائي ، (وكان كسرى ولاء الحيرة بعد النعمان بن المنذر) وكان
ضرار بن الخطاب يحاصر قصر العدسين وفيه عدي بن عدي ، وكان ضرار بن مقرن المزني يحاصر قصر
بني مازن وفيه حير بن أكال ، وكان المثني بن حارثة يحاصر قصر ابن بقبلة وفيه عمرو بن عبد المسيح .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عَدِيًّا وَعَمْرًا ابْنَيْ عَدِيٍّ ، وَعَمْرُو بْنَ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، وَإِيَّاسَ بْنَ قَبِيصَةَ وَحَيْرِيَّ ^(۱) بْنَ أُكَّالٍ - وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْحَيْرَةِ - وَرَضِيَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ وَأَمْرُوهُمْ بِهِ .

عَاهَدَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ وَمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، تَقْبَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، جِزَاءً ^(۲) عَنْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا ، رُهْبَانِيَّتِهِمْ وَقَسِيدِيَّتِهِمْ ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ غَيْرَ ذِي يَدٍ ^(۳) حَبِيصًا عَنِ الدُّنْيَا تَارِكًا لَهَا ، وَسَائِحًا تَارِكًا لِلدُّنْيَا ، وَعَلَى الْمَنْعَةِ ، فَإِنْ مِنْ لَمْ يَمْنَعَهُمْ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَمْنَعَهُمْ ، وَإِنْ غَدَرُوا بِفَعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فَأُلْدِمَةُ مِنْهُمْ بَرِيئَةٌ .

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۴)

صورة أخرى

وأورد القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة هذا العهد في كتابه « الخراج » بصورة أخرى ، وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أمرني أن أسير بعد مُنْصَرَفِي مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، بَأَن أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ جَلِّ ثَنَاؤُهُ ، وَإِلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَبَشِّرُهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَأُنذِرُهُمْ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ أَجَابُوا فَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَإِنِّي أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْحَيْرَةِ نَفْرَجًا إِلَى إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِي فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَأَبَوْا أَنْ يَجِيبُوا ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ أَوْ الْحَرْبَ ، فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا بِحَرْبِكَ ، وَلَكِنْ صَالِحْنَا عَلَى مَا صَالَحْتَ عَلَيْهِ غَيْرَنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ، وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي عِدَّتِهِمْ فَوَجَدْتُ عِدَّتَهُمْ

(۱) وفيل « جبري » . (۲) جم جزية . (۳) اليد : الفدرة .

سبعة آلاف رجل ، ثم ميزتهم فوجدتُ مَنْ كانت به زمانة^(۱) ألف رجل ، فأخرجتهم من العدة فصار مَنْ وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحوني على ستين ألفاً^(۲) ، وشرطتُ عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن لا يخالفوا ، ولا يعينوا كافرًا على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلُّوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذه أشدَّ ما أخذه على نبي من عهد أو ميثاق أو ذمَّة ، فإن هم خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمان ، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدَّوه إلى المسلمين فلمهم ما للمعاهد ، وعلينا المنع لهم ، فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم ، لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشدَّ ما أخذ على نبي من عهد أو ميثاق ، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا فإن غلبوا فهم في سعة يسعهم ما وسع أهل الذمة ، ولا يحلُّ فيما أمروا به أن يخالفوا ، وجعلتُ لهم : أئيمًا شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحتُ جزيته ، وعييل^(۳) من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم ، وأئيمًا عبدي من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يُقدر عليه في غير وَاكْس ولا تعجيل ، ودُفِع ثمنه إلى صاحبه ، ولهم كل ما لَدِسوا من الزَّيِّ إلا زىَّ الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ، وأئيمًا رجل منهم وُجد عليه شيء من زى الحرب سئل عن لِبْسِهِ^(۴) ذلك ، فإن جاء منه بمخرَج ، وإلاَّ عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب ، وشرطتُ عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين ، عمَّالهم منهم ، فإن طلبوا عَرْنَا من المسلمين أعينوا به ، ومثونة العون من بيت مال المسلمين .

(كتاب المراج ص ۱۷۱)

(۱) الزمانة : العاهة ، وفعله كفرح . (۲) وفي نسخة أخرى من كتاب المراج أنه صالحهم على ستين ألفاً . (۳) عاله مانه وكفناه . (۴) اللبس بالسكسر : ما يلبس واللبس بالضم مصدر .

۸۵ - عهد خالد بن الوليد لصاحب بانقيا

وروى ياقوت في معجم البلدان قال :

وسار خالد بن الوليد من الحيرة ، فلما نزل « بانقيا^(۱) » على شاطئ الفرات قاتلوه ليلة حتى الصباح ، فلما رأوا أنه لا طاقة لهم بحربه طلبوا منه الصلح فصالحهم ، وكتب لهم كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن بصبهرى ، ومنزله بشاطئ الفرات .

إنك آمن بأمان الله على حن دمك في إعطاء الجزية عن نفسك وجيرتك وأهل قرنتك بانقيا وسميا^(۲) ، على ألف درهم جزية ، وقد قبلنا منك ، ورضى منى من المسلمين بذلك ، فلك ذمة الله ، وذمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك .

شهد هشام بن الوليد ، وجريير بن عبد الله بن أبي عوف ، وسعيد بن عمرو ، وكتب سنة ۱۲ هـ . (معجم البلدان ج ۲ : ص ۵۱)

وروى الطبرى هذا الخبر قال :

ومضى خالد حتى نزل بتريات من السواد يقال لها « بانقيا ، وبارنما ، وأليس » فصالحه أهلها ، وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا ، وذلك فى سنة ائنتى عشرة ، فقبل منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادى ، ومنزله بشاطئ الفرات .

(۱) ناحية من نواحي الكوفة . (۲) ضبطت فى معجم البلدان بتشديد الميم و (ج ۲ ص ۵۱) وبضم البين ، وتشديد الباء فى (ج ۵ : ص ۱۳۴) .

إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيت عن نفسك ، وعن أهل خراجك^(۱) وجزيرتك^(۲) ، ومن كان في قرينيك بانقيا وبارسما ألف درهم ، فقبيلتها منك ، ورضي من معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمة الله ، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك .

وشهد هشام بن الوليد . (تاريخ الطبري ۴ : ۳)

۸۶ - عهد خالد لصاحب قس الناطف

وروى أنه : لما صالح أهل الحيرة خالداً ، خرج صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف^(۳) ، حتى دخل على خالد عسكره ، فصالحه على بانقيا وبسما^(۴) ، وضمن له ما عليهما ، وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة خرزة كسرى^(۵) ، وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم كتاباً نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه .

إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، على كل ذي يد بانقيا وبسما جميعاً ، على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة ، القوي على قدر قوته ، والمقل على قدر إقلاله ، في كل سنة ، وإليك قد نُقبت^(۶) على قومك ، وإن قومك قد رضوا بك ، وقد قبيلتُ ومن معي من المسلمين ، ورضيتُ ورضي قومك ، فلك الذمة والمنعة ، فإن منعتنا كم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم . »

(۱) المخرج: الإناوة .
 تكون في تلك الجهة جزرا .
 (۲) إذا تأملت مصور العراق إبان الفتح وجدت فروعا لنهر الفرات بقرب الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي .
 (۳) لم ترد في معجم البلدان ، والظاهر أنها هي باروسما . (۴) خرزات الملك : جواهر تاجه ، ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ، ليعلم عدد سني ملكه .
 (۵) أي نصبت نقيا عليهم ، وقد نقب الرجل على القوم نقابة ككتب كتابة .

« شهد هشام بن الوليد ، والقَعْقَاع بن عمرو ، وجريير بن عبد الله الحميري ،
وحنظلة بن الربيع .

وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر^(۱) .
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۶)

۸۷ - عهد خالد لدهاقين العراق

وروى الطبري أيضاً قال :

كان الدهاقين^(۲) يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فلما استقام ما بين
أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له ، أتته دهاقين المِطاطين^(۳) وأتاه زاذ بن بهيش دِهقان
فُراتِ سِريا^(۴) ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبري^(۵) فصالحوه على ما بين القاليج^(۶) إلى
هرمزجرد على ألفي ألف ، وأن للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومن مال معهم عن
المقام في داره فلم يدخل في الصلح ، وكتب لهم كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لزااذ بن بهيش
وصلوبا بن نسطونا .

إن لكم الذمة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نقتبتم عليه من أهل البهقباد^(۷)
الأسفل والأوسط على ألفي ألف تقبل في كل سنة ، ثم كل ذي يد - سوى ما على بائقيا

(۱) تقدمك أن عهد خالد لأهل الحيرة كتب في ربيع الأول من سنة ۱۲ ، وهنا ترى أن عهده لصاحب
قس الناطف كتب في صفر من هذه السنة ، وكذا العهد التالي - عهده للدهاقين - فكيف يكون ذلك ،
وهذان العهدان كتاباً بعد صلح الحيرة ! اللهم إلا أن يقال إن خالد كان قد صالح أهل الحيرة في أواخر صفر
دون أن يكتب لهم عهداً ، ثم جاءه صاحب قس الناطف ودهاقين العراق فكاتب لهم عهد الصلح ، ثم كتب
لأهل الحيرة عهدهم في أوائل ربيع الأول . (۲) الدهاقين جمع دهقان : بالكسر والضم ، وهو زعيم
فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرب . (۳) المِطاط : حافة الوادى وساحل البحر ، والمراد هنا
شاطئ الفرات . (۴) سِريا صقع بالمرق بالسواد قريب من بغداد .

(۵) وفي رواية « وصلوبا بن بصبري ونسطونا » . (۶) فللاج السواد : قراها ، إحداها
فلوجة بفتح الفاء وتشديد اللام المضمومة . وهرمزجرد : ناحية بأطراف العراق .

(۷) البهقباد : اسم لثلاث كور من أعمال سنى الفرات مندوبة إلى قباز بن فيروز : وهى البهقباد
الأعلى ، والأوسط ، والأسفل (وفى هذا الأخير الكوفة وهرمزجرد) .

وبسما - وإنکم قد أرضیتونی والمسلمین ، وإننا قد أرضیناکم ، وأهل البهقباذ الأسفل ،
ومن دخل معکم من أهل البهقباذ الأوسط علی أموالکم لیس فیها ما کان لآل کسری ،
ومن مال میلهم .»

شهد هشام بن الولید ، والقعقاع بن عمرو ، وجریر بن عبد الله الحمیری ، وبشیر
ابن عبید الله ، وحنظلة بن الربیع .

وكتب سنة اثنتی عشرة فی صفر . (تاریخ الطبری ۴ : ۱۷)

۸۸ - کتاب البراءة لأهل الخراج

وجي الخراج إلى خالد في خمسين ليلة ، وكان الذين ضمّنوه - وهم رؤوس
الرّسّاتيق^(۱) - رهناً في يديه ، وكتب عمّال الخراج البراءات لأهل الخراج من نسخة
واحدة ، وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان كذا وكذا من الجزية التي
صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد ، وخالد
والمسلمون لكم يد على من بدّل صالح خالد ، ما أقرتم بالجزية وكفّتم ، أمانكم أمان ،
وصلحكم صالح ، نحن لكم على الوفاء .»

وأشهدوا لهم النّفَر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم .

(تاریخ الطبری ۴ : ۱۸)

۸۹ - كتاب خالد إلى ملوك فارس

ولما غلب خالد بن الوليد على أحد جانبي السّواد بعث بكتاب إلى ملوك
فارس ، وفيه :

(۱) الرّسّاتيق : جمع رسّاتيق بالضم ، وهو الناحية التي هي طرف الإقليم ، معرب .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس ، أما بعدُ : فالحمد لله الذي حلَّ نِظَامَكُمْ^(۱) ، ووَهَنَ كَيْدَكُمْ ، وفرَّقَ كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم ، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم وتجاوزكم إلى غيركم ، وإلا كان ذلك وأتم كارهون على غلب ، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۸)

۹۰ - کتاب خالد إلى مرآة فارس

وبعث إلى أهل المدائن كتابًا فيه :

« من خالد بن الوليد إلى مرآة^(۲) أهل فارس : سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فالحمد لله الذي فضَّ خدَمَتَكُمْ^(۳) وسلب ملككم ، ووَهَنَ كَيْدَكُمْ ، وإنه من صَلَّى صَلَاتِنَا ، واستقبل قِبَلَتِنَا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له مَالِنَا ، وعليه ما علينا .

أما بعدُ : فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرُّهْنِ ، واعتقدوا مني الذمَّةَ ، وأدُّوا إلى الجزية ، وإلا فوالله الذي لا إله غيره ، لأبعثنَّ إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا » .
فلما قرءوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

(تاريخ الطبري ۴ : ۴ ، والقد الفريد ۱ : ۴۰ ، وفوح الشام ص ۵۵ ، وكتاب المراج ص ۱۷۳)

(۱) النظام في الأصل : الحيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه . (۲) المرآة جمع مرزبان بفتح الميم وضم الزاي ، وهو الرئيس من الفرس ، والمرزبة كمرحلة : رياسة الفرس .
(۳) يقال : فض الله خدمتهم : أي فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك : سير غليظ مضفور مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائح النعل (أي سيورها) جمع مريجة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، فضرِبَ ذلك مثلا لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة . وفي القند الفريد وفوح الشام « حرمتمكم » وهو تحريف ، وفي القند « الحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم ، فإذا أتاكم كتابي . . . » وفي كتاب المراج « فالحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وخالف بين كلمتكم وأوهن بأسكم ، وساب ملككم ، فإذا جاءكم كتابي هذا » .

۹۱ - کتاب خالد إلى مرزبة فارس

وكتب إلى مرزبة فارس كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرزبة فارس . أما بعدُ : فأسلموا تسلموا ، وإلا فاعتقدوا مني الذمة ، وأدوا الجزية ، وإلا فقد جنتكم بقوم يحبون الموت كما تحبب شرب الخمر » . (تاريخ الطبری ۴ : ۱۸)

۹۲ - کتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

وبعد أن تمّ النصر لخالد بن الوليد في وقعة الفِراض^(۱) أمر الجيش بالقفل^(۲) إلى الحيرة ، وتخلّف هو مظهرًا أنه في السّاقّة ، وخرج حاجًا لخمس بقين من ذى القعدة سنة ۱۲ هـ ، مكتتبًا بحجّه ، ومعه عدّة من أصحابه حتى أتى مكة ، ثم عاد إلى الحيرة لم يعلم بحجّه إلا من أفضى إليه بذلك من السّاقّة ، ولم يعلم أبو بكر بذلك إلا بعدُ ، فعتب عليه ، ووافاه كتاب أبي بكر بالحيرة مُنصرّفه من حجّه أن :

سِرّ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجّوا وأشجّوا^(۳) وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يشجّ الجموع من الناس بعون الله شجّاك^(۴) ، ولم يُنزع الشجّي^(۵) من الناس نزعك ، فليهنئك أبا سايان النية والحظوة^(۶) ، فأتمّم يُتمّم الله لك ،

(۱) تخوم الشام والعراق والجزيرة على الشاطي' الشرقى للفرات .

(۲) القفل والقول : الرجوع ، وساقّة الجيش : مؤخره .

(۳) أشجّاه قرنه : قهره وغلبه حتى شجى به (كفرح) شجى (كفتى) .

(۴) أى لم تقهر الجموع قهرك ، وفي الأصل « شجيك » وهو تحريف ، ولعله كان في الأصل المنقول

عنه هكذا « شجك » بألف قصيرة فوق الجيم .

(۵) والشجى أيضا : ما اعترض في حلق الإنسان من عظم وغيره .

(۶) الحظوة : المسكنة . أى مذكرك عند الله .

وَلَا يَدْخُلُكَ عَجْبٌ فَمَتَّخِرٌ وَتَذِلُّ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُدِيلَ بِعَمَلٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْمَنْ ، وَهُوَ
وَلِيُّ الْجَزَاءِ . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۶ ، ۴۰)

۹۳ - كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن

ولما أزمع أبو بكر رضي الله عنه فتح الشام ، استنفر الناس لجهاد الروم ، فنفروا
إليه ، ثم رأى أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغبهم في ثوابه ،
فكتب إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من قرئ
عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن ، سلام عليكم ، فإنني أحمد إليكم
الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن
يَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَقَالَ : « جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » فالجهادُ
فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد
الروم بالشام ، وقد سارعوا إلى ذلك وعشكروا وخرجوا ، وحسنت في ذلك نيَّتَهُمْ ،
وعظمت في الخير حسبتهم^(۱) ، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسُنْ
نيَّتُكُمْ فِيهِ ، فَإِنَّكُمْ إِلَى إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ : إما الشهادة ، وإما الفتح والغنيمه ، فإن الله
تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يترك أهل عداوته حتى يدِينُوا
بدين الحق ، وَيُقِرُّوا بِحُكْمِ الْكِتَابِ ، أَوْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ^(۲) وهم صاغرون ،
حَفِظَ اللَّهُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَهَدَى قُلُوبَكُمْ ، وَزَكَّى أَعْمَالَكُمْ ، وَرَزَقَكُمْ أَجْرَ الْمُجَاهِدِينَ
الصَّابِرِينَ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ .

(فتوح الشام ص ۵ ، وتهذيب تاريخ ابن عساکر ۱ : ۱۲۸)

(۱) الحبة : الأجر ، وادم من الاحتساب . احسب بكذا اجرا عند الله : اعتده ينوي به وجه الله .

(۲) انظر هامش ص ۳۹ .

۹۴ - کتاب أبي بكر إلى عمرو بن العاص

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد ردَّ عمرو بن العاص على عمالةٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأها إياه من صدقات سعدٍ هذيمٍ وعذرة قبل ذهابه إلى عُمان ، فخرج إلى عُمان^(۱) وهو على عِدَّة من عمله إذا هو رجع ، فأنجز له ذلك أبو بكر .

فلما احتاج أبو بكر لفتح الشام كتب إلى عمرو :

« إني قد كنت رددتك على العمل الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكَه مَرَّةً ، وسمَّاه لك أخرى ، مَبْعَثَكَ إلى عُمان ، إنجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وُلِّيْتَهُ ثُمَّ وُلِّيْتَهُ^(۲) ، وقد أحببتُ أبا عبد الله أن أفرِّغَكَ لما هو خير لك فى حياتك ومَعَادِكَ منه ، إلا أن يكون الذى أنت فيه أَحَبَّ إِلَيْكَ » .

۹۵ - رد عمرو على كتاب أبي بكر

فكتب إليه عمرو :

« إني سَهَمْتُ من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامى بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدَّها وأخشاهَا وأفضلها ، فأرْمِ به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي » .
وكتب إلى الوليد بن عُقبة - وكان على النصف من صدقات قضاة - بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

فكتب إليهما : « استخلفاً على أعمالكما ، وانْدُبَا من يليكما » فندبا الناس فقتامَ إليهما بشر كثير .

(۱) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو بن العاص إلى جيفر (ملك عمان) منصرفه من حجة الوداع (سنة عشر) فمات رسول الله وعمرو بعمان (انظر تاريخ الطبرى ۳ : ۲۳۱) .
(۲) أى وليته مرة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم وليته مرة أخرى فى عهده .

ثم جَهَّز أبو بكر الجيوش لفتح الشام ، فجعلها أربعة : على أحدها عمرو بن العاص ، ووجهته فلسطين ، وعلى الثاني الوليد بن عتبة ، ووجهته الأردن ، وعلى الثالث يزيد ابن أبي سفيان ، ووجهته البلقاء ، وعلى الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ووجهته حمص ، وقدم سُرحبيل بن حَسَنَة وافداً من عند خالد بن الوليد ، فاستعمله أبو بكر على عمل الوليد بن عتبة ، وكان ذلك أول سنة ۱۳ هـ .

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۹ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۱۹۶ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۱۳۱)

۹۶ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن سعيد بن العاص

ولما انهزم خالد بن سعيد بن العاص أمام جيش الروم ، وهرب إلى ذي المروة^(۱) ، وأتى أبا بكر الخبيرُ كتب إليه :

« أقيم مكانك ، فلعمرى إنك مقدمٌ مُحجَّامٌ ، نَجَّاءٌ من الغمرات ، لاتخوضها

إلى حق ، ولا تصبرُ عليه » . (تاريخ الطبري ۴ : ۳۱)

۹۷ - كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى أبي بكر

وسار أبو عبيدة بن الجراح إلى الشام ، حتى إذا دنا من « الجابية » أتاه آتٍ فقال :

(۱) ذوالمروة : قرية بوادي القرى ، وذلك أن أبا بكر رضى الله عنه لما عتد الألوية لقتال أهل الردة ، عقد له فيمن عقد ، ووجهه إلى مشارف الشام ، وأمره أن يبزل تيماء لا يبرحها ، وأن يدعو من حوله إلى الانضمام إليه ، وألا يقبل إلا من لم يرتد ، ولا يقاتل إلا من قاتله ، حتى يأتيه أمره ، فاجتمع إليه جموع كثيرة ، وبلغ خبره الروم ، فجهزوا إليه جيشاً من العرب التابعين لهم ، فكتب خالد إلى أبي بكر بذلك ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله ، فار إلىهم خالد ، فلما دنا منهم تفرقوا وأعدوا منزلهم ، فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الاسلام ، وكتب إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه : « أقدم ولا تفتحن حتى لا تؤتى من خلفك » فتقدم ، وسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان ، فهزمه خالد وقتل حنذه ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده فأمدته ، ثم لما علم خالد أن أبا بكر أمر الأمراء وجيش الجيوش لفتح الشام - كما تقدم - اقتحم على الروم طلباً للحظوة وأعرى ظهره واستطرد له باهان وتراجع هو ومن معه إلى دمشق ، واقتحم خالد في الجيش ، فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعرون ، فخرج خالد هارباً في جريدة إلى ذي المروة ، وأقام عكرمة في الناس ردها لهم ، فرد عنهم باهان وجنوده .

إن هِرَقْل ملك الروم «بأنطاكية» وإنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آباءه لأحد من الأمم قبلكم ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضى الله عنهما :
« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإننا نسال الله أن يُعزِّزَ الإسلامَ وأهله عزًّا متينًا ، وأن يفتحَ لهم فتحًا يسيرًا ، فإنه بلغنى أن هِرَقْل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى « أنطاكية » وأنه بعث إلى أهل مملكته ، فحشَرهم إليه وأنهم نفرُوا إليه على الصَّعبِ والدُّلُولِ ، وقد رأيت أن أُعَلِّمَكَ ذلك ، فترى فيه رأيتك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . » (فتوح الشام ص ۲۵)

۹۸ - ردأبى بكر على أبى عبيدة

فكتب إليه أبو بكر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد بلغنى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من أمر هِرَقْل ملك الروم ، فأما منزله « بأنطاكية » فهزيمة له ولأصحابه ، وفتحٌ من الله عليك وعلى المسلمين ، وأما ما ذكرتَ من حشَره لكم أهلَ مملكته ، وجمعه لكم الجموعَ ، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم ، وما كان قومَ ليدعوا سلطانهم ، ولا يخرجوا من ملكهم ، بغير قتال ، وقد علمت - والحمد لله - أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبُّون الموت حبَّ عدوهم الحياة ، ويُجزون^(۱) من الله فى قتالهم الأجرَ العظيم ، ويحبُّون الجهاد فى سبيل الله أشدَّ من حبِّهم أبكارَ نساءهم ، وعمائل^(۲) أموالهم ، الرجلُ منهم عند الفتح خير من ألف رجل من

(۱) فى الأصل : « ويجذبون » وهو تحريف وقد أصلته كما ترى .

(۲) أى وخيارها : جمع عقيلة كفينية ، وهى من كل شىء أكرمه .

المشركين ، فآلقهم بجندی ولا تشتو حش لمن غاب عنك من المسلمين ، فإن الله معك ،
وأنا مع ذلك مُمدِّك بالرجال حتى تكفني ، ولا تريد أن تزداد إن شاء الله ، والسلام
عليك ورحمة الله . (فتوح الشام ص ۲۴)

۹۹ - كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رضي الله عنه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن ملك الروم هرقل آتانا بلغه مسيرنا إليه ،
ألقى الله الرعب في قلبه ، فتحمل^(۱) فنزل أنطاكية ، وخلف أمراء من جنده على
مدائن الشام ، وأمرهم بقتالنا ، وقد تيسروا لنا واستعدوا ، وقد أخبرنا مسالة الشام
أن هرقل استنفر أهل مملكته ، وأنهم قد جاءوا يجرئون الشوك والشجر^(۲) فرأنا
بأمرك ، وعجل علينا في ذلك برأيك تبعه إن شاء الله ، ونسأل الله النصر
والصبر والفتح ، وعافية المسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله .
(فتوح الشام ص ۲۵)

۱۰۰ - رد أبي بكر على يزيد بن أبي سفيان

فكتب إليه أبو بكر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحمل^(۳)
ملك الروم إلى أنطاكية ، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين ، فإن الله
- وله الحمد - قد نصرنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب^(۴) ، وأمدنا
بملائكته الكرام ، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب ، هو هذا الدين الذي

(۱) تحمل : ارتحل . (۲) من أمثال العرب : « جاء بالشوك والشجر » وهو مثل يضرب
لمن جاء بالشيء الكثير من كل ما كان من جيش عظيم وغيره .
(۳) في الأصل : « تحويل » وهو تحريف . (۴) في الأصل : « بالرعب » وهو تحريف أيضا .

ندعو الناسَ إليه اليوم ، فَوَرَبُّكَ لا يجعلُ اللهُ المسلمينَ كالمجرمين ، ولا مَنْ يشهدُ
 أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ كَمَنْ يعبدُ معه آلهةَ أخرى ، وَيَدِينُ بعبادةِ آلهةٍ شَتَّى ، فإذا
 لقيتموهم فأنهَدُوا^(۱) إليهم بِمَنْ معكَ وَقَاتِلِهِمْ ، فإنَّ اللهُ لَنْ يَخْذُلَكَ ، وقد نبأنا اللهُ
 تبارك وتعالى أَنَّ الفِئَةَ القليلةَةَ تغلبُ الفِئَةَ الكثیرَةَ بِإِذْنِ اللهِ ، وَأَنَا معَ ذَلِكَ مُمِدُّكَ بِالرِّجَالِ
 فِي إِثْرِ الرِّجَالِ ، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادةِ إنسانٍ إن شاء اللهُ ، والسلامُ عليك
 ورحمةُ اللهِ .

وجعل أبو بكر يبعث بالأمداد إلى الشام مَدَدًا تَلَوَّ مَدَدًا .

(فتوح الشام ص ۲۶)

۱۰۱ - كتاب هرقل إلى أهل الشام

فلما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت^(۲) عليهم من كل وجه ،
 وكثرت جوعتهم بها ، بعثوا رسلهم إلى ملكهم يُعلمونه ذلك ، ويسألونه المَدَدَ ،
 فكتب إليهم :

« إني قد عجبت لكم حين تستمدونني^(۳) ، وحين تكثرون عليَّ عددًا من
 جاءكم من العرب ، وأنا أعلمُ بهم وبمن جاء منهم ، ولأهلُ مدينةٍ واحدةٍ من
 مدائنكم أكثرُ مما جاءكم أضعافًا مضاعفةً فالقومُ فقَاتِلوهم ، ولا تظنوا أني كتبت
 إليكم بهذا ، وأنا أريدُ أَلَّا أُمِدَّكُمْ ، لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الجُنُودِ مَا تَضِيقُ بِهِم
 الأَرْضُ القِضَاءُ » .

فكتب أهل مدائن الشام بعضهم إلى بعض ، وأرسلوا إلى كل من كان على دينهم
 من العرب فدَعَوْهم إلى قتال المسلمين فأجابوهم .

(فتوح الشام ص ۳۶)

(۱) أي أنهض . (۲) من جاش البحر: إذا هاج ، وجاشت القدر إذا غلت ، وفي الحديث :
 « ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب » أي فار وارتفع .
 (۳) في الأصل : « تستهدونني » وهو تحريف .

۱۰۲ - کتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر

وبلغ أبا عبيدة مراسلتهم وخبرهم فكتب إلى أبي بكر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالآيمان ، وهدانا لما اختلفوا فيهِ ، فإنه يَهْدِي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وإن عيوني من أنبأ أهل الشام أخبروني أن أوائل أمداد ملك الروم قد وقعوا إليه ، وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسالهم إليه يستمدونه ، وأنه كتب إليهم : « إن أهل مدينة من مدائنكم أكثر من قدم عليكم من العرب ، فانهضوا إليهم فقاتلوهم فإن مددي يأتيكم من ورائكم » فهذا ما بلغنا عنهم ، وأنفس المسلمين لينة بقتالهم ، وقد أخبرونا أنهم قد تهيئوا لقتالنا ، فأنزل الله على المؤمنين نصره ، وعلى المشركين رجزه^(۱) ، إنه بما يعملون عليم ، والسلام » . (فتوح الشام ص ۲۷)

۱۰۳ - رد أبي بكر على أبي عبيدة

فكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر فيه تسير عدوكم لمواقعتكم ، وما كتب به ملكهم إليهم من عدته إياهم أن يمدهم من الجنود ما تضيق به الأرض القضاء ، ولعمركم الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برحبتها^(۲) بمكانكم فيهم ، وأيم الله ما أنا بأيسر أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلا إن شاء الله ، فبئس خيلك في القرى والسواد ، وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ، ولا تحاصرني المدائن حتى يأتيك أمرى ، فإن ناهضوك فانهذ إليهم واستعين بالله عليهم ،

(۱) الرجز : العذاب .

(۲) الرحب : الانساع ، وفي الأصل « برحها » وهو تحريف .

فإنه ليس يأتيهم مددٌ إلا أمددناك بمثلهم أو ضعفهم^(۱) ، وليس بكم - والحمد لله -
 قلةٌ ولا ذلةٌ ، فلا أعرفنَّ ما جُبُنتم عنهم ، ولا ما خِفتم منهم ، فإن الله فاتح لكم
 ومُظهِرِكُمْ^(۲) على عدوكم بالنصر ، وملتَمَس منكم الشكر لينظر كيف تعملون ، وعمرو
 فأوصيك به خيراً ، وقد أوصيته أن لا يضيع حقاً يراه ويعرفه ، فإنه ذو رأى وتجربة ،
 والسلام عليك ورحمة الله . (فتوح الشام ص ۴۲)

۱۰۴ - كتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر

وكتب أبو عبيدة وهو بالجابية إلى أبي بكر رضى الله عنهما :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الروم وأهل البلد ومن كان على دينهم
 من العرب ، قد اجتمعوا على حرب المسلمين ، ونحن نرجو النصر وإنجاز موعود الرب
 وعادته الحسنى ، أحببتُ إعلامك ذلك لترى فيه رأيتك إن شاء الله ، والسلام . »
 (فتوح الشام ص ۵۷)

۱۰۵ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رضى الله عنهما :
 « أما بعد : فإذا جاءك كتابي هذا فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدِمْتَ
 (۱) جاء في المصباح المنير : « قال الأزهرى : الضعف في كلام العرب المثل ، هذا هو الأصل ، ثم
 استعمل الضعف في المثل ومازاد وليس للزيادة حد ، يقال هذا ضعف هذا أى مثله ، وهذان ضعفاء
 أى مثلاه ، قال : وجاز في كلام العرب أن يقال هذا ضعفه أى مثلاه وثلاثة أمثاله ، لأن الضعف زيادة
 غير محصورة . وجاء في لسان العرب في هذا الصدد : « ألا ترى قوله تعالى « فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
 الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا » لم يرد به مثلاً ولا مثلين ، وإنما أراد بالضعف الأضعاف ، وأولى الأشياء به
 أن يجعله عشرة أمثاله لقوله سبحانه « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
 فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا » فأقل الضعف عصور وهو المثل ، وأكثره غير محصور . »
 (۲) أى ناصركم .

عليهم وهم فيه ، وامض متخففاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدِموا العراق معك من اليمامة ، وصحبوك من الطريق ، وقدِموا عليك من الحجاز ، حتى تأتي الشام ، فتلقي أبا عبيدة بن الجراح ، ومن معه من المسلمين ، فإذا التمتيم فانت أمير الجماعة ، والسلام عليك .
(فتوح الشام ص ۵۷)

۱۰۶ - كتاب خالد بن الوليد إلى المسلمين بالشام

فلما أقبل خالد إلى الشام كتب إلى المسلمين بها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى من بأرض العرب من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإني أسأل الله الذي أعزنا بالإسلام ، وشرّفنا بدينه ، وأكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وفضلنا بالإيمان ، رحمةً من ربنا لنا واسعةً ، ونعمةً منه علينا سابقةً^(۱) ، أن يُبتمَّ ما بنا وبكم من نعمته ، واحمدوا الله عباد الله يزِدُّكم ، وارغبوا إليه في تمام العافية يُدِمها لكم ، وكونوا له على نعمه من الشاكرين .

وإن كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني يأمرني بالمسير إليكم ، وقد شمّرتُ وانكشتُ^(۲) ، وكان خيلى قد أطلت عليكم في رجال ، فأبشروا بإنجاز موعود الله ، وحسن ثوابه ، عصمنا الله وإياكم بالإيمان ، وثبتنا وإياكم على الإسلام ، ورزقنا وإياكم حسن ثواب المجاهدين ، والسلام عليكم .

(فتوح الشام ص ۶۱)

۱۰۷ - كتاب خالد إلى أبي عبيدة

وكتب إلى أبي عبيدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لأبي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد: سلام عليك،

(۲) انكش ونكش : أسرع .

(۱) أى تامة وانبة .

فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ : فإني أسأل الله لنا ولك الأمنَ يومَ الخوفِ ، والعِصمةَ في دار الدنيا ، فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرني بالسير إلى الشام ، وبالمقام على جندها ، والتوَلَّى لأمرها ، والله ما طلبتُ ذلك ولا أرَدْتُهُ ، ولا كتبتُ إليه فيه ، وأنت - رحمتك الله - على حالك التي كنتَ بها لا يُعصى أمرُك ، ولا يخالفُ رأيك ، ولا يقطعُ أمرُ دونك ، فإنك سيد من سادات المسلمين لا يُنكرُ فضلك ، ولا يُستغنى عن رأيك ، ثمَّ الله ما بنا وبك من نعمة الإحسان ، ورحمتنا وإياك من عذاب النار ، والسلام عليك ورحمة الله .
(فتوح الشام ص ٦٢)

١٠٨ - كتاب أبي بكر إلى أبي عبيدة

وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإني قد وليتُ خالدًا قتال الروم بالشام ، فلا تخالفه ، واسمع له وأطع أمره ، فإني وليته عليك ، وأنا أعلم أنك خيرٌ منه ، ولكن ظننتُ أن له فِطنةً في الحرب ليست لك ، أراد الله بنا وبك سُبُلَ الرشاد ، والسلام عليك ورحمة الله .
(فتوح الشام ص ٧٤)

١٠٩ - كتاب خالد إلى الأمراء

وولي خالد أمر الناس ، فلما أراد الشخوص من أرض دمشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأجنادين^(١) ، كتب نسخة واحدة إلى الأمراء .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنه قد نزل بأجنادين جموع من جموع

(١) قال ياقوت في معجمه : وتفتح الدال فنكسر معها النون الأخيرة فبصير بلفظ التثنية ، ونكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع .

الروم غير ذى عدد ولا قوة ، والله قاصمهم^(۱) ، وقاطع دابرهم^(۲) ، وجاعل دائرة^(۳) السوء عليهم ، وقد شخصت^(۴) إليهم يوم سرت رسولى إليكم ، فإذا قدم عليكم فانهبوا إلى عدوكم رحمكم الله فى أحسن عدتكم ، وأصح نيتكم ، ضاعف الله لكم أجوركم ، وخطأ أوزاركم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(فتوح الشام ص ۷۴)

۱۱۰ - كتاب خالد إلى أبى بكر

فأقبلوا حتى اجتمعوا جميعاً بأجنادين ، وحلوا على الروم فهزموهم وقتلوا منهم عدداً كثيراً ، فلحقوا بإيليا ، وقيسارية ، ودمشق ، وخص ، فتحصنوا فى المدائن العظام ، وكتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر رضى الله عنهما : بفتح الله عز وجل عليه ، وعلى المسلمين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على المشركين ، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنى أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون ، وقد جمعوا لنا جموعاً كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صلبهم ، ونشروا كتبهم ، وتقاسموا بالله لا يفرّون حتى يُفنوننا ، أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنا إليهم واثمين بالله متوكلين على الله ، فطاعنهم بالرمح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها ، ثم إن الله أنزل نصره ، وأنجز وعده ، وهزم الكافرين ، فقاتلناهم فى كل فجّ وشعبٍ وغائطٍ^(۴) ، فحمد الله على إعزاز دينه ، وإذلال عدوه ، وحسن الصنع لأوليائه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

(۱) قصه : كسره . (۲) الدابر : آخر كل شيء ، والأصل . (۳) الدائرة : الهزيمة .

(۴) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين . الشعب : الطريق فى الجبل ، ومسيل الماء فى بطن أرض ، أو ما انخرج بين الجبلين . الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشام ، وكانت في جمادى الأولى سنة ۱۳ هـ ، ثم جمع هرقل للمسلمين فالتقوا باليرموك ، وجاءهم الرسل وهم متصافون بنجر وفاة أبي بكر ، واستخلاف عمر ، وولاية أبي عبيدة حرب الشام ، وعزل خالد ابن الوليد ، فكتموا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون ، وذلك في رجب سنة ۱۳ هـ .
(فتوح الشام ص ۸۰)

۱۱۱ - عهد أبي بكر عند موته لعمر بن الخطاب

ولما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق دعا عثمان بن عفان رضي الله عنهما فقال :
اكتب عهدي ، فكتب عثمان ، وأملى عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا نازحاً عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلها ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ويصدق الكاذب :
إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدك فذلك عليّ به ورأى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل أمرئ ما آتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

(الكامل للمردد ۱ : ۶ ، وصبح الأعشى ۹ : ۳۵۹ والإمامة والسياسة ۱ : ۱۶ ، والعقد الفريد ۲ ، ۲۰۷ ، وإعجاز القرآن ص ۱۱۵)

خلافة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

١١٢ - كتابه إلى أبي عبيدة بن الجراح

روى الطبري أن أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة هو كتابه إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح يوليه على جند خالد بن الوليد^(١)، وهو:

«أوصيك بتقوى الله الذى يَبْقَى وَيَبْقَى ما سواه ، الذى هدانا من الضلالة وأخرَجنا من الظلمات إلى النور .»

(١) كان عمر قبل أن يلى الخلافة غاضبا على خالد بن الوليد. وسبب ذلك: أن خالد لما فرغ من أمر طليحة - كما قدمنا سار لتتال المرتدين من بني تميم بالبطاح (كعراب) وعليهم مالك بن نويرة، وقد تردد عليه أمره، فلما قدمها بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام. وأن يأتيه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني تلبية بن يربوع، فاختلفت السرية فيهم - وفيهم أبو قتادة - فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء. فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فخبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت ترداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادى: أذقتوا أسراهم - وكانت في لفة كنانة بمعنى القتل - فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوه، وسمع خالد الواعية (الصراخ) فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملك. فنهزه خالد. فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، ثم تزوج خالد امرأة مالك، وقد ألق عمر على أبي بكر في خالد أن يعزله. وقال إن في سيف خالد رهقا (بالتحريك وهو السفه والخفة وركوب الشر والظلم). فإن لم يكن هذا حقا حق عليه أن تقبده، وأكثر عليه في ذلك، فقال: هيه يا عمر، تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، لم أكن لأشيم (أى أئمتد) سيفاً سله الله على الكافرين، وودى مالكا (أى أعطى دينه) وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، وأقبل خالد إلى المدينة حتى دخل المسجد معتمراً بهامة له قد غرز فيها أسهما، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فخطمها ثم قال: أرثاء؟ قتلت امرأة مسلماً ثم تزوت على امرأتها والله لأرجنك بأحجارك، وخالد لا يكلمه حتى دخل على أبي بكر، فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره، وخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر فقال لعمر وهو جالس في المسجد: هلم إلى يابن أم شملة، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه، فلم يكلمه ودخل بيته. فلما ولى عمر الخلافة عزله عن قيادة جند الشام. وولى مكانه أبا عبيدة.

وقد استعملتک علی جند خالد بن الولید ، فقم بأمرهم الذی یحِقُّ علیک ، لا تقدّم المسلمین إلى هَلَکةٍ رجاءَ غنیمَةٍ ، ولا تُنزِلهم منزلاً قبل أن تستریده^(۱) لهم ، وتعلمَ کیف ماتناه ، ولا تبعثُ سرّیةً إلا فی کثف^(۲) من الناس ، وإیاک وإلقاء المسلمین فی الهَلَکة ، وقد أبلاک^(۳) الله بی وأبلائی بک ، فغمّضُ بصرک عن الدنیا ، وأله قلبک عنها ، وإیاک أن تهلکک کما أهلکت من کان قبلك ، فقد رأیت مصارعهم .

(تاریخ الطبری ۴ : ۵۴)

۱۱۳ - کتاب عمر إلى الأمصار

وکتب عمر إلى الأمصار :

« إنی لم أعزل خالدًا عن سَخَطِهِ ولا خیانة ، ولكن الناس فُتِنُوا به فحفتُ أن یؤکلوا إلیه ویبتلوا به ، فأحیبتُ أن یعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا یكونوا بعرضِ فتنَةٍ » .

(تاریخ الطبری ۴ : ۲۰۶)

۱۱۴ - کتاب عمر بن الخطاب إلى أبی عبیدة

وفی رواية: أن أبابکر تُوِّفَ ، وخالدُ بن الولید علی حصار دمشق ، فکتب عمر إلى أبی عبیدة بنعی أبی بکر ، واستعماله أبابکر ، وعزله خالدًا :

« بسم الله الرحمن الرحیم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبی عبیدة بن الجراح ، سلام علیک ، فإنی أحمّد إلیک الله الذی لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن أبابکر الصدیق خایفة رسول الله صلی الله علیه وسلم قد تُوِّفَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَیْهِ رَاجِعُونَ ، ورحمةُ الله

(۱) الرائد : الذی یتقدم القوم ببصر لهم الکلاً ومساقط الغیت ، وقد راد أهله منزلاً وکلاً ، وراد

لهم ، وارتاد ، واستراد . (۲) السریة: قطعة من الجیش . الکثف: الجماعة .

(۳) أبلاه : امتحنه کأبلاه .

وبركاته على أبي بكر الصديق العامل^(۱) بالحق ، والأمر بالقسط^(۲) ، والآخذ بالعرف ، اللين السثير الوادع^(۳) ، السهل القريب الحكيم ، نحسبُ مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامةً عند الله تعالى ، وإنا نرغب إلى الله في العِصمة برحمته من كل معصية ، ونسأله العمل بطاعته ما أحيانا ، والحلول في جنته إذا توفانا ، إنه على كل شيء قدير .

وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق ، وقد وليتكم جماعة المسلمين فبئ سرآياك^(۴) في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام ، وانظر في ذلك برأيك ، ومن حضرك من المسلمين ، ولا يحملنك قولي هذا على أن تُغريَ عسكريك فيطمع فيك عدوك ، ولكن من استغفيت عنه فسيره ، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبته ، وليكن فيمن يُحتبس خالد بن الوليد ، فإنه لاغنى بك عنه ، والسلام عليك ورحمة الله .
(تهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۱۵۱ ، وفتوح الشام ص ۸۶)

۱۱۵ - كتاب أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب

فكتب أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم كتاباً واحداً ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر ابن الخطاب ، سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإننا عهدناك ، وأمرُ نفسك لك مهمٌ ، وإنك يا عمر أصبحت وقد وليتَ أمر أمة محمد :

(۱) فى فتوح الشام « الفائل » . (۲) القسط : العدل .

(۳) السثير : العفيف . الوادع : الوديع أى الساكن . وفعله : ككرم . وفى فتوح الشام

« والآخذ بالعرف والبر السهل القريب . . . » .

(۴) جمع سرية كغنية : وهى القطعة من الجيش .

أَحْمَرِهَا^(۱) وَأَسْوَدِهَا ، يَقَعْدُ بَيْنَ يَدَيْكَ الصَّدِيقَ وَالْعَدُو ، وَالشَّرِيفَ وَالْوَضِيعَ ، وَالشَّدِيدَ وَالضَّعِيفَ ، وَلِكُلِّ عَلَيْكَ حَقٌّ وَحِصَّةٌ^(۲) مِنَ الْعَدْلِ ، فَانظُرْ كَيْفَ أَنْتَ يَا عَمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّا نَذْكُرُكَ يَوْمًا تُبْلَى^(۳) فِيهِ السَّرَائِرُ ، وَتُكشَفُ فِيهِ الْعَوْرَاتُ ، وَتُظْهِرُ فِيهِ الْمُخَبَّاتُ ، وَتَعْنُو فِيهِ الْوُجُوهُ لِلْمَلِكِ قَاهِرٍ ، قَهَرَهُمْ بِجَبْرُوتِهِ ، وَالنَّاسُ لَهُ دَاخِرُونَ يَنْتَظِرُونَ قِضَاءَهُ ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ .

وَإِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَكُونُونَ إِخْوَانَ الْعَلَانِيَةِ ، أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُنَزَّلَ كِتَابُنَا مِنْ قَلْبِكَ سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَلْبِنَا ، فَإِنَّا إِنَّمَا كَتَبْنَا إِلَيْكَ نَصِيحَةً لَكَ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

(فتوح الشام ص ۸۸ ، وإعجاز القرآن ص ۱۱۶)

۱۱۶ - رد عمر على أبي عبيدة ومعاذ

فكتب عمر رضى الله عنه جواب كتابهما :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِي عَبِيدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمَا ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَوْصِيكُمَا بِتَمْوِي اللَّهِ ، فَإِنَّهُ رِضَا رَبِّكُمَا ، وَحِظُّ أَنْفُسِكُمَا وَغَنِيمَةُ الْأَكْيَاسِ لَأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ ، وَقَدْ بَلَّغْنِي كِتَابِكُمَا تَذْكَرَانَ أَنْكُمَا عَهْدُ تَمَانِي وَأَمْرُ نَفْسِي لِي مُهِمٌّ ، فَمَا يُدْرِيكُمَا ؟ وَهَذِهِ تَرْكِيَةٌ مِنْكُمْ لِي ، وَتَذْكَرَانَ أَنِّي وَوَلِيْتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَقَعْدُ بَيْنَ يَدَيْ الصَّدِيقِ وَالْعَدُو ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالْقَوِي وَالضَّعِيفِ ، وَلِكُلِّ حِصَّةٌ مِنَ الْعَدْلِ ، وَكُتِبَتْمَا أَنْ انظُرْ كَيْفَ أَنْتَ يَا عَمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِعَمْرٍ

(۱) الحمراء : العجم لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمرة . (۲) الحصاة : النصب . وفي إعجاز القرآن « ولكل حصته » من العدل . (۳) تبلى أى تختبر وتكشف . تعنو: تذلل وتخضع . داخرون : صاغرون ذليلون . من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك أى صغروذل . وفي إعجاز القرآن « فإننا نذكرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجب فيه القلوب (أى تضطرب) وإنا كنا نتحدث أن هذه الأمة ترجع في آخر زمانها أن يكون لإخوان العلانية أعداء السريرة » .

عند ذلك إلا بالله، وكتبنا تخوفاتني^(۱) يوماً هوات، وذلك باختلاف الليل والنهار، فإنهما يُبليان كل جديد، ويُقرَّبان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، حتى يأتيا بيوم القيامة، يوم تُبلى فيه السرائر، وتكشف العورات، وتعنو فيه الوجوه، لِعِزَّةِ ملك قهرهم بجبروته، فالناس له داخرون يخافون عقابه، وينتظرون قضاءه، ويرجون رحمته، وذكراً أنه بلغنا أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة، فليس هذا بزمان ذلك، إنما ذلك في آخر الزمان إذا كانت الرغبة والرغبة رغبة الناس بعضهم إلى بعض (۲)

لولا أنك علمته من غيري، وما سلطان الدنيا وإمارتها؟ فإن كل ما ترى بصير إلى زوال، وإنما نحن إخوان، فأبنا أم أخاه أو كان أميراً عليه لم يضره ذلك في دينه ولا دنياه، بل لعل الوالى أن يكون أقربهما إلى الفتنة، وأوقعهما بالخطيئة لأنه بمرض هلكة إلا من عصم الله عز وجل، وقليل ما هم، وكتبنا تَعَوِّذَانِي بِاللَّهِ أَنْ أَنْزِلَ كِتَابِكَا مَنِي سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكَا، وَإِنَّمَا كَتَبْنَا نَصِيحَةً لِي، وَقَدْ صَدَقْتَا، فَتَعَهَّدَانِي مِنْكَ بِكِتَابٍ، وَلَا غِنَى بِي عَنْكَا .

(فتوح الشام ص ۸۹، وإعجاز القرآن ص ۱۱۷)

(۱) وفي إعجاز القرآن: « وكتبنا تخذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا، وقدينا كان اختلاف الليل والنهار بأجال الناس يقربان كل بعيد، ويبلان كل جديد، ويأتیان بكل موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار، ثم توفى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . »

(۲) بياض بالأصل في فتوح الشام. وفي إعجاز القرآن: « وكتبنا تزعمان أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بذلك، وليس هذا ذلك الزمان، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض لإصلاح دينهم، ورغبة بعض الناس لإصلاح دنياهم . »

۱۱۷ - کتاب عمر إلى أبي عبيدة

وبعد أن تم الظفر للمسلمين في وقعة « اليرموك » بلغ أبا عبيدة أن الروم أرزوا^(۱) إلى « فِجَل » ، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حصص ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستشيرهُ : أيدمشق يبدأ أم بفِجَل من بلاد الأردن ؟ فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فابدءوا بدمشق فانهدوا^(۲) لها ، فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فِجَل بخيل تكون يازاتهم في نحورهم ، وأهل فلسطين وأهل حصص ، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليَنزل بدمشق من يُمسِك بها ، ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِجَل ، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حصص ، ودع شرحبيل وعمرا وأخلهما بالأردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجنود على الناس حتى يخرجوا من إمارته » . (تاريخ الطبري ٤ : ٥٧)

۱۱۸ - عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق

وسار المسلمون إلى دمشق وحاصروها ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي ، وعمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان ، وألحوا عليها ، فقال الأسقف يوماً لخالد : صالحني على هذه المدينة ، فدعا خالد بدواة وقرطاس وكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها^(۳) ،

(۱) أرز كضرب : تجمع وثبت . أرزت الحية : لاذت بجرحها ورجعت إليه وثبتت في مكانها .
(۲) أي انهضوا . (۳) وفي تاريخ ابن عساكر « يوم فتحها » وذلك يدل على أن هذا العهد كتب بعد الفتح ، كما يدل على ذلك أيضاً ماورد في رواية ابن عساكر من قوله عقب إيراد الكتاب : « شهد هذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعيَّاس بن غنم ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح ومعمربن عتاب وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبیثة وعبد الله بن الحارث وقضاعة بن عامر » .

أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسُور مدينتهم لا يُهدم ولا يُسكن شيء من
دُورهم ، لهم على ذلك عهدُ الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين ،
لا يُعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية .
وكتب في رجب من سنة أربع عشرة .

(فتوح البلدان للبلاذري ص ۱۲۷ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۱۴۸ ، ۲ : ۱۰۵)

۱۱۹ - عهد أبي عبيدة لأهل دمشق

وشمر خالد لفتح المدينة ، فدخلها من جهة عنوة ، فلما رأى ذلك الروم قصدوا
أبا عبيدة ، وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب ، فالتقى خالد والقواد
في وسطها^(۱) ، ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق
وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على
أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشتراطنا لك على أنفسنا أن لا نُحدث في مدينة دمشق ،
ولا فيما حولها كنيسة ، ولا ديرًا ولا قلاية^(۲) ولا صومعة راهب ، ولا نجد ما حارب
من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان في خطاط^(۳) المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين
أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة ، وأبناء السبيل ، ولا نُؤوى
فيها ، ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لا نضرب
بنوا قيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ، ولا نُظهر الصايب عليها ، ولا نرفع أصواتنا

(۱) وجاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ۱۲۸ : « فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول
المدينة بدر إلى خالد فصالحه ، وفتح له الباب الشرقي ، فدخل والأسقف معه ناشر كتابه الذي كتبه له ،
فقال بعض المسلمين : والله ما خالد يأمر فكيف يجوز صلحه؟ فقال أبو عبيدة : إنه يجير على المسلمين أديانهم ،
وأجاز صلحه وأمضاه . . . »

(۲) القلاية : من بيوت عبادات النصارى كالصومعة ، وفي الأصل : « قلامة » وهو تحريف .

(۳) الخطط جمع خطة بالكسر : وهي الأرض التي يخطها الرجل لنفسه .

فی صلاتنا وقراءتنا فی کفائسنا ، ولا نُخرج صلیبنا ولا کتابنا ، ولا نُخرج باعوثاً
 ولا سَعَانین^(۱) ، ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولا نُظهر النیران معهم فی أسواق المسلمین ،
 ولا نجاورهم بالحنازیر ، ولا نبيع الخور ، ولا نُظهر شِرْکاً فی نادى المسلمین ، ولا نرغب
 مسلماً فی دیننا ، ولا ندعو إلیه أحداً ، وعلى أن لا نتخذ شیئاً من الرقیق الذین جرّت
 علیهم مہامُ المسلمین ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول فی الإسلام ، وأن
 نلزم دیننا حیثما کنا ، ولا نقسبہ بالمسلمین فی لبس قلنسوة ولا عمامة ولا
 نعلین ، ولا فرق شعر ، ولا فی مراکبهم ، ولا نتکلم بکلامهم ، ولا نسمی
 بأسمائهم ، وأن نجزّ مقادیم رءوسنا ، ونفرق نواصینا ، ونشدّ الزنابیر^(۲) علی أوساطنا ،
 وأن لا ننمّش فی خواتیمنا بالعربیة ، ولا نرکب الشروج ، ولا نتخذ شیئاً من السلاح ،
 ولا نجعله فی بیوتنا ، ولا نتقلد السیوف ، وأن نوقرّ المسلمین فی مجالسهم ، ونرشدهم
 الطریق ، ونتموم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطلع علیهم فی منازلهم ، ولا نعلم
 أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمین إلا أن یكون للمسلم أمر التجارة ، وأن
 نُضیف کل مسلم عابر سبیل من أوسط ما نجد ، ونُطعمه فیها ثلاثة أيام ، وعلینا أن
 لا نشتم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خاع عهده .

ضمیناً ذلک لك علی أنفسنا وذرارینا وأرواحنا ومساکیننا ، وإن نحن غیّرنا
 أو خالفنا عما اشترطنا لك وقبیلنا الأمان علیه ، فلا ذمّة لنا ، وقد حلّ لك منا ما حلّ
 من أهل المعاندة والشقاق ، علی ذلک أعطینا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا ، فأقرؤنا
 فی بلادکم التی ورثکم الله إیابا .

شهد الله علی ما شرطنا لكم علی أنفسنا ، وكفی بالله شهيداً .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۱۴۹)

(۱) الباعوث عند النصارى كالاستسقاء عندنا ، وهو اسم سرياني ، والعانين : عيد لهم قبل
 عيدهم الكبير بأسبوع وهو سرياني أيضاً . (۲) الزنابير جمع زنار كرمان : وهو ما يشد على وسط
 النصارى والمجوس .

۱۲۰ - کتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة

ولما ظهر أبو عبيدة على دمشق أمر عمرو بن العاص بأن يسير إلى أرض الأردن وفلسطين فيكون بينهما ، ففعل ما أمر به ، وبلغه وهو هناك أن الروم قد جمعوا جمعهم ، وتأهبوا لقتال المسلمين ، فكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق ، واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين ، فتكاتبوا وتواتقوا وتعاهدوا أن لا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، والله مكذب قولهم وأملهم ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، فاكتب إلى برأيك في هذا الحدث ، أرشد الله أمرك ، وسددك وأدام رشدك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

فأمدّه أبو عبيدة بجيش عظيم . (فتوح الثام ص ۹۴)

۱۲۱ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الروم قد أقبلت فزلت « فحجّل » طائفة منهم مع أهلها ، وقد سارع إليهم أهل البلد ، ومن كان على دينهم من العرب ، وقد أرسلوا إلى أن : « اخرج من بلادنا التى تئبت الحنطة والشعير والفواكه والأعشاب ، وإنكم لستم لها بأهل ، والحقوا ببلادكم بلاد الشتاء والبؤس ، فإن أتم لم تفعلوا ميرتنا إليكم بما لا قبيل لكم به ، ثم أعطينا الله عهداً أن لا نتصرف عنكم ، ومنكم عين تطرف^(۱) » فأرسلت إليهم :

(۱) طرفت العين كضرب : تمركز جفناها .

« أَمَا قَوْلَكُمْ : « اٰخِرُ جَوَانِ بِلَادِنَا ، فَلَسْتُمْ لَهَا بِأَهْلٍ » فَلَعَمْرِي مَا كُنَّا لِنَخْرُجَ مِنْهَا ، وَقَدْ دَخَلْنَاهَا وَوَرَّثْنَاهَا اللَّهُ مِنْكُمْ ، وَنَزَعْنَا مِنْ أَيْدِيكُمْ وَإِنَّمَا الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ ، وَالْعِبَادُ عِبَادُهُ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ بِلَادِنَا وَزَعَمْتُمْ أَنَّهَا بِلَادُ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ ، فَقَدْ صَدَقْتُمْ ، وَقَدْ أَبَدَلْنَا اللَّهُ بِهَا بِلَادَكُمْ بِلَادَ الْعَيْشِ الرَّفِيعِ^(۱) ، وَالسَّعْرِ الرَّخِيفِ ، وَالْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ ، فَلَا تَحْسِبُونَا بِتَارِكِيهَا ، وَلَا مُنْصَرَفِينَ عَنْهَا ، وَلَكِنْ أَقِيمُوا لَنَا فَوَاطِنَ اللَّهِ لِأَنْجُسْتُمْ إِيْتَانَنَا ، وَلِنَأْتِيَنَّكُمْ إِنْ أَقَمْتُمْ لَنَا . »

فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ حِينَ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ ، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ ، رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَاثِقًا بِنَصْرِ اللَّهِ ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَكِيدَةَ كُلِّ كَاذِبٍ ، وَحَسَدَ كُلِّ حَاسِدٍ ، وَنَصَرَ اللَّهُ أَهْلَ دِينِهِ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَفَتَحَ لَهُمْ فَتْحًا يَسِيرًا ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ لَدُنْهِ سُلْطَانًا نَصِيرًا . » (فتوح الشام ص ۱۰۹)

۱۲۲ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِي عَبِيدَةَ ابْنِ الْجِرَاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِن كِتَابِكَ جَاءَنِي بِبَنْفِيرِ الرُّومِ إِلَيْكَ ، وَمَنْزِلِهِمُ الَّذِي نَزَلُوا بِهِ ، وَرَسَالَتِهِمُ الَّتِي أُرْسَلُوا ، وَبِالَّذِي رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فِيمَا سَأَلُوكَ ، وَقَدْ سَدَدْتَ بِمَجْتِكَ ، وَأَوْتَيْتَ رُشْدَكَ ، فَإِن أَنَاكَ كِتَابِي هَذَا وَأَنْتُمْ الْغَالِبُونَ ، فَكثِيرًا مَا نَذَكُرُ مِنْ رَبِّنَا الْإِحْسَانَ إِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ ، وَإِن أَنَاكُمْ وَقَدْ أَصَابَكُمْ نَكَبٌ^(۲) ، أَوْ قَرْحٌ فَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا تَسْتَكِينُوا ،

(۱) الرفاعة والرفاغية: سعة العيش والمناصب والسعة؛ وعيش أرفع ورافع ورفيع: خصيب واسع طيب، وفعله أكرم، وفي الأصل «العيش الرفيع» بالمين، والمعنى عليه مستقيم، ولكنه بالنين أحسن.
(۲) النكب والنكبة: المصيبة. القرح: الجرح وعض السلاح ونحوه. وهن بين: ضعف.

فإنكم الأعلون ، وإنها دار الله ، وهو فاتحها عليكم تصديقا منا لقول نبينا صلى الله عليه وسلم^(۱) فاصبروا إن الله مع الصابرين .

واعلم أنك متى ما لقيت عدوك ، فاستعنت بالله عليهم ، وعلم منك الصدق ، نصرك عليهم ، فقل إذا أنت لقيتهم : اللهم إنك الناصر لدينك ، والمعز لأوليائك قديماً وحديثاً ، اللهم فتول نصرهم ، وأظهر فاجهم^(۲) ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، وكُن الصانع لهم ، والدافع عنهم برحمتك ، إنك الولي الحميد .

(فتوح الشام ص ۱۱۱)

۱۲۳ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

ونهض المسلمون لانتال الروم فهزموهم ، وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة ، وغلبوا على سواد الأردن وعلى أرضها ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبن عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فالحمد لله الذي أنزل على المسلمين المؤمنين نصره ، وعلى الكافرين رجزه ، أخير أمير المؤمنين - أصلحه الله - أنا التقينا نحن والروم ، وقد جمعوا لنا الجموع العظام ، فجاءونا من رءوس الجبال ، وأسياف^(۳) البحار ، وظنوا أنه لا غالب لهم من الناس ، فبرزوا لنا

(۱) جاء في سيرة ابن هشام في الكلام في غزوة الخندق ج ۲ ص ۱۵۸ . قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ففلطت على صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأي أني أضرب ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول بركة (والبرقة بالضم ذات حجارة وتراب وحجارتها الغالب عليها البياس وفيها حجارة حمراء وسود) . ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بركة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته بركة أخرى . قال قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت يلعب تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قلت : نعم قال : أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

(۲) الفلج : الظفر والنوز . (۳) سيف البحر بالكسر : ساحله .

وَبَغَوْا عَيْنَا ، وَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ ، وَرَفَعْنَا رَغْبَتَنَا إِلَيْهِ ، وَفَلْنَا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ،
وَنَهَضْنَا إِلَيْهِمْ بِخَيْلِنَا وَرَجَّالَتِنَا ، وَكَانَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَلِيًّا^(۱) مِنَ النَّهَارِ ، أَهْدَى اللَّهُ
فِيهِ الشَّهَادَةَ لِرِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَضَرَبَ اللَّهُ وَجوهَ
الْمُشْرِكِينَ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ ، حَتَّى اعْتَصَمُوا بِمُحْصُونِهِمْ ، فَأَصَابَ
الْمُسْلِمُونَ عَسْكَرَهُمْ ، وَغَابُوا عَلَى بِلَدِهِمْ ، وَأَنْزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ^(۲) ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ ، فَاتَّخَذَ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ وَمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِعْزَازِ دِينِهِ ،
وَإِظْهَارِ الْفَلَجِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَادْعَاؤِ اللَّهِ لَنَا بِتَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ .
(فتوح الشام ص : ۱۲۲)

۱۲۴ -- كتاب أبي عبيدة إلى عمر

فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ « فِجَل » أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ غَلَبُوا عَلَى أَرْضِ الْأُرْدُنِّ ، سَأَلُوهُمُ الصَّلْحَ
فَصَالِحُوهُمْ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْأُرْدُنِّ وَأَهْلُ الْقُرَى ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا ذَلِكَ عَنُوةً بغيرِ صلحٍ ،
فَاخْتَلَفُوا فِيهِمْ ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : نَقْتَسِمُهُمْ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : نَتْرَكُهُمْ ، وَكُتِبَ أَبُو عُبَيْدَةَ
ابْنَ الْجِرَاحِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ ذَا الْمَنِّ وَالْفَضْلِ وَالنَّعْمِ الْعَظْمَاءِ فَتَحَّ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَرَأَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ يُقْرَأُوا أَهْلَهَا عَلَى أَنْ يُؤَدَّوْا الْجِزْيَةَ
إِلَيْهِمْ ، وَيَكُونُوا عُجَّارَ الْأَرْضِ ، وَرَأَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ يُقْتَسَمُوا ، فَلِيَكْتُبَ إِلَيْنَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِهِ فِي ذَلِكَ ، أَدَامَ اللَّهُ لَكَ التَّوْفِيقَ فِي^(۳) جَمِيعِ الْأُمُورِ .

(فتوح الشام ص ۱۲۳)

(۱) أى زماناً طويلاً .

(۲) الصياصى: الحصون وكل ما امتنع به جمع صيصية .

(۳) فى الأصل : « وجيم الأمور » .

۱۲۵ - رد عمر علیٰ ابی عبیدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبیدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنی أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه بلغنى كتابك تذکرُ إعزازِ الله أهلَ دينه ، وخِذلانِ أهلِ عداوته ، وكفایتِه إيانا مؤنَّة من عادانا ، فالحمد لله على إحسانه إلینا فيما مضى ، وحُسنِ صنيعه لنا فيما غبر^(۱) ، الذى عاقب جماعة المسلمين ، وأكرمَ بالشهادة فريقاً من المؤمنين ، فهنيئاً لهم برِضاً ربِّهم ، وكرامته إياهم ، ونسأله ألا يحرمنا أجرهم ، وألا يفتننا بعدهم ، فقد نصحوا لله ، وقضوا ما عليهم ، ولربهم كانوا يعملون ، ولأنفسهم كانوا يهتدون . وقد فهمتُ ما ذكرتَ من الأرض التى ظهرَ عليها وعلى أهلها المسلمون ، فقالت طائفة : نُقرُّ أهلها على أن يؤدُّوا الجزية إلى المسلمين ، ويكونوا عُمارَ الأرض ، وقالت طائفة : نقتسمهم ، وإنى قد نظرتُ فيما كتبتَ إلى من هذا ، ففرقَ رأی فيما سألتنى عنه ، إلا أنى قد رأيتُ أن تقرِّمهم ، وأن تحملَ الجزيةَ عليهم ، وتقسِمَها بين المسلمين ، ويكونوا عُمارَ الأرض ، فهم أعلمُ بها ، وأقوى عليها من غيرهم ، أرايتم لو أنا أخذنا أهلها واقتسمناهم ، من كان يكون لمن يأتى بعدنا من المسلمين ؟ والله ما كانوا إذن ليجدوا إنساناً يكأموه ، ولا يكلمهم ، ولا ينتفعون بشيء من ذات يده ، وإن هؤلاء ، يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء ، فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبناءنا أبناءهم أبداً ما بقوا ، وكانوا عبیداً لأهل الإسلام أبداً ما دام دين الإسلام ظاهراً ، فضع عليهم الجزية ، وكُفَّ عنهم السَّبِّ ، وامنع المسلمين من ظلمهم ، والإضرار بهم ، وأكلِ أموالهم إلا بحقها .

فلما جاء أبا عبیدة هذا الرأى من عمر عمل به . (فتوح الشام ص ۱۲۴)

(۱) غبر الشيء كدخل : تقى ومضى ، ضد .

صورة أخرى

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف :

وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه بهزيمة المشركين ، وبما أفاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، وما سأله المسلمون من أن يقسم بينهم المدن وأهلها ، والأرض وما فيها من شجر أو زرع ، وأنه أبقى ذلك عليهم ، حتى كتب إليه فيه ، ليكتب إليه برأيه فيه فكتب إليه عمر :

« إني نظرتُ فيما ذكرتُ مما أفاء الله عليك ، والصلح الذي صالحتَ عليه أهلَ المدن والأمصار ، وشاورتُ فيه أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل قد قال في ذلك برأيه ، وإن رأيتُ تبعُ لكتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ^(۱) عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً^(۲) بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » هم المهاجرون الأولون « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(۳) وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(۱) أفاءه عليه : أعاده عليه وورده بمعنى صيره له . ووجف الفرس كوجد وجيفا : عدا . أوجفته : أعديته .

ومن في الآية زائدة : أي لم تقاسوا فيه مفقة . (۲) أي يتداوله الأغنياء وبدور بينهم كما كان

الجاهلية . (۳) الخصاصة : الحاجة والفقرة .

الْمُفْلِحُونَ» فَإِنَّهُمْ الْأَنْصَارُ «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» ولد آدم الأحمر والأسود، فقد أشرك الله الذين من بعدهم في هذا النقيء إلى يوم القيامة، فأقر ما أفاء الله عليك في أيدي أهله، واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين، ويكونون عمارة الأرض، فهم أعلم بها وأقوى عليها، ولا سبيل لك عليهم، ولا للمسلمين معك أن تجعلهم قتيلاً وتقسيمهم، للصلح الذي جرى بينك وبينهم، ولأخذك الجزية منهم بقدر طاقتهم، وقد بين الله لنا ولكم فقال: في كتابه «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» .

فإذا أخذت منهم الجزية فلا شيء لك عليهم ولا سبيل، أرأيت لو أخذنا أهلها فاقسمناهم، ما كان يكون لمن يأتي من بعدنا من المسلمين؟ والله ما كانوا يجدون إنسانا يكامونه، ولا ينتفعون بشيء من ذات يده، وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء، فإذا هلكتنا وهلكوا أكل أبناؤنا أبناءهم أبداً ما بتوا، فهم عبيد لأهل دين الإسلام مادام دين الإسلام ظاهراً فاضرب عليهم الجزية، وكف عنهم السبي، وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بجلبها ووف لهم بشرطهم الذي شرطت لهم في جميع ما أعطيتهم .

وأما إخراج الصليبان في أيام عيدهم فلا تمنعهم من ذلك خارج المدينة بلا رايات ولا بنود^(۱)، على ما طلبوا منك يوماً في السنة، فأما داخل البلد بين المسلمين ومساخدم فلا تظهر الصليبان .

فأذن لهم أبو عبيدة في يوم من السنة، وهو يوم عيدهم الذي في صومهم، فأما في غير ذلك اليوم فلم يكونوا يخرجون صلبانهم . (كتاب الخراج ص ۱۶۷)

(۱) البنود: جم بند كشمس وهو العلم الكبير .

۱۲۶ - عهد أبي عبيدة لأهل بعلبك

ثم خرج أبو عبيدة نحو حصن فرّ ببعْلَبَك ، فطلب أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابُ أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك ، رُوِيها وفُرْمِها وعَرَبِها ، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودُورهم داخلَ المدينة وخارجِها ، وعلى أرحائهم ، ولِلرُّوم أن يرْعَوْا سَرْحَهُمْ^(۱) ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ، ولا ينزلوا قريةً عامرة ، فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ، ساروا إلى حيث شاءوا ، ومن أسلم منهم فله مالنا وعاليه ما علينا ، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله ، وكفى بالله شهيداً » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۱۲۶)

۱۲۷ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

ثم دخل أبو عبيدة حصن وطلب أهلها الصلح ، فصالحهم المسلمون ، وكتبوا لهم كتاباً بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، إني أتحمّدُ إليك الله الذى لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ ، فالحمد لله الذى أفاء علينا وعلى أمير المؤمنين أفضلَ كورةٍ فى الشام أهلاً وقلعاً ، وأكثرهم عدداً وجمعاً وخراجاً ، وأكثرهم للشركين كتباً^(۲) ، وأيسره على المسلمين فتحاً ، أخبرك يا أمير المؤمنين - أصلحك الله - أننا قدّمنا بلادَ حصنَ وبها من الشركين عددٌ كثيرٌ ،

(۱) السرح : المال السائم . (۲) الكتب كشمس : الجم . أى وأكثرهم جمعاً وجندا .

وَالْمُسْلِمُونَ يَرْفُونَهُمْ^(۱) بِبَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا بِلَادَهُمْ أَلْقَى اللَّهُ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَوَهَّنَ كَيْدَهُمْ ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُمْ ، وَسَأَلُوا الصَّلْحَ وَأَذْعَنُوا بِأَدَاءِ الْجَزِيَةِ ، فَتَقَبَّلْنَا مِنْهُمْ وَكَفَفْنَا عَنْهُمْ ، وَفَتَحُوا لَنَا الْحِصُونَ ، وَكَتَبُوا مِنَّا الْأَمَانَ ، وَقَدَّ وَجَّهْنَا الْخِيُولَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا مَلِكُهُمْ وَجُنُودُهُ ، فَسَأَلَ اللَّهُ مَلِكَ الْمَلُوكِ ، وَنَاصِرَ الْجُنُودِ ، أَنْ يُعِزَّزَ الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرِهِ ، وَأَنْ يُسَلِّمَ^(۲) الْمَشْرِكَ الْخَطِيئَةَ بِذَنْبِهِ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ . (فتوح الشام ص ۱۲۸)

۱۲۸ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فقد باغى كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض ، وَفَتَحَ عَلَيْنَا مِنَ الْقِلَاعِ ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَصَنَعَ لَنَا وَلَكُمْ وَأَبْلَانَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ حَسَنِ الْبَلَاءِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا لَيْسَ لَهُ نَفَادٌ ، وَلَا يُحْصَى لَهُ تَعْدَادٌ ، وَذَكَرْتَ أُنْكَ وَجَّهْتَ الْخِيُولَ نَحْوَ الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا مَلِكُ الرُّومِ وَجُوعِهِمْ ، فَلَا تَفْعَلْ ، وَابْعَثْ إِلَى خَيْلِكَ فَاضْمُمْهَا إِلَيْكَ ، وَأَقِمْ حَتَّى يَمْتَضِيَ هَذَا الْحَوْلُ ، وَنَرَى مِنْ رَأْيِنَا ، وَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِنَا ، وَالسَّلَامُ . » (فتوح الشام ص ۱۲۹)

۱۲۹ - كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

وكان أبو عبيدة رضى الله عنه قد قدَّم ميسرة بن مسروق إلى ناحية حلب ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإذا آتيتك رسولى فأقبلٍ معه ، ودع ما كنت وجهتك فيه ، حتى نرى من رأينا ، وننظر فيما يأمر به خليفتنا ، والسلام عليك . »

فأقبل ميسرة في أصحابه حتى انتهى إلى أبي عبيدة بحمص فنزل معه .

(فتوح الشام ص ۱۳۰)

(۱) زفاه يزفيه زفيا وزفبانا : طرده ودفعه ، يقال : زفت الريح السحاب إذا طردته واستغفته . وزفت الأمواج السفينة . (۲) أسلمه : خذله .

۱۳۰ - کتاب أبي عبيدة إلى عمر

وبعث أبو عبيدة بن الجراح ليلة غداً من خص إلى دمشق سُفيان بن عوف ابن مَعْقِل رسولاً إلى عمر رضى الله عنه ، وكتب معه :
« أما بعدُ : فإن عُيُونِي قَدِمَت عَلَيَّ من أرضِ عدونا من القرية التي فيها مَلِكُ الروم ، فحدَّثُونِي بأن الروم قد توجَّهوا إلينا ، وجمعوا لنا من الجوع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا ، وقد دعوتُ المسلمين ، وأخبرتُهم الخبرَ ، واستشرتُهم في الرأي ، فأجمع رأيهم على أن أن يتنحَّوا عنهم حتى يأتينا رأيك ، وقد بعثتُ إليك رجلاً عنده علم ما قبَلنا ، فسأله عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم ، وهو عندنا أمين ، ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل ، والسلام عليك . » (فتوح الثام ص ۱۳۸)

۱۳۱ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبيدة بن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والمجاهدين في سبيل الله ، سلام عليكم ، فإنني أحمَدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه بلغني توجَّهكم من أرضِ خص إلى أرضِ دمشق ، وترككم بلاداً قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها^(۱) لعدوكم وخرجتم منها طائعين فكرهتُ هذا من رأيكم وقلكم ، وسألت رسولكم : أَعَنْ رَأْيِي من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم أن ذلك كان من رأي خيارك وأولي النهي^(۲) منكم وجماعتكم ، فعلمتُ أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب

(۱) في الأصل « وخليتموها » بالفاء وهو تحريف . (۲) النهي : العقل يكون واحداً وجمعاً لنية كفرية .

ورشد في العاجلة والعاقبة ، فهوّن ذلك على ما كان دخّلني من الكراهية قبل ذلك لتحوّلكم^(۱) ، وقد سألت رسولكم المدد لكم ، وأنا مُمدّدكم قبل أن يُقرأ عليكم كتابي هذا ، وأشخصُ إليكم المدد من قبلي إن شاء الله ، واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كفا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله يُنزل النصر عليهم ، ولربما خذَل الله الجموعَ الكثيرة ، فوهنت وفلّت وفشلت ، ولم تُغنِ عنهم فتهم شيئاً ، ولربما نصر الله العصابةَ القليلَ عددها على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه ورجزه ، والسلام عليكم .

(فتوح الشام ص ۱۲۱)

۱۳۲ - كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة

وخرج أبو عبيدة حتى قدِم دمشق ، وبها خالد بن الوليد ، فاتاه خالد وضمّ عسكره إلى عسكره ، ثم قدِم على أبي عبيدة عبد الله بن عمرو بن العاص بكتاب من أبيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإن أهل إيليا وكثيراً ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد تمضوا العهد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها^(۲) ، وأنكم قد خلّيتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها ، وأقبلتم منصورين عنها ، وقد جرّأهم ذلك على وعلى من قبلي من المسلمين ، وقد ترأسلوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرون إلى ، فاكتب إلى برأيك ، فإن كنت تريد القدوم على أمتك حتى تقدّم ، وإن كنت تريد أن تنزل منزلاً من الشام ، أو من غيرها ، وأن أقدم عليك ، فأعلمني برأيك أو أفك به ، فإني صائر إليك أينما كنت ، فابعث إلى مدداً أقوى بهم على

(۱) في الأصل « لتحويلكم » وهو تحريف .

(۲) القس : ما كبر من المجارة . القضيض : ما تكسر وصغر منها . أي جاءوا بالكبير والصغير .

عدو علی ضبط ما قبلی ، فإنهم قد أَرْجَفُوا^(۱) بنا ، وَاغْتَمَزُوا فِينَا^(۲) ، واستعدُّوا لنا ،
ولو يجدونا فینا ضعفاً أو یروون فینا فرصةً ما ناظرونا^(۳) ، والسلام علیک .
(فتوح الشام ص ۱۴۳)

۱۳۳ - رد أبي عبيدة على عمرو

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح :

« أما بعد : فقد قدِمَ علیَّ عبد الله بن عمرو بكتابك ، تذکر فیہ إرْجَافُ الْمُرْجَفِینَ ،
واستعدادهم لك ، وَجُرْأَتِهِمْ عَلَیْكَ ، لِذِی^(۴) بَلَّغَهُمْ مِنْ انْصِرَافِنَا عَنِ الرُّومِ ، وَمَا خَلَّيْنَا
لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَإِنْ ذَلِكَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَمْ یَكُنْ مِنَ الْمُسْلِمِینَ عَنِ ضَعْفٍ مِنْ بَصَائِرِهِمْ
وَلَا وَهْنٍ مِنْ عَدُوهِمْ وَلَكِنَّهُ كَانَ رَأْیًا مِنْ جَمَاعَتِهِمْ كَادُوا بِهِ عَدُوَّهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِینَ
لِیُخْرِجُوهُمْ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحَصُونِهِمْ وَقَلَاعِهِمْ وَلِیَجْتَمِعَ بَعْضُ مِنَ الْمُسْلِمِینَ إِلَى بَعْضٍ ، وَیَجْتَمِعُوا
مِنْ اطْرَافِهِمْ ، وَیَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ قُرْبَهُمْ ، وَیَنْتَظِرُونَ قُدُومَ أَمْدَادِهِمْ عَلَیْهِمْ ،
ثُمَّ یُناهِضُونَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ خَیْلُهُمْ وَتَمَامَتْ فُرُوسَانُهُمْ ، وَوَقَّعْنَا بِنَصْرِ اللَّهِ
أَوْلِیَاءَهُ ، وَإِجْزَارِ مَوْعِدِهِ ، وَإِعْزَازِ دِینِهِ ، وَإِذْلالِ الْمُشْرِكِینَ ، حَتَّى لَا یَمْنَعَ أَحَدُهُمْ أُمَّةً ،
وَلَا حَلِیلَتَهُ ، وَلَا نَفْسَهُ ، حَتَّى یَتَوَقَّلُوا^(۵) فِی رِوَسِ الْجِبَالِ ، وَیَعْجِزُوا عَنِ مَنَعِ الْحِصُونِ ،
وَیَجْتَنِعُوا لِلسَّلْمِ^(۶) ، وَیَلْتَمِسُوا الصَّلْحَ ، « سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِیلاً » .

ثم أعلم من قبلك من المسلمين أني قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله ،
فليحسبوا بالله الظن ، ولا يجدن أهل حربكم وعدوكم فيكم ضعفاً ، ولا وهناً ، ولا فشلاً ،
فيفتمزوا فيكم ، ويتجرءوا عليكم ، أعزنا الله وإياكم بنصره ، وألبسنا وإياكم عافيته
وعفوه ، والسلام عليك .
(فتوح الشام ص ۱۴۴)

(۱) أَرْجَفَ الْقَوْمُ : خَاضُوا فِي أَخْبَارِ الْفِتَنِ . (۲) اغْتَمَزَهُ : طَمَسَ عَلَيْهِ وَوَجَدَ بِذَلِكَ مَغْمَزًا .

(۳) الْمُرَادُ : مَا أَنْظَرُونَا : أَي مَا أَخْرُونَا بِلِ سَارِعُوا بِالْمُحْجَمِ عَلَيْنَا . (۴) فِي الْأَصْلِ « الَّذِي »

وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (۵) وَقِيلَ فِي الْجَبَلِ كَوَعْدٍ وَتَوَقَّلَ : صَعَدَ . (۶) السَّلْمُ : الصَّلْحُ .

۱۳۴ - کتاب عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء

فلما ورد على عمرو كتاب أبي عبيدة سار إلى إيلياء « بيت المقدس » وكتب

إلى بطارقتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء ، سلام على من
اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم الذي لا إله إلا هو ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ :
فإنا نُنثي على ربنا خيراً ، ونحمدُه حمداً كثيراً كما رَحِمْنَا بِنَبِيِّهِ ، وشرفنا برسالته ،
وأكرمنا بدينه ، وأعزَّنَا بطاعته ، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته ، فلسنا
- والحمد لله - نجعل له نِدَاءً ، ولا نتخذ من دونه إلهاً ، لَقَدْ قَانَا إِذْ نَ شَطَطًا ، سبحانه وبحمده
وجَلَّ ثناؤه ، والحمد لله الذي جعلكم شِيعَةً ، وجعلكم في دينكم أحزاباً بكفركم بربكم ،
فكلُّ حِزْبٍ بما لديهم فَرِحُونَ . فنكم من يزعم أن الله وَلَدًا ، ومنكم من يزعم
أن الله ثانی اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة ، فبَعْدًا لِمَن أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَسُحْتًا ،
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، والحمد لله الذي قتل بطارقتكم ، وسلب عِزَّكُمْ ،
وطرد من هذه البلاد ملوككم ، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم ، وأذلكم بكفركم
بالله ، وشِرْكِكُمْ بِهِ ، وترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله ، فأعقبكم الله
الجوع والخوف والذل بما كنتم تصنعون ، فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا ،
وإلَّا فاقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتاباً أماناً على دماءكم وأموالكم ، وأعقد لكم
عقداً تؤدوا إلى الجزية عن يَدِ وَأْتُمْ صَاغِرُونَ ، وإلَّا فوالله الذي لا إله إلا هو
لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِالْحِجَالِ بَعْدَ الْحِجَالِ ، وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا أقبلع عنكم حتى أقتل
المقاتلة ، وأسبي الذرية ، وتكونوا كأمة كانت ، فأصبحت كأنهم لم تكن . »

(فتوح الشام ص ۱۴۷)

۱۳۵ - کتاب أهل إيلياء إلى عمرو بن العاص

وكان أهل إيلياء قد بعثوا عيناً لهم ، فاتاهم فأخبرهم أن باهان قد أقبل من قبل ملك الروم في ثلاثة عساكر ، كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل ، وأن العرب لما بلغهم ما سار إليهم من تلك الجموع ، علموا أنه لا قبل لهم بما جاءهم ، فانصرفوا راجعين ، وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض قيسرين فأخرجوهم منها ، ثم أتوا أرض حمص فأخرجوهم منها ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها ، ثم أقبلت العرب نحو الأردن نحو صاحبهم الذي كتب إليكم ، والروم في آثارهم يسوقونهم سوقاً عنيفاً سريعاً إلى ما قبلكم من البلاد فتباشروا بذلك وسرّوا به ، وكتبوا إلى عمرو :

أما بعد : فإنك كتبت إلينا كتاباً تزكّي فيه نفسك ، وتعييب ما نحن عليه ، والقول بالباطل لا ينفع به أحد نفسه ، ولا يضرّ به عدوّه ، وقد فهمنا ما دعوتنا إليه ، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم ، فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا في القديم ، وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فامرئ كُنْفَرَن^(۱) لكم بالصغار ، وما نحن إلا كمن ظهرتم عليهم من إخواننا ، ثم دانوا لكم ، فأعطوكم ما سألتم . (فتوح الشام ص ۱۴۹)

۱۳۶ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وخرج أبو عبيدة من دمشق بالمسلمين إلى بلاد الأردن ، وعلى مقدمته خالد ابن الوليد حتى نزل اليرموك وأقبل عمرو حتى نزل معه ، وجاشت الروم على المسلمين ودنوا منهم ، فقال معاذ بن جبل ، ورجال معه من المسلمين لأبي عبيدة : ألا تكتب إلى أمير المؤمنين تعلّمه علم هذه الجيوش التي قد جاءتنا وتساءله المدد؟ فكتب إليه مع عبد الله بن قرظ الثمالي :

(۱) في الأصل « لتقرب » وهو تحريف ، والصغار : الذل ، ودانوا : خضعوا .

« أما بعدُ : أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن الروم نفرت إلى المسلمين برءاً وبحراً ، ولم يخلفوا وراءهم رجلاً يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به ، وأخرجوا معهم القسيسين والأساقفة ، ونزلت إليهم الرهبان من الصوامع ، واستجاشوا بأهل أرمينية ، وأهل الجزيرة ، وجاءونا وهم نحو من أربع مائة ألف رجل ، وإنه لما بلغني ذلك من أمرهم كرهت أن أغرّ المسلمين من أنفسهم ، أو أكتهم ما بلغني عنهم ، فكشفت لهم عن الخبر ، وشرحت لهم عن الأمر ، وسألتهم عن الرأي ، فرأى المسلمون أن يتنحّوا^(۱) إلى أرض من أرض الشام ، ثم بضم إلينا أطرافنا وقواصينا ، وتكون بذلك المكان جماعتنا حتى يقدم علينا من قبل أمير المؤمنين المدد لنا ، فالعجل العجل يا أمير المؤمنين بالرجال بعد الرجال ، وإلا فاحتسب أنس المؤمنين إن هم أقاموا ، ودينهم منهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قبيل لهم به ، إلا أن يمدهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغيث من قبله ، والسلام عليك . » (فتوح الشام ص ۱۶۰)

۱۳۷ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب عمر إلى أبي عبيدة :

« أما بعدُ : فقد قدم عليّ أخو ثماله بكتابك يخبرني فيه بتغير الروم إلى المسلمين برءاً وبحراً ، وبما جاشوا عليكم من أساقفتهم وقسيسهم ورهبانهم ، وإن ربنا الحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المنّ والنعمة الدائمة علينا ، قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حيث بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال - وهو لا يخلف الميعاد : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فلا تهولنك كثرة

(۱) في الأصل « تنحوا » .

ما جاءك منهم ، فإن الله منهم برىء ، ومن برىء الله منه كان قميناً^(۱) أن لا تنفعه كثرة ، وأن يكلفه الله إلى نفسه ويخذه ، ولا توحشك قلة المسلمين في المشركين^(۲) فإن الله معك ، وليس قليلاً من كان الله معه ، فأقيم بمكانك الذي أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم ، وتستظهر بالله عليهم ، وكفى به ظهيراً وولياً ونصيراً ، وقد فهمت متالتك : « احتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا ، ودينهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قبل لهم به ، إلا أن يمدهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغيث من قبله » وايم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت ، ولعمري إن أقام^(۳) لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا ، أما عند الله خير للأبرار . واند قال الله عز وجل : « فمنهم من قضى نحبه^(۴) ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ، فطوبى^(۵) للشهداء ، وإن لمن عاقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصيرين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطنه ، فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ، ولا هابوا الموت في جنب الله ، ولا وهن الذين بتوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، واكنهم ناسوا بهم ، وجاهدوا في الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون^(۶) كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

واقراً كتابي هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله ، وليصبروا كما يؤتيهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

(۱) الثمين كأمين ، والتمن ككف وجبل : الملقب الجدير (والمحركة لا تثنى ولا تجمع) .

(۲) أي في جنب المشركين . (۳) في الأصل « أقاموا » وهو تحريف .

(۴) النحب . الأجل : (۵) الطوبى : الحسنى والخير .

(۶) قيل الربيون : العلماء الأتقياء الصبر ، وقيل : الجماعات الكثيرة .

فأما قولك : إنهم قد جاءهم مالا قبلاً لهم به ، فإن لا يكن لكم بهم قبل ، فإن
 لله بهم قبلاً ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرًا ، ولو كنا والله إنما نقاتل الناس بحولنا
 وقوتنا وكثرتنا ، لهيات ما قد أبادونا^(۱) وأهلكونا ، ولكن نتوكل على الله ربنا ،
 ونبرأ إليه من الخول والتوة ، ونسأله النصر والرحمة ، وإنكم منصورون إن شاء الله
 على كل حال ، فأخلصوا الله نيتكم ، وارفعوا إليه رغبتكم ، واصبروا وصابروا
 ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (فتوح الشام ص ۱۶۲)

وبعث إليه عمرُ سعيد بن عامر بن حذيم في جيشٍ مدد له .

۱۳۸ - كتاب باهان إلى قيصر

وكتب باهان إلى قيصر :

« أما بعدُ : فإننا نسأل الله لك أيها الملك وجندك وأهل ممالكك النصر ، ولديتك
 وأهل سلطانك العز ، فإنك قد بعثتني فيما لا يخصني من العدد إلا الله فقدمتُ على
 قوم فأرسلت إليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ،
 وسألتهم الصلح فلم يتبلوا ، وجعلت لهم الجمل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا ، وقد دُعر
 منهم جندك دُعرًا شديدًا ، وقد خشيت أن يكونوا الفشل قد عمهم ، والرعب قد
 دخل في قلوبهم ، إلا أن منهم رجالا قد عرقتهم ليسوا بفرار عن عدوهم ، ولا
 شكاك^(۲) في دينهم ، ولو قد آتوهم لم يفرتوا حتى يظهروا أو يُقتلوا ، وقد جمعتُ
 أهل الرأي من أصحابي ، وأهل النصيحة للملكنا وديننا ، فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم
 جميعًا في يوم واحد ، ثم لانزأ بهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم » .

ونشبت بين الفريقين وقعة البرموك ، وكانت النصره فيها للمسلمين ، والدبرة^(۳)
 على المشركين ، ولما انتهى خبر الهزيمة إلى ملك الروم وهو بأنطاكية ، نادى في أصحابه

(۱) ماصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيات ، أي لوقت إبادتهم لنا منذ زمن بعيد .

(۲) فرار وشكاك جمع فاروشاك . (۳) الدبرة الهزيمة .

بالرحيل إلى القُسطنطينيَّة راجعاً ، فلما خرج من أرض الشام ، وأشرف على أرض الروم ، استقبل الشام بوجهه ، فقال : السلام عليك يا سُورِيَّة سلامَ مودِّع لا يرى أنه يرجع إليك أبداً .

وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة^(١) . (فتوح الشام ص ١٨٧)

١٣٩ - كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه في ألبي فارس ، فمضى في آثار القوم حتى قطع الدروب^(٢) ، وبلغ مرج القبائل وهي ناحية أنطاكية والمصيصة ، ثم انصرف راجعاً ، وكان أبو عبيدة قد أشفق عليهم حين بلغه أنهم أدرّبوا وجزع جزعاً شديداً ، وندم على إرساله إليهم في طلب الروم فكتب إلى ميسرة :

« أما بعدُ : فإذا أتاك رسولي هذا فأقبل إلى حين تنظر في كتابي هذا ، ولا تُعزّجني على شيء ، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحبُّ إليَّ من جميع أموال المشركين ، والسلام عليك . »

فوفاه كتاب أبي عبيدة وقد هبط من الدروب راجعاً ، وأقبل حتى قدم على أبي عبيدة . (فتوح الشام ص ٢١٨)

١٤٠ - كتاب أبي عبيدة إلى أهل إيلياء

وكتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكّانها ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم ورسوله ، أما بعدُ : فإننا ندعوكم إلى شهادة

(١) هذا في رواية ، وفي رواية أخرى أن وقعة اليرموك كانت في أواخر خلافة أبي بكر رضي الله عنه كما قدمنا انظر ص ١٥٤ . (٢) الدروب : جمع درب بالفتح : وهو كل مدخل إلى الروم ، وأدرّبوا : دخلوا الدرب .

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، « وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » فَإِذَا شَهِدْتُمْ بِذَلِكَ حَرَّمْتُ عَلَيْنَا دِمَاؤَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَكُنْتُمْ إِخْوَانًا فِي دِينِنَا، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَقْرُبُوا لَنَا بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ صِرْتُ إِلَيْكُمْ بِتَمِيمٍ هُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلْعَوْتِ مِنْكُمْ لِلْحَيَاةِ وَلِشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَكْلِ لَحْمِ الْخَنزِيرِ، ثُمَّ لَا أَرْجِعُ عَنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى أَقْتُلَ مَقَاتِلَتَكُمْ، وَأَسْبِي ذُرَارِيَّتَكُمْ » .
(فتوح الشام ص ۲۱۹)

۱۴۱ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين أظهره الله على أهل اليرموك وخرج يطلبهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَهْلَكَ الْمُشْرِكِينَ ، وَنَصَرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدِيمًا مَا تَوَلَّى اللَّهُ أَمْرَهُمْ ، وَأَظْهَرَ فَلْجَهُمْ ، وَأَعَزَّ دَعْوَتَهُمْ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أننا لقمينا الروم ، وهم في جموع لم تلتق العرب مثلها جموعاً قط ، فاتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ، ورزق الله المسلمين الصبر ، وأنزل عليهم النصر ، فقتلهم الله في كل قرية ، وكل شعب^(۱) ، وكل وادٍ وجبل ومهمل ، وغنم المسلمون عسكرهم ، وما كان فيه من أموالهم ومتاعهم ، ثم إنى أتبعتمهم بالمسلمين حتى بلغت أقاصى بلاد الشام ، وقد بعثت إلى أهل الشام عمالي ، وقد بعثت إلى أهل إبلياء أدعوهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا وإلا فليؤدوا إلينا الجزية عن يد وهم صاغرون ،

(۱) الشعب : الطريق في الجبل .

فإن أبوا سرتُ إليهم حتى أنزل بهم، ثم لا أزيابهم حتى يفتح الله على المسلمين،
إن شاء الله، والسلام عليك.» (فتوح الشام ص ۲۲۰)

۱۴۲ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك فإني أحمدُ
إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعدُ : فإنه أتاني كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه
من إهلاك الله المشركين، ونصرة المؤمنين، وما صنع الله لأولياؤه، وأهل طاعته،
فأحمدُ الله على حسن صنيعه إلينا، وأسئتمُ الله ذلك بشكره، ثم اعلموا أنكم
لم تظهروا على عدوكم بعدد، ولا عُدّة، ولا حَوْلٍ ولا قوة، ولكنه بعون الله ونصره
ومنه وفضله، فله الطَّوْلُ والمَنّ، والفضل العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين،
والحمد لله رب العالمين، والسلام.» (فتوح الشام ص ۲۲۱)

۱۴۳ - كتاب سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة

وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء فأبوا أن يأتوه فيصالحوه، فأقبل إليهم حتى نزل بهم
فحاصروهم حصاراً شديداً، وضيق عليهم من كل جانب، فخرجوا إليه ذات يوم فقاتلوا
المسلمين ساعة، ثم إن المسلمين شدوا عليهم من كل جانب فقاتلهم ساعة، ثم انهزموا
فدخلوا حصنهم، فكان الذى ولى قتالهم خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان،
كل واحد منهما فى جانب، فبلغ ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نُقَيْل، وهو على
دمشق، فكتب إلى أبي عبيدة :

« من سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله
الذى لا إله إلا هو، أما بعدُ : فإني لعمري ما كنتُ لأبوترك وأصحابك بالجهاد

في سبيل الله على نفسي ، وعلى ما يقرّ بنى من مرّضة ربي عز وجل ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عمك من هو أرغب في معنى ، فليعمل لك عليه ما بدا لك ، فإني قادم عليك وشيكاً إن شاء الله والسلام .

فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة قال : أشهد كَيْفَعَلْنَهَا ، فقال يزيد بن أبي سفيان :
أ كَفِنِي دِمَشْقَ ، فَوَبَّهَ إِلَيْهَا ، فَسَارَ يَزِيدُ إِلَيْهَا قَوْلِيهَا . (فتوح الشام ص ۲۲۱)

۱۴۴ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

فلما حصر أبو عبيدة أهل إبلياء ورأوا أنه غير مُقْلِعٍ عنهم ، وأنهم لا طاقة لهم بحربه ، سألوه الصلح ، فقبل منهم فقالوا : أرسل إلى خليفتم عمر فيكون هو الذي يعطينا العهد ، وهو يصلحنا ويكتب لنا الأمان ، فقبل ذلك أبو عبيدة منهم وهم بالكتاب ، فقال له مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : تكتب إلى أمير المؤمنين ، وتساله القدوم عليك فله يقدّم عليك ، ثم يأتي هؤلاء الصلح ، فيكون مسيره عناء وفضلاً^(۱) ، فلا تكتب إليه حتى تتوثق من هؤلاء ، وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة : لئن أنت سألت أمير المؤمنين القدوم عليهم ، وكتبت إليه بذلك فقدّم عليهم فأعطاهم الأمان ، وكتب لهم كتاباً على الصلح كَيْتَبُنْ ذَلِكَ ، ففعل أبو عبيدة ما أشار به مُعَاذُ ، ثم كتب إلى عمر رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك فإني أحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإننا أقمنا على إبلياء ، وظنوا أن لهم في المطاولة بهم فرجاً ورجاء ، فلم يزدّم الله بها إلا ضيقاً ونقصاً وهراً^(۲) ، وأزلاً^(۳) ، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهما ما كانوا به ممتنعين قبل ذلك ، وله كارهين ، وإنهم سألوا الصلح على أن يقدّم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو المؤمن لهم ، والكتاب لهم كتاباً ، وإنا خشينا أن يقدّم أمير المؤمنين ، ثم يفدر القوم ، فيرجعون ،

(۲) الأزل : الضيق والشدة .

(۱) الفضل : الزيادة .

فيكون مسيرك - أصلحك الله - عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم :
لئن أنت قدّمت عليهم فأمنتهم على أنفسهم وأموالهم ليقبلنّ ذلك ، وليؤدّن الجزية ،
وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا وأخذنا عليهم الأيمان بذلك ، فإن رأيت
يا أمير المؤمنين أن تقدّم علينا فافعل ، فإن في مسيرك أجراً وصلاحاً وعافية للمسلمين ،
أراك الله مرشداً ، ويسرّ أمرك ، والسلام عليك .

(فتوح الشام ص ۲۲۴)

۱۴۵ - كتاب عمر إلى معاوية

قال الطبري : وكتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرّح معاوية إلى قيسارية ،
وكتب إلى معاوية :

« أما بعد : فإنني قد ولّيتك قيسارية ، نسرت إليها وأسقنصير الله عليهم وأكثر من
قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ،
ونعم النصير . »

فسار معاوية إلى قيسارية وفتحها سنة ۱۵ هـ . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۵۶)

۱۴۶ - كتاب أرتطون الرومي إلى عمرو بن العاص

وقال : وكتب عمر إلى عمرو بن العاص يأمره بصدّ أرتطون - وكان أدهى الروم
وأبعدها غوراً وأنكالا فعلا - فصعد إليه^(۱) ، والتقوا بأجنادين ، فاقتلوا قتالا شديداً
كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم^(۲) ، ثم انهزم أرتطون فأوى إلى إيلياء ،
ونزل عمرو أجنادين ، وكتب أرتطون إلى عمرو :

(۱) وقد كتب إلى عمر يخبره أن أرتطون أعد لقتاله جنداً عظيماً ، فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا
أرتطون الروم ، أرتطون العرب ، فانظروا عم تفرج . (۲) ذكر الطبري خبر تلك الواقعة في حوادث
سنة ۱۵ هـ ، وفي رواية أخرى له ولغيره أنها كانت في أواخر خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ۱۳ هـ ،
كما قدمنا انظر ص ۱۵۴ .

« إنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تفتراً فتلقى ما لقيَ الذين قبلك من الهزيمة » .

۱۴۷ - رد عمرو على كتاب أرتبون

فكتب إليه عمرو :

« جاءني كتابك ، وأنت نظيري ومثلي في قومك لو أخطأتك خصلة ، تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدي^(۱) عليك فلانا وفلانا وفلانا - لوزرائه - فأقرتهم كتابي ولينظروا فيما بيني وبينك^(۲) » .

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۵۸)

۱۴۸ - عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء

ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام ، ونزل بالجابية ، أتاه أهل إيلياء ، فصالحهم عمر ، وكتب لهم أماناً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمهم وبريتهم ، وسائر ملتهم ، أنه لا تُسكنُ كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ، ولا من

(۱) استعداد : استعانه واستنصره .

(۲) ذكر الطبري أن عمراً لما جاءه كتاب أرتبون ، دعا رجلاً يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أرتبون ، وأمره أن يفرح ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله ، فخرج الرسول إلى أرتبون ، فدفع إليه الكتاب بعشده من النفر ، فاقرأه فضحكوا ، وأقبلوا على أرتبون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه عمر ، ثلاثة أحرف ، فرجم الرسول إلى عمرو وعرف أنه عمر فكتب إلى عمر يستمده ويقول : « إن أعالج حرباً كثر دأصدها وبلاداً ادخرت لك فرأيتك » فنادى عمر في الناس . ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية ، وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافقوه بها اليوم سماه لهم ، وأن يستخلفوا على أعمالهم ، وقد قدمنا أن عمر قدم إلى الشام ، لأن أهل إيلياء طلبوا أن يكون هو المتولي لعقد الصلح وهو الأرجح .

حَبْرَهَا ، وَلَا مِنْ صَلِبِهِمْ ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَلَا يُكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ ، وَلَا يُضَارُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَا يَسْكُنُ بِإِبِلِيَاءٍ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ .

وَعَلَى أَهْلِ إِبِلِيَاءٍ أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ، كَمَا يُعْطَى أَهْلَ الْمَدَائِنِ ^(۱) ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا الرُّومَ وَاللُّصُوتَ ^(۲) ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَبْأَفُوا مَأْمَنَهُمْ ، وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِبِلِيَاءٍ مِنَ الْجِزْيَةِ .

وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ إِبِلِيَاءٍ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الرُّومِ ، وَيُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَصُلْبِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَعَلَى بَيْنَهُمْ وَصَلْبِهِمْ حَتَّى يَبْأَفُوا مَأْمَنَهُمْ .

وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ مَقْتَلِ « فُلَانٍ » فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ قَعْدَ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِبِلِيَاءٍ مِنَ الْجِزْيَةِ ، وَمَنْ شَاءَ سَارَ مَعَ الرُّومِ ، وَمَنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يُحْصَدَ حِصَادَهُمْ .

وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ ، وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا أَعْطُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِزْيَةِ .

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ .

« وَكُتِبَ وَحَضَرَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ .

وَكَتِبَ لِأَهْلِ « لُدٍّ » وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ أَمَانًا كَأَمَانِ أَهْلِ إِبِلِيَاءٍ .

(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤ : ١٥٩)

وَرَوَى الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى ج ١٣ ص ٣٥٧ كِتَابًا كَتَبَهُ عُمَرُ لِنَصَارَى الشَّامِ

حِينَ صَالَحَهُمْ ، وَنَصَّه نَصَ عَهْدِ أَبِي عُبَيْدَةَ لِأَهْلِ دِمَشْقِ الَّذِي وَرَدَ أَنْفَاعُ تَفْصِيرِ بَسِيرِ .

(١) أَي مَدَائِنِ الشَّامِ .

(٢) اللَّصُوتُ جَمْعُ لَصْتٍ مِثْلُ اللَّامِ : وَهُوَ اللَّصُّ ، قَالَ رَافِعُ بْنُ عَمِيرَةَ الطَّلَائِيُّ :

رَعَيْتَ الذَّمَّ أَنْ أَحْمِيهَا بِكَلْبِي

مِنَ اللَّصْتِ الْحَقِوْكَ كُلِّ ذَيْبٍ

(انظُرْ أَسَدَ النَّبَاةِ ٢ : ١٥٦) .

۱۴۹ - کتاب عمر إلى عمار بن ياسر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشام قال له عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين . إن أهل هذه البلاد يأتوننا بعصير قد عَصَرُوهُ وطبخوه قبل أن يَغْلِي ، فيأتون به حُلُوا كأنه الرُّبُّ^(۱) ، قد طبخوه حتى ذهب ثلثاه ، وَبَقِيَ الثُّلُثُ ، فنظر إليه عمر وقال : لا أظن بهذا بأساً ، ذهب حرامه وَبَقِيَ حلاله ثم قال : اشرب منه يا عمرو فلا بأس به ، وقال : كأن هذا طِلاء الإبل ، فسمى يومئذ « الطِّلاء » .

ثم إن عمر كتب فيه بعد ذلك إلى عمار بن ياسر^(۲) . « أما بعد : فإني هبطت أرض الشام ، فأتوني بشراب لهم ، فسألتهم كيف تصنعون به ؟ فأخبروني أنهم يطبخونه حتى يذهب ثلثاه ، ويبقى ثلثه ، وذلك حين يذهب رَتَبُهُ^(۳) ، وريح حَنُونُهُ ، ويذهب حرامه ، ويبقى حلاله والطيب منه ، فمُرْ من قبلك من المسلمين فليستعينوا به في شرابهم ، والسلام » . (فتوح الشام ص ۲۳۰)

۱۵۰ - كتب بين عمر وبين خالد

وبلغ عمر أن خالد بن الوليد دخل الحمام فتدلك بعد النورة^(۴) بشخين عصفور معجون بجمر ، فكتب إليه :

« باغنى أنك تدلك بجمر ، وإن الله قد حرّم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرّم مسّ الخمر إلا أن تُفَسَّلَ كما حرّم شربها ، فلا تُمسِّسوها أجسادكم فإنها نجسٌ ، وإن فعلتم فلا تعودوا » .

(۱) الرب : سلافة كل ثمرة بعد اعتصارها . (۲) وكان عمر ولاء الكوفة سنة ۲۱ هـ .
(۳) الرتب بالتحريك : الشدة ، وفي الأصل « رتبه » وأراه محرفاً ، والحنون : الريح التي لها حنين كحنين الإبل . (۴) النورة : حجر يجرق ويسوى منه الكلس ويحلق به شعر العانة .
(۱۲ - حمرة رسائل العرب - أول)

فكتب إليه خالد :

« إنا قتلناها فعادت غسولاً^(۱) غيرَ خمرٍ » .

* * *

فكتب إليه عمر :

« إني أظن آلَ المَغِيرَةِ^(۲) قد ابتلوا بالجفاء ، فلا أمانكم الله عليه » .

(تاريخ الطبرى ۴ : ۲۰۴ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۲۶۳)

۱۵۱ - كتاب عمر إلى أبي عبيدة

وكان خالد بن الوليد بعد أن فتح قنسرين أدربَ وراءَ هِرَقْل^(۳) هو وعياض ابن غنم (سنة ۱۷ هـ) فأصابا أموالاً عظيمة ، فلما قفل خالد ، انتجعه رجال من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجعه بقنسرين ، فأجازه بعشرة آلاف - وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله : كتب إليه من العراق بخروج من خرج ، ومن الشام بجائزة من أجزى فيها - فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبي عبيدة :

« أن يقيم خالداً ويُعقِله بعمامته ، وينزع عنه قلنسوته ، حتى يُعلمهم من أين إجازة الأشعث : أم من ماله أم من إصابة أصابها ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها ، فقد أقرَّ بخيانه ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، وأعزله على كل حال ، وأضُمَّ إليك عمله » .

فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ثم جمع الناس ، فقام البريد فقال : يا خالد ، أم من مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة ؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ، فقام بلال إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرَ فيك بكذا وكذا ،

(۱) قتل الخمر : مزجها بالماء فأزال بذلك حدتها . والفسول : ما يفتسل به .

(۲) المغيرة : جد خالد . (۳) ولما بلغ عمر ما فعل خاله قال : أمر خالد نفسه ، يرحم الله

أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال مني .

ثم تناول قلنسوته فَمَقَلَهُ بِعِمَامَتِهِ ، وقال ما تقول : أَمِنْ مَالِكِ أُمِّ مِنْ أَصَابَةٍ ؟ قال : لا ، بل من مَالِي ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عَمَّمَهُ بِيَدِهِ ، ثم قال : نَسِمْ وَنَطِيعَ لَوْلَاتِنَا ، وَنَحْنُ ، وَنَحْنُ مَوَالِينَا^(۱) .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۰۵)

۱۵۲ - كتب بين أبي عبيدة وبين عمر

وكتب أبو عبيدة إلى عمر :

« إِنْ نَفَرًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَصَابُوا الشَّرَابَ ، مِنْهُمْ ضِرَارٌ وَأَبُو جَنْدَلٍ ، فَالْتَمَأْمُوا فَتَأْوَلُوا ، وَقَالُوا : خَيْرُنَا فَاخْتَرْنَا ، قَالَ : « فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ^(۲) » ، وَلَمْ يَعِزْمِ عَلَيْنَا .

فكتب إليه عمر :

« فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، « فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » يَعْنِي فَانْتَهُوا .

(۱) قالوا : وأقام خالد متحيرا لا يدري : أمزول أم غير ممزول ؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره ، حتى إذا طال على عمر أن يقدم ، ظن الذي قد كان ، فكتب إليه بالإقبال ، فأتى خالد أبا عبيدة فقال : رحمتك الله ، ما أردت إلى ما صنعت ؟ كنتني أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم ، فقال أبو عبيدة : إني والله ما كنت لأرورك ما وجدت لذلك بدا ، وقد علمت أن ذلك يروحك ، فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك في أمر غير مجمل يا عمر . فقال عمر : من أين هذا التري ؟ قال : من الأنعام والسهمان (بالضم جمع سهم) وما زاد على السنين ألفاً فلك ، فقوم عمر عروضة ، فخرجت إليه عشرون ألفاً ، فأدخلها بيت المال ، ثم قال : يا خالد والله إنك على لكريم ، وإنك إلى الحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء ، ومات خالد رحمه الله سنة ۲۹ هـ .

(۲) قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ . »

وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يُضربوا فيها ثمانين جلدةً ، ويضْمَنُوا الفسق ، ومن
تأوَّل عليها بمثل هذا ، فإنَّ أبا قَتيل ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة :
« أن ادْعُهُم على رؤوس الناس واسأَلُهُم : أحرامُ الخمر أم حلال ؟ فإن قالوا :
حرام ، فاجلدْهم ثمانين جلدة واستتَبِهِم ، وإن قالوا : حلال فاضرب أعناقهم » .

* * *

فدعاهم فسأَلَهُم ، فقالوا : بل حرام ، جلدْهم ، وحُدِّ القوم وندِموا على لجأَتِهِمْ ،
فاستحيوا فلزِمُوا البيوت ، ووَسَّوَسَ أبو جندل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر :
« إنَّ أبا جندل قد وسوس ، إلا أن يأتيه الله على يدك بفرج ، فكتب
إليه وذكره » .

* * *

فكتب إليه عمر وذكره :

« من عمر إلى أبي جندل :

« إنَّ الله لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ » . فُتِبَ
وارفع رأسك ، وابْرُزْ ولا تَقْنَطْ ، فإنَّ الله عز وجل يقول : « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

* * *

فلما قرأه عليه أبو عبيدة ، تطلق وأسفر وجهه ، وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ،
وكتب إلى الناس :

« عليكم أنفسكم ، ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحدا
فيفشو فيكم البلاء » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٢ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧٣)

۱۵۳ - کتاب عمر إلى أبي عبيدة

وقد كان أهل الشام حَصَرُوا أبا عبيدة وأصحابه فأصابهم جَهْدٌ ، فكتب إليه عمر :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فرَجًا ، ولن عُسْرٌ يُسْرِينَ ^(۱) » بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

۱۵۴ - رد أبي عبيدة على عمر

فكتب إليه أبو عبيدة :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن الله تبارك وتعالى قال : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

(۱) أى أن الله يبدل المؤمن بعسره يسراً في الدنيا ويسراً في الآخرة ، أى فرجاً عاجلاً في الدنيا وتواباً آجلاً في الآخرة .

« وجاء في لسان العرب : قال الله تعالى : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا »

روى عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك وقال : لا يظلم عسر يسرين ، وسئل أبو العباس عن تفسير قول ابن مسعود ومراده من هذا القول . فقال : قال الفراء : العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين ، وإذا أعادتها بمعرفة فهي هي تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنفق درهما ، فالثاني غير الأول ، وإذا أعدته بالألف واللام فهي هي تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنفق الدرهم فالثاني هو الأول قال أبو العباس : وهذا معنى قول ابن مسعود ، لأن الله تعالى لما ذكر العسر ثم أعاده بالألف واللام علم أنه هو ، ولما ذكر يسراً ثم أعاده بلا ألف ولام علم أن الثاني غير الأول ، فصار العسر الثاني العسر الأول ، وصار يسران غير يسر بدأ بذكره .

وجاء في حاشية الصبان في أول باب النكرة والمعرفة : « قالوا إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، وإن أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كانت نفس الأولى ، وحلوا على ذلك ما روى : لن يظلم عسر يسرين . . . الخ » :

وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فلم يلبث أن ورد البشير على عمر بفتح الله على أبي عبيدة وهزم المشركين .

(كتاب المراج ص ۱۷۷)

۱۵۵ - کتب بین ابی عبيدة و بین عمر

ولما وقع بالشام طاعون عمواس^(۱) سنة ۱۸ هـ ، وقيل سنة ۱۷ هـ - واشتعل الوجع
في الناس ، وبلغ ذلك عمر ، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه :
« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه قد عرّضتُ لي إليك حاجةً أريد أن أشفيك فيها ،
فعرّضتُ عليك إذا نظرتَ في كتابي هذا ألاّ تضعه من يدك حتى تُقبلَ إليّ » .

* * *

فعرّف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء ، وقال : يغفر الله
لأمير المؤمنين ! ثم كتب إليه :
« يا أمير المؤمنين إني قد عرّفت حاجتك إليّ ، وإني في جُندٍ من المسلمين
لا أجد بنفسى رغبةً عنهم ، فليستُ أريد فراقهم حتى يَقْضِيَ اللهُ فيّ وفيهم أمره
وقضاه ، فحلّاني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي » .

* * *

فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، أمت أبو عبيدة ؟
قال : لا ، وكان قد ، ثم كتب إليه :

(۱) صبط في لسان العرب بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال ياقوت في معجمه : رواه الزحشمري
كسر أوله وسكون الثاني ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس على
سنة أميال من الرملة ، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب ثم فشا في أرض الشام .

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنك أنزلت الناس أرضاً غَمِيقَةً^(۱) ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نَزْهَةً^(۲) . »

(تاريخ الطبری ۴ : ۲۰۱ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۲۷۵)

وفي لسان العرب - في مادة غمق - أنه كتب إليه :

« إن الأردن أرض غَمِيقَةٌ ، وإن الجابية أرض نَزْهَةٌ ، فاظهر بمن معك من المسلمين إليها . »

۱۵۶ - كتاب معاذ بن جبل إلى عمر

وعمّ طاعون عمواس أهل الشام ، ومات فيه بشر كثير ، منهم أبو عبيدة ابن الجراح رحمه الله ، وكان قد استخاف معاذ بن جبل رضى الله عنه ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه بنعى أبا عبيدة .

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل . سلام عليك ، فإنى أحمّدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فاحتسبِ امرأً كان لله أميناً ، وكان الله فى عينه عظيماً ، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزاً : أبا عبيدة بن الجراح ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : « وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » وعند الله نحتسبه ، وباللّٰه نثوق له ، كتبتُ إليك ، وقد فشا الموتُ وهذا الوباء فى الناس ، ولن يُخطئَ أحداً أجله من الموت ، ومن لم يمتْ فسيموت ، جعل الله له ما عنده خيراً لنا من الدنيا ، إن أبقانا أو أهلنا سكناً ، فجزاك الله عن جماعة المسلمين ، وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته . »

(فتوح الشام ص ۲۴۷)

(۱) أرض غمقة كفرحة : ذات ندى وثقل ووخامة ، أو قريبة من المياه ، وفي الأصل « عميقة » وهو تحريف . (۲) أرض نزهة بفتح فكون وتكسر الزاى ، ونزبهة: أى بعيدة عن الريف وغمق المياه وذبان الثرى وومد البجار وفساد الهواء .

۱۵۷ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ثم طعن معاذ بن جبل فمات رحمه الله ، وكان قد استخلف عمرو بن العاص ، فكتب إلى عمر يعني معاذاً :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن معاذ بن جبل رحمه الله هلك ، وقد فشا الموت في المسلمين ، وقد استأذنوني في التنجى عنه إلى الرِّ ، وقد علمتُ أن إقامة المقيم لا تقرُّ به من أجله ، وأن هرب الهارب منه لا يُباعده من أجله ، ولا يدفع به قدره ، والسلام عليك ورحمة الله . » (فتوح الشام ص ۲۴۷)

۱۵۸ - كتاب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان

ثم إن عمر رضى الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان :

« أما بعد ، فقد وليتكَ أجناد الشام كله ، وكتبت إليهم أن يسمعوا لك ويطيعوا ، وألا يخالفوا لك أمراً ، فاخرج فعسكر بالمسلمين ثم سر إلى قيسارية ، فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك ، فإنه لا ينبغي أفتتاح ما اقتحمت من أرض الشام مع مُتمام أهل قيسارية فيها ، وهم عدوكم وإلى جانبكم ، وإنه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته مَنِيعاً^(۱) ، ولو قد فتحتموها قطعَ الله رجاءه من جميع الشام ، والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين إن شاء الله . » (فتوح الشام ص ۲۵۰)

۱۵۹ - كتاب عمر إلى أمراء الأجناد

نخرج يزيد بن أبي سفيان فعسكر بالمسلمين ، وجاء كتاب من عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة :

(۱) في الأصل « منيعاً » ، وهو تحريف .

« أما بعدُ : فقد وليتُ يزيد بن أبي سفيان أجنادَ الشامِ كله ، وأمرته أن يسير إلى أهل قيسارية ، فلا تعصوا له أمراً ، ولا تخالفوا له رأياً ، والسلام . »
(فتوح الشام ص ۲۵۰)

۱۶۰ - كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة :
« أما بعدُ : فإني قد ضربتُ على الناسَ بعضاً أريد أن أسير بهم إلى قيسارية ، فأخرجوا من كل ثلاثة رجلاً ، ومجّلوا إشخاصهم إلى والسلام . »
فلم يلبث إلا قليلاً حتى توافقتُ عنده عساكر الأجناد فسار إلى قيسارية وكان بها جموع من بطارقة الروم وفرسانهم وأشدائهم كثيرة ، وكل من كره الدخول في دين الإسلام من التصارى ، ومن كره الجزية ، فحمل عليهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وانهمزوا انهزما شديداً^(۱) .
(فتوح الشام : ص ۲۵۱)

۱۶۱ - كتاب عمر إلى معاوية

وكتب عمر رضى الله عنه إلى معاوية^(۲) كتاباً في القضاء يقول فيه :
« أما بعدُ ، فإني كتبتُ إليك بكتاب في القضاء لم آلك^(۳) ونفسي فيه خيراً ، ألزم خمسَ خصالٍ يسلمُ لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبيئنة المادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأذن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعهد^(۴) الغريب ، فإنك إن لم تعهده ترك حتمه ، ورجع إلى أهله ، وإنما

(۱) وفي رواية الطبرى أن عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرح معاوية إلى قيسارية ، وأن فتحها كان سنة ۱۵ هـ ، انظر ما قدمناه في ص ۱۷۴ . (۲) ذكر الطبرى أن يزيد بن أبي سفيان توفي في طاعون عمواس ، فلما انتهى مصابه إلى عمر ، أمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها . (۳) الأكداء : نصر ، وهو لا يألوك نصحاى لا يفصر . (۴) وفي المقدم الفريد « وتعاهد » وتعهد وتعاهد واعتهد : تفقده .

ضَيِّعَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ ، وَأَسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي نَحْظِكَ وَطَرْفِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْتَبِينَ لَكَ فَضْلُ الْقَضَاءِ (۱) .

(البيان والتبيين ۲ : ۷۵ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۷ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ۱۴۰)

۱۶۲ - کتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُ الشَّامِ سَنَةَ ۱۸ هـ خَلَا بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَجَعَلَ يَرْغَبُهُ فِي فَتْحِ مِصْرَ ، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ فَمَقَدَّ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَقَالَ لَهُ : سِرْ وَأَنَا مُسْتَخِيرٌ اللَّهُ فِي مَسِيرِكَ ، وَسِيَّاتِي كِتَابِي إِلَيْكَ سَرِيحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنْ أَدْرَكَكَ كِتَابِي وَأَمْرَتِكَ فِيهِ بِالْإِنْصِرَافِ عَنِ مِصْرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا ، أَوْ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَانصرف ، وَإِنْ أَنْتِ دَخَلْتَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ كِتَابِي فَامض لوجهك . وَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَاسْتَنْصَرَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهَا عَمْرُو ، وَاسْتَخَارَ عَمْرُ اللَّهَ فَكَأَنَّهُ تَخَوَّفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو ابْنَ الْعَاصِ أَنْ يَنْصَرِفَ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَدْرَكَ الْكِتَابَ عَمْرًا وَهُوَ بِرَفَاحٍ ، فَتَخَوَّفَ إِنْ هُوَ أَخَذَ الْكِتَابَ وَفَتَحَهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْإِنْصِرَافَ كَمَا عَهْدَ إِلَيْهِ عَمْرٌ ، فَلَمْ يَأْخُذْ الْكِتَابَ مِنَ الرَّسُولِ وَدَافَعَهُ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ قَرْيَةَ فِيمَا بَيْنَ رَفَاحٍ وَالْعَرِيشِ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ لَهَا مِنْ مِصْرَ ، فَدَعَا بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنْ مِصْرَ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَقَالَ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ وَأَمَرَنِي إِنْ لَحِقَنِي كِتَابُهُ وَلَمْ أَدْخُلْ مِصْرَ أَنْ أَرْجِعَ ، وَإِنْ لَمْ يَلْحَقَنِي كِتَابُهُ حَتَّى دَخَلْنَا أَرْضَ مِصْرَ فَسِيرُوا وَامضوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ ، وَكَانَ كِتَابَ عَمْرٍ إِلَيْهِ :

(۱) روى أبو يوسف في كتاب الخراج هذا الكتاب ، وذكر أنه كتبه عمر إلى أبي عبيدة بالشام ، وقد جاء فيه موضع قوله : « وَإِنَّمَا ضَيِّعَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ » هذه العبارة « وَإِنْ الَّذِي أَبْطَلَ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ رَأْسًا » وهو تحريف ، وصوابه « وَإِنَّمَا الَّذِي أَبْطَلَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ لَهُ رَأْسًا » أو هو : « وَإِنَّمَا الَّذِي أَبْطَلَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ ، وَأَسِ . . . » ثم حرف « وَأَسِ » إلى « رَأْسًا » . ورواه ابن أبي الحديد في شرحه جزءاً من كتاب كتبه عمر إلى أبي موسى الأشعري كما سيرد عليك بعد .

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أما بعدُ : فإنك سرت إلى مصر
ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير ، ولعمري لو نُكِّل بك
مأمِرتَ بهم ، فإن لم تكن بلفتَ مصر فارجع . »

(خطط القرينى ۱ : ۲۸۸ ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ۱ : ۴۶)

۱۶۳ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وسار عمرو بن العاص إلى أن بلغ « الفرما » فقاتله بها الروم قتالاً شديداً ثم فتحها
الله على يديه ، وتقدم إلى بلبليس ففتحها ، ومضى حتى أتى أمّ دُنين^(۱) فناهضوه
مناهضة عنيفة وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمر يستمده فأمدّه بأربعة آلاف ، فسار
بمن معه حتى نزل على حصن بابليون^(۲) وقاتلهم قتالاً شديداً يصبّحهم ويمسيهم ،
فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر يستمده ، فأمدّه بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف
رجلٍ منهم رجلٌ وكتب إليه :

« إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، منهم رجال مقام الألف : الزبير بن العوام
والمقداد بن الأسود ، وعُباد بن الصّاميت ، ومسّعة بن كحلاد ، واعلم أن معك
اثني عشر ألفاً ، ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة . »

وحاصر عمرو الحصن سبعة أشهر حتى فتحه .

(حسن المحاضرة ۱ : ۴۷ ، وخطط القرينى ۱ : ۲۸۹)

۱۶۴ - عهد عمرو بن العاص لأهل مصر

ولما رأى القبط أن لا طاقة لهم بحرب قومٍ فلّوا كسرى وقيصر وغلبوم على
بلادهم ، طلبوا الصلح ، فقبل منهم عمرو بن العاص ، وكتب لهم كتاباً . صورته :

(۱) هي قرية كانت على النيل ، وموقعها الآن ما بين عابدين والأزبكية بالقاهرة - ومن ذلك تعلم
أن النيل غير مجراه منذ ذلك العهد وتحول إلى الغرب .

(۲) هو حصن قديم لا يعرف مؤسسه ، وقيل بناه المرس أيام ملكوا مصر ، وقد جدده الامبراطور
تراجان على الطراز الرومان ، ولا تزال بعض مبانيه باقية إلى الآن بالقرب من كنيسة ماري جرجس . عصر
القدية ، وكان العرب يسمونه قصر الشمع .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمانِ على أنفسهم ومآلتهم وأموالهم ، وكنائسهم وصُلُبهم ، وبرّهم وبجرهم ، لا يُدْخَلُ عليهم شيء من ذلك ، ولا يُنْتَقَصُ ، ولا تُساكنهم النُّوبَةُ .

وعلى أهل مصر أن يُعْطُوا الجزيةَ - إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم - خمسين ألفَ ألفٍ ، وعليهم ما جَنَى لُصُوثُهُمْ^(۱) ، فإن أبايَ أحدٌ منهم أن يُجِيبَ رُفِعَ عنهم من الجزاءِ^(۲) بقَدْرِهِمْ ، وذمَّتْنا من أبي بريثة .

وإن نقص نهرهم عن غايته إذا انتهى ، رُفِعَ عنهم بقدر ذلك ، ومن دَخَلَ في صلحهم من الروم والنُّوبَةُ ، فله مثلُ ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أباي واختار الذهب فهو آمنٌ حتى يبلغ مأمته ، أو يخرج من سلطانتنا ، وعليهم ما عليهم أثلاثاً ، في كل ثلثٍ جبايةٌ ثلث ما عليهم .

على ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمته ، وذمة رسوله ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذم المؤمنين .

وعلى النُّوبَةِ الذين استجابوا أن يُعِينُوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ، وعلى أن لا يُغزُوا ، ولا يُمنَعُوا مِن تجارة صادرة ولا واردة » :

شهد الزُّبير ، وعبد الله ، ومحمد ابناه ، وكتب وَرْدانُ وحضر .

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۲۹ ، وصبح الأعشى ۱۳ : ۳۲۴ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ۱ : ۲۴)

۱۶۵ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

ثم خرج عمرو إلى الإسكندرية اتتال من تجمع بها من الروم ، وأقام على حصارها أربعة عشر شهراً ، حتى فتحتها يوم الجمعة مستهلَّ الحرم سنة عشرين هـ .

(۱) اللصوت جمع لصت مثل اللام وهو اللص ، وفي رواية صبح الأعشى « وعليه من جنى نصرتهم » أي وعلى عمرو أن ينصرهم ويبينهم على من اعتدى عليهم ، مقابل دفعهم الجزية .
(۲) الجزية ما يؤخذ من الذي ، والجمع جزى كباي وجزى كحمل وجزاء كجبال .

وذكروا أنه لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر (يعنى الإسكندرية) كتب إلى عمرو بن العاص .

« أما بعد : فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذُ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا يصدق نياتهم ، وقد كنتُ وجهتُ إليك أربعة نفر . وأعلمتُك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنتُ أعرف ، إلا أن يكون غيرهم ما غيرهم ، فإذا أتاك كتابي فاخطبُ الناس ، وحضهم على قتال عدوهم ورغبتهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومُرِ الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقتُ الإجابة ، وليعج^(۱) الناسُ إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم . »

فلما أتى عمراً الكتابُ جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك نفر قدّمهم أمامَ الناس ، وأمرَ الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله تعالى ، ويسألوه النصر على عدوهم ، ففعلوا ، ففتح الله عليهم .

(حسن المحاضرة ۱ : ۵۳ ، وخطط القرظى ۱ : ۱۶۵)

۱۶۶ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وأرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص : إن أحببتَ أن أعطيك الجزية على أن تردَّ على ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت ، فبعث إليه عمرو : إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عنى حتى أكتب إليه بالذى عرضت على ، فإن هو قبيل ذلك منك قبلتُ ، وإن أمرنى بغير ذلك مضيتُ لأمره ، فقال : نعم ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب في ذلك ، فجاءه كتاب عمر ، وفيه :

(۱) عج يعج كثر ومل : صاح ورفع صوته .

« أما بعدُ : فإنه جاءني كتابك تذكرُ أن صاحب الإسكندرية عرض أن يُعْطِيكَ الجزية ، على أن تردَّ عليه ما أصيب من سبَابًا أرضه ، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولن بعدنا من المسلمين أحبُّ إلى من قبيحٍ مُقسَم ، ثم كأنه لم يكن ، فأعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية ، على أن تُخَيِّرُوا مَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ سَبِيهِمْ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ دِينِ قَوْمِهِ ، فمن اختار منهم الإسلام ، فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه ووضِعَ عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، فأما مَنْ تَفَرَّقَ مِنْ سَبِيهِمْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَبَلِغْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْيَمِينَ ، فَإِنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِمْ ، وَلَا نَحِبُّ أَنْ نَصَالِحَهُ عَلَى أَمْرٍ لَا نَقِي لَهُ بِهِ . » .

فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعَلِّمُهُ الَّذِي كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَنَالَ قَدْ فَعَلَتْ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٧)

١٦٧ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وروي أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية همَّ أن يسكنها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب إلى عمرو :

« إني لا أحب أن تُنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف . » .

فتحوَّل عمرو من الإسكندرية إلى القسطنطينية .

(خطط المقرئ ١ : ١٦٧ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٧)

١٦٨ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ولما استقرَّ عمرو بن العاص على ولاية مصر ، كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن صِفْ لِي مِصْرَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

«وَرَدَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - يَسْأَلُنِي عَنْ مِصْرَ: أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ مِصْرَ قَرْيَةٌ غَبْرَاءُ^(۱)، وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ، طُولُهَا شَهْرٌ، وَعَرْضُهَا عَشْرٌ^(۲)، يَكْتَنُفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرٌ، وَرَمْلٌ أَعْفَرٌ^(۳)، يَخْطُ وَسَطَهَا نَيْلٌ مُبَارَكٌ الْغُدُواتِ، مِيمُونُ الرِّوْحَاتِ، تَجْرِي فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ كَجَرِّي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، لَهُ أَوَانٌ يَدِيرُ حِلَابَهُ^(۴)، وَيَكْثُرُ فِيهِ ذُبَابُهُ، تُمَدُّهُ عِيُونُ الْأَرْضِ وَيُنَابِعُهَا، حَتَّى إِذَا مَا أَصْلَخَمَ عَجَّاجَهُ^(۵)، وَتَعْظَمَتْ أَمْوَاجُهُ، فَاضَ عَلَى جَانِبِيهِ، فَلَمْ يُمْكِنِ التَّخْلُصَ مِنَ الْقَرْيِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي صَفَارِ الْمَرَائِكِبِ، وَخِيفِ الْقَوَارِبِ، وَزَوَارِقِ كَأَنَّهُنَّ فِي الْمَخَائِلِ وَرُقِ الْأَصَائِلِ^(۶)، فَإِذَا تَكَامَلَ فِي زِيَادَتِهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي جَرِّيَتِهِ، وَطَمَأَ فِي دِرَّتِهِ^(۷)، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْرُجُ أَهْلُ مِلَّةٍ مَحْتَمُورَةٌ، وَذِمَّةٌ مَحْفُورَةٌ^(۸)، يَحْرُثُونَ الْأَرْضَ، وَيَبْذُرُونَ بِهَا الْحَبَّ، يَرْجُونَ بِذَلِكَ النَّوْمَ مِنَ الرَّبِّ، لَغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَدِّهِمْ، فَتَأَلَّهُ مِنْهُمْ بِغَيْرِ جِدِّهِمْ^(۹) فَإِذَا أَحْدَقَ^(۱۰) الزَّرْعَ وَأَشْرَقَ، سَقَاهُ النَّدَى، وَغَذَّاهُ مِنَ تَحْتِهِ النَّرْيَ،

(۱) غبراء: وصف من الغرة بالضم، وهي لون الغبار، مثل صحارى مصر بقريه غبراء، وواديها الحصب بشجرة خضراء. (۲) المراد عشرة أيام (وإذا حذف العدود جاز تذكر العدد وتأنيده كحديث: وأتبعه ستا من شوال). والمعنى أن عرضها أقل من طولها. (۳) الأعفر: الرمل الأحمر، والأعفر أيضاً: الأبيض وليس بالشديد البياض. (۴) الدر بالفتح: اللبن، وقد در الضرع كنصر وضرب، والحلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن كالحلب (واستعمل هنا لما يخلط) والمعنى: له وقت يفر فيه ماؤه ويفيض. (۵) اصلختم: اشتد، بعير مصلختم: أى جسيم شديد ماس، ونهر عجاج: أى كثير الماء نسمع لكاء المتدفق عجيجا أى صوتا. (۶) المخايل جمع مخيلة كعبشة، حال الشيء مخيلة: طيه، والأصائل جمع أصيل وهو العشى. والورق: جمع ورقاء وهي الخمامة ولونها بياض إلى سواد. (۷) نكص: رجع، وطما الماء يضمو ويطمى: علا، والذرة بالكسر: اسم من الدر بالفتح وهو اللبن كما تقدم، والمعنى في زيادته وفيضه.

(۸) خفره كضرب: نقض عهده وغدره كأخفره، ومعنى قوله «أهل ملة محفورة وذمة محفورة» أن الرومان كانوا يحقرونهم ويمتهنونهم ويستفلونهم ولا يراعون لهم عهداً ولا ذمة، وكذا قوله «لغيرهم ماس» أى لانهم كانوا يكفون في حرت الأرض وزرعها ثم يستحوذ الرومان على محصولها، وقد ذكر المؤرخون أن أهل مصر في آخر الحكم الروماني كانوا يمتناب آلات لإنبات القمح، وأن مصر كانت مزرعة تصدره إلى رومة.

(۹) الضير فيه يعود على «لغيرهم» وأعاد الضير مجوعاً مراعاة بمعنى غير، فهي مفردة لفظاً متعدية معنى ولعل الأصل «بغير جده» ثم حرف، وهو الأظور.

(۱۰) أحدق: أى استدار، وأشرق: تفتح نوره.

فینما مصرُ یاأمیر المؤمنین لؤلؤةٌ بیضاء، إذا هی عنبرةٌ سوداء، فإذا هی زمردةٌ خضراءُ، فإذا هی ديباجةٌ رَقْشَاءُ^(۱)، فتبارک اللهُ الخالقُ لما یشاء، والذي یُصلِحُ هذه البلادَ ویُنمِیها، ویُقرِّ قاطنِیها فیها، ألا یُقبَلُ قولُ خَیْسِیها فی رئیسِها، وألا یُسْتَأَدَى^(۲) خَراجُ ثمرَةٍ إلا فی أوانِها، وأن یُصرفَ ثلثُ ارتفاعِها فی عَمَلِ جُسُورِها ونُرعِها، فإذا تَقَرَّرَ الحالُ معَ العَمالِ علی هذه الأحوالِ، تَضَاعَفَتِ ارتفاعُ المالِ، واللهُ تعالی یوفِّقُ فی المَبْدِئِ والمآلِ .

فلما ورد الكتاب علی عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال : لله دَرَكٌ یابن العاص ! لقد وَصَفَتَ لی خَبراً کأنی أشاهده .

(النجوم الزاهرة فی ملوک مصر والقاهرة ۱ : ۳۲)

۱۶۹ - کتاب معاویة إلى عمر

وألحَّ معاویة علی عمر فی غزو البحر، وکتبَ إلیه کتاباً یرغِّبه فیهِ، ویقول :
« یاأمیر المؤمنین، إن بالشَّامَ قریةً یسمع أهلُها نُبَاحَ کلابِ الرومِ، وصیاحِ دیوکهم، وهم تِلَقَاءُ ساحلِ من سواحلِ حِمْصِ^(۳) . »

(۱) الدیباجة : الحد، والرقشاء النقطة بسواد وبیاض، یصف بذلك طریقة إرواء الحیاض الی كانت مستعملة فی ذلك العهد (وما زالت حتی الیوم فی أعالی الصعيد) إذ تطلق المیاہ فی الحیاض فتغمر الأرض فتبین كأنها لؤلؤة بیضاء، ثم تصنی منها وقد رسب علی وجهها ما حملته المیاہ من الغرین الأسود (والغرین: کأمر ودرهم : الطین) فتبدو كأنها عنبرة سوداء، ثم ینبت فیها الزرع الأخضر وینمو، فکأنها زمردة خضراء، ثم یتلون بألوانه المختلفة فتظهر كأنها صفحة رَقْشَاءُ، وقد جاء فی خطط المقریزی (۱ : ۲۶) .

• ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بیضاء، وثلاثة أشهر مسکة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبکة ذهب حراء، فأما اللؤلؤة البیضاء فإن مصر فی أشهر أیبب ومسری وتوت یرکبها الماء فری دنیا بیضاء، وضیاعها علی روابی وتلال مثل الکواکب قد أحیطت بالمیاہ من کل وجه، فلا سبیل لی فریة من قراها إلا فی الزوارق، وأما المسکة السوداء فإن فی أشهر بابہ وهاتور وکیهک ینکشف الماء عن الأرض فتصیر أرضاً سوداء، وفی هذه الأشهر تقع الزراعات، وأما الزمردة الخضراء فإن فی أشهر طوبة وأمشیر وبرمہات یكثر نبات الأرض وریبها فتصیر خضراء كأنها زمردة، وأما السبکة الحراء فإن فی أشهر برمودة وبنفس وبثونه یتوردالعشب ویبلغ الزرع الحصاد، فیکون کالسبکة الی من الذهب منظرأ ومنفعة . (۲) أی یطلب إلیه أداءه .

(۳) یعنی جزیرة « قبرس » وقد عزاها معاویة وفتحها فی خلافة عثمان سنة ۲۸ هـ .

فاتهمه عمر ، لأنه المشير ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو عامله على مصر أن
صِف لي البحر وراكبه ، فكتب إليه عمرو .

۱۷۰ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

« يا أمير المؤمنين، إن البحر خلق عظيم ، ير كبه خاق صغير ، إن ركن^(۱) خرَّق
القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلةً والشكُّ كثرةً ، ليس إلا السماء
والماء . وإنما هم فيه كدودٍ على عودٍ ، إن مال غرق ، وإن نجا برق^(۲) .
فما قرأه عمر كتب إلى معاوية : « لا ، والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه
مُسليماً أبداً » .

(تاريخ الطبري ۵ : ۵۱ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۵۷)

۱۷۱ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وروى أنه لما ولي عمرو بن العاص مصر ، أتاه أهلها حين دخل شهر بؤونة ،
فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سنةً لا يجرى إلا بها ، فقال لهم : وما ذلك ؟ قالوا : إنه
إذا كان في اثنتي عشرة ليلة تحلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من عند أبويها ،
فأرضينا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم أقمناها
في النيل فيجري ، فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام
يهدم ما كان قبله ، فأقاموا بؤونة ، وأيب ، وميسرى ، لا يجرى النيل قليلاً ولا كثيراً
حتى هموا بالجللاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، فكتب إليه عمر بن الخطاب أن :

(۱) أي هداً وسكن ، ويقال رجل ركن إذا كان ساكناً وقورا رزينا ، وقد ركن ركناً كمنصع .

(۲) برق كفرح ونصر : تحير حتى لا يظرف ، أو دهن فلم يبصر .

« قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثتُ إليك ببطاقةٍ فألقها في النيل إذا أتاك كتابي . »

فلمّا قدّم الكتاب على عمرو بن العاص ، فتح البطاقة ، فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر :

أما بعدُ ، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجر بك ، فتسأل الله الواحد القهار أن يجربك . »

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين ، وبالبطاقة ، ثم ألقى البطاقة في النيل قبل يوم عيد الصليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصالحهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم عيد الصليب ، وقد أجراه الله سنة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع تلك السنة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ۱ : ۳۶ ، وخطط المقرئى ۱ : ۵۸)

۱۷۲ - كتاب عمر إلى عمرو

وأصاب الناس بالمدينة جهْد شديد في خلافة عمر ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك . أما بعدُ : فلعمرى يا عمرو ما أتبالى إذا شِبت أنت ومن معك ، أن أهلك أنا ومن معى ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه . »
(حسن المحاضرة ۱ : ۶۸ ، وخطط المقرئى ۲ : ۱۵۱)

۱۷۳ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عبد الله عمرو بن العاص ، أما بعد ، فيا لبيك يا لبيك ، قد بعثتُ إليك ^(۱) بعيرٍ أو لها عندك ، وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله »

(۱) البير : القافلة ، أو الإبل تحمل البيرة بلا واحد من لفظها .

فبعث إليه بغير عزيمة ، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً .
(حسن المحاضرة ۱ : ۶۸ ، وخطب القرظى ۲ : ۱۴۱)

۱۷۴ - كتاب عمر إلى عمرو

وذكروا أن أول من بنى غرفة بمصر خارجة بن حذافة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، فكتب إلى عمرو بن العاص :

« سلام عليك ، أما بعد : فإنه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة أراد أن يطلع
على عورات جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدئها إن شاء الله ، والسلام » .
(حسن المحاضرة ۱ : ۵۹)

۱۷۵ - كتاب عمرو إلى عمر ورده عليه

ولما اختطت القبائل استجبت همدان ومن والها « الجيزة » وكتب عمرو
ابن العاص إلى عمر بن الخطاب يُعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح الله عليهم ،
وما صنعوا فى خطأهم ، وما استجبت همدان ، ومن والها من النزول بالجيزة ،
فكتب إليه عمر : « يحمّد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيت أن
تفرّق أصحابك ، ولم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك
وبينهم بحر ، لا تدري ما يفجؤهم ، فاعلك لا تقدر على غيائهم حين ينزل بهم ما تكره ،
فاجعهم إليك ، فإن أبوا ، وأعجبهم موضعهم ، فأبى عليه من قىء المسلمين حصناً » .

فعرض ذلك عمرو عليهم ، فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والهم على ذلك
من رملهم نافع وغيرها ، وأحبوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة
فى سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين .

(حسن المحاضرة ۱ : ۵۹)

۱۷۶ - کتاب عمر إلى عمرو

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« أما بعدُ : فَإِنِّي فَرَضْتُ لِمَنْ قَبِلَ فِي الدِّيوانِ ^(۱) ، وَلِمَنْ وَرَدَ عَلَيْنَا فِي المَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ وَإِلَى البُلدانِ ، فَانظُرْ مِنْ فَرَضْتُ لَهُ ، وَنَزَلَ بِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ العَطَاءَ وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ ، وَمَنْ نَزَلَ بِكَ مِمَّنْ لَمْ أَفْرِضْ لَهُ فَافْرِضْ لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا رَأَيْتَنِي فَرَضْتُ لِأَشْبَاهِهِ ، وَخَذْ لِنَفْسِكَ مائَتِي دِينَارٍ ^(۲) ، فَهَذِهِ فَرَائِضُ أَهْلِ بَدْرٍ مِنَ المَهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ ، وَلَمْ أَبْلِغْ بِهَذَا أَحَدًا مِنْ نَظَرائِكَ غَيْرِكَ ، لِأَنَّكَ مِنْ عَمالِ المُسَلِّمِينَ فَالْحَقَّتْكَ بِأَرْفَعِ ذَلِكَ .

وقد علمت أن مؤننا تلزمك ، فوفر الخراج وخذ من حقه ، ثم عفا عنه بعد جمعه ، فإذا حصل إليك وجمعه أخرجت عطاء المسلمين وما يحتاج إليه مما لا بد منه ، ثم انظر فيما فضل بعد ذلك فاحمله إلى .

واعلم أن ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمس ، وإنما هي أرض صلح ^(۳) ،

(۱) أي فرضت لهم عطاءهم . (۲) علق على ذلك صاحب « أشهر مشاهير الإسلام » قال : « لعل هذا الفرس الذي فرضه لعمرو هو جرابته » (مرتبه) على عمله لافرس العطاء ، إذ أن عمر رضي الله عنه كان يجري على العمال جرابية هي غير نصيبهم من العطاء ، فقد ذكر في « سراج الملوك » أن عمر أجرى على عمار في كل شهر ستمائة درهم مع عطائه لولاته وكتابه ومؤذنيه ومن كان يليه لاتباعه وبعث معه عثمان بن حنيف ، وابن مسعود إلى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ، ونصف جريب كل يوم ، وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم) وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم ، وأجرى على شمريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة أجرية ومن هذا يعلم أن عماله كان لهم جرابيات على هذه النسبة وهي غير العطاء ، كما ينضح ذلك من قوله مع عطائه « اه .

(۳) اختلف المؤرخون في فتح مصر: هل فتحت صلحا أو عنوة ، وبما قيل في ذلك إن مصر فتحت صلحا (للعهد الذي كتبه عمرو بن العاص لأهلها وقد تقدم) غير الإسكندرية وثلاث قرى بظاهر الروم على المسلمين فإنها فتحت عنوة ، جعلها عمر بن الخطاب جميعا ذمة ، وأجرى ما فتح عنوة بجرى الصلح (اقرأه فصلا في خطط القرظي « ۱ : ۲۹۴ » وفي حن المحاضرة « ۱ : ۵۵ »)

وما فيها للمسلمين في: «تبدأ بمن أغنى عنهم»^(۱) في ثغورهم ، وأجزأ عنهم في أعمالهم ، ثم أفض ما فضل بعد ذلك على من سمى الله .

واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك ، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه : «وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» يريد أن يقتدى به ، وأن معك أهل ذمّة وعهد ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط فقال : «استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمّة ورحماً»^(۲) «ورحمهم أن أم إسماعيل»^(۳) منهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة» احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً ، فإنه من خصمه خصمه^(۴) والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة ، وآنت من نفسي ضعفاً ، وانتشرت^(۵) رعيتي ، ورق عظمي ، فأسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط ، والله إني لأخشى لو مات جل بأقصى عملك ضياعاً أن أسأل عنه .

(أشهر مشاهير الإسلام ج ۳ : ص ۶۱۴)

۱۷۷ - كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

ولما استبطن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب إليه : «بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإني فكرتُ في أمرك والذي أنت عليه ، فإذا أرضك أرضاً واسعة ، عريضة ربيعة ، قد أعطى الله أهلها

(۱) أغنى عنهم ، أي ناب عنهم وكفاهم ثلثة الدفاع ، وكذا أجزأ عنهم .
(۲) ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اقتنعت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمّة ورحماً » وفي رواية أخرى : « إن الله سيفتح عليكم بهدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم سهراً وذمّة » .
(۳) هي هاجر (بفتح الجيم) وهي جارية مصرية أعطاهها ملك مصر (ويظن أنه أحد ملوك الأسرة التاسعة أو العاشرة اللتين حكمتا من سنة ۲۴۴۵ إلى سنة ۲۱۶۰ قبل الميلاد) لسارة زوج إبراهيم ففسراها لإبراهيم فولدت له ابنة إسماعيل أبا العرب المتعربة .
(۴) أي غلبه في المصومة .
(۵) أي تفرقت وتناوت .

عَدَدًا وَجَلَدًا وَقُوَّةً فِي بَرٍّ وَبَحْرٍ ، وَإِنِّهَا قَدْ عَاجَلَتْهَا الْفِرَاعِنَةُ ، وَعَمِلُوا فِيهَا عَمَلًا مُحْكَمًا مَعَ شِدَّةِ عَتُوِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعْجَبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ أَنَّهَا لَا تُؤَدِّي نَصْفًا مَا كَانَتْ تُؤَدِّيهِ مِنَ الْخِرَاجِ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ قُحُوطٍ وَلَا جَدْبٍ ، وَلَقَدْ أَكْثَرْتُ فِي مَكَانَتِكَ فِي الَّذِي عَلَى أَرْضِكَ مِنَ الْخِرَاجِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ سِيَّاتِينَا عَلَى غَيْرِ تَرِيثٍ^(۱) ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَفِيقَ فَتَرْفَعَ إِلَى ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ تَأْتِينِي بِمَعَارِيضٍ^(۲) تَعْبَأُ بِهَا ، لَا تَوَافِقُ الَّذِي فِي نَفْسِي ، وَلَسْتُ قَابِلًا مِنْكَ دُونَ الَّذِي كَانَتْ تَتَّخِذُ بِهِ مِنَ الْخِرَاجِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَعَ ذَلِكَ ، مَا الَّذِي نَفَرَكُ مِنْ كِتَابِي وَقَبَضَكُ ، فَلَمَّا كُنْتُ مَجْرَبًا كَافِيًا صَحِيحًا إِنْ الْبِرَاءَةَ لِنَافِعَةٍ ، وَلَمَّا كُنْتُ مُضِيْعًا نَطْعًا^(۳) إِنْ الْأَمْرَ لَعَلِّي غَيْرَ مَا تَحَدَّثُ بِهِ نَفْسَكَ ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَنْ أَبْتَلِي^(۴) ذَلِكَ مِنْكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ، رَجَاءً أَنْ تَفِيقَ فَتَرْفَعَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَنْعَمْكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَالُكَ عَمَالَ السُّوءِ ، وَمَا تَوَالَسَ^(۵) عَلَيْكَ وَتَلَفَّفَ ، اتَّخَذُوكَ كَهَفًا ، وَعِنْدِي بِإِذْنِ اللَّهِ دَوَاءٌ فِيهِ شِفَاءٌ عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَلَا تَجْزَعُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُؤْخِذَ مِنْكَ الْحَقُّ وَتَعْطَاهُ ، فَإِنَّ النَّهْرَ يُنْجِرُ الدَّرَّةَ ، وَالْحَقُّ أَبْلَجُ^(۶) ، وَدَعْنِي وَمَا عَنْهُ تَلَجَّلَجُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ ، وَالسَّلَامُ .

(حَسَنُ الْخَاضِرَةِ ۱ : ۶۴ ، وَخَطُّ الْمَقْرِزِيِّ ۱ : ۷۸)

- (۱) التريث والرث : الابطاء ، وفي حسن الخاضرة « راث » وهو تحريف وقد أصلحته كما ترى ، وفي خطط المقرزي « نرر » ونزر الشيء ، ككرم نررا كشمس : قل .
- (۲) التمريض : خلاف التصريح ، والمعارض : التورية بالشيء عن الشيء ، والمعارض من الكلام ما عرض به ولم يصرح . جمع معراض من التمريض ، وأعراس الكلام ، ومعارضه ومعارضه : كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني ، كالرجل تسأله : هل رأيت فلانا فيكرة أن يكذب وقد رآه . فيقول إن فلانا لبيء ، وفي حديث عمر : أما في المعارض ما يعني المسلم عن الكذب ! وقوله : تعبا بها : أي أنت تعبا بها وتظنها مما يقبل لدى . وانكها ليست عندي بشيء . (۳) تنطع في الكلام فهو منتطع وهو التعمق في الكلام المعالي فيه الذي يتكلم بأقصى حله نكرا ، قال ابن الأعرابي : الطع كمنق المشدقون في كلامهم ، ولم أعثر له على مفرد ، والظاهر أنه بصيغة واحدة المفرد والجمع . (۴) أي امتحن ، وفي حسن الخاضرة : « أبتلي » .
- (۵) الموالسة : المداع والنداهنه ، وتوالوا عليه : أي تناصروا عليه في خب وخديعة ، ولف : جمع من هاما وهامنا كما يلف الرجل شهادة الرور ، وفي حسن الخاضرة : « وما تواليت عليه وتلف الجدول كهفا » وهو تحريف . (۶) أي واضح مضيء مشرق من بلج الصبح كدخل إذا أضاء وأشرف ، واللجلجة والتلجلج : الردد في الكلام ، وبرح الخفاء : أي وضع الأمر .

۱۷۸ - رد عمرو بن العاص علی عمر بن الخطاب

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، في الذي استبطناني فيه من الخراج ، والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلي ، وإعجابه من خراجها^(۱) على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام ، ولعمري للخراج يومئذ أوفرُّ وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منّا منذ كان الإسلام ، وذكرت أن النهر يخرج الدرّ فحلبتها حلباً قطع درّها ، وأكثر في كتابك وأنبئت وعرضت وترّبت^(۲) ، وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر^(۳) ، فحجت لعمري بالمفطعات المقذعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رسين صارم ، بليغ صادق ، وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولن بعده ، فسكنا بحمد الله مؤذنين لأماناتنا ، حافظين لما عظم الله من حق أمتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً والعمل به شيناً ، فيعرف ذلك لنا ، ويصدق فيه قلبنا ، معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجترأ على كل ما تم ، فأقبض عملك فإن الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها ، بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ، ولم تُكرم فيه أخاً ، والله يابن الخطاب : لآنا حين يراود ذلك مني أشدّ لنفسي غضباً ، ولها إنزاهاً^(۴) وإكراماً ، وما عملت من عمل أرى على فيه متعلقاً ،

(۱) أي من خراج مصر . (۲) نربة : جعل عليه التراب . ويرت أي يلوث ويلطخ بالتراب .

والعنى : وصمتي بالمعاب والذائب ، وو نسخة أخرى من حس المحاصرة « ويرت » من ترت الطي كضرب إذا صوت . أقول : وربما كان الأصل « ونرتيت » أي نويت وسرعت .

(۳) أي حيرة ومعرفة ، وانظم الأمر ككرم ، وأفطم : اشتدت شفاعته وحاور العدار وذلك وقذعه كنهه ، وأقذعه وأقذع له : رماه بالعش وسوء القول ، وقول معذخ بكسر الدال : به خش وهدد

وسب يقبح نشره . (۴) أي إبعاداً وتنجية عن الفبائح .

ولكني حفظت ما لم تحفظ ، ولو كنت من يهود يثرب ما زدت ، يفر الله لك ولنا
وسكت عن أشياء كنت بها عالما ، وكان اللسان بها مني ذلولا ، ولكن الله عظم
من حقت مالا يُجهل ، والسلام .

(حسن المحاضرة ۱ : ۶۴ ، خطط القرظي ۱ : ۸۸)

۱۷۹ - رد عمر على عمرو

فكتب إليه عمر بن الخطاب :

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله
الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد عجبت من كثرة كتبي إليك في إبطائك بالخراج ،
وكتابك إلى بنيّات الطرق^(۱) ، وقد علمت أنني لست أرضى منك إلا بالحق البين ،
ولم أقدمك إلى مصر أ جعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكني وجهتك للخارج من توفيرك
الخراج وحسن سياستك ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحل الخراج فإنما هو في المسلمين ،
وعندي من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام . »

(حسن المحاضرة ۱ : ۶۵ ، خطط القرظي ۱ : ۷۸)

۱۸۰ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك ،
فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين
يستبطني في الخراج ، ويزعم أنني أعند^(۲) عن الحق ، وأنكب عن الطريق ، وإني
والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك

(۱) بنيات الطرق : هي الطرق الصغار تشعب من الجادة وهي الزهات (جمع ترهة كفرة) أي
الأباطيل ، وفي الأصل « بنيات الطرق » وهو تحريف . (۲) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم
عنودا : مال ، ونكب عنه كنصر وفرح نكبا (كشمس وسبب) ونكوبا : عدل .

غَلَّتْهُم، فنظرتُ للمسلمين، فكان الرِّفْقُ بِهِمْ خيراً من أن تَمْخَرُقَ^(۱) بِهِمْ فَيَصِيرُوا إِلَى بَيْعِ
مَالًا غَنِي بِهِمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ ۝ (حسن المحاضرة ۱ : ۶۵ . خطط القرظي ۱ : ۷۹)

۱۸۱ - كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص - وهو يومئذ
أمير مصر - :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، أما بعدُ :
فقد بلغني أنه فَشَّتْ لَكَ فَاشِيَةٌ^(۲) من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد ، وعَهْدِي بِكَ قَبْلَ
ذَلِكَ وَلَا مَالَ لَكَ ، فَارْتَبِ إِلَى : من أين أصلُ هذا المال ، وَلَا تَكْتُمَهُ ۝
(صحيح الأعمى ۶ : ۳۸۶ . والعقد الفريد ۱ : ۱۶)

۱۸۲ - رد عمرو بن العاص على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ،
أما بعدُ ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكرُ فيه فاشيةٌ مالٍ فشالي ، وأنه يعرفني
قبل ذلك ولا مال لي .

وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلدٍ ، السَّعْرُ فِيهِ رَخِيصٌ ، وَأَنِي أَعَالِجُ مِنَ الْحِرْفَةِ^(۳)
وَالزَّرَاعَةِ مَا يَعَالِجُ أَهْلُهُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(۴) سَعَةٌ ، وَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتُ حَيَاتَكَ
حَلَالًا مَا خُنْتُكَ ، فَأَقْصِرْ^(۵) أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِن لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ ،

(۱) الخرق كقفل وسبب : الرفق وفعله كمرح . (۲) الفاشية : كل ما انتشر من المال
كالغنم السائمة والإبل وغيرها ، لأنها تنفش أي تنتشر في الأرض ، وجمعها الفواشي .
(۳) الحرفة : كل ما اشتغل الإنسان به . يريد بها هنا التجارة كما سيأتي .
(۴) أي أن الرزق الذي فرضه لي أمير المؤمنين عظيم يسع حاجتي ويوصل عنها فأدخر الفضل وأتبره .
(۵) أقصر عن الشيء : كف عنه وانتهى .

إِنْ رَجَعْنَا إِلَيْهَا عِشْنَا بِهَا ، وَلَعَمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا تَدْرِمُ مَعِيشَتَهُ ، وَلَا تَدْرِمُ لَهُ (۱) فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ نَفْتَحْ قُفْلَكَ ، وَلَمْ نَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ .

(صبح الأعشى ۶ : ۴۷۷ ، والعقد الفريد ۱ : ۶۱)

۱۸۳ - رد عمر على عمرو بن العاص

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فَإِنِّي وَآلَهُ مَا أَنَا مِنْ أُسَاطِيرِكَ الَّتِي تَسْطُرُ (۲) ، وَنَسَقُكَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ مَرْجِعٍ ، لَا يُغْنِي عَنْكَ أَنْ تُزَكِّيَ نَفْسَكَ ، وَقَدْ بَعَثُ إِلَيْكَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَسَاطِرُهُ مَالِكٌ ، فَإِنَّكُمْ أَيْهَا الرَّهْطُ الْأَمْرَاءُ جَلَسْتُمْ عَلَى عِيُونِ (۳) الْمَالِ لِمُ يُفْرِعْكُمْ عَذْرَ ، تَجْمَعُونَ لِأَبْنَائِكُمْ ، وَتَمْهَدُونَ لِأَنْفُسِكُمْ ، أَمَا إِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ الْعَارَ ، وَتَوَرِّثُونَ الثَّارَ ، وَالسَّلَامَ . »

(العقد الفريد ۱ : ۱۶)

رواية ثانية

ورويت هذه المكاتبات بصورة ثانية ، وهي :

كتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« إِنَّهُ قَدْ فَشَّتْ لَكَ فَاشِيَةٌ مِنْ مَتَاعِ وَرَقِيقٍ وَأَرْبِيَةِ وَحَيَوَانٍ لَمْ يَكُنْ حِينَ

وَلَّيْتَ مِصْرَ . »

فكتب إليه عمرو :

(۱) في هذه العبارة وما بعدها تحريف في صبح الأعشى والعقد ، وقد أصلحتها بما يستقيم به المعنى

وسيتضح لك المراد حينما تقرأ الروايات التالية .

(۲) الأساطير: الأباطيل والأحاديث لانظام لها جمع أسطار وإساطر بالفتح وأسطور بالضم وبالهاء

في الكسرة: وقيل جمع أسطار بالفتح وأسطار جمع سطر، وستر فلان علينا: أنانا بالأساطير وفي الأصل: من

أساطيرك أسطر ، وهو تحريف ، ونسق الشيء كنصر نسقا ونسقه: نظمه على السواء ، وربما كان الأصل

« ونسقيتك الكلام » كما سيأتي في الرواية الثالثة في غير مرجع: أي في غير فائدة . يقال رجع كلامي فيه أي

أعاد ، وهو متعلق بنسقتك وخبر ما محذوف أي في شيء كما سيأتي . (۳) أي خياره .

« إن أرضنا أرض مُزْدَرَعٍ وَمُتَّجِرٍ^(۱) ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفتننا . »

فكتب إليه عمر :

« إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سوت بك ظنا^(۲) ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه طلعه^(۳) وأخرج إليه ما بطالبك ، وأعف من الغلظة عليك فإنه قد برح الخفاء . »

(فتوح البلدان للبلاذري ص ۲۲۶)

رواية ثالثة

وفي رواية ثالثة : أنه لما قلده عمرُ عمرو بن العاص مصرَ ، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامتٍ ، فكتب إليه :

« أما بعد ، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك ، ولا كان لك مال قبل أن أستعملك ، فأنت لك هذا ؟ فوالله لو لم يُهَيِّئْني في ذات الله إلا من اختان^(۴) في مال الله لكأثر هي ، وانتثر أمرى ، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكني قلدتك رجاء غنائك^(۵) ، فإكتب إلى : من أين لك هذا المال ؟ وعجبا . »

فكتب إليه عمرو :

« أما بعد : فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لي من مال فإننا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا في القُصُول التي اتصل

(۱) مصدران مبيان ، أى أرض زراعة وتجارة ، والفضل : الريادة .

(۲) يمولون : سوت به ظنا وأسات به الظن ، يبتون الهمة إذا حووا الألب واللام ، وإنما نكر ظنا في الأول لأنه منصوب على التمييز ، وأما الظن ففعل به .

(۳) أطلعه على الأمر : أعلمه به ، والاسم المطلع بالكسر ، وأطلعه طلعه : أعلمه إياه .

(۴) خان واختان بمعنى . (۵) أى كفايتك .

بأمير المؤمنين نبوتها ، والله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك ، وقد ائتمنتني ، فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنفتنا عن خيانتك ، وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني ، فإذا كان ذلك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين بابا ، ولا فتحت لك قفلا .

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فإنني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك^(۱) الكلام في شيء ، ولكنكم معشر الأمراء قد تم على عيون المال ، ولن تعدموا عذرا ، وإنما تأكلون النار ، وتتعجلون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلم إليه شطر مالك . »
(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۵۸)

رواية رابعة

وفي رواية رابعة أن عمر كتب إلى عمرو :

« أما بعد ، فقد بلغني أنه قد ظهر لك مال من إبل وغنم وخدم وغلمان ، ولم يكن لك قبله مال ، ولا ذلك من رزقك ، فأني لك هذا ؟ واتد كان لي من السابقين الأولين من هو خير منك ، ولكني استعملتك لغنائك ، فإذا كان عمك لك وعلينا^(۲) فيم نوترك على أنفسنا ؟ فاكتب إلى : من أين مالك ؟ وعجل ، والسلام . »

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« قرأت كتاب أمير المؤمنين ، ولقد صدق ، فأما ما ذكره من مالي فإنني قد مت بلدة الأسعار فيها رخيصة ، والغزو فيها كثير ، فجعلت فضول ما حصل لي من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين ، والله يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا حلالا ما خنناك حيث ائتمنتنا ، فأقصر عنا عنك ، فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنفتنا عن العمل لك ،

(۱) شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .

(۲) أي لك غنمه وعلينا جرته .

وأما من كان لك من السابقين الأولين فهلاً استعماتهم! فوالله ما دقتُ لك باباً .
فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ ، فإنني لست من تَسطيرك وتثقيقك الكلام في نبي ، إنكم معشر
الأمراء أكلتم الأموال ، وأخذتم إلى الأعذار ، وإنما تأكلون النار وتورثون العار ،
وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليشاطرك ما في يديك ، والسلام » (۱) .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ ص : ۱۰۰)

۱۸۴ - كتاب أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى عمر

ولما انتصر أبو عبيد بن مسعود الثقفي على جيش الفرس في وقعة السقاطية (۲)
سنة ۱۳ هـ ، وجمع الغنائم بعث بخمسة إلى عمر بن الخطاب ، وكتب إليه :

(۱) فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا وقدمه إليه ، فأبى أن يأكل منه شيئا ،
فقال له عمرو : مالك لانا كل ؟ أتخرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف لأكلته ، ولكمك
قدمت إلى طعاما هو مقدمة للشرب ، نوح عن طعامك ! وأحضر لي مالك واكتب لي كل شيء هو لك ولانكته .
فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه فأخذ إحداها وترك الأخرى ، فلما رأى عمرو ما حاز محمد من المال
غضب وقال : قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل ! والله لاني لأعرف الخطاب يحمل
فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ، وما منهما لاني نمره لا تبلغ رصفيه (والنمره بفتح فكسر :
شعلة فيها خطوط بيض وسود ، أو برده من صوف يابسها الأعراب) والله ما كان العاص بن وائل يرصى
أن يلبس الديباج مزورا بالذهب . فقال له محمد : ليها باعمرو ، فعمر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه في
النار ، ووالله لولا ما دخلت فيه من الاسلام لألقت معتقلا عنزا بفناء دارك يسرك غزرها ، ويسوءك بكؤها
(غزرت الماشية ككرم غزارة وغزارا بالفتح وغزرا بالضم : درت ألبانها ، وبكأت الشاة والناقة
كجعل وكرم ، بكأ وبكأة بالفتح وبكوه وبكاه بالضم : قل لبنا) فقال له عمرو : أنشدك الله أن تحمر
عمر بقولي فان المجالس بالأمانة ، فقال لا أذكر شيئا مما جرى بيننا وعمر حتى .

(۲) كان أول ما عملته عمر رضي الله عنه في خلافته أن ندب الناس إلى أهل فارس مع النبي بن حارثة
الشيبياني أمير جند العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي . فقدم العراق وهو الأمير على
النبي وغيره ، وكان الفرس قد عكروا بالنمارق ، فقاتلهم أبو عبيد قتالا شديدا ، وهزم الفرس ، وأخذوا
نحو ككر (كجفر) وكانت قطعة لرسي ابن خالة كسرى ، فإر إليهم أبو عبيد والتفوا بالسقاطية أسفل
من ككر ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ، وهرب نرسي وغلب على عسكره وأرضه ، وجمع أبو عبيد
الغنائم ، وأخذت خزائن نرسي وفيها الرسيان بكسر النون والين وهو نر كان الرسي بحبه . لا يأكله
إلا ملوك الفرس ، أو من أكرموه بشيء منه ، ولا يفرسه غيرهم - فجعلوا يطمونونه الفلاحين ، وبعث
أبو عبيد بخمسة إلى عمر ، وكتب إليه الكتاب المذكور .

« إن الله أطعمنا مطاعيم ، كانت الأ كاسرة يحمونها ، وأحببنا أن تروها ،
لتذكروا إنعام الله وإفضاله . » (تاريخ الطبری ۴ : ۶۵)

۱۸۵ - كتاب عمر إلى المثنى بن حارثة الشيباني

ولما ملكت الفرسُ يزدجرد بن كسرى ، واطمأنت فارس واستوثقت^(۱) ، كتب
المثنى بن حارثة^(۲) إلى عمر بما ينتظر المسلمون ممن بين ظهرائهم^(۳) ، فجاءه
كتاب عمر :

« أما بعد ، فأخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلى الأعاجم
على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من
أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ، فإن جاء طائفاً وإلا حشرتموه ، احملوا
العرب على الجدد إذ جدَّ العجم ، فلتلقوا جدَّهم بجدِّكم . »

فكانوا في أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالِح^(۴) يغيث بعضهم بعضاً
إن كان كؤن . (تاريخ الطبری ۴ : ۸۲)

(۱) كان الفرس قد شغلوا عن المسلمين بما شجر بينهم من خلاف على من يلي أمر الملك ، ثم نصبوا بوران
بب كسرى . فدعت رسم إلى القيام بأمر أهل فارس ، وشكت إليه ترضعهم وإدبار أمرهم على أن
تلك عشر سنين ، ثم يكون الملك في آل كسرى ، وأمرت أهل فارس أن يسموا له ويطيعوا . فدانت له
فارس بعد قدوم أبي عبيد ، ولكنهم لم يلبثوا حتى انشعوا فرقتين : فرقة معه ، وفرقة مع الفيرزان ، فلما
رأوا المسلمين يتخرون السواد ويتقدمون في الفتح . قالوا لرسم والفيرزان : أين يذهب بكما لم يبرح بكما
الاختلاف حتى وهما أمر فارس وأطعمتا فيهم عدوهم ، والله لتجتمعان أو لبدأن بكم قبل أن يثبت بنا
شامت ، فبغثوا حتى وجدوا غلاماً يدعى يزدجرد من ولد شهربار بن كسرى . فحاهوا به فلكوه
واحتموا عليه واتحدت كلمتهم . (۲) وكان أبو عبيد بن معوذ قد مات في « وقعة الجسر » التي
شبت بين الفرس والمسلمين بعد وقعة السقاطية . إذ كانت القبلة كثيرة في جيش الفرس . فهابتها خيل المسلمين
واشد الأمر عليهم ، فقال أبو عبيد : احتوشوا القبلة واقطعوا بطانها واقبلوا عنها أهلها ، ووثب هو على
القبيل الأبيض فعمل به ذلك ، فخطه الفيل بيده فقط ، ووطئه القبيل فأت .

(۳) ولم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد : من كان له منهم عهد ، ومن لم يكن .
ويقال : هو بين طبريهم وظهرائهم (ولا تكسر النون) وبين أظهرهم : أي وسطهم وفي معظمهم .
(۴) مسالِح جمع مسلحة كمرحلة : وهي القوم ذوو سلاح .

۱۸۶ - کتاب عمر إلى عماله

وكان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل - وذلك في ذى الحجة سنة ثلاث عشرة - :
« لاتدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نَجْدَة أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إلى ، والمجل العجل » .
(تاريخ الطبري ۲ : ۸۲)

۱۸۷ - كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازين ، فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد :
« إني قد انتخبت لك ألف فارس مؤد^(۱) ، كلهم له نَجْدَة ورأى ، وصاحب حِيْطَة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم ، فشانك بهم » .

وقد أرسل عمر إلى سعد فقدم عليه ، فأمره على حرب العراق^(۲) .

(تاريخ الضري ۲ : ۸۴)

(۱) آدى فهو مؤد : فوى ، ويحوط : بصون ، والذمار : ما يرمك حفظه وحمايته .

(۲) لما كتب عمر إلى عماله يستنجدهم ، وافاه بالمدينة مرجعه من الحج كثير من أهل النجدة - ومن كان أقرب من العراق انضم إلى النبي بن حارثة - وخرج عمر بمن اجتمعوا لديه من المدينة ، بعد أن استخلف عليها على بن أبي طالب ، حتى نزل على ماء يدعى صراراً ، فعكر به ولا يدري الناس ما يريد أيسر أم يقيم ، فسأله عثمان عن وجهته ، فأخبرهم الخبر ، ثم نظر ما يقولون ، فقالت العامة : سر وسرنا معك ، وأشار عليه ذوو الرأى أن يقيم ويبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود . فقال عمر : فأشيروا على برجل ، ووافق كتاب سعد بن أبي وقاص إليه مشورتهم ، فقالوا : قد وجدته ، قال : فن ؟ قالوا : الأسد عاديا ، قال : من ؟ قالوا : سعد ، فانهى إلى قولهم .

۱۸۸ - کتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر إلى سعد مُرْتَحِلَهُ من زُرُود^(۱) :

« أن ابنت إلى فرج الهند رجلا ترضاه يكون بحيماله ، ويكون رداءك من شيء
إن أتاك من تلك التَّخُومِ » .

فبعث المغيرة بن شعبه في خمسمائة ، فكان بحيمال الأبله من أرض العرب .

۱۸۹ - كتاب عمر إلى سعد

فما نزل سعد بشراف^(۲) كتب إلى عمر بمنزله ، فكتب إليه عمر :

« إذا جاءك كتابي هذا ، فعشّر الناس وعرف عليهم ، وأمر على أحنادهم ،
وعبّهم ، ومُر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم ،
وواعدهم القنادسية^(۳) واضم إليك المغيرة بن شعبه في خيله ، واكتب إلى بالذي
يستمر عليه أمرهم » .

فأنفذ سعد ما أمره به عمر^(۴) . (تاريخ الطبری ۴ : ۸۷)

۱۹۰ - كتاب عمر إلى سعد

وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بن الخطاب ، وفيه :

« أما بعد : فسير من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله ،
واستعن به على أمرك كإله ، واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير ،

(۱) على طريق الحاج من الكوفة : والرداء : العون . ولما كان سعد بزورود بلغه أن النبي بن حارثة
مات من جراحة كان جرحها يوم الجسر . (۲) ماء بنجد . (۳) بقرب الكوفة .

(۴) فبعث إلى المغيرة فانضم إليه ، وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعباهم ، وأمر أمراء
الأجناد ، وعرف العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،
وأمر على الرايات رجلا من أهل السابقة وعشر الناس ، وأمر على الأعيان رجلا لهم وسائل في الإسلام ،
وولى الحروب رجلا ، فلم يفصل إلا عن تسمية ، ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه .

وَعَدَّتْهُمْ قَاضِلَةً^(۱) ، وَبَأْسُهُمْ شَدِيدٌ ، وَعَلَى بَلَدٍ مَنِيْعٍ وَإِنْ - كَانَ سَهْلًا - كَثُودٍ^(۲) ،
لَبُحُورِهِ وَفِيُوضِهِ وَدَادِيَّتِهِ^(۳) إِلَّا أَنْ تَوَاتَمُوا غَضًّا مِنْ قَيْضٍ^(۴) .

وَإِذَا لَقِيْتُمْ الْقَوْمَ ، أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَأَبْدُوهُمْ الشَّدَّ وَالضَّرْبَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَنَاظِرَةَ
لِجُوعِهِمْ ، وَلَا يَخْدَعَنَّكُمْ فَإِنَّهُمْ خَدَاعَةٌ مَكْرَةٌ ، أَمْرُهُمْ غَيْرُ أَمْرِكُمْ ، إِلَّا أَنْ تَجَادُوهُمْ ،
وَإِذَا أَنْتَبَيْتَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ - وَالْقَادِسِيَّةُ بَابُ فَارِسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهِيَ أَجْمَعُ تِلْكَ الْأَبْوَابِ
لِمَادَّتِهِمْ ، وَلَمَّا يَرِيدُونَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَصْلِ^(۵) ، وَهُوَ مَنْزِلُ رَغِيْبٍ ، خَصِيْبٌ حَصِيْبٌ ،
دُونَهُ قَنَاطِرٌ ، وَأَنْهَارٌ مَمْتَنَعَةٌ - فَتَكُونُ مَسَالِحِكُ^(۶) عَلَى أَنْقَابِهَا ، وَيَكُونُ النَّاسُ بَيْنَ
الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ ، عَلَى حَافَاتِ الْحَجَرِ ، وَحَافَاتِ الْمَدَرِ ، وَالْجِرَاعُ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ الزَّمْ مَكَانَكَ
فَلَا تَبْرَحْهُ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَحْسَوْكَ أَنْفَضْتَهُمْ^(۷) رَمَوْكَ بِجَمْعِهِمُ الَّذِي يَأْتِي عَلَى خَيْلِهِمْ
وَرَجُلِهِمْ ، وَحَدَّثَهُمْ وَجَدَّهِمْ ، فَإِنْ أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ ، وَاحْتَسِبْتُمْ لِقَاتِلَهُ ، وَنَوَيْتُمْ الْأَمَانَةَ ،
رَجَوْتُمْ أَنْ تُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَا يَجْتَمِعُ لَكُمْ مِثْلُهُمْ أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعُوا وَلَيْسَتْ
مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كَانَ الْحَجَرُ فِي أَدْبَارِكُمْ ، فَاَنْصَرَفْتُمْ مِنْ أَدْنَى مَدْرَةٍ
مِنْ أَرْضِهِمْ ، إِلَى أَدْنَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِكُمْ ، ثُمَّ كُنْتُمْ عَلَيْهَا أُجْرًا ، وَبِهَا أَعْلَمَ ، وَكَانُوا
عَنْهَا أَجْبَنَ ، وَبِهَا أَجْهَلَ ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِمْ ، وَيُرَدَّ لَكُمْ الْكُرَّةُ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِالْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَحِلُ فِيهِ مِنْ شَرَافٍ :

« فَإِذَا كَانَ يَوْمُ كَذَا وَكَذَا ، فَارْتَحِلْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَنْزِلَ فِيهَا بَيْنَ عُدَيْبِ الْهَجَانَاتِ ،
وَعُدَيْبِ الْقَوَادِمِ ، وَشَرِّقْ بِالنَّاسِ ، وَغَرِّبْ بِهِمْ . » (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ : : ۸۹)

- (۱) زائفة . (۲) غيبة كثود وكأداء : صعبة .
(۳) الدآدى : حم دأداء وهو الفضاء وما اتسع من التلاع والأودية .
(۴) غاض الماء غيضاً : قل ، وفاس فيضاً : كثير ، والمعنى قليلاً من كثير .
(۵) الأصل والأصول : جمع أصل ، ورغيب : أى يرغب فيه للائمة .
(۶) المسالغ : جمع سلعة كمرحلة ، وهى القوم ذوو سلاح . والأنتاب جمع نطب بالفتح ، وهو الطريق
بين الجبلين . والمدر : قطع الطين اليابسة ، والمدن والمضرب ، والجراع : حم جرعة كوردة وتترك : وهى
الرملة الطيبة النبات لاوعوثة فيها . (۷) أى حركتهم وأثرتهم .

۱۹۰ - کتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد ، ومن معه من الأجناد :

« أما بعدُ : فإنني أمرُك ، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدو ، وأقوى المَكِيدَة في الحرب ، وأمرُك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتِراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استَوَيْنَا في المعصية ، كان لهم الفضلُ علينا في القوة ، وإلاَّ نُنصَرُ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سِرِّكم حَفَظَة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحْيُوا منهم ، ولا تَعْمَلُوا بمعاصي الله وأتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسَلِّطَ علينا ، فربَّ قومٍ سَلَّطَ عليهم شرٌّ منهم ، كما سَلَّطَ على بني إسرائيل - لَمَّا عَمِلُوا بِمَآخِطِ اللَّهِ - كُفَّارُ المَجُوسِ ، فجاسوا خلال الدِّيارِ ، وكان وعداً مَفْعُولاً ، وأسألوا الله العونَ على أنفسكم كما تسألونه النصرَ على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وترَفَّقَ بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبِيهِمْ ، ولا تُقَصِّرْ بِهِمْ عن مَنْزِلِ يَرَفُقُ بِهِمْ ، حتى يبلغوا عدوهم (والسَّفَرُ لم يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فإنهم سائرون إلى عدو مُقِيمٍ ، حَامِي الأَنْفُسِ والكِرَاعِ^(۱) ، وأَقِيمْ بَيْنَ مَعِكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حتى تكون لهم راحةٌ يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ^(۲) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحِّ مَنْزِلَهُمْ عَنِ قَرْيِ أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقُّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ^(۳) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ حُرْمَةٌ وَذِمَّةٌ آتَيْتِهِمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا كَمَا آتَيْتُمُوهَا .

(۱) الكراع من كل شيء: طرفه واسم يجمع الخيل.

(۲) رمه كضرب ونصر: أصله . (۳) رزأه ماله: أصاب منه شيئاً .

بالصبر عليها ، فما صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذِكِ^(۱) ، لِلصُّيُونِ يَبْنِيكَ وَبَيْنَهُمْ ، ولا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وليكن عندك من العَرَبِ أو من أهل الأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصِيحِهِ وَصَدَقِهِ ، فإن الكذوب لا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنَ عَلَيْكَ ، وليس عينا لك ، وليكن منك عند دُنُوكِ من أرض العدو أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَائِعَ ، وَتَبْثُ السَّرَايَا^(۲) يَبْنِيكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعِ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعِ الطَّلَائِعَ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ^(۳) لِلطَّلَائِعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَخَيِّرْ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوْلَى مَا تَلْقَاهُمْ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، واجعل أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلا تَخْصُ بِهَا أَحَدًا بِهَوَى فِتْنِيْعٍ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ خَاصَّتِكَ ، وَلا تَبْعَثَنَّ طَلِيْعَةً ، وَلا سَرِيَّةً فِي وَجْهِ اتِّخَوَّفَ فِيهَا غَلْبَةَ أَوْ ضِيْعَةً أَوْ يَكَايَةَ ، فَإِذَا عَابَيْتَ الْعَدُوَّ ، فَاضْمِمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَّلَائِعَكَ وَسَرَايَاكَ ، واجمع إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لا تَعَاجِلْهُمْ الْمُنَاجَزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ كَصُنْعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذِكِ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَبْقِظُ مِنَ الْبِيَّاتِ جُهْدَكَ ، وَلا تُؤْتِيَ بِأَسِيرٍ لَيْسَ لَهُ عَقْدٌ^(۴) إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، لِتُرْهِبَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيُّ النُّصْرَةِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . (العنق المرید ۶ : ۴۰)

۱۹۱ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب إليه :

« أما بعدُ : فَعَمَّاهُ قَلْبُكَ ، وَحَادِثُ جَنْدِكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ^(۵) ، وَمَنْ

(۱) أذك عليه الصيون . أرسل عليه الطلائع .
 (۲) سرية كفية : وهي القطعة من الجيش .
 (۳) تنقاه وانتقاه : اختاره . (۴) عهد .
 (۵) الحسبة : اسم من الاحساب ، احتسب
 بكذا أجراً عند الله : اعتده يتوى به وجه الله .

غَفَلَ فُلِحْدِهِمَا ، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ ، فَإِنِ الْمَعُونَةُ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ ، وَالْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْحِسْبَةِ ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ عَلَى مَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ « لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وَأَكْتُبْ إِلَيَّ : أَيْنَ بَلَغَكَ جَمْعُهُمْ ؟ وَمَنْ رَأْسُهُمُ الَّذِي بِي مَصَادِمَتِكُمْ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَعْضِ مَا أُرِدْتُ الْكِتَابَ بِهِ ، قَلَّةٌ عِلْمِي بِمَا هَجَعْتُمْ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْرُ عَدُوِّكُمْ ، فَصِيفٌ لَنَا مَنَازِلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْبَلَدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ « الْمَدَائِنِ » صِفَةً كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهَا ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَمْرِكُمْ عَلَى الْجَلِيَّةِ^(۱) وَخَفَّ اللَّهُ وَارِجُهُ ، وَلَا تَدِلْ بِشَيْءٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ ، وَتَوَكَّلْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِمَا لَخُلْفَ لَهُ ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْكُمْ ، وَيَسْتَبَدِلَ بِكُمْ غَيْرَكُمْ .
(تاريخ الطبري ۴ : ۸۹)

۱۹۲ - رد سعد على كتاب عمر

فكتب إليه سعد بصفة البلدان :

« الْقَادِسِيَّةُ بَيْنَ الْخُنْدُقِ وَالْعَتِيقِ ، وَإِنْ مَاعِنُ يَسَارِ الْقَادِسِيَّةِ بِحَرِّ أَخْضَرُ فِي جَوْفِ^(۲) لَاحٍ إِلَى الْحَيْرَةِ بَيْنَ طَرِيفَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهْرِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يُدْعَى « الْحَضُوضُ »^(۳) ، يَطَّلِعُ مِنْ سَاكِهِ عَلَى مَا بَيْنَ الْخَوْرَزْمِ وَالْحَيْرَةِ ، وَإِنْ مَاعِنُ يَمِينِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْوَجَلَةِ فَيُضُّ مِنْ فَيُوضُ مِيَاهَهُمْ ، وَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ صَاحِبِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي أَلْبُ^(۴) لِأَهْلِ فَارِسٍ قَدْ خَفُوا لَهُمْ ، وَاسْتَعْدُّوا لَنَا ، وَإِنْ الَّذِي أَعْدُّوا لِمَصَادِمَتِنَا رُسْتَمٌ فِي أَمْثَالٍ لَهُ مِنْهُمْ ، فَهَمَّ يَحَاوِلُونَ إِنْغَاضَنَا^(۵) وَإِقْحَامَنَا ، وَنَحْنُ نَحَاوِلُ إِنْغَاضَهُمْ وَإِبْرَازَهُمْ ، وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدُ مَاضٍ ، وَقَضَاؤُهُ مُسَلَّمٌ إِلَى مَا قَدَّرْنَا لَنَا وَعَلَيْنَا ، فَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ ، وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَافِيَةٍ . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۹۰ ، ومعجم البلدان ۷ : ۶)

(۱) الجلية : الخبر اليقين . (۲) الجوف : المطنين من الأرض ، ومكان لاح ولحج ككتف ولحج كجفر : أي ضيق . (۳) ضبطه صاحب القاموس فقال : كسبور : نهر كان بين القادسية والحيرة . (۴) يقال : هم عليه ألب واحد : أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . (۵) أنغضه : حركه .

۱۹۳ - رد عمر علی کتابه

فكتب إليه عمر :

« قد جاءني كتابك وفهمته ، فأقيم بمكانك حتى ينفض الله لك عدوك ، واعلم أن لها ما بعدها ، فإن منحك الله أديارهم ، فلا تنزع^(۱) عنهم حتى تقتحم عليهم « المدائن » ، فإنه خرابها إن شاء الله . » (تاريخ الطبري ۴ : ۹۰)

۱۹۴ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد رضي الله عنهما :

« إني قد ألقى في روعي^(۲) أنكم إذا لقيتم العدو هزمتهم ، فاطرحوا الشك ، وآثروا التقيّة عليه ، فإن لآعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قرّوه^(۳) بإشارة ، أو بلسان كان لا يدري الأعجمي ما كآمه به ، وكان عندهم أماناً ، فأجروا ذلك له مجرى الأمان ، وإياكم والضجك ، والوفاء الوفاء ، فإن الخطأ بالوفاء بتيّة ، وإن الخطأ بالفذر المهلكة ، وفيها وهنكم ، وقوة عدوكم ، وذهب ربحكم^(۴) ، وإقبال ربحهم ، واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شيناً على المسلمين ، وسبباً لتوهمهم . » (تاريخ الطبري ۴ : ۹۰ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۱۷۴)

۱۹۵ - كتاب سعد إلى عمر

ونزل سعد القادسية ، فأقام بها شهراً ، ثم كتب إلى عمر : « لم يوجّه القوم إلينا أحداً ، ولم يُسندوا حرباً إلى أحد علمناه ، ومتى ما يباغنا ذلك نكتب به ، واستنصر الله فإننا بمنحاة^(۵) دنياً عريضة دونها بأس شديد ، قد تقدّم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال : « ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد . » (تاريخ الطبري ۴ : ۹۱)

(۱) أي فلا تكف .

(۲) الروع : القلب .

(۳) أي داناه .

(۴) أي بناحية .

(۵) أي قونكم .

۱۹۶ - کتاب عمر إلى سعد

وبعث سعد عيوناً ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم حربته ، فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :
 « لا يَكْرُبَنَّكَ ^(۱) ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل المنظرة ^(۲) والرأي والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وقلجاً عليهم ، واكتب إلى في كل يوم » . (تاريخ الطبری ۴ : ۹۲)

۱۹۷ - کتاب سعد إلى عمر

ولما عسكر رستم بساباط ، كتب سعد إلى عمر .
 « إن رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بأخيول والفيول ، وزهاء ^(۳) فارس ، وليس شيء أهم إلى ، ولا أئانه أكثر ذكراً مني ، لما أحببت أن أكون عليه ، ونستعين بالله ونتوكل عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم كما وصفت ^(۴) » .
 (تاريخ الطبری ۴ : ۹۲)

۱۹۸ - کتاب عمر إلى سعد

وسار رستم بجيشه حتى نزل القادسية ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، فدارت الدائرة على جيش الفرس ، وحمل هلال بن علفة على رستم فقتله ، وحمل زهرة بن الحوية على الجالينوس - أحد عظماء الفرس - فقتله ، وجاء بسلبه ^(۵) إلى سعد بن أبي وقاص فنقله ^(۶) سلبه .

(۱) كربه الغم كنصر : اشتد عليه . (۲) المنظرة : منظر الرجل إذا نظرت إليه فأعجبك .
 (۳) يقال : هم قوم ذوو زهاء : أي ذوو عدد كثير ، والزهاء أيضاً : الكبر والفخر كالزهو .
 (۴) جمع سعد جماعة من وجوه أصحابه ، منهم النعمان بن مقرن وحنظلة بن الربيع والمغيرة بن زرارمة ابن النباش وعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة ، وبهتهم دعاة إلى يزدجرد بالمداين ، وقد جرى بينه وبينهم حوار أوردناه في جهرة خطب العرب ج ۱ ص ۱۱۳ .
 (۵) السلب : ما يسلب . (۶) النقل بالتحريك : الغنيمة ، ونقله النقل ، ونقله : وأنقله أعطاه إياه .

وكان سعد قد استكثر له سلبه، فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليه عمر « تعمد إلى مثل زهرة، وقد صلي بمثل ما صلي به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي تكسر قرته، وتفسد قلبه! أمض له سلبه، وفضله على أصحابه عند العطاء خمسمائة ». وفي خبر آخر أن عمر كتب إلى سعد :

« أنا أعلم بزهرة منك، وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فلقاه الله، مثل زهرة في عضده يارقان^(۱)، وإني قد نفلت كل من قتل رجلاً سلبه ».

فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .
(تاريخ الطبری ۴ : ۱۳۵)

۱۹۹ - كتاب سعد إلى عمر

وبعد أن تم الظفر للمسلمين في هذه الواقعة « وقعة القادسية، وكانت سنة ۱۴ هـ » كتب سعد إلى عمر : بالفتح .

« أما بعد : فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومانحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين، بعدة لم ير الرأءون مثل زهائها^(۲)، فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين .

واتبعهم المسلمون على الأنهار، وعلى طغوف^(۳) الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبید القارى، وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا تعلمهم، الله بهم عالم كانوا يدؤون بالتمران إذ جن عليهم الليل دوى النحل، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة، إذ لم يكتب لهم » .

(تاريخ الطبری ۲ : ۱۴۴)

(۱) اليارق : السوار، كنى بذلك عن عظم شأنه، أى ومن كان في مثل منزله فلا يعيب من سلب سلبه شيئاً . (۲) يقال : هم زهاء مائة بضم الزاى وكسرهما : أى قدر مائة .

(۳) الطغوف : جمع طغ بالفتح . وهو الحجاب والشاطىء . الآجام : جمع أجمة بالتحريك، وهى الشجر الكثير اللثغ . الفجاج : جمع فح، وهو الطريق الواسع .

۲۰۰۔ کتاب سعد إلى عمر

وكتب سعد إلى عمر مع أنس بن الحليّس يستفتيه في شأن أهل السّواد وقد تمضوا
عهودهم مُدّعين أن الفرس أكرهوهم وحشروهم :
« إن أقواماً من أهل السّواد ادّعوا عهداً ، ولم يُقِمْ على عهد أهل الأيّام لنا
ولم يَفِ به أحدٌ عَلِمناه ، إلا أهلُ بَاقِيا وبِسا وأهلُ أليس الآخرة ، وادّعى أهل السّواد
أن فارس أكرهوهم وحشروهم ، فلم يُخَالَفُوا إلينا ولم يذهبوا في الأرض . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۲۵)

۲۰۱۔ کتاب سعد إلى عمر

وكتب إليه أيضاً مع أبي الهياج بن مالك الأَسدي :

« إن أهل السواد جَلّوا جَاءنا من أمسك بعهدده ولم يُجِلب علينا ، فتمننا لهم ما كان
بين المسلمين قبيلنا وبينهم ، وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن ، فأحدث إلينا وفيمن
تمّ^(۱) وفيمن جَلّا ، وفيمن ادّعى أنه استكرهه وحشروهم ولم يقاتل أو استسلم ،
فإنا بأرض رَغيبية ، والأرض خلاء من أهلها ، وعددنا قليل ، وقد كثر أهل صلحنا ،
وإن أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۲۵)

۲۰۲۔ کتاب عمر إلى سعد

فجمع عمر الناس ، واستشارهم في الأمر ، فأشاروا عليه بما يروون ، فكتب إلى سعد
جواب كتاب أنس بن الحليّس :

« أما بعد ، فإن الله إجل وعلا أنزل في كل شيء رُخْصَةً في بعض الحالات ،
إلا في أمرين : العدل في السيرة ، والذكر ، فأما الذكر فلا رُخْصَةً فيه في حالة ، ولم

(۱) تم على الأمر وتم عليه بإظهار الإدغام : استمر عليه .

يَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِالكَثِيرِ ، وَأَمَّا الْعَدْلُ فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ فِي قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ ، وَلَا فِي شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ ، وَالْعَدْلُ وَإِنْ رُئِيَ لَيْتِنًا فَهُوَ أَقْوَى وَأَطْفَأُ لِلجَوْرِ ، وَأَقْمَعُ لِلبَاطِلِ مِنَ الْجَوْرِ ، وَإِنْ رُئِيَ شَدِيدًا ، فَهُوَ أَنْكَشٌ^(۱) لِلْكَفْرِ ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى عَهْدِهِ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ ، وَلَمْ يُعِنْ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ ، فَهَمُّ الذِّمَّةِ وَعَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ ، وَأَمَّا مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ اسْتُكْرِهَ مِنْ لَمْ يَخَالِفْهُمْ إِلَيْكُمْ ، أَوْ يَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَصَدِّقُوهُمْ بِمَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ تَشَاءُوا وَإِنْ لَمْ تَشَاءُوا فَأَنْبِذُوا إِلَيْهِمْ ، وَأَبْلِغُوهُمْ مَا مَنَّهُمْ » .

۲۰۳ - كتاب عمر إلى سعد

وأجاب في كتاب أبي الهياج :

« أَمَا مِنْ أَقَامَ وَلَمْ يَنْجُلْ وَلَيْسَ لَهُ عَهْدٌ فَلَهُمْ مَا لِأَهْلِ الْعَهْدِ بِمَقَامِهِمْ لَكُمْ وَكَفَّهِمْ عَنْكُمْ إِجَابَةً ، وَكَذَلِكَ الْفَلَاحُونَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، وَكُلٌّ مِنْ ادَّعَى ذَلِكَ فَصُدِّقْ لَهُمْ الذِّمَّةُ ، وَإِنْ كُذِّبُوا نَبَذُوا إِلَيْهِمْ ، وَأَمَّا مَنْ أَعَانَ وَجَلَا فَذَلِكَ أَمْرٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَادْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُقِيمُوا لَكُمْ فِي أَرْضِهِمْ ، وَلَهُمْ الذِّمَّةُ وَعَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ ، وَإِنْ كَرِهُوا ذَلِكَ فَاقْسِمُوا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ » . (تاريخ الطبری ۴ : ۱۴۵)

۲۰۴ - كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص حين افتتح السَّوَادَ :

« أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ بَاغَيْتُ كِتَابَكَ تَذَكَّرَ فِيهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ سَأَلُوكَ أَنْ تَقْسِمَ بَيْنَهُمْ مَغَانِمَهُمْ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا ، فَانظُرْ مَا أَجْلَبَ النَّاسَ عَلَيْكَ بِهِ إِلَى الْعَسْكَرِ مِنْ كُرَاعٍ^(۲) ، وَمَالٍ ، فَاقْسِمَهُ بَيْنَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَاتْرِكْ

(۱) نكته كنصر وضرب : استخرج ما فيه .

(۲) الكراع : اسم يجمع الخيل ، وفي فتح البلدان ومعجم البلدان : « فانظر ما أجاب عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس » .

الأَرْضِينَ وَالْأَنْهَارَ لِعُمَّالِهَا^(۱) ، لِيَكُونَ ذَلِكَ فِي أُعْطِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّكَ إِنْ قَسَمْتَهَا بَيْنَ مَنْ حَضَرَ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ .

وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكَ أَنْ تَدْعُوَ مَنْ لَقِيتَ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ ، فَمَنْ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ قَبْلَ الْقِتَالِ فَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ مَتَّهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَمَنْ أَجَابَ بَعْدَ الْقِتَالِ ، وَبَعْدَ الْهَزِيمَةِ فَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَالُهُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَحْرَزُوهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، فِهَذَا أَمْرِي وَعَهْدِي إِلَيْكَ .

(كِتَابُ الْمَرَاجِ ص ۲۸ ، وَقِتُوحُ الْبِلْدَانِ ص ۲۷۴ ، وَمَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ۵ : ۱۶۳)

۲۰۵ - كِتَابُ عُمَرَ إِلَى قُطَيْبَةَ بْنِ قُبَادَةَ

وَكَانَ قُطَيْبَةُ بْنُ قُبَادَةَ السَّدُوسِيُّ يُغَيِّرُ بِنَاحِيَةَ الْخُرَيْبَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ (كَمَا كَانَ الْمَثْنَى ابْنَ حَارِثَةَ يُغَيِّرُ بِنَاحِيَةَ الْخَيْرَةِ) فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يُبْعَلِّمُهُ مَكَانَهُ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ عَدَدُ بَسِيرِ ظَفِيرٍ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْعَجَمِ ، فَتَفَاهَمَ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :
« إِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُكَ أَنَّكَ تُغَيِّرُ عَلَيَّ مِنْ قِبَلِكَ مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَقَدْ أَصَبْتَ وَوَقَّعْتَ ، أَقِيمْ مَكَانَكَ وَاحْذَرْ عَلَيَّ مِنْ مَعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي^(۲) » .
(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ۴ : ۱۵)

۲۰۶ - كِتَابُ عُمَرَ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ

وَوَجَّهَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ إِلَى الْبَصْرَةِ سَنَةَ ۱۴ هـ^(۳) وَأَمْرَهُ بِنَزْوَالِهَا بِمَنْ مَعَهُ ، وَقَطَعَ مَادَّةَ أَهْلِ فَارَسَ عَنِ الَّذِينَ بِالْمَدَائِنِ وَنَوَاحِيهَا مِنْهُمْ .
وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقَدِ قَالَ :

(۱) وَفِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ « بِجَاهِلِهَا » . (۲) وَقَدْ وَجَّهَ عُمَرَ شَرِيحَ بْنَ عَامِرٍ إِلَى الْبَصْرَةِ لِيَكُونَ رَدًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا ثُمَّ مَضَى إِلَى الْأَهْوَازِ فَقَتَلَهُ الْأَعَاجِمُ ، وَبَعَثَ عُمَرَ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ .
(۳) قَالَ الطَّبْرِيُّ : هَذَا فِي قَوْلِ الْمَدَائِنِيِّ وَرَوَايَتِهِ ، وَزَعَمَ سَيْفٌ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَصْرَتْ فَرَبِيمَ سَنَةَ ۱۶ هـ ، وَأَنَّ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَدَائِنِ بَعْدَ فِرَاقِ سَعْدٍ مِنْ جُلُودَاءِ ، وَتَكَرُّبِ الْوَحْشِيِّينَ ، وَجَّهَ إِلَيْهَا سَعْدَ بْنَ عُمَرَ .

كتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان عامله على البصرة :
 « أما بعد : فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك ، وتأمر فينفذُ أمرُك ، فيألفها
 نعمةً إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغى على من دونك ، فاحترس من النعمة أشدَّ
 من احتراسك من المعصية ، وإياك أن تسقط سقطةً لا شوى^(۱) لها ، وتعثر عثرةً
 لا لعلها^(۲) » (العقد الفريد ۱ : ۲۰۰)

* * *

وروى الطبري قال :

قال عمر لعُتْبَةُ بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة :
 « يا عتبة : إني قد استعملتك على أرض الهند^(۳) ، وهي حومة^(۴) من حومة العدو ،
 وأرجو أن يكفيك الله ما حوَّها ، وأن يُعينك عليها ، وقد كتبتُ إلى العلاء
 ابن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثة ، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكابدة ، فإذا
 قدمَ عليك فاستشره وقرَّبه ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى
 فالجزية عن صفار وذاته ، وإلا فالسيفُ في غير هوادة .

واتقِ الله فيما وليت . وإياك أن تنزعك نفسك إلى كبرٍ يُفسدُ عليك إخوانك ،
 وقد صحَّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعززت به بعد الذلَّة ، وقويت به بعد
 الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، وملسكا مطاعاً تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع
 أمرُك ، فيألفها نعمةً إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتبطلرك على من دونك ، أحتفظ من
 النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهي أخوفها عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك ،

(۱) أشوى من الشيء : أبقى منه بعضاً ، والاسم الشوى ، ولا شوى لها : أي لا إبقاء لها ،
 أو لا بقاء لها . (۲) لعلها : كلمة يدعى بها للعائر معناها الارتفاع ، فإذا دعى له بأن ينتفض قيل :
 لعلها ويقال : لا لعلها أي لا ألامه الله . (۳) وكانت البصرة يومئذ تدعى أرض الهند ، فيها حجارة
 بيض خشن ، والبصرة كل أرض حجارها جس - انظر الطبري ۱ : ۱۴۹ ومروج الذهب ۱ : ۲۶ .
 (۴) حومة القتال وغيره : أشد موسم فيه .

فَلَمَّا سَقَطَتْ سَقَطَةٌ تَصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ ، أُعِيدَ بِكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، إِنْ النَّاسُ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ
حِينَ رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادُوا ، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَاتَّقِ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ .
وكانت إمارة عتبة على البصرة ستة أشهر . (تاريخ الطبري ۲ : ۱۵۰)

۲۰۷ - كتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وكان يباري سعد بن أبي وقاص ،
فلما رأى ما أحرزه سعد من الظفر والفتح ، رام أن يبلغ مكانته ، فندب أهل البحرين
إلى فارس ، وحملهم في البحر إليها بغير إذن عمر - وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه
غازياً ، يكره التفرير بجنده - وعبرت جنود العلاء إلى فارس فخرجوا في إصطخر ،
ولقيهم الفرس ، فحالوا بينهم وبين سفنهم ، وأقتلوا قتالا شديداً ، قتل فيه بعض قواد
جيش العلاء ، وكثير من الفرس .

ثم رأى المسلمون أن يقصدوا إلى البصرة ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً
إذ غرقت سفنهم ، ووجدوا الفرس قد أخذوا عليهم الطرق ، فمكروا وامتنعوا .
ولما بلغ عمر ما صنع العلاء . كتب إلى عتبة بن غزوان :

« إن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني ،
وأظنه لم يرِدِ الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا يُنصروا أن يُغلبوا وينشَبوا^(۱) ،
فاندب إليهم الناس ، وأضمتهم إليك من قبل أن يجتاحوا » .

فندب عتبة جيشاً لقي الفرس فهزمهم ، وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا ، واشتد
غضب عمر على العلاء ، وكتب إليه بعزله ، وأمره بأثقال الأشياء ، وأبفض الوجوه إليه ،
بتأمر سعد عليه ، وقال : الحق بسعد فيمن قبلك ، فخرج بمن معه نحو سعد .
(تاريخ الطبري ۲ : ۲۱۳)

(۱) أي يؤسروا ، من نشب الصيد والحباله كفرح : إذا علق بها .

۲۰۸ - کتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

« وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان :

« أن أعزب^(۱) الناس عن الظلم ، واتقوا واحذروا أن يُبدال^(۲) عليكم لغير
يكون منكم أو بغي ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم ، على عهد عاهدكم عليه ،
وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم ، فأوفوا بعهد الله ، وقوموا على أمره يكن لكم عوناً
وناصراً » .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۱۲)

۲۰۹ - كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

واستعمل عمر على البصرة بعد عتبة بن غزوان المغيرة بن شعبة . فبقي بها سنتين ،
ثم رُمي بما رُمي^(۳) به ، فعزله عمر وولى مكانه أبا موسى الأشعري سنة ۱۷ هـ وكتب
إلى المغيرة - قال الطبري : وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس : أربع كلمات
عزل فيها وعاتب واستحث وأمر -

« أما بعد فإنه بلغني نبأً عظيم . فبهتت أبا موسى أميراً ، فسلم ما في يدك ،
والعجل » .

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۰۷ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۲۶۶)

(۱) أبعد . (۲) الإدالة : الطلقة . يقال : اللهم أدلني على فلان وانصرتني عليه .
(۳) وذلك أن أبا بكره - أبا زياد بن أبيه - ونفرا معه انهموه بأنه زنى بأُم جليل بنت الأقم ،
وكتبوا بذلك إلى عمر . فعزله وولى مكانه أبا موسى الأشعري ، وارثل المغيرة وخصومه وهم أبو بكره
وزياد وناقم بن كلدة وشبل بن معبد ، حتى قدموا على عمر ، فمخ بينهم وبين المغيرة ، وقد أقدم بين
يدي عمر أنه ما أتى إلا امرأته - وكانت شبيهاً - فبدأ عمر بأبي بكره فشهد عليه أنه زنى بأُم جليل ،
وشهد شبل وناقم بمثل ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ، إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا
ولكن أشبهها . فنتاه وأمر بالثلاثة جلدوا المذوقاً : « فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند
الله هم الكاذبون » فقال المغيرة : اشفى من الأعد . فقال : اسكت أسكت الله نأمتك (والنأمة
كوردة الصوت أي أمانتك الله) أما والله لو تمت الشهادة لرجنتك بأحجارك .

۲۱۰ - کتاب عمر إلى أهل البصرة

وكتب إلى أهل البصرة :

« أما بعدُ : فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قوبكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليخصي لكم قيثكم ، ثم ليقسمه بينكم ولينتقي لكم طرقكم . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۰۷)

۲۱۱ - كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري

وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعدُ : فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركني ، وإياك عمياء^(۱) مبهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة^(۲) ، فأقيم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا : فإن الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً^(۳) وإذا كانت بين القبائل نائرة^(۴) ، وتداعوا ، بالفلان ، فإنما تلك نجوى^(۵) الشيطان : فاضربهم بالسيف حتى يفيثوا^(۶) إلى أمر الله ، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام ، واستدبر النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألف ، والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يا لضبة ، وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ، ولا منع بها من سوء قط ، فإذا جاءك كتابي هذا فاتهمكم عتوبة^(۷)

(۱) العمياء والعمياء : النواية والضلال ، والنجاجة في الباطل .

(۲) آثره : فضله وقدمه . (۳) أي كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود .

(۴) النائرة : العداوة والشحناء . (۵) النجوى : اسم من المناجاة وهي المسارة ، وفي العقد

فإنما تلك نحوه من الشيطان ، والنخوة : الكبر والعظمة .

(۶) أي يرجعوا . (۷) نهك السلطان عقوبة من بابي نفع وتعب وأنهك : بالغ في عقوبته .

حتى يتفرقوا إن لم يفقهوا ، والصق بغيلان بن خرشة من بينهم ، وعد مرضى المسلمين ،
وأشهد جنازهم ، وافتح بابك لهم ، وباشر أمرهم بنفسك ، فإنما أنت أمرؤ منهم .
غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشّت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك
ومرّ كَبِك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرّت
بوادٍ خصب ، فلم يكن لها هيمة إلا السمن ، وإنما ختفها في السمن .

واعلم أن للعامل مرّداً إلى الله ، فإذا زاع العامل زاعت رعيته . وأن أشقى الناس
من شقيت به رعيته ، والسلام . (البيان والتبيين ۲ : ۱۵۵ ، والعقد القريد ۱ : ۲۸)

* * *

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف :

كتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى :

« أما بعد : فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة
من شقيت به رعيته ، وإياك أن تزيع فيزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل
البهيمة : نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها ، تبتغى بذلك السمن ، وإنما ختفها
في سمنها ، والسلام ^(۱) . » (كتاب الخراج ص ۱۷)

۲۱۲ - كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب إلى أبي موسى وهو بالبصرة :

« بلغنى أنك تاذن للناس الجماء الفير ^(۲) ، فإذا جاءك كتابى هذا فأذن لأهل
الشرف ، وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة ، ولا تؤخر

(۱) أورد ابن أبي الحديد أيضاً هذا الكتاب في شرحه (م ۳ : ص ۱۱۹) وقال في ديباجته
كتبه عمر إلى بعض عماله ، وفيه « فزيغ رعيته » « عمل » « فيزيغ عمالك » .

(۲) تقول : جاءوا الجماء الفير : أى جاءوا مجتمعين كثيرين ، وأصل الجماء من الجموم وهو الاجتماع
والكثرة ، والفير من الفير (كشمس) وهو النطية والستر ، فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة .

عمل اليوم لعد ، فتمتدَّكَ^(۱) عليك الأعمال فتضيع ، وإياك واتباع الهوى ، فإن للناس أهواءً مُتَّبَعَةً ، ودُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وضمناً محمولة ، وحاسب نفسك في الرِّخَاءِ قبل حساب الشدة فإنه من حاسب نفسه في الرِّخَاءِ ، قبل حساب الشدة كان مَرَّجِعُهُ إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته ، وشغلاته أهواؤه ، عاد أمره إلى الندامة والحسرة ، إنه لا يقيم أمر الله في الناس إلا حَصِيف^(۲) العُقْدَةَ ، بعيدُ القرارة^(۳) ، لا يحنق على جرّة^(۴) ، ولا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف في الحق لومة لائم .

الزَّم أربَع خِصَالٍ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ، وَتَحَظُّ بِأَفْضَلِ حِظِّكَ : إِذَا حَضَرَ الْخِصْمَانِ فَعَلَيْكَ بِالْبَيِّنَاتِ الْعُدُولِ ، أَوِ الْإِيمَانِ الْقَاطِعَةِ ، ثُمَّ أَدْنُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ وَيَجْتَرِي قَلْبُهُ ، وَتَعَاهَدِ الْغَرِيبَ فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ حَبْسُهُ تَرَكَ حَاجَتَهُ وَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَاحْرِصْ عَلَى الصَّلْحِ مَا لَمْ يَبَيِّنْ لَكَ الْقَضَاءُ^(۵) .

(شرح ابن أبي الحديد م : ۳ ص ۱۱۹)

۲۱۳ - كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب عمر إلى أبي موسى :

« إنه لم يزل للناس وجوه^(۶) يرفعون حوائجهم ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، ويحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم وفي القسم . »
(تاريخ الطبري ۵ : ۱۸)

(۱) أي تزدهم ، من تذاك الناس عليه إذا ازحموا .

(۲) حصف ككرم : استحك عقله فهو حصيف ، وأحصف الجبل : أحكم فتله .

(۳) في الأصل « القررة » وأراه محرفاً عن القرارة ، والقرارة والقرار : ما قر فيه الماء ، كني

بذلك عن حصافة عقله وبعد نظره . (۴) أحنق : حقد حقداً لا ينعل . والجرّة : ما يفيض به البعير

فياً كله ثانية ، والمراد أنه لا يضر الحقد والحنق .

(۵) انظر ص ۱۸۶ . (۶) سادة وكبراء .

۲۱۴ - كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري

في القضاء

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن قيس : سلام عليك ، أما بعدُ : فإن القضاء فريضة مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فافهم إذا أدلى^(۱) إليك ، وانفذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، آس^(۲) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك^(۳) ، ولا يياس ضعيف من عدلك^(۴) ، البيئنة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحلَّ حراماً ، أو حرَّم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيتَه اليوم^(۵) فراجعت فيه عقلك ، وهُديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق^(۶) ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج^(۷) في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بيئنةً أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضر بيئنته أخذت له بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعسى ، وأبلغ في العذر .

- (۱) أدلى بحجته : احتج بها .
(۲) آس : سو بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة ببعض .
(۳) أى في ميلك معه لشرفه .
(۴) وفى البيان والتبيين والعقد الفريد : « ولا يحاف صعيص من جورك » وفى صبح الأعشى : « ولا يياس صعيص من عونك » .
(۵) فى البيان والتبيين ، والعقد الفريد وصبح الأعشى وإعجاز القرآن : « بالأمس » .
(۶) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « أن ترجع عنه » .
(۷) تلجلج : تردد ، وأصل ذلك المصفة والأكلة يرددها الرجل في فيه ، فلا تزال تتردد إلى أن يسبها أو يقذفها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى ، ويقال للصبي لجلاج ، ومن أمثال العرب : « الحق أبلج والباطل لجلج » أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا .

المسلمون عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مَجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةٌ زُورٌ ،
أَوْ ظَنِينًا^(۱) فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ ، وَدَرَأَ^(۲) بِالْبَيِّنَاتِ
وَالْإِيمَانَ ، وَإِيَّاكَ وَالْفَلَقَ^(۳) ، وَالضَّجْرَ ، وَالتَّأَذَى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكَّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ،
فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ ، فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ ،
وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ^(۴) لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ ، شَانَهُ اللَّهُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ^(۵) عَزَّ وَجَلَّ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ .
وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ! وَالسَّلَامُ .

(الكامل للبرد ۱ : ۷ ، والبيان والتبيين ۲ : ۲۴ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۷ ، وصبح الأعشى
۱۰ : ۱۹۳ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ : ۱۱۹ ، وإعجاز القرآن م ۱۱۷ ، وكتاب الحراج ص ۱۴۰)

۲۱۵ - كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وسار سعد بن أبي وقاص بعد انتصاره في وقعة القادسية ، حتى نزل على بهر سير^(۶) ،
فبث الخيول ، فأغارت على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات ، فأصابوا
مائة ألف فلاح ، فكتب سعد إلى عمر :

(۱) ظنينا : متهما ، وهو فعيل بمعنى مفعول من ظن التعمدية إلى واحد ، تقول ظننت زيدا وظننت
بزيد أي اتهمته ، وقرأه : « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ » وإنما قال عمر رضي الله عنه ذلك
لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ملعون ملعون من اتقى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه »
(۲) درأ : دفع . قال صلى الله عليه وسلم : « ادروا الحدود بالشبهات » وفي البيان والتبيين .
« ودرأ عنكم بالشبهات » وفي العقد الفريد : « ودرأ عنكم الهنات » .
(۳) الفلق : ضيق الصدر وقلة الصبر ، وأصله من أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم يفتح ،
ومن ذلك قولهم « غلق الرهن » كفرح : أي استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المشروط ،
وفي البيان والتبيين : « ثم إياك والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي
يوجب الله بها الأجر ، ويحسن بها الذخر ، فإنه من بخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه ،
يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه ، هتك الله ستره ، وأبدى فعله ،
والسلام عليك » وكذا في العقد الفريد . (۴) أي تكلف ونصم .

(۵) في الكامل للبرد « بثواب غير الله » وهو تحريف .

(۶) هي المدينة الدنيا الغربية من مدائن كسرى على نهر دجلة .

« إنا وَرَدْنَا بَهْرَسِيرَ بَعْدَ الَّذِي لَقِينَا فِيمَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَبَهْرَسِيرَ . فَلَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ لِقَتَالٍ ، فَبَدَأْتُ الْخِيُولَ . فَجَمَعْتُ الْفَلَاحِينَ مِنَ الْقُرَى وَالْأَجَامِ ، فَرَأَيْتُكَ » .

۲۱۶ - رد عمر على كتاب سعد

فأجابه عمر :

« إِنْ مَنَّا كَمِ مِنَ الْفَلَاحِينَ ، إِذَا كَانُوا مُقِيمِينَ لَمْ يُعِينُوا عَلَيْكُمْ ، فَهِيَ أَمَانُهُمْ ، وَمَنْ هَرَبَ فَأَدْرَكْتُمُوهُ فَشَأْنُكُمْ بِهِ » .

فلما جاءه الكتاب خلى عنهم . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۶۸)

۲۱۷ - كتاب عمر إلى سعد

وفتح سعد المدائن (سنة ۱۶ هـ) وغادرها يزدجرد هاربا إلى حلوان ، ثم أتاه الخبر أن الفرس قد عسكروا بجُلُولاء بقيادة مِهْرَان ، وأن أهل المَوْصِلِ قد عسكروا بتَكْرِيت بقيادة الأنطاق .

فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد :

« أَنْ سَرَّحَ هَاشِمُ بْنُ عَتْبَةَ إِلَى جُلُولَاءَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَاجْعَلْ عَلِيٌّ مَقْدَمَتَهُ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ سَعْرَ بْنَ مَالِكٍ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عَمْرٍو بْنَ مَالِكِ بْنِ عَتْبَةَ ، وَاجْعَلْ عَلِيٌّ سَاقَتَهُ عَمْرٍو بْنَ مَرْثَةَ الْجُهَيْنِيِّ » .

فسار إليها هاشم وافتتحها سنة ۱۶ هـ ، وبلغ ذلك يزدجرد ، فخرج من حلوان سائرا نحو الرمي . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۷۹)

۲۱۸ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« إِنْ هَزَمَ اللَّهُ الْجَنْدِينَ : جَنْدُ مِهْرَانَ وَجَنْدُ الْأَنْطَاقِ ، فَقَدَّمَ الْقَعْقَاعَ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ السَّوَادِ وَبَيْنَ الْجِبَالِ عَلَى حَدِّ سَوَادِكُمْ » (تاريخ الطبري ۴ : ۱۷۹)

وفي خبر آخر أنه كتب إلى سعد :

« إن فتح الله عليكم جُلُولاء ، فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم ، حتى ينزل بحُلوان ، فيكون رِدءًا للمسلمين ، ويُخَوِّز الله لكم سوادكم » .

فلما فتح هاشم بن عتبة جُلُولاء ، أقام بها ، وخرج القعقاع في آثار القوم إلى خانقين ، فهزمهم وقتل مهران ، ثم سار إلى حُلوان ، وافتتحها سنة ۱۶ هـ .

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۵)

۲۱۹ - كتاب عمر إلى سعد

وجمع سعدٌ مَنْ وراء المدائن ، وكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أن أقرَّ الفلاحين على حالهم ، إلا من حاربَ أو هربَ منك إلى عدوك فأدر كته ، وأجر لهم ما أُجريت للفلاحين قبلهم ، وإذا كتبتُ إليك في قوم ، فأجروا أمثالهم مجراهم » .

فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحا ، فأجابه :

« أما مَنْ سِوى الفلاحين ، فذاك إليكم ما لم تغنموه « يعني تقسموه » وَمَنْ رَكَ أرضه من أهل الحرب فخلاًها فهي لكم ، فإن دعوتهم وقبلتم منهم الجزاء ، ورددتموهم قبل قسمتها فذمةٌ ، وإن لم تدعوهم ففني لكم ، لمن أفاء الله ذلك عليه » .

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۳)

۲۲۰ - كتاب عمر إلى سعد

وكتبوا إلى عمر في الصَّوافي^(۱) ، فكتب إليهم :

« أن اعمدوا إلى الصَّوافي التي أصفاكموها^(۲) الله ، فوزعوها على من أفاءها الله

(۱) الصَّوافي : الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها ، أو ماتوا ولا وارت لها ، واحدها صافية . وذلك لأنه لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد إلا أهل قريات أخذت عنوة ، فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزاء إلا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم فانه صافية فيما بين حلوان والعراق .
(۲) أصفاه بكذا : آثره .

عليه ، أربعة أخماس للجند ، وُخمس في مواضعه إلى ، وإن أحببوا أن ينزلوها فهو الذي لهم . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۴)

۲۲۱ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر :

« أن احتازوا قيتكم ، فإنكم إن لم تفعلوا فتقادُم الأمر يلحجج^(۱) ، وقد قضيت الذي على ، اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد . » (تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۴)

۲۲۲ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« أن سرخ إلى الأنطاق عبد الله بن المُعتم ، واستعمل على مقدمته ربيعي بن الأفكل العنزي ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الدهلي ، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي ، وعلى ساقته هاني بن قيس ، وعلى الخيل عرفة بن هرة . »
فصل عبد الله بن المُعتم من المدائن إلى تكريت ففتحها سنة ۱۶ هـ .

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۶)

۲۲۳ - كتاب عمر إلى سعد

ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولا إلى المدائن بلغ سعداً أن ابن الهرمزان قد جمع جمعاً ، فخرج بهم إلى سهل ما سبذان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :
« ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي ، والمضارب العجلي . »

فخرج ضرار إليهم فهزمهم وقتل ابن الهرمزان . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۷)

(۱) لحج بينهم شر (كفرح) اشب ، فعني يلحجج : يدعو إلى الخلاف عليه لنيان حدوده وضوابطه ، ويفضي إلى نشوب الشر .

۲۲۴ - کتاب عمر إلى سعد

واجتمعت جموع أهل الجزيرة بعد وقعة جُلُولاء ، فأمدوا هِرَ قُلَ على أهل حِمْص ،
وبعثوا جنداً إلى أهل هِيت ، وكتب بذلك سعد إلى عمر ، فكتب إليه عمر :
« أن أبعث إليهم عمر بن مالك بن عُتْبَةَ بن نَوْفَل بن عبد مناف في جند ،
وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري ، وعلى مجنبيه رُبَيْعِي بن عامر ، ومالك
ابن حبيب » .

فسار إليها عمر بن مالك وفتحها . (تاريخ الطبري ۲ : ۱۸۷)

۲۲۵ - كتب بين سعد وبين عمر

وقَدِمَتِ الوفود على عمر رضى الله عنه بفتح جُلُولاء ، وحُلوان وتكريت فلما رآهم
قال : والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ، ولقد قدِمَت وفود القادسية والمدائن ،
وإنهم لكما أبدوا ، فما غيَّرَكم ؟ قالوا : وُخُومَةُ البلاد ، فنظر في حوائجهم ،
وعَجَّلَ سَرَّاحَهُمْ .

وكتب حذيفة بن اليمان - وهو يومئذ مع سعد - إلى عمر :

« إن العرب قد أترفت بطونها ، وخفت أعضادها ، وتغيرت ألوانها » فكتب
عمر إلى سعد : « أنبئني : ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم ؟ » ، فكتب إليه سعد :
« إن العرب خددهم ^(۱) ، وكفأ ألوانهم ، وُخُومَةُ المدائن ودجلة » ، فكتب إليه عمر :
« إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان » فابعث سلمان رايداً وحذيفة
- وكان رايدى الجيش - فليرتادا منزلاً برياً بحرياً . ليس بينى وبينكم فيه بحر
ولا جسر »

(۱) أى هزل لحمهم ، وكفأ ألوانهم : أى غيرها من كفأ الإناء إذا كبه وقلبه .

فبعث سعد حذيفة وسلمان - الفارسي - فسار كل من جهة حتى اجتمعا بالكوفة ،
والكوفة على حصباء^(۱) ، فأعجبتها البقعة وأخبرا سعداً بها ، فتحول بالناس من
المدائن إليها .

ولما نزل سعد الكوفة كتب إلى عمر :

« إني قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والقرات برّياً بحرّياً بُنيت الخليل^(۲)
والنصي^(۳) ، وخيّرت المسلمين بالمدائن ، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالسلاحه :
فبقي أقوام من الأفاء^(۴) ، وأكثرهم بنو عبس . »

وكان اختطاط الكوفة سنة ۱۷ هـ . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۹)

۲۲۶ - كتاب عمر إلى سعد

وخرج الروم وقد تكاتبواهم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص ،
فكتب إلى عمر بخروجهم عليه ، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :
« أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه
كتابي إلى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّم إليهم في الجند والحث . »
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۹۵)

۲۲۷ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب أيضاً إليه :

« أن سرّح سهيل بن عدى إلى الجزيرة في الجند ، وليأت الرقة ، فإن أهل
الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حمص ، وإن أهل قرقيسيا لهم سلف ،

(۱) وكل رملة حمراء يقال لها سهلة (بالكسر) ، وكل حصباء ورمل هكذا مختاطبين فهو كوفة .
(۲) النصي : نبت ، يقال له نصي مادام رطباً ، فإذا سخم وبيس فهو الحلي ، وهو من خير مراتم
أهل البادية للنعم والخبيل . (۳) الأفاء : الأخلاط جمع فنو بالكسر ، ويقال هو من أفاء الفبائل :
أى لا يدري من أي قبيلة هو .

وسرّح عبد الله بن عتبّان إلى نصيبين ، فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم ليذفضاً^(۱) حرّان والرّهَاء ، وسرّح الوليد بن عُقبَة على عرب الجزيرة من ربيعة وتَنُوخ ، وسرّح عِياضاً، فإن كان قتال قد جعلتُ أمرهم جميعاً إلى عِياض بن غنم .
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۹۵)

۲۲۸ - كتاب عمر إلى أبي عبيدة

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم ، واستثاروهم أن الجنود قد ضربت من الكوفة، ولم يدروا: الجزيرة يريدون أم حِمْص، تفرقوا إلى بلدانهم، وخلوا الروم، وعندئذ قاتل أبو عبيدة الروم فانتصر عليهم، وقدم القعقاع في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الواقعة، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ، وبقدوم المدد عليهم في ثلاث ، وبالحكم في ذلك ، فكتب إليه عمر : « أن أشركوهم فإنهم قد نفروا إليكم ، وتفرّق لهم عدوكم » وقال : « جَزَى الله أهل الكوفة خيراً ، يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار . »
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۹۶)

۲۲۹ - كتاب عمر إلى سعد

وفي خبر أن عمر كتب إلى سعد :
« إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق ، فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة، وأمر عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عُرْفُطَة ، أو هاشم بن عتبَة ، أو عِياض بن غنم . »
فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال : ما أحرّ أمير المؤمنين عِياض بن غنم آخرَ القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليّه ، وأنا مؤلّيّه .
وخرج عِياض هو ومن معه إلى الجزيرة فافتتحوها سنة ۱۷ هـ .
(تاريخ الطبري ۴ : ۱۹۶)

(۱) أي ليجركا ، والمعنى ليقاتلا .

۲۳۰ - عهد عياض بن غنم لأهل البصرة

وكتب عياض بن غنم لأهل الرقة كتاباً ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها :
أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تُخرب ولا تُسكن إذا أعطوا الجزية
التي عليهم ، ولم يُحدثوا غيلة^(۱) ، وعلى أن لا يُحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يُظهروا
ناقوساً ، ولا باعوثاً^(۲) ، ولا صليباً ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً . »

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۱۸۱)

۲۳۱ - كتاب عياض إلى أسقف الرها

وكتب عياض إلى أسقف الرها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها ، إنكم
إن فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدوا إلى عن كل رجل ديناراً ومُدَى^(۳) قح ، فأنتم
آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم ، وعليكم إرشاد الضال ، وإصلاح الجسور
والطرق ، ونصيحة المسلمين ، شَهِدَ اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً . »

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۱۸۲)

۲۳۲ - عهد عياض لأهل الرها

وكتب لأهل الرها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين
لأهل الرها ، إني أمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذرايتهم ونسائهم ، ومدينتهم

(۱) الغيلة : الخديعة والاختيال ، وفي الأصل « مغيلة » ولم أجدها ، وفي لسان العرب : فلان قليل
الفائلة والمفالة : أى الشر . (۲) الباعوث عند النصارى كالاستقاء عندنا .
(۳) المد : مكبال ، وهو ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأها ومد يديه بهما .

وطواحينهم ، إذا أدوا الحق الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جورنا ، ويهدوا ضالنا ، شهيد الله وملائكته والمسلمون . (فتوح البلدان للبلاذري ص ۱۸۲)

۲۳۳ - كتاب عمر إلى ملك الروم

وفي أثناء فتح الجزيرة ارتحلت إياد بن نزار ، واقتحموا أرض الروم ، فكتب بذلك الوليد بن عتبة إلى عمر ، فكتب عمر إلى ملك الروم :

« إنه بلغني أن حيًا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتُخرجنه ، أولننبدن^(۱) إلى النصارى ، ثم لنُخرجنهم إليك .
فأخرجهم ملك الروم . (تاريخ الطبري ۴ : ۱۹۸)

۲۳۴ - كتاب عمر إلى حرقوص بن زهير

وافتح حرقوص بن زهير السعدى سوق الأهواز ، وانهمزم الهرمزى وتوجه إلى رامهرمز ، ثم طلب الصلح فأجيب إليه ، وبلغ عمر أن حرقوصا نزل جبل الأهواز ، والناس يختلفون إليه ، والجبل كثود^(۲) يشق على من رآه ، فكتب إليه :

« بلغني أنك نزلت منزلا كثودا ، لا تؤتى فيه إلا على مشقة ، فأسهل^(۳) ، ولا تشق على مسلم ، ولا معاهد ، وقم في أمرك على رجل^(۴) تدرك الآخرة ، ونصف لك الدنيا ، ولا تدركك فترة ، ولا عجلة ، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۱۲)

(۱) يقال : نابذناهم الحرب ، ونبذنا إليهم الحرب على سواء ، والمنابذة : أن يكون بين فريقين مختلفين عهد وهدنة بعد القتال ، ثم أرادوا نقض ذلك العهد ، فينبذ كل فريق منهما إلى صاحبه العهد الذى نهادناه عليه . (۲) كثود : صعب .

(۳) أى انزل السهل ، وشق عليه الأمر : صعب ، وشق على فلان أوقعه في المشقة .

(۴) الرجل بالكسر : الخوف والفرع من فوت الشيء ، يقال : أنا من أمرى على رجل : أى

على خوف من فوته .

۲۳۵ - کتاب عمر إلى سعد

ولم یزل یزد جردٌ یشیر أهلَ فارس ، أسفاً علی ما خرج منهم ، فتحرکوا وکاتبوا
أهل الأهواز ، وتعاقدوا وتواثقوا علی النصرة ، وبلغ ذلك عمر ، فکتب إلى سعد
- أمير الکوفة - :

أن أبعث إلى الأهواز بعتا کثیفا مع النعمان بن مقرن وعجل ، وأبعث سوید
ابن مقرن ، وعبد الله بن ذی السهمین ، وجریر بن عبد الله الحمیری ، وجریر
ابن عبد الله البجلی ، فلینزِلوا بإزاء الهرمزان حتی یبیینوا أمره .

(تاریخ الطبری ۴ : ۲۱۵)

۲۳۶ - کتاب عمر إلى أبي موسى

وکتب إلى أبي موسى - أمير البصرة - :

« أن أبعث إلى الأهواز جنداً کثیفاً ، وأمر علیهم سهل بن عدی أخا سهیل
ابن عدی ، وابعث معه البراء بن مالک ، وعاصم بن عمرو ، ومجزأة بن ثور ،
وكتب بن سور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ،
والخصين بن معبد ، وعلى أهل الکوفة ، وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم ،
وکل من أتاه ممد له . »

وخرجت جيوش المسلمين إلى الأهواز ، والهرمزان يومئذ برامهرمز ، فلما سمع
بمسيرهم إليه بادرهم الشدة ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً ، وهزم الهرمزان ، ولحق
بتستر ، فتبعه المسلمون إليها ، وحاصروها ثم فتحوها وأسروا الهرمزان ، وأوفده
أبو سبرة إلى عمر ، وقد أسلم بين يديه .

(تاریخ الطبری ۴ : ۲۱۵)

۲۳۷ - کتاب عمر إلى أبي سبرة

وساروا إلى السُّوسِ ففتحوها ، ثم نزلوا على جُنْدَيْسَابُورِ فحاصروها ، وما زالوا مقيمين عليها ، حتى رُمِيَ إِلَيْهِمْ بِالْأَمَانِ مِنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا أَبْوَابُهَا تَفْتَحُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ مَالَكُمْ ؟ قَالُوا رَمَيْتُمْ إِلَيْنَا بِالْأَمَانِ فَقَبِلْنَاهُ ، فَقَالُوا : مَا فَعَلْنَا ، فَقَالُوا : مَا كَذَبْنَا ، فَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا عَبْدٌ يُدْعَى مُكْنِفًا كَانَ أَصْلَهُ مِنْهَا هُوَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ ، فَقَالُوا : إِنَّا لَا نَعْرِفُ حُرًّا كَمِنْ عَبْدِكُمْ ، قَدْ جَاءَ أَمَانٌ فَنَحْنُ عَلَيْهِ قَدْ قَبَلْنَاهُ وَلَمْ نُبَدِّلْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَانْعَدِرُوا ، فَأَمَسَكُوا عَنْهُمْ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

« إِنْ اللَّهُ عَظَّمَ الْوَفَاءَ ، فَلَا تَكُونُوا أَوْفِيَاءَ حَتَّى تَفُورُوا مَا دَمْتُمْ فِي شَكِّ ، أُجِيزُوهُمْ وَفُورُوا لَهُمْ . »

فَوَفَّوْا لَهُمْ وَانصَرَفُوا عَنْهُمْ . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۲۱)

۲۳۸ - كتاب النعمان بن مقرن إلى عمر

وَكَانَ النَّعْمَانُ بْنُ مَقْرِنٍ عَامِلًا عَلَى كَنْسَكِرَ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخْبِرُهُ « أَنْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى جَبَابَةِ الْخِرَاجِ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ الْجِهَادَ ، وَرَغِبْتُ فِيهِ . » (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۱)

وروى أنه كتب إلى عمر :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ كَنْسَكِرَ كَمِثْلِ رَجُلٍ شَابَّ إِلَى جَنْبِهِ مَوْسَةَ^(۱) تَلَوَّنُ لَهُ وَتَعَطَّرُ ، فَاثْنُدُكَ اللَّهُ لَمَّا عَزَلْتَنِي عَنْ كَنْسَكِرَ ، وَبَعَثْتَنِي إِلَى جَيْشٍ مِنْ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ . » (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۹ ، وكتاب الخراج ص ۳۸)

(۱) امرأة موسى وموسى : فاجرة أو مجاهرة بالفجور ، من الومس كوعد ، وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد ، وأومست : أمكنت من الومس .

۲۳۹ - كتاب عمر إلى سعد

فكتب عمر إلى سعد :

« إن النعمان كتب إلى يذكرك أنك استعملته على جباية الخراج ، وأنه قد كره ذلك ورغب في الجهاد ، فابعث به إلى أم وجوهك : إلى نهاوند . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۱)

۲۴۰ - كتاب عبد الله بن عبد الله بن عتيان إلى عمر

وكانت جموع الفرس قد تجمعت بنهاوند ، وتأهبوا لقتال المسلمين ، وبلغ الخبر سعداً ، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتيان على الكوفة ، وشخص إلى عمر فلقبه بالخبر مشافهةً ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك وقال : إن أهل الكوفة يستأذنونك في الإنسياح في أن يبادروهم الشدة - وقد كان عمر منعمهم من الإنسياح في الجبل - وكتب إليه أيضاً عبد الله :

« إنه قد تجمعت منهم خمسون ومائة ألف مقاتل ، فإن جاءونا قبل أن نبأدرهم الشدة ، ازدادوا جرأة وقوة ، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك عليهم . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۷)

۲۴۱ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فسير بامر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ،

ولا تمنعهم حنهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضةً ، فإن رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۲)

۲۴۲ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

وكتب عمر إليه أيضا :

« إني قد ولّيتك حربهم ، فسر من وجهك ذلك حتى تأتي « ماه » فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافقوك بها ، فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ، ومن جمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا الله ، وأكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۹)

۲۴۳ - كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

وكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان :

« أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى « ماه » فليوافقوه بها ، وليسر بهم إلى نهاوند ، وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان ، حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن ، وقد كتبت إلى النعمان : إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فإن حدث بحذيفة حدث . فعلى الناس نعيم بن مقرن . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۹)

۲۴۴ - كتاب عمر إلى القواد بفارس

وكتب عمر إلى قواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز :

« أن أشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحطوا بذلك أمتكم وأرضكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمرى . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۹)

۲۴۵ - عهد النعمان بن مقرن لأهل ماه بهراذان

وأتى النعمان بن مقرن ماه بهراذان فجاء أهلها يطلبون الصلح فأجابهم وكتب لهم كتاباً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان : أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، لا يُغيرون عن ملة ، ولا يُنحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالٍ في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرّوا^(۱) جنود المسلمين ممن مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ، ووفّوا ونصّحوا ، فإن غشوا وبدّلوها فذممتنا منهم بريئة . »
شهد عبد الله بن ذى السهمين والقعقاع بن عمرو وجريز بن عبد الله .
وكتب في المحرم سنة تسع عشرة .

وكتب حذيفة بن اليمان لأهل ماه دينار كتاباً صورته كذلك .

(تاريخ الطبرى ۴ : ۲۴۵)

۲۴۶ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالظّر جاءه كتاب عمر :

« إن معك حدّ العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخِلهم دون من هم دونهم في العلم بالحرب ، واستعن بهم ، وأشرب^(۲) برأيهم ، وسلّ طليحة وعمراً وعمراً^(۳) ، ولا تولهم شيئاً . »
(تاريخ الطبرى ۴ : ۲۴۰)

(۱) أى أضافهم وأكرمهم . (۲) شرب : أى روى ، والمعنى : وتقو برأيهم .
(۳) هم طليحة بن خويلد الأسدى ، وعمرو بن أبى سلمى الغزى ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وقد بعث بهم النعمان طليحة من الظّر ليكشفوا له الطريق إلى نهاوند ، ونجح منهم فى ذلك طليحة ، فأتى النعمان وأعلمه أن ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه .

۲۴۷ - کتاب عمر إلى النعمان

رسار النعمان بجيشه إلى نهاوند حتى نزل عليها ، وكتب إليه عمر :

« إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ فَلَا تَفِرُّوْا ، وَإِذَا غَنِمْتُمْ فَلَا تَغْلُوْا^(۱) » .

(كتاب المراج ص ۴۰)

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ، وفتحت نهاوند سنة ۱۹ هـ ، غير أن النعمان استشهد في أثناء المعركة ، فسجَّاه^(۲) أخوه نعيم بن مقرن بثوب ، وكتب قتلته عن الجند لئلا يهينوا حتى فتح الله عليهم .

۲۴۸ - كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وانهزم الفرس هاربين نحو همدان فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن :

« أَنْ سِرُّ حَتَّى تَأْتِيَ هَمْدَانَ ، وَابْعَثْ عَلَيَّ مُقَدِّمَتَكَ سُؤْيِدَ بْنَ مُقَرِّنٍ ، وَعَلَى

مَجْنَبَتَيْكَ رَبِيعِيَّ بْنَ عَامِرٍ وَمُهَلِّهْلَ بْنَ زَيْدٍ .

(تاريخ الطبرى ۴ : ۲۵۱)

فسار إليها نعيم وافتتحها .

۲۴۹ - كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

ولما أتى عمر فتح نهاوند ، ورأى أن يزددجرد يبعث عليه في كل عام حربا ،

أذن للناس في الانسياح في أرض العجم ، فكتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان :

أَنْ سِرَّ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى تَنْزِلَ الْمَدَائِنَ ، فَانْدُبْهُمْ وَلَا تَنْتَخِبْهُمْ ، وَابْعَثْ إِلَى

(تاريخ الطبرى ۴ : ۲۴۶)

بِذَلِكَ « ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ .

(۱) غل : كنصر . وأغل : خان . (۲) تسجية الميت : تغطيته .

۲۵۰ - کتاب عمر إلى أهل الكوفة

وكتب عمر إلى أهل الكوفة :

إني بعثتُ إليكم عمَّار بن ياسر أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود مُعلِّماً ووزيراً ،
وولَّيت حذيفة بن اليمان ماسقاً دجلة ، وما وراءها ، وولَّيت عثمان بن حنيف الفرات
وما سقى . (تاريخ الطبري ۲ : ۲۴۷)

۲۵۱ - عهد عبد الله بن عبد الله للفاذوسقان وأهل أصبهان

وسار عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان ، ومَدَّ يَدَيْهَا يَوْمَئِذٍ الْفَاذُوسِقَانَ ، وَنَزَلَ بِالنَّاسِ
عَلَى « جَيْ » فَحَاصَرَهُمْ ، ثُمَّ طَلَبَ الْفَاذُوسِقَانَ الْمَصَالِحَةَ ، فَصَالَحَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَتَبَ لَهُ
كِتَابًا بِأَنَّه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِلْفَاذُوسِقَانَ وَأَهْلِ
أَصْبَهَانَ وَمَا حَوْلَئِهَا .

إِنَّكُمْ آمِنُونَ مَا أَدَّيْتُمُ الْجِزْيَةَ ، وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْجِزْيَةِ بِقَدْرِ طَاقَتِكُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
تَوَدُّونَهَا إِلَى الَّذِي يَبْلِي بِلَادَكُمْ ، عَنْ كُلِّ حَالٍ ، وَدَلَالَةِ الْمَسْلَمِ ، وَإِصْلَاحِ طَرِيقَتِهِ ، وَقِرَاءَةِ
يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَخِلَانِ^(۱) الرَّاجِلَةِ إِلَى مَرَحَلَةٍ ، لَا تَسْلُطُوا عَلَى مَسْلَمٍ .

وَالْمَسْلَمِينَ نَضَحَكُمْ وَأَدَّاهُ مَا عَلَيْكُمْ ، وَلَكُمْ الْأَمَانُ مَا فَعَلْتُمْ ، فَإِذَا غَيَّرْتُمْ شَيْئًا
أَوْ غَيَّرْتُمْ مَغْيِرًا مِنْكُمْ وَلَمْ تُسَلِّمُوهُ فَلَا أَمَانَ لَكُمْ ، وَمَنْ سَبَّ مُسْلِمًا يُبْلِغْ مِنْهُ فَإِنَّ
غُرْبَهُ قَتْلَاهُ .

وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله .

(تاريخ الطبري ۲ : ۲۴۸)

(۱) الخيلان مصدر حل كالحمل . والمرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

(۱۶ - جبهة رسائل العرب - أول)

۲۵۲ - کتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله

وكتب عبد الله بن عبد الله بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أن سِرُّ حَتَّى تَقْدَمَ عَلَى سُهَيْلِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَتَجَامِعَهُ عَلَى قِتَالٍ مِنْ بَكْرَمَانَ ،
وَحَلْفٍ فِي جَيٍّْ مَنْ بَقِيَ عَنْ جَيٍّْ ، وَاسْتَخْلِفَ عَلَى أَصْبَهَانَ السَّائِبِ بْنِ الْأَقْرَعِ » .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۴۸)

۲۵۳ - كتب بين عمر وبين حذيفة بن اليمان

وبعث عمر إلى حذيفة بن اليمان بعدما ولّاه المدائن :

« إنه باغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها »

فكتب إليه :

« لا أفعل حتى تُخْبِرَنِي : أَحَلَّالٌ أَمْ حَرَامٌ ؟ وَمَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ » فكتب إليه :

« لا ، بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خِلاَبَةٌ^(۱) ، فإن أقبلتم عليهن غلبتكم

على نساءكم » .

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۲۷)

فقال : الآن « فطلقها » .

۲۵۴ - كتب بين عمر وبين عثمان بن حنيف

وأقطع عمرُ رضى الله عنه نفراً منهم جرير بن عبد الله ، فكتب إلى عثمان

ابن حنيف مع جرير :

« أما بعدُ : فَأَقْطِعْ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْرَ مَا يَقُوته ، لَا وَكْسَ^(۲) ، وَلَا شَطَطًا » ،

فكتب عثمان إلى عمر :

(۱) خلبه كنصره : خلبا بالفتح وخالبا وخالبا بالكسر : خدعه .

(۲) الوكس : التقيص .

« إن جريراً قدِمَ عليّ بكتاب منك تُقَطِّعه ما يقوته ، فكرِهت أن أمضى ذلك حتى أراجعتك فيه . »

فكتب إليه عمر :

« أن قد صدَّقَ جرير فأنيذُ ذلك ، وقد أحسنتَ في مؤامرتي (۱) . »

(تاريخ الطبري ۴ : ۱۴۸)

۲۵۵ - كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وبينا نعيم بن مقرن في همدان ، تكاتب الدَّيْلَمُ ، وأهل الرِّىِّ ، وأهل أذربيجان ، واجتمعت جموعهم بواج رُود ، وبلغ الخبر نعيماً فاستخلف يزيد بن قيس ، وخرج إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه حليف المسلمين ، ثم كتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فاستخلف على همدان ، وأمدَّ بُكَيْر بن عبد الله بِسِمَاك بن خَرَشَةَ (۲) ، وسِرْحَتِي تَقَدَّمَ الرِّىِّ ، فتلقَى جمعهم ، ثم أقمَ بها ، فإنها أوسطُ تلك البلاد ، واجمعها لما تريد . »

فأقرَّ نعيم يزيد بن قيس الهمداني على همدان ، وسار إلى الرِّىِّ ففتحها ، وكتب إلى عمر بالفتح .

(تاريخ الطبري ۴ : ۲۵۲)

۲۵۶ - عهد نعيم بن مقرن لأهل الرِّى

وكتب نعيم لأهل الرِّى كتاباً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله ، أعطاه الأمان على أهل الرِّىِّ ، ومن كان معهم من غيرهم ، على الجزاء طاقه كلِّ حالمٍ في كلِّ سنة ، وعلى أن ينصحوا ويدلُّوا ، ولا يغلُّوا ولا يسُلُّوا (۳) ، وعلى أن يقرُّوا المسلمين

(۱) المؤامرة : المشاورة . (۲) ليعينه على فتح أذربيجان .

(۳) غل كنصر ، وأغل : خان ، وسل كنصر أيضاً . وأسل : سرق .

يوماً وليلاً ، وعلى أن يفخّموا المسلم ، فمن سب مسلماً ، أو استخف به ، نُهِكَ عُقُوبَةً^(۱) ، ومن ضربه قُتِلَ ، ومن بدل منهم فلم يُسَلِّمْ بِرِمتِهِ فقد غيّر جماعتكم ، وكتب وشهد . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۵۳)

۲۵۷ - عهد نعيم بن مقرن لأهل دُنياوند

وأرسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتاباً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمرءائنا مَصْمَغَانِ دُنْيَاوَنْدِ ، وَأَهْلِ دُنْيَاوَنْدِ ، وَالْحَوَارِ ، وَاللَارِزِ ، وَالشَّرَزِ :

« إِنَّكَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ مَعَكَ ، عَلَى الْكَفِّ : أَنْ تَكُفَّ أَهْلَ أَرْضِكَ ، وَتَتَّقِي مَنْ وَرَى الْفَرَجِ^(۲) بِمِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ وَزَنْ سَبْعَةٍ^(۳) فِي كُلِّ سَنَةٍ ، لَا يُفَارِعُ عَلَيْكَ ، وَلَا يُدْخِلُ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنٍ ، مَا أَقَمْتَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَغْيِّرَ ، وَمَنْ غَيَّرَ فَلَا عَهْدَ لَهُ وَلَا لِمَنْ لَمْ يُسَلِّمْهُ . »
وكتب وشهد . (تاريخ الطبري ۴ : ۲۵۳)

(۱) أي بولغ في عقوبته .

(۲) العرج : الثغر وموضع الخافة .

(۳) أي وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وذلك أن الدراهم في عهد عمر كانت مختلفة ، فبها ما كان وزن عشرة دراهم منه على وزن عشرة مثاقيل ، ومنها ما وزن العشرة منه على وزن ستة مثاقيل ، ومنها وزن العشرة منه على وزن خمسة مثاقيل ، فاختلف أصحاب الأموال وعمال بيت المال ، فأراد الأولون أن يؤدوها من النوع الثالث ، وأبى الآخرون أن يأخذوها إلا من النوع الأول ، فجمع عمر رضى الله عنه الأنواع الثلاثة وأخذ ثلثها فكان سبعة ، فصار المعتبر من ذلك الوقت أن وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل في كل المقدرات الشرعية ، حتى في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات ، منعاً للخصومة في المعاملة . انظر حاشية ابن عابدين على الدرر ج ۲ ص ۲۸ ، وشرح العناية على الهداية ، وشرح فتح القدير ج ۱ ص ۵۲۱ وفتوح البلدان للبلاذري ص ۴۷۱ .

۲۵۸ - کتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

ولما كتب نعيم بفتح الرئی إلى عمر ، كتب إليه عمر :
« أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس ، وابتعث على مقدمته سماك بن خرمة ،
وعلى مجنبتيه عتيبة بن النهاس ، وهند بن عمرو الجملي » .
فصل سويد نحو قومس وفتحها . (تاريخ الطبری ۴ : ۲۵۴)

۲۵۹ - عهد سويد بن مقرن لأهل قومس

وكتب سويد لأهل قومس كتاباً نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ، ومن
حشوا ، من الأمان على أنفسهم وملائهم وأموالهم ، على أن يؤدوا الجزية عن يدٍ ، عن
كل عالم بقدر طاقته ، وعلى أن ينصحوا ، ولا يغشوا ، وعلى أن يدلوا ، وعليهم
نزل^(۱) من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلةً من أوسط طعامهم ، وإن بدلوا واستخفوا
بعهدهم فالذمة منهم بريئة » .
وكتب وشهد . (تاريخ الطبری ۴ : ۲۵۴)

۲۶۰ - عهد سويد بن مقرن لأهل جرجان

وسار سويد إلى جرجان فبادره ملكها بالصلح على أن يؤدي الجزاء فأجابه ،
وكتب له كتاباً ، نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرؤبان صول بن
رؤبان ، وأهل ديهستان ، وسائر أهل جرجان .

(۱) النزل كعق وقل : ما هي للضيف أن ينزل عليه ، أي القرى .

إن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عَوْضاً من جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومِللهم وشرائعهم ، ولا يغيّر شيء من ذلك هو إليهم ، ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ، ونصّحوا وقرّوا المسلمين ، ولم يَبْدِ منهم سَلٌّ ولا غَلٌّ ، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمَنَهُ ، وعلى أن من سَبَّ مسلماً يُبلغ جهدهُ ، ومن ضربه حَلَّ دمه .

شهد سواد بن قطبة ، وهند بن عمرو ، وسماك بن مخزومة ، وعُتَيْبَةُ بن النَّهَّاس ، وكتب في سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى : : ۲۵۴)

۲۶۱ - عهد سويد بن مقرن لأهل طبرستان

وراسله صاحب طَبْرِسْتان فى الصلح ، فقبل منه ، وكتب له كتاباً نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان أَصْبَهَيْدِ خُرَاسان على طَبْرِسْتان وجِيل جَيْلان من أهل العدو إنك آمنٌ بأمان الله عز وجل على أن تكفَّ لُصُوتَكَ^(۱) ، وأهل حواشِي أرضك ، ولا تُؤوى لنا بُغِيَةً ، وتتنق من ولى قَرَجِ أرضك ، بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك ، فإذا فعلت ذلك قليس لأحد منا أن يُغيّر عليك ، ولا يَطْرُق أرضك ، ولا يدخل عليك إلا بإذنك ، سبيلنا عليكم بالإذن آمِنَةٌ ، وكذلك سبيلكم ، ولا تُؤوؤون لنا بُغِيَةً ، ولا تُسألون لنا إلى عدو ولا تفلون ، فإن فعلتم فلا عهدَ بيننا وبينكم . »

شهد سواد بن قطبة التميمي ، وهند بن عمرو المرادى ، وسماك بن مخزومة الأحدى ، وسماك بن عبید العبسى ، وعُتَيْبَةُ بن النَّهَّاس البكرى ، وكتب سنة ثمانى عشرة .

(تاريخ الطبرى : : ۲۵۴)

(۱) اللصوت : اللصوص جم لصت مثل اللام .

۲۶۲ - عهد عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان

وسار بَكِير بن عبد الله إلى أذربيجان ، وأمدّه نعيم بن مقرن بسماك بن خرّشة ، وعُتْبَة بن فرقد ففتحوها ، ثم ولى عمر عتبة على أذربيجان ، فكتب بينه وبين أهلها كتاباً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عُتْبَة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهلَ أذربيجان مَنبأها ، وجبَلها ، وحواشيها ، وشفارها^(١) ، وأهل مَللها كلهم ، الأمانَ على أنفسهم وأموالهم ، ومِللهم ، وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ، ولا امرأة ولا زَمين^(٢) ليس في يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبّد مُتخَلِّ ليس في يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولن سكن معهم ، وعليهم قِرَى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلةً ودلالته ، ومن حُشِر^(٣) منهم في سنة وُضِعَ عنه جزاء تلك السنة ، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرّزه . »

وكتب جُنْدُب ، وشهد بكير بن عبد الله الليثي ، وسماك بن خرّشة الأنصاري ، وكتب في سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٥)

۲۶۳ - عهد سراقه بن عمرو لأهل أرمينية

وسار سُرَاقَة بن عمرو إلى الباب - وملكها يومئذ شهر بَرَّاز - فكلّم سراقه في الصلح فأجابته ، وكتب لهم كتاباً نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُرَاقَة بن عمرو عاملُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر بَرَّاز ، وسُكَّان أرمينية والأرمن ، من الأمان ، أعطاهم أماناً

(١) الشفر بالضم والشفير : ناحية كل شيء . (٢) الزمانة بالفتح : العاهة ، زمن كفرح فهو زمن وزمين . (٣) أى ندب إلى الغازي .

لأنفسهم ، وأموالهم ، وملتهم : أَلَّا يُضَارُّوا ، ولا يُنْتَقَصُوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب : الطُّرَّاء منهم والتُّنَّاء^(۱) ، ومن حولهم فدَخَلَ معهم أن يَنْفِرُوا لكل غارة ، وَيَنْفُذُوا لكل أمر ناب أو لم يَنْبُ رآه الوالى صلاحا ، على أن توضع الجزاء عن أجاب إلى ذلك : إلى^(۲) الحِشْر ، والحِشْرُ عِوَضٌ من جزائهم ، ومن استُغْنِيَ عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة ، والنزول يوماً كاملاً ، فإن حُشِرُوا وُضِعَ ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به .

شهيد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبُكَيْر بن عبد الله ، وكتب مرَضِي بن مُقَرَّن وشهيد .

ووجه سُراقة بعد ذلك ، بُكَيْر بن عبد الله ، وحبیب بن مَسْلَمَة ، وحذيفة بن أسيد ، وسلمان بن ربيعة إلى أهل الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجه بكيراً إلى موقان ، وحبیباً إلى تَفْلَيْس ، وحذيفة إلى جبال اللان ، وسلمان إلى الوجه الآخر . (تاريخ الطبری ۴ : ۲۵۷)

۲۶۴ — عهد بكير بن عبد الله لأهل موقان

ومضى أولئك القواد ، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير ، فإنه فضَّ موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ، فكتب لهم كتاباً ، نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بُكَيْر بن عبد الله أهل موقان من جبال القبيج : الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرايعهم على الجزاء دينار عن كل حالٍ أو قيمته ، والنصح ودلالة المسلم ، ونزله يومه وليلته ، فلهم الأمان ما أقرُّوا ونصَّحوا ، وعلينا الوفاء ، والله المستعان ، فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسأموا الفسَّسة برُمَّتهم ، وإلا فهم ممالئون^(۳) » .

(۱) طرأ على القوم كنع : طلع عليهم من بلد آخر ، فهو طاري ، والجمع طراء ، وتناً بالمكان كنع أيضاً فهو تاني ، والجمع تناء . (۲) في الأصل « إلا » وهو تحريف . (۳) ماله على الأمر : ساعده وشايه ، وتمالوا عليه .

شهد الشَّامِخ بن ضِرَار ، والرُّسَارِسُ بن جُنَادِب ، وَحَمَلَةَ بن جُوَيْبَةَ ، وَكُتِبَ
سنة إحدى وعشرين . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٧)

٢٦٥ - كتاب عمر إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان للقاءة يزيدجرد - وقد نزل بمرّ ويثير أهل
فارس على المسلمين - فلاقى جموعه ، وانهمزم يزيدجرد حتى عبّر النهر ، وكتب الأحنف
إلى عمر بفتح خراسان ، فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فلا تجوزنّ النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرّقتُم بأى شيء دخلتم
خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان بدمّكم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا
فتنفضوا » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٤)

٢٦٦ - كتاب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله رضى الله عنهما :

« أما بعدُ : فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ،
ومن أقرضه^(١) جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن
لا نيّة له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا جديد لمن
لا خلق له » . (زهر الآداب ١ : ٤١ وجم الأمثال ٢ : ٢٧٧)

(١) أى أتق ماله فى سبيل الله ، وقدم العمل الصالح الذى يطلب به ثواب الله فى الآخرة .
قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللهُ قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة » .
وقال : « وَأقرضوا الله قرضًا حسنًا ، وَمَا تُقدّموا لأنفسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ
هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجرًا » .

۲۶۷ - کتاب عمر إلى شرح

وعن شريح^(۱) بن الحارث أن عمر رضى الله عنه كتب إليه :
« لا تُشار^(۲) ، ولا تُتَمار ، ولا تُبِع ، ولا تُبَتَّع في مجلس القضاء ، ولا تقضِ
بين اثنين وأنت غضبان » . (البيان والتبيين ۲ : ۷۵)

۲۶۸ - کتاب عمر إلى النعمان بن عدی

واستعمل عمر النعمان بن عدی بن نضلة على ميسان^(۳) ، فبلغه عنه الشعر الذي
قاله ، وهو :

وَمَنْ مُبْلِغُ الْحُسْنَاءِ أَنْ خَلِيلَهَا
إِذَا شئتُ غَنَّتْني دَهاقِينُ قَرِيَةٍ
فَإِنْ كَفَتَ نَدْمَانِي فَبالْأَكْبَرِ اسْقِنِي
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوهُ
بِمَيْسَانَ يُسْقِي مِنْ زُجَاجٍ وَحَنْتَمٍ^(۴)
وَصَنَاجَةٍ يَحْدُو عَلَى كُلِّ مَنْسَمٍ^(۵)
وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ^(۶)
تَنَادُمُنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ^(۷)

فكتب إليه :

(۱) كان من كبار التابعين وأدرك الجاهلية ، واستقضى عمر على الكوفة ، فأقام قاضيا خمسًا وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ، وتوفي سنة ۸۷ هـ وهو ابن مائة سنة ، وقبل غير ذلك .

(۲) المشارة : الملاجة ، يقال هو يشارى فلانا أى يلاحه .

(۳) اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط .

(۴) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة كانت تحمل الحمر فيها إلى المدينة ، ثم اتسع فيها قليل للخزف كله حنم ، واحدها حنمة .

(۵) الدهاقين جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى المعجم ، ورئيس الإقليم ، معرب ، والصنح كشمس : شىء يتخذ من صفر (بالضم أى نحاس) يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، معرب ، واللاعب به يقال له : الصناج والصناجة (وكان أمشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره) وحدا الإبل وحدا بها : غنى لها ، والمنسم الطريق والمذهب والوجه (والمنسم أيضا : خف البعير) .

(۶) الندمان : المنادم وجمعه ندامى (وقد يكون الندمان جمعا) .

(۷) الجوسق : الفصر .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ »^(۱) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ » ،
أما بعد : فقد بلغني قولك : « لعل أمير المؤمنين يسوءه . . . البيت ، وإيم الله إنه ليسوءني ، فأقدم فقد عزلتك » فلما قدم عليه ، قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها قط ، وإنما هو شعر طَفَحَ على لساني ، وإني لشاعر ، فقال عمر : أظن ذلك ، ولكن لا تعجل لي على عمري أبداً .
(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۹۸)

۲۶۹ - كتاب نصر بن حجاج إلى عمر

وروى أنه بينما كان عمر بن الخطاب يَعْصُ^(۲) ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشرب بها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟
فقال عمر : أما ما عشتُ فلا ، لا أرى معي في المدينة رجلاً تهتفُ به العواتق^(۳) في خدورهن ، على بنصر بن حجاج ، فلما أصبح أتى به ، فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وعيناً وشعراً ، فقال له : فتنت نساء المدينة يا بن حجاج ، والله لاتسا كنى ببلدة أنا فيها ، فقال : يا أمير المؤمنين ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيره إلى البصرة .
وأبرد عمر بريداً إلى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة فأفام بها أياماً ، ثم نادى منادى عتبة : من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئاً فليكتب ، فإن بريد المسلمين خارج ، فكتب الناس ، ودم نصر بن حجاج كتاباً فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج ،
سلام عليك ، أما بعد يا أمير المؤمنين :

(۱) الطول : الفضل والقدرة . (۲) عس كرد : طاب بالليل .
(۳) العواتق ، جمع عاتق : وهي الجارية أول ما أدركت ، أو التي لم تتزوج .

لَعْمَرِي لَنْ سَيَّرْتَنِي أَوْ حَرَمْتَنِي لَمَّا نِلْتِ مِنْ عِرْضِي عَلَيْكَ حَرَامٌ
 أَنَّ غَدَّتِ الذَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ وَبَعْضُ أَمَانِي النِّسَاءُ غَرَامٌ^(۱)
 ظَنَنْتَ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ بَقَاءٌ ، وَمَا لِي جُرْمُهُ فَأَلَامٌ^(۲)
 فَأَصْبَحْتُ مُنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَكْتَبَيْنِ مَقَامٌ^(۳)
 سَيِّمْنَعْنِي مِمَّا تَنْظُرُ تَكْرَهُمِي وَأَبَاهُ صَدَقَ سَالِفُونَ كِرَامٌ
 وَيَنْعَمَهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَحَالٌ لَهَا فِي دِينِهَا وَصِيَامٌ
 فَهَاتَانِ حَالَانَا ، فَهَلْ أَنْتِ رَاجِعِي ؟ فَقَدْ جُبَّ مِنْي كَاهِلٌ وَسَنَامٌ^(۴)
 فقال عمر : أَمَا وَلِي وَلايَةٌ فِلا ، وَأَقْطَعَهُ أَرْضًا بِالْبَصْرَةِ وَتَارًا ، فَلَمَّا قَتَلَ عَمْرُ رَكْبَ
 راحلته ، ولحق بالمدينة . (شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۹۹ . وثرات الأوراق ص ۲۴۶)

۲۷۰ - كتاب عمر لانس بن مالك

عن أنس بن مالك قال : بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العشور ، وكتب
 لي عهداً : « أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا فيه لتجاراتهم ربع العشر ، ومن أهل الذمّة
 نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر » . (كتاب المراج ص ۱۶۱)

۲۷۱ - كتاب أبي موسى الأشعري إلى عمر

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب :
 « إن تجارا من قِبَلِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَأْتُونَ أَرْضَ الْحَرْبِ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ الْعَشْرَ » .

(۱) الذلفاء : اسم امرأة ، وأصله من الذلف بالتحريك : وهو صغر الأنف واستواء الأرنبة .
 (۲) وفي شرح ابن أبي الحديد « بقاء » ، فقال في الندي كلام .
 (۳) أي مكة والمدينة ، على التظليل . (۴) راجعي : أي رادي ، وجب : قطع ، والكاهل :
 مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ، عمر بذلك عما أتته في غربته من الشدة والشقاء .
 وذكروا أن التمنية : هي الفارعة أم الحجاج ، ولما تمت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقيل إن
 التمنية هي جدة الحجاج أم أبيه وهي كنانية - انظر ابن خلكان ۱ : ۱۲۴ .

۲۷۲ - رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه » . (كتاب الحراج ص ۱۶۱)

۲۷۳ - كتاب عمر إلى عماله

وكتب عمر إلى عماله يوصيهم، فقال في جُملة الكتاب :

« آرْتَدُوا وَأَنْزِرُوا وَأَنْتَعَلُوا ، وَأَلْقُوا الْخِيفَ وَالسَّرَاوِيلَاتِ^(۱) ، وَأَلْقُوا الرِّكْبَ^(۲) ، وَأَنْزُوا نَزْوًا عَلَى الْخَيْلِ ، وَأَخْشَوْشِنُوا وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعْدِيَةِ^(۳) - أَوْ قَالَ وَتَمَعَّدُوا^(۴) - وَأَرْمُوا الْأَغْرَاضَ ، وَعَلِّمُوا فِتْيَانَكُمْ الْعَوْمَ وَالرَّمَايَةَ ، وَذَرُّوا التَّنْعَمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَرِيرَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْهُ وَقَالَ : لَا تَلْبَسُوا مِنَ الْحَرِيرِ^(۵) إِلَّا مَا كَانَ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۱۱۹)

(۱) السراويل : فارسي معرب ، مؤنث ويذكر على لفظ الجماعة ، وهو مفرد وجمعه سراويلان وقيل جمع سروال وسروالة ، وأنشدوا :

عليه من اللؤم سروالة فليس يرق لمستعطف

والسراويل بالنون لغة فيه ، والشروال بالشين لغة أيضا .

(۲) الركب جمع ركاب ككتاب وهو للسرّج كالفرز للرجل ، ونزا ينزو : وتب .

(۳) تمعددوا : تشبهوا بعيش معدن عدنان ، وكانوا أهل قشف وغلاظ في المعاش ، يقول : كونوا مثلهم ودهوا التنعّم وزى العجم ، وهكذا هو في حديثه الآخر : « عليكم باللينة المعديّة » أي خشونة اللباس . (۴) وفي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن الحرير إلا هكذا ، وأشار بإصبعه اللين تليان الإبهام (أي السبابة والوسطى) يعنى الأعلام (جمع علم بالتحريك وهو رسم الثوب ورقه في أطرافه) - انظر باب اللباس .

۲۷۴ - کتاب أمير الطائف إلى عمر

وكتب بعض أمراء الطائف إلى عمر :

« إن أصحاب النخل لا يؤدّون إلينا ما كانوا يؤدّون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
ويسألون مع ذلك أن نغمي أوديتهم ، فاكتب إلى برأيك في ذلك » .

۲۷۵ - رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« إن أدّوا إليك ما كانوا يؤدّون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحم لهم
أوديتهم ، وإن لم يؤدّوا إليك ما كانوا يؤدّون إليه فلا تحم لهم » .
(كتاب الحراج ص ۶۶)

۲۷۶ - کتاب عمر إلى يعلى بن أمية

عن يعلى بن أمية قال : لما بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على خراج أرض
نجران - بعني نجران التي قرب اليمن - كتب إلى أن :

« انظر كل أرض جلا أهلها عنها ، فما كان من أرض بيضاء تُسقى سيجاً^(۱) ،
أو تسقيها السماء ، فما كان فيها من نخيل أو شجر ، فادفعه إليهم يقومون عليه ويسقونه ،
فما أخرج الله من شيء فليعمّر وللمسلمين منه الثلثان ، ولهم الثلث ، وما كان منها يُسقى ،
بغرب^(۲) ، فلهم الثلثان ، ولعمّر وللمسلمين الثلث .

وادفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها ، فما كان منها يُسقى سيجاً أو تسقيه
السماء ، فلهم الثلث ، ولعمّر وللمسلمين الثلثان ، وما كان من أرض بيضاء تُسقى بغرب ،
فلهم الثلثان ، ولعمّر وللمسلمين الثلث » .
(كتاب الحراج ص ۸۹)

(۱) السيج : الماء الجاري الظاهر . (۲) الغرب : الدلو .

۲۷۷ - کتاب غلام لعبد الله بن عمر إليه

وكتب غلام لعبد الله بن عمر إلى عبد الله بن عمر :
« أما بعدُ : فقد أُعْطِيتُ بفضل^(۱) مائِ ثلاثين ألفاً بعد ما أرويت زرعِي ونحلي
وأصلي ، فإن رأيتَ أن أبيعَهُ وأشترىَ به رَقِيقًا أَسْتَعِينُ بِهِم في عَمَلِكِ فَعَلتَ » .

۲۷۸ - رد عبد الله بن عمر على غلامه

فكتب إليه :

« قد جاءني كتابك ، وفهمتُ ما كتبتَ به إليّ ، وإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « من مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ لِيَمْنَعَ بِهِ فَضْلَ كَلْبٍ مَنَعَهُ اللهُ فَضْلَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فإذا جاءك كتابي فاسقِ نخلك وزرعك وأصلك ، وما فضل فاسقِ جيرانك
الأقربَ فالأقربَ ، والسلام . (كتاب الخراج ص ۱۱۴)

۲۷۹ - كتاب عمر إلى الحصين بن الحر

وكتب الحصين بن الحر كتاباً إلى عمر ، فلاحن في حرف منه ، فكتب إليه عمر :
« أن قنَّع^(۲) كتابك سوطاً » . (البيان والتبيين ۲ : ۱۱۲)

۲۸۰ - كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

وكتب عمر إلى المغيرة بن شعبة :

« إن النساء يُعْطِينَ على الرَغْبَةِ والرَّهْبَةِ ، وأيما امرأة نَحَلَّتْ^(۳) زوجها فأرادت
أن تَعْتَصِرَ^(۴) فهو لها » . (لسان العرب ۶ : ۲۵۶)

(۱) الفضل : الزيادة .
(۲) قنَّع رأسه بالسوط : غشاه به .
(۳) نَحَلَتْ : أعطته .
(۴) اعتصرت : أي رجعت فيها .

۲۸۱ - کتاب المغيرة بن شعبه إلى عمر

وكان عمر رضى الله عنه لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب إليه
المغيرة بن شعبه :

« إن عندي غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن
تأذن لى فى الإرسال به فعلتُ » .

فأذن له ، وكان يدعى أبا لؤلؤة ، وكان مجوسياً من أهل نهاوند ، وهو الذى
قتل عمر^(۱) . (مروج الذهب ۱ : ۴۲۶)

(۱) كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين فلبت ماشاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه
فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير على
ما تصنع من الأعمال ، قد بلغت أنك تقول : لو أردت أن أعمل رضى تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ،
قال : فاعمل لى رضى ، قال : لأصنعن لك رضى يتحدث بها من بالشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه وقد
أضر له السوء ، فقال عمر : لقد توعدنى الصبد آتفاً ، وتربص له وهو خارج لصلاة الفجر فقتله .

خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

سنة ٢٤ - ٣٥

٢٨٢ - كتابه إلى عماله

كان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى عماله :

« أما بعدُ : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رُعاةً ، ولم يتقدم^(١) إليهم أن يكونوا جُباةً ، وإن صدرَ هذه الأمة خلُقوا رعاة لم يُخلَقوا جُباةً ، وليوشِكَنَّ أمتكم أن يصيروا جُباةً ، ولا يكونوا رُعاةً ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدلَ السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين ، وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تُنذروا بالذمة فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء . » (تاريخ الطبرى ٥ : ٤٤)

٢٨٣ - كتابه إلى أمراء الأجناد

وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد فى الفروج^(٢) :

« أما بعدُ : فإنكم حُماة المسلمين وذادتهم^(٣) ، وقد وضع لكم عُمر عالم يَغيبُ عننا ، بل كان عن مَلَأ^(٤) منا ، ولا يَبْلُغُنِي عن أحد منكم تغيير ، ولا تبديل ، فيغير الله

(١) تقدم إليه فى كذا : أمره وأوصاه به .

(٢) فروج : جمع فرج ، وهو الثغر وموضع الخفاة .

(٣) ذادة جمع ذائد من ذاد أى ذنع . (٤) اللأ : النشاور ، والجماعة .

ما بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما أُلزمني الله
النظر فيه، والقيام عليه.» (تاريخ الطبري ۵ : ۱۴)

۲۸۴ — كتابه إلى عمال الخراج

وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج :

« أما بعدُ : فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق،
والأمانة الأمانة قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يُسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم
إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم.»
(تاريخ الطبري ۵ : ۴۴)

۲۸۵ — كتابه إلى العامة

وكان كتابه إلى العامة :

« أما بعدُ : فإنكم إنما بلغتُم ما بلغتُم بالافتداء والاتباع، فلا تلتفتنكم الدنيا عن أمركم،
فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم، وبلوغ
أولادكم من السبائيا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « الكفر في العُجْمَة » فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا.»
(تاريخ الطبري ۵ : ۴۵)

۲۸۶ — كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« أما بعدُ : استعينوا على الناس وكل ما يُنوبكم بالصبر والصلاة، وأمر الله أقيموا،
ولا تذهبنوا^(۱) فيه، وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك، وارضوا من الشرِّ بأيسره،

(۱) الإدهان : لإظهار خلاف ما يضر والنش.

فإن قليل الشر كثير ، واعلموا أن الذي ألف بين القلوب هو الذي يفرقها ، ويباعد بعضها من بعض ، سيرُوا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجة .

٢٨٧ - كتابه إلى عماله

وكتب إليهم أيضاً :

« إن الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه : « لَوْ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ لَوَجَدُوا فِيهَا غَدِيرًا كَوَّافًا » وهو مفرقها على معصيته ، ولا تعجلوا على أحد بحد قبل استيجابه ، فإن الله تعالى قال : « لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ » من كفر داوينا بدوائه ، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى نتطع حجته وعذره ، إن شاء الله . (أشهر مشاهير الإسلام ج : ٤ ص ٧٥٥)

٢٨٨ - كتاب عثمان إلى الوليد بن عقبة

وولى عثمان الوليد بن عقبة الكوفة ، ومنع أهل أذربيجان وأرمينية ما كانوا صالحوا المسلمين عليه أيام عمر ، فزاهم الوليد ووطئهم بجيشه ، فانقادوا له ، وطلبوا إليه أن يقيم لهم على ذلك الصلح ، فقبل وقبض منهم المال - وكان ذلك سنة ٢٤ - هـ .
ولما أصاب حاجته من أرمينية ، ودخل الموصل فنزل الحديثة ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه :

« أما بعد : فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلىي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فابعث رجلاً ممن ترضى بجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه ، في ثمانية آلاف ، أو تسعة آلاف ، أو عشرة آلاف إليهم ، من المكان الذي باتيك فيه رسولى والسلام . »

فسير الوليد إلى الشام ثمانية آلاف رجل بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي ، فشنوا الغارات مع جند الشام على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي ، وملثوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة . (تاريخ الطبري ۵ : ۴۶)

۲۸۹ - كتابه إلى عماله

وكتب عثمان إلى عماله :

« أما بعد : فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجتمع عليه الأمة ثم نرده عليكم ، وإياكم وأن تغيروا فإني لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل . » (تاريخ الطبري ۵ : ۵۳)

۲۹۰ - كتابه إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى الناس في الأمصار :

« أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يُذِلَّ المؤمن نفسه ، فإني مع الضعيف على القوى ما دام مظلوماً ، إن شاء الله . » (تاريخ الطبري ۵ : ۱۳۴)

۲۹۱ - كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

وعزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة حين اتهم بشرب الخمر^(۱) سنة ۳۰ هـ - ۳۱ هـ وولاه سعيد بن العاص ، وكتب إلى أهل الكوفة :

« أما بعد : فإني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاماً حين ذهب شرهه وثاب حله ، وأوصيته بكم ولم أوصيكم به ، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريره ، وقد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته ، وأوصيكم به خيراً ، فاستوصوا به خيراً . » (العقد الفريد - ۲ : ۲۲۳)

(۱) روى أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من إصبعه وهو لا يعلم ، وصلى بالناس الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدناكم ، وقامت عليه البيعة بذلك عند عثمان ، فجلده على ثمانين .

٢٩٢ - كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة سأل عن أهلها ، فأقيمَ على حالهم ، فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه :

« إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغلب أهلُ الشَّرَفِ منهم والبيوتاتِ والسَّابِقَةِ والقُدْمَةِ^(١) ، والغالبُ على تلك البلادِ رَوَادِفُ^(٢) رَدِفَتْ ، وأعرابٌ لِحَقَّتْ ، حتى ما يُنظَرُ إلى ذى شرف ولا بلاءٍ من نازلتها ، ولا نأبِتَتِهَا » .

٢٩٣ - رد عثمان على كتاب سعيد

فكتب إليه عثمان :

« أما بعدُ : فَفَضَّلْ أهلَ السَّابِقَةِ والقُدْمَةِ من فَتَحَ اللهُ عليه تلكَ البلادَ . وليكن من نزلها بسببهم تَبَعًا لهم ، إلا أن يكونوا تَشَاقَلُوا عن الحق ، وتركوا القيامَ به وقام به هؤلاء ، واحفظْ لكلِّ منزلته ، وأعطهم جميعاً بِقِسْطِهِمْ من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يُصاب العَدْلُ » .
(تاريخ الطرى ٥ : ٦٣)

٢٩٤ - كتب بين عثمان وبين سعيد بن العاص

وروى أن سعيد بن العاص تزوج وهو على الكوفة هند بنت الفَرَّافِصَةِ^(٣) بن الأحوص بن عمر بن ثعلبة الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه :

« أما بعد : فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كَلْبٍ ، فاكتب إلى بنسبها وجمالها » .

(١) القدمة : السابقة في الأمر .

(٢) الروادف : أتباع القوم المؤخرون ، وردفه بالكسر : تبعه .

(٣) قال صاحب اللسان : « ليس في العرب من تسمى بالفرافصة بالألف واللام غيره » .

فكتب إليه :

«أما بعدُ : فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وجمالها أنها بيضاء مديدة» .

فكتب إليه :

« إن كانت لها أخت فزوِّجنيها » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته هل عثمان ، فأمر الفرافصة ابنه ضباً

(الأغانى ١٥ : ٦٧)

فزوجها إياه .

٢٩٥ - كتاب معاوية إلى عثمان

وقام أبو ذرِّ الغفاري^(١) بالشام - سنة ٣٠ هـ - وجعل يقول : « يامعشر الأغنياء ، واسُوا الفقراء ، بشر الذين يَكْنِزُونَ الذهب والفضة ولا يفتقونها في سبيل الله بمكاي من نار تُكْوَى بها جباهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ » ، فما زال حتى وَلِعَ الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكوا الأغنياء ما يَلْقَوْنَ من الناس^(٢) ، فكتب معاوية إلى عثمان .

« إن أبا ذرِّ قد أعْضَلَ^(٣) بي ، وإنه تجتمع إليه الجوع ، ولا آمنُ أن يُفْسِدَهم عليك ، فإن كان لك في القوم حاجةٌ فَاحْمِلْهُ إليك » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٦٦ ، ومروج الذهب ١ : ٤٣٨)

(١) هو جندب بن جنادة أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أول الإسلام ، فكان رابع أربعة ، وقيل خامس خمسة ، وقد هاجر إلى الشام بعد وفاة أبي بكر ، وتوفى بالريذة سنة ٣٢ هـ انظر ترجمته في أسد الغابة ١٠ : ٣٠١ ، والاصابة ٧ : ٦٠ . (٢) كان الذى بعث أبا ذر هو عبد الله بن سبأ ، وهو يهودى من أهل صنعاء أمه سوداء ، وقد أسلم في زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فلما ورد الشام لقي أبا ذر . فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية . يقول : المال مال الله ، ألا إن كل شئ لله ، كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ويحجوا اسم المسلمين ، فأناه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : برحمتك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال مال الله ، والمال لله ، والأمر أمره ؟ قال : فلا تفلح ، قال : فإني لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين . (٣) أعضل به الأمر ، وأعضله وعضل به : اشتد وغلظ واستغلق .

۲۹۶ - كتاب عثمان إلى معاوية

فكتب إليه عثمان :

« إن الفتنة قد أخرجت خُطْمَهَا^(۱) وعَيْنَيْهَا ، فلم يبق إلا أن تَثِبَ ، فلا تَنْكأ^(۲) القَرْحَ ، وَجَهْزُ أبا ذرٍ إلى وابتث معه دليلاً وزوَّده ، وارفُقْ به ، وكفِّكَفِ الناسَ ونفْسَكَ ما استطعتَ ، فإنما تُمِئِكَ ما اسْتَمْسَكَتَ .

فأشخصه معاوية إلى عثمان ، فقال له : يا أبا ذرٍ ما لِأهل الشام يشكون ذرَّكَ^(۳) ؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال : يا أبا ذرٍ على أن أقضى ما على وأخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد . وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد ، قال : فتأذن لي في الخروج ، فإن المدينة ليست لي بدار ؟ فأذن له فخرج فزل الرِّبْدَةَ^(۴) .

(تاريخ الطبری ۵ : ۶۶)

۲۹۷ - كتاب عثمان إلى عبد الرحمن بن ربيعة

وكتب عثمان إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على « الباب » .

« إن الرعية قد أبطرَ كثيراً منهم البِطْنَةُ^(۵) ، فقَصِّرْ ولا تقتحِمِ بالمسلمين ، فإني خاشعٌ أن يبتَلَوْا » .

فلم يَزَجُرْ ذلك عبد الرحمن عن غايته ، وكان لا يقصِّر عن بلنجر ، فحصرها وقاتله الترك فأصيب وانهمزم المسلمون وتفرقوا .

وكان ذلك سنة ۳۲ هـ . (تاريخ الطبری ۵ : ۷۸)

- (۱) الخُطْمُ جمع خُطْمٍ ككتاب : وهو الرمام .
- (۲) نكأ القرحة كنع : قشرها قبل أن تبرا فندبت .
- (۳) ذرٌ كقروح ذرباً : صار حديداً ماضياً . (۴) قرب المدينة .
- (۵) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام ، والبطار والأشر .

۲۹۸ - کتاب مرزبان مرو إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس سنة ۳۲ هـ إلى مَرَوْرُوذ فَحَصَرَ أَهْلَهَا ، فخرجوا إليهم فقاتلوه ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم ، فأشرفوا عليهم فقالوا : أمهلونا ننظرُ يومنا وارجعوا إلى عسكركم ، فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم ، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فإذا رسول من مَرَزُبَان مَرَو : ابن أخيه وترجمانه ، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف . فقرأ الكتاب فإذا هو :

« إلى أمير الجيش :

إنا نحمد الله الذي بيده الدُّوْلُ يغيّر ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذلّة ، ويضع من شاء بعد الرّفعة :

إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدى ، وما كان رأى من صاحبكم من الكرامة والمنزلة ، فمرحبا بكم وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا ، على أن أودى إليكم خراجاً ستين ألف درهم : وأن تقرّوا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدّ أبى ، حيث قتل الحية التي أكلت الناس ، وقطعت السبيل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال ، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئاً من الخراج ، ولا تخرج المرزبة^(۱) من أهل بيتى إلى غيرهم ، فإن جعلت ذلك لى خرجتُ إليك وقد بعثتُ إليك ابن أخى « ماهك » ليستوثق منك بما سألت .

(۱) المرزبة كمرحلة : رئاسة الفرس .

٢٩٩ - رد الأحنف على كتابه

فكتب إليه الأحنف :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ، ومن معه من الأساورة^(١) والأعاجم :

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن واتقى ، أما بعد : فإن ابن أخيك ماهك قدم على ، فنصح لك جهده ، وأبلغ عنك ، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سواء ، وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت ، على أن تؤدي عن أكرتك^(٢) وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم ، إلى وإلى الوالى من بعدى من أمراء المسلمين ، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جدك أبيك ، إنما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض ، وقطعت السبل ، والأرض لله ورسوله يؤريها من يشاء من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين ، وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه ، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك ، جار لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى ، ولا خراج عليك ، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام .

وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول ، كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أحوم ، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي ، وذمم المسلمين وذمم آبائهم .

شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية السعدى ، وحمزة بن الهرماس ، وحميد بن الخيار المازنيان ، وعياض بن ورقاء الأسيدى .

وكتب كيسان مولى بنى ثعلبة ، يوم الأحد من شهر الله المحرم سنة ٣٢ هـ .

(١) الأساورة : قوم من العجم . (٢) الأكار بالنشيد : الحرات وجمعه أكرة كأنه جمع آكر في التقدير .

وكتب أمير الجيش الأحنف بن قيس ، ونقش خاتم الأحنف « نعبد الله » .

(تاريخ الطبری ۵ : ۸۱)

۳۰۰ - عهد حبيب بن مسلمة لأهل ديبيل

وكتب عثمان إلى معاوية وهو عامله على الشام يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرمينية - وقيل بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية - فهض إليها ففتح ما مر به إلى أن وصل إلى ديبيل فغلب عليها وعلى قراها ، فطلب أهلها منه الأمان والصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الفهرى لنصارى أهل ديبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدهم وغائبهم : إني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم ، فآتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفتيم وأدبتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيداً » .

وختم حبيب بن مسلمة .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۲۰۸ ، ومعجم البلدان ۴ : ۲۵)

۳۰۱ - كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل جرجان

وافتح حبيب أكثر مدن أرمينية ، ثم سار يريد جرجان^(۱) ، فجاءه بالطريق رسول بطريق جرجان وأهلها يسأله الصلح وأماناً يكتبه لهم ، فكتب حبيب إليهم :

« أما بعد : فإن « نقلى » رسولكم قدم على وعلى الذين معى من المؤمنين ، فذكر عنكم أنكم قلمم إنا أمة أكرمنا الله وفضلنا ، وكذلك فعل الله بنا ، وله الحمد كثيراً ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام .

(۱) اسم لناعية بأرمينية ، وكانت فصبتها تفليس .

وذكرتم أنكم أحببتم سِلْمَنَا ، وقد قَوَّمتْ هَدْيَتِكُمْ وَحَسَبْتَهَا^(۱) مِنْ جَزْيَتِكُمْ ، وَكُتِبَتْ لَكُمْ أَمَانًا ، وَامْتَرَطَتْ فِيهِ شَرْطًا فَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ وَوَفَيْتُمْ بِهِ ، وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۲۰۹ ، ومعجم البلدان ۲ : ۳۹۶)

۳۰۲ — عهد حبيب لأهل جرجان

ثم ورد تَفْلِيسَ ، وَكُتِبَ لَهُمْ كِتَابًا بِالصَّلَاحِ وَالْأَمَانِ ، وَهُوَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ لِأَهْلِ تَفْلِيسَ مِنْ رُسْتَقِ^(۲) مَنْجَلِيسَ مِنْ جُرْزَانَ الْهَرْمُزِ ، بِالْأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبَيْعِهِمْ وَصَوَامِعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ وَدِينِهِمْ ، عَلَى إِقْرَارِ الْبَصَّارِ^(۳) وَالْجِزْيَةِ عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ دِينَارًا ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْوتَاتِ تَخْفِيفًا لِلْجِزْيَةِ ، وَلَا لَنَا أَنْ نَفَرِّقَ بَيْنَهُمْ اسْتِكْثَارًا مِنْهَا . وَلَنَا نَصِيحَتُكُمْ وَضَلَعَتُكُمْ^(۴) عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَقِرَى الْمُسْلِمِ الْمَحْتَاكِ لَيْلَةً بِالْمَعْرُوفِ مِنْ حَلَالِ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنَا ، وَإِنْ انْقَطَعَ^(۵) بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكُمْ فَطَلِبْكُمْ أَدَاؤَهُ إِلَى أَدَتِي فِئْتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا أَنْ يَحَالَ دُونَهُمْ . وَإِنْ أَنْبَيْتُمْ وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ فَأَخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَإِلَّا فَالْجِزْيَةُ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَرَّضَ لِلْمُسْلِمِينَ شَفْلَ عَنكُمْ فَقَهَّرَكُمْ عَدُوُّكُمْ فَغَيْرَ مَاخُودِينَ بِذَلِكَ ، وَلَا هُوَ نَاقِضُ عَهْدِكُمْ ، هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا عَلَيْكُمْ ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ . وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا^(۶) . »

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ۲۰۹ ، ومعجم البلدان ۲ : ۳۹۷)

- (۱) حسب كنصر : عد . (۲) الرستاق : يتعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، مغرب . (۳) الدل . (۴) الضلع بالتحريك : القوة واحتمال الثقل ، والمعنى وتقويتكم . (۵) انقطع — بالبناء للمجهول — عجز عن سفره . (۶) هذه رواية البلاذرى في فتوح البلدان ، وياقوت في معجم البلدان ، وفيها التصريح بأن كتاب حبيب بن مسلمة لأهل جرجان وعهده لهم كتبًا في خلافة عثمان ومعاوية أمير على الشام ، وروى الطبرى في تاريخه (ج ۴ : ص ۲۶۰) قال : « وكفر أهل أرمينية زمان معاوية ، وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب ، وحبيب يومئذ بجرجان ، وكتب أهل تفلّيس وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتب بينه وبينهم كتابًا بعد ما كاتبهم ، ثم أورد الكتاب والعهد — وليهما اختلاف عن الصورة التي أوردناها — ومن ذلك ترى أنهما كتبًا في خلافة معاوية ، وسنورد لك رواية الطبرى في الجزء الثاني إن شاء الله .

۳۰۳ - کتاب سعید بن العاص إلى عثمان

ولما قدِمَ سعید بن العاص الكوفةَ ، جعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه
ويَسْمُرُونَ عنده فسمَرَ عنده ليلة وجوه أهل الكوفة ، وفيهم مالك الأشرى في رجال ،
فقال سعید : إنما هذا السَّواد بستان لقریش ، فقال الأشرى : أتزعم أن السَّواد الذي
أفاه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك ؟ والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن
يكون كأحدنا ، وتكلم معه القوم ، فقال عبد الرحمن الأَسَدِيُّ - وكان على شرطة
سعید - أتردُّون على الأمير مقالته ؟ وأغلظَ لهم ، فقال الأشرى : من هاهنا لا يفوتنكم
الرجل ، فوثبوا عليه ، فوطئوه وطاً شديداً حتى غشي عليه ، ثم جرَّ برجله فألقى
فَنُضِحَ^(۱) بماء فأفاق ، فقال له سعید : أهلك حياة ؟ فقال : قتلني من انتخبته
زرعتم - للإسلام ، فقال : والله لا يسمر منهم عندي أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون في مجالسهم
وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيداً ، واجتمع الناس إليهم ، حتى كثر من يختلف إليهم ،
فكتب سعید إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول :

« إن رهطاً من أهل الكوفة سمَّاهم له ، عشرة ، يؤلَّبون^(۲) ويجتمعون على
عبيك وعيبي ، والظعن في ديننا ، وقد خشيتُ إن ثبتَ أمرهم أن يكثروا » فكتب
عثمان إلى سعید أن سيّرهم إلى معاوية - وهو يومئذ على الشام - .

۳۰۴ - كتاب عثمان إلى معاوية

وكتب عثمان إلى معاوية :

« إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خلَقوا للفتنة ، فراعهم وقم عليهم ،
فإن آنت منهم رُشداً فاقبل منهم ، وإن أعْيوك فارددهم عليهم .

(۱) أي رش . (۲) يمرضون .

فلما قَدِمُوا عَلَى معاوية أَنزَلَهُمْ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ عَثْمَانَ مَا كَانَ يَجْرَى عَلَيْهِمْ بِالْعِرَاقِ ، وَجَعَلَ يَنْصَحُ لَهُمْ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَكَرَاهَةِ الْفُرْقَةِ ، وَأَنْ يُوقَرُوا أُمَّتَهُمْ ، وَيَدْتُوهُمْ عَلَى كُلِّ حَسَنٍ مَا قَدَرُوا ، وَيَعْظُمُوا فِي لِينٍ وَلُطْفٍ فِي شَيْءٍ . إِنْ كَانَ مِنْهُمْ ، وَطَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْجِدَالُ وَاللَّجَاجُ ، حَتَّى وَثَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا بِرَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ .

۳۰۵ - كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَثْمَانَ

فَكُتِبَ إِلَى عَثْمَانَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَعَبَدَ اللَّهُ عَثْمَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ : أَمَا بَعْدُ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَى أَقْوَامًا يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَمَا يُمَلُّونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَأْتُونَ النَّاسَ - زَعَمُوا - مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ ، فَيُسَبِّحُونَ^(۱) عَلَى النَّاسِ ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا يَرِيدُونَ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ فُرْقَةً ، وَيَقْرَبُونَ فِتْنَةً ، قَدْ أَتَاهُمُ الْإِسْلَامُ وَأَضَجَرَهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ رُقَى^(۲) الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فَقَدْ أَفْسَدُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَلَسْتُ آمِنٌ إِنْ أَقَامُوا وَسَطَ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يَفْرُتُوهُمْ بِسِحْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ ، فَارْدُدْهُمْ إِلَى مِصْرِهِمْ . فَلْتَكُنْ دَارُهُمْ فِي مِصْرِهِمُ الَّذِي نَجَّمَ^(۳) فِيهِ نَفَاقَهُمْ وَالسَّلَامَ » .

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كُتِبَ إِلَى عَثْمَانَ :

« إِنَّهُ قَدِمَ عَلَى أَقْوَامٍ لَيْسَتْ لَهُمْ عَمَلٌ وَلَا أَدْيَانٌ ، أَتَاهُمُ الْإِسْلَامُ وَأَضَجَرَهُمُ الْعَدْلُ ، لَا يَرِيدُونَ اللَّهُ شَيْءًا ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّةٍ ، إِنَّمَا هُمْ فِي الْفِتْنَةِ وَأَمْوَالُ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَاللَّهُ مُبْتَلِيهِمْ وَمُخْتَبِرُهُمْ ، ثُمَّ قَاضِحُهُمْ وَمُخْزِيهِمْ ، وَلَيْسُوا بِالَّذِينَ يَنْسَكُونَ^(۴) أَحَدًا إِلَّا مَعَ غَيْرِهِمْ ، فَإِنَّهُ سَعِيدٌ وَمَنْ قَبِلَهُ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَّا كَثْرًا مِنْ شَعْبٍ أَوْ نَكِيرٍ » .

(۱) أَي يَلْبِسُونَ عَلَيْهِمْ وَيَأْتُونَ لَهُمْ بِالذِّبِّ . (۲) الرُّقَى جَمْعُ رُقِيَّةٍ كَفِرْفَرَةٍ : وَهِيَ الْعُودَةُ .

(۳) أَي ظَهَرَ . (۴) نَكَى الْعَدُوَّ وَفِيهِ : قَتَلَ وَجَرَحَ .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردم إليه ، فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضح منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد :

أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد « وكان أميراً على حصص .

۳۰۶ - كتاب عثمان إلى الأشر وأصحابه

وكتب إلى الأشر وأصحابه :

« أما بعدُ : فإني قد سيرتكم إلى حصص ، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها ، فإنكم لستم تأتون الإسلامَ وأهله شرا ، والسلام . » .
فلما قرأ الأشر الكتاب ، قال : اللهم أسوأنا نظرا للرعية ، وأعملنا فيهم بالمعصية ، فمجل له النعمة ، وسار الأشر وأصحابه إلى حصص ، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقا .

(تاريخ الطبري ۵ : ۹۰)

وكان ذلك سنة ۳۳ هـ .

۳۰۷ - كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

واستغوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص ، واستغفوا عثمان منه ، وطلبوا أبا موسى الأشعري ، فكتب إليهم عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد أمرتُ عايكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشنكم^(۱) عريضي ، ولأبدلن لكم صبري ، ولأستصلحنكم بجهدى ، فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا يعصي الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه . أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة » .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار - وكان ذلك سنة ۳۴ هـ . (تاريخ الطبري ۵ : ۹۶)

(۱) تقول : فرشت فلانا بساطا ، وأفرشته وفرشته : أى بسطته له .

۳۰۸ - کتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وفشت المقالة في الطعن على عثمان وولّاته ، ونسبوا إليه أموراً ، ونعموا منه أحداثاً أهمها إشاراً أقربائه - ونمت هذه الأنباء إلى أهل المدينة فأتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أياتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ، ما جاءني إلا السلامة ، فأخبروه بما نمي إليهم ، فكتب إلى أهل الأمصار :

« أما بعد : فإني آخذُ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلّطتُ الأمة منذ وليتُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرْفَعُ عليّ شيءٌ ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته ، وليس لي ولعبيالي حقٌ قبل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رَفَعُ إلى أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون ، وآخرون يُضربون ، فيأمنُ ضربٍ سرّاً ، وشتمٍ سرّاً ، من ادّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم ، فليأخذُ بحقه حيث كان : مني ، أو من عمالي ، أو تصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين » .

فما قرئ الكتاب في الأمصار أبكى الناس ودّعوا لعثمان ، وقالوا : إن الأمة لتمخضُ بشرّة .
(تاريخ الطبري ۵ : ۹۹)

۳۰۹ - كتاب أهل المدينة إلى من بالآفاق

وروى الطبري قال :

« لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بالآفاق منهم ، وكانوا قد تفرّقوا في الثغور :

« إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك ، فهلموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم » .

فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه .
(تاريخ الطبري ۵ : ۱۱۵)

۳۱۰ - كتاب أهل المدينة إلى أهل مصر

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه جاء أهل مصر كتاباً من المدينة صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من المهاجرين الأولين ، وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين :

أما بعدُ : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلبها أهلها ، فإن كتاب الله قد بُدِّل ، وسُنَّة رسوله قد غُيِّرَت ، وأحكام الخليفين قد بُدِّلَت ، فننشد الله مَنْ قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلَّا أقبلَ إلينا ، وأخذَ الحق لنا وأعطانا ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحقَّ على المنهاج الواضح الذي فارقتُم عليه نبيِّكم وفارقتُم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقنا ، واستولى على قلوبنا ، وحيلَ بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نُبوَّة ورحمة ، وهي اليوم مُلكَ عَضُوض^(۱) ، من غَلَبَ على شيء أكله .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۲۹)

۳۱۱ - كتاب مفتعل على عثمان

وتكاتب أهل الأمصار المنحرفون عن عثمان ، وتواعدوا جميعاً أن يخرجوا في شوال (سنة ۳۵ هـ) مُظهري الحج ، فخرجت جموعهم من البصرة والكوفة ومصر ونزلوا في ضواحي المدينة ، وعلمَ بأمرهم عثمان ، فبعث إلى عليّ كرم الله وجهه وسأله أن يخرج إليهم ، ويضمَّن لهم عنه كل ما يريدون من العدل ، وحسن السيرة ، فركب إليهم ،

(۱) ملك عضوض . أى شديد فيه عسف وعنف ، وفي الحديث « ثم يكون ملك عضوض » أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يعضون فيه عضا ، وفي الأصل « عضود » بالدال ، وهو تحريف .

وردہم عنہ ، فسمعوا لقولہ ، وانصرفوا مظهرین الرجوع إلى بلادہم ، ثم كرتوا راجعین ، فلم ینجأ أهل المدینة إلا والتكبيرُ فی نواحي المدینة ، وأحاطوا بعثمان ، فأتاهم الناس فكلّموم وفيہم علیّ فقال : ما ردّكم بعد ذهابكم؟ قال المصربون : أخذنا مع برید کتابا بقتلنا ، وذكروا أنهم بیناهم سائرون إذا بغلام علیّ بعبیر وهو مُقبل من المدینة فتأمّلوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، ففتشوه فوجدوا معه کتابا إلى عبد الله بن أبی سرح عامل مصر ، ونصه (كما ورد فی مروج الذهب) .

« إذا قدّم علیك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلاناً ، وافعل بفلان كذا » وأحصى أكثر من فی الجيش وأمر فیہم بما أمر .

وفی إحدى روايتی الطبری : « أما بعد ، فانظر فلاناً وفلاناً فانضرب أعناقهم إذا قدّموا علیك ، وانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا » .
وفی روايته الأخری :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإذا قدّم علیك عبد الرحمن بن عدیس فاجلده مائة ، وأحلق رأسه ولحيته ، وأطّل حبسه حتى یأتیک أمری ، وعمرو بن الحلق فافعل به مثل ذلك ، وسودات بن حمران مثل ذلك وعروة بن النّباع اللّیثی مثل ذلك^(۱) » .

وفی رواية العقد الفريد : « إذا جاءك محمد^(۲) وفلان وفلان ، فاحتل لقتلهم ، وأبطل کتابهم ، وقرّ علی عملك حتى یأتیک رأی ، وأحتبس من جاء بتظلم منك ، لیأتیک فی ذلك رأی إن شاء الله » .

وسألوا عثمان عن الكتاب ، فأقسم أنه ما كتب ، ولا أمر ، ولا علم ، فقال علیّ ومن معه من كبار الصحابة : صدق عثمان ، وقال محمد بن مسلمة ، والله إنه لصادق ،

(۱) هؤلاء الأربعة : هم رؤساء الخارجین من المصربین .

(۲) یعنی محمد بن أبی بكر ، وكان النائمون من المصربین طلبوا إلى عثمان أن يستعمله علیهم ، فكتب عهدہ وولاه . ورواية الإمامة والسیاسة نحو من رواية العقد وتنص عنها الفقرة الأخيرة .

ولكن هذا عمل مرّوان ، قالوا : يُكتب إلى عاملك بهذه الأمور للعظام ، وأنت لا تدري؟ قال نعم ، قالوا : ما أنت إلا صادق ، أو كاذب ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع ، لِمَا أمرت به من سفك دماننا بغير حقها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع ، لضعفك وغفلتك وخُبث بطانتك ، ولا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطع مثل هذا الأمر دونه .

(تاريخ الطبري ۵ : ۱۱۵ ، ۱۱۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۱۶ ،
ومروج الذهب ۱ : ۴۴۰ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۳۱)

۳۱۲ - كتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الله عزّ وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ، وخلف فينا كتابه ، فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التي قدر ، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة ، عن ملائمة من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملائمتهم ، ومن الناس على غير طلب مني ولا محبة ، فعملت فيهم ما يعرفون ، ولا ينكرون ، تابعاً غير مُستتبع ، متبعاً غير مُبتدع ، مقتدياً غير متكلف ، فلما انتهت الأمور ، وانتكث^(۱) الشرُّ بأهله ، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ، ولا ترة^(۲) فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً ، وأعلنوا غيرَه بغير حجة ، ولا عذر ، فعابوا على أشياء مما كانوا يرضون ، وأشياء عن ملائمة أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسي ، وكففتها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عز وجل

(۱) من انتكث الجبل إذا انقض . (۲) الترة : النار .

جُرُأَة ، حتى أغاروا علينا في جِوارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّمه ، وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعرابُ ، فهم كالأحزاب^(۱) أيام الأحزاب ، أو من غزانا بأحدٍ إلّا ما يُظهرون^(۲) ، فمن قدّر على اللّحاق بنا فليلتحق . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۰۵)

۳۱۳ - كتاب أهل مصر إلى عثمان

وكتب أهل مصر - الذين ساروا إلى عثمان - بكتاب ، فكان فيما كتبوا إليه :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ فاعلمَ أن الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم ، فالله الله ، ثم الله الله ، فإنك على دُنيا فاستقمَ إليها معها آخرةً ، ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ^(۳) لك الدنيا . واعلم أنا والله لله نغضبُ ، وفي الله نرضى ، وإنا لن نضع سيوفنا عن عِواتقنا ، حتى تأتينا منك توبةٌ مُصرّحة^(۴) ، أو ضلالةٌ مُجلّحةٌ مُبلّجةٌ ، فهذه مقاتلتنا لك ، وقضيتنا إليك ، والله عذيرنا منك والسلام . »

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويُقسمون له بالله لا يمكن عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۱۶)

۳۱۴ - كتاب عثمان إلى الامام علي

وتفاقت الفتنة واستطار شررها ، حتى حصر الثوار عثمان في داره ، وكانوا يهتفون بأسم الإمام علي كرم الله وجهه للخلافة ، فبعث عثمان عبد الله بن عباس إلى الإمام علي

(۱) هم قريش وغطفان وبنو مرة وأشجم وسليم وأسد الذين تحزبوا واجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) وكانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدتهم عشرة آلاف قائدهم العام أبو سفيان . (۲) أي من الاسلام ، فلا فرق بينهم وبين هؤلاء إلا إظهارهم الاسلام . (۳) ساغ الشراب : سهل مدخله في الخلق . (۴) مصرحة : أي خالصة ، يقال صرحت الخمر تصريحاً : انجلى زبدها فخلصت . قال الأعشى :

كيتا تكشف عن حمرة إذا صرحت بعد إزبادها

والتجليح : المكاشفة والكلام ، والإقدام الشديد والتصميم في الأمر والمضي فيه والجرأة ، وضلالة مجلّحة : أي مجلح صاحبها ، ومبلّجة : أي وانحة ظاهرة ، بلج الصبح وأبلج : أضاء وأشرق .

وقال : قل له فليخرج إلى ماله بينبع^(۱) فلا أغمم به ولا يغمم بي ، فخرج عليّ إلى ينبع ، فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر :

« أما بعدُ : فإنه قد يبلغ السَّيْلُ الزُّبِّيَّ^(۲) ، وجاوز الحزامَ الطُّبِّيَّ^(۳) ، وتجاوز الأمر بي قدره^(۴) ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه^(۵) .

وإنك لم يَفْخَرْ عليك كَفَاخِرِ ضَعِيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبٍ^(۶) ورأيت القوم لا يَقْصِرُونَ دون دمي ، فأقبل إليّ ، على أيّ أمر بك أحبت : معي كنت أو عليّ ، صديقاً كنت أو عدوًّا .

فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلي وإلا فأذركني ولما أمزق^(۷) فرجع عليّ .

(الكامل للمبرد ۱ : ۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۲۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۴۴ ،
ومجمع الأمثال ۱ : ۱۱۱ ، وجهرة الأمثال ۱ : ۱۵۵ ، وصبح الأعشى ۶ : ۳۸۸ ،
والإمامة والسياسة ۱ : ۲۸ ، وإعجاز القرآن ص ۱۱۹)

(۱) وكان فيها نخل للامام علي . (۲) الزبي جنج زبية كفرصة : وهي حفرة تحفر في ربوة من الأرض وتنطى ويجعل عليها طعم ، فبراه الأسد من بعيد فيأتيه . فاذا استوى عليها انقض غطاؤها فيهبوى فيها ، وأصل الزبية : الراية لا يعلوها الماء ، فاذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً . وهو مثل يضرب للأمر يبلغ غايته في الشدة والصعوبة .

(۳) الطي بالضم والسكسر لذات الحافر والسباع كالضرع لغيرها والجمع أطباء . وهو مثل يضرب أيضاً عند بلوغ الشدة منتهاها ، ورواية الكامل للمبرد : « فانه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ الحزام الطبيين » . (۴) ورواية الإمامة والسياسة : « وارتفع أمر الناس في شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضون دون دمي » . (۵) ورواية العقد : « وطمع في من كان يضمن عن نفسه » .

(۶) المغلب : المغلوب مرارا (وهو أيضاً المحكوم له بالغلبة ضد) ورواية زهر الآداب بدل هذا البيت : « ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب » ورواية الإمامة والسياسة بين هذا البيت والذي بعده : « وقد كان يقال : أكل السبع خير من افتراس الثعلب ، فأقبل عليّ أولى » .

(۷) ورواية الكامل للمبرد والعقد وإعجاز القرآن وصبح الأعشى والإمامة والسياسة « فكن خير آكل » وقال صاحب زهر الآداب : « وهذا البيت للمزق العبدى ، وبه سمى المزق » واسمه شاس وإنما تمثل به عثمان رضى الله عنه ، وحذاق أهل النظر يدفعون هذا ويتشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

ثم جاءه ابن عباس برسالة من عثمان وهو محصور ، يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ، ليقل هتف الناس بأسمه للخلافة - بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، كما رأيت - فقال :

« يا بن عباس ، ما يريد عثمان إلا أن يجعاني جملاً ناضحاً بالغرب^(۱) أقبل وأذير ، بعث إلى أن أخرج ، ثم بعث إلى أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إلى أن أخرج ، والله لقد دفعتُ عنه ، حتى خشيتُ أن أكون آثماً . » (نهج البلاغة ۱ : ۲۹۵)

۳۱۵ - كتاب عثمان إلى معاوية وأهل الشام والبصرة

وروى الطبري قال :

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس ، كتب إلى معاوية ابن أبي سفيان وهو بالشام :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إلى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول . »
فلما جاء معاوية الكتابُ تربص به ، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم . فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد ابن كرز وإلى أهل الشام « يستنفرهم ويعظم حقهم عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووعدهم أن يتخذهم جنداً أو بطانةً دون الناس ، وذكركم ببلاءه عندهم وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياثٌ فالتجّل العجّل ، فإن القوم مُعاجليّ . »

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد فعظم حق عثمان ، وحضهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناس كثير ، حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا

(۱) نضح الجمل الماء : حمله يسبق به الزرع ، والغرب : الدنو العظيمة .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أمير البصرة أن آندب إلى أهل البصرة - نسخة كتابه إلى أهل الشام - فصار إليه جمع كثير حتى إذا نزلوا الرّبذة^(۱) ونزلت مقلّماتهم عند صرّار أتاهم قتل عثمان . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۱۵)

۳۱۶ - كتاب عثمان إلى معاوية وأهل الشام

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :

وكتب عثمان إلى أهل الشام عامة ، وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة :

« أما بعدُ : فإني في قوم طال فيهم مُتَمَيِّمٌ ، وأستمعجَلُوا القَدَرَ فيّ ، وقد خيّرُونِي بين أن يَحْمِلُونِي على شَارِفٍ^(۲) من الإبل الدَّخِيلِ^(۳) ، وبين أن أُنزِعَ لهم رداءَ الله الذي كسَانِي ، وبين أن أُقيدَهم^(۴) ممن قتلْتُ ، ومَنْ كَلَنَ على سُلْطَانٍ يَخْطِيُ ويصيبُ ، فَيَا غوثَاهُ يَا غوثَاهُ ، وَلَا أميرَ عليكم دونِي ، فَالعَجَلُ العَجَلُ يَا معاوية ، وَأدْرِكْ ثم أدْرِكْ ، وما أراك تُدْرِكُ » . (الإمامة والسياسة ۱ : ۳۰)

۳۱۶ - كتاب عثمان إلى أهل الموسم

وأمر عثمانُ عبد الله بن عباس أن يَحجَّ بالناس في السنة التي قتل فيها - سنة ۳۵ هـ - وكتب معه إلى أهل المَوَاسِمِ بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حَصَّرَهُ ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين : سلامٌ عليكم ، فإني أحمَدُ اللهَ إليكم الذي لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ : فإني أذكركم بالله

(۱) الرّبذة : قرب المدينة ، وكذا صرّار .

(۲) الشارف من النوق : السنة الهرمة كالشارفة .

(۳) الدخيل : أي الغريبة ، يعني : من الإبل الضعيفة المهزولة . يقال فلان دخيل في بني فلان : إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم ، والأثني دخيل ، وكلمة دخيل : أدخلت في كلام العرب وليست منه ويقال أيضا : يغير مدخول أي مهزول داخل في جوفه الهزال ، فيجوز أن يكون فعل هنا بمعنى مفعول ، والمعنى : من الإبل الدخيل : أي المدخولة المهزولة ، ولم تلحقه التاء لأنه تبم موصوفه - وفي نسخة من الإمامة والسياسة « الدخيل بالحاء وهو تحريف . (۴) أفاد القائل بالقتيل : قتله به .

جل وعزّ الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيّنات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمته ، فإن الله عزّ وجل يقول وقوله الحقّ : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » ، وقال عزّ وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ^(۱) وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَمَا ^(۲) خُزْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وقال وقوله الحقّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » وقال وقوله الحقّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ^(۳) . وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » وقال عزّ وجل : « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ ^(۴) لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكَبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، وقال وقوله الحقّ : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ

(۱) أى حق تقواه وأصل تقاه : وقية ، قلبت واوها المضمومة تاء كما فى نؤدة ونخمة ، وقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . (۲) الشفا : الحرف . (۳) أى لوقعت فى العنت ، والعنت بالتحريك : دخول المشقة على الإنسان . (۴) الخلاق : النصب من الخبر .

هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقال وقوله الحق : « وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ نَوْ كَيْدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ ^(۱) غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَدُسَّائِلَ الَّذِينَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَ كُمْ يَنْفَعُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجُزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

وقال وقوله الحق : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » وقال وقوله الحق : « وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » وقال وقوله الحق : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

(۱) نقضت : أفسدت ، أنكاثا جمع نكث بالكسر : وهو ما ينكث أى ينقض ليغزل ثانية ، وأنكاثا منصوب على الحال ، أو مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت ، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ، وقيل هى ربيعة بنت سعد بن نيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك ، دخلا : أى مفسدة وخديعة ، ومعنى الآية : تتخذون أيمانكم فساداً ودخلاً بينكم لأن تكون جماعة أزيد عدداً ، وأوفر مالا من جماعة ، أى لاتعدروا بقوم لكثرتكم وقتلهم ، أو لكثرة منابذهم وقوتهم ، وذلك أن قريشاً كانوا يحالفون الحلفاء فإذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم ، وحالفوا أعداءهم ، يبلوكم : أى يخبركم ، فتزل قدم ، أى فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام ، ينفذ : أى ينفى وينقض .

« أما بعد: فإن الله جل وعزّ رضی لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم العصية والفرقة والاختلاف، ونبأكم ما قد فعله بالذين من قبلكم، وتقدّم إليكم فيه، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه، فأقبلوا نصيحة الله جل وعزّ واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت إلا من بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأسٌ يجمعها، ومتى ما تفعلون ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً، وساطع عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرم بعض، ومتى يفعل ذلك لا يقم لله سبحانه دين، وتكونوا شيعاً، وقد قال الله جل وعزّ لرسوله صلى الله عليه وسلم: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم يُنبئهم بما كانوا يفعلون» وإني أوصيكم بما أوصاكم الله، وأحذركم عذابه، فإن شعبيّاً صلى الله عليه وسلم قال لقومه: «ويا قوم لا يجرمنكم»^(۱) شقاقٍ أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد، واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربّي رحيم ودود».

« أما بعد: فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث أظهِروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عزّ وجل والحق، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها، فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى^(۲)، منهم آخذ للحق ونازع^(۳) عنه حين يقطاه، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يريد أن يبتزه^(۴) بغير الحق، طال عليهم عمرى، وارت عليهم أممهم الإمرة^(۵)، فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم، ولا أعلم أنى تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت: أقيموها على من علمتم تعدّأها في أحد، أقيموها على من

(۱) لا يجرمنكم: أى لا يجرمنكم . (۲) أى مختلفون مفرقون . وهو جمع شئيت .

(۳) نزع عن الأمر كضرب: كذب وأبى . (۴) أى يبتله .

(۵) رات: أبطأ، وأمر عليهم إذا ولي، والاسم الإمرة .

ظَلَمَكُمْ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، قَالُوا : كِتَابُ اللَّهِ يُتْلَى ، فَقُلْتُ : فَلْيَتْلُهُ مَنْ تَلَاهُ غَيْرَ غَالٍ فِيهِ بغير ما أنزل الله في الكتاب ، وقالوا : المحرومُ يُرْزَقُ ، والمالُ يُؤْتَى لِيُسْتَنَّ فِيهِ السُّنَّةُ الْحَسَنَةُ ، وَلَا يُعْتَدَى فِي الْخُمْسِ وَلَا فِي الصَّدَقَةِ ، وَيُؤَمَّرُ ذُو الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتُرَدُّ مَظَالِمُ النَّاسِ إِلَى أَهْلِهَا ، فَرَضِيتُ بِذَلِكَ وَاصْطَبَرْتُ لَهُ ، وَجِثْتُ نِسْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَلِمَتَيْنِ فَقُلْتُ : مَا تَأْمُرُنَنِي ؟ فَقُلْنِ : تُوَمَّرُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (۱) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ (۲) ، وَتَدَعُ مَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّمَا أَمْرُهُ أَمِيرُ قَبْلِكَ ، فَإِنَّهُ مُصْلِحٌ لِأَرْضِهِ ، رَاضٍ بِهِ جُنْدُهُ ، وَارْدُدْ عَمْرًا فَإِنَّ جُنْدَهُ رَاضُونَ بِهِ ، وَأَمْرُهُ فَلْيُصْلِحْ أَرْضَهُ ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُ (۳) وَإِنَّهُ اعْتَدَى عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَعُدِي عَلَى الْحَقِّ ، كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَأَصْحَابِي الَّذِي زَعَمُوا فِي الْأَمْرِ اسْتَعْجَلُوا الْقَدْرَ ، وَمَنْعُوا مِنِّي الصَّلَاةَ (۴) ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ

(۱) مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص ، فلما ولي عثمان أقره على عمله أربع سنين أو نحوها ، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاع .

(۲) هو أبو موسى الأشعري ، وكان عاملاً على البصرة لما قتل عمر ، فأقره عثمان عليها ، وظل عامل عثمان على البصرة ست سنين ، ثم عزله عنها سنة ۲۹ وولاهها عبد الله بن عامر - وهو ابن خال عثمان - فسار أبو موسى من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ۳۴ ، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله على عنها - انظر تاريخ الطبري ۵ : ۵۴ وأسد الغابة ۳ : ۲۴۶ - .

(۳) إن كان المراد بهذا القول وهو « اردد عمرا » تثبيتته في ولايته ، فأمر ظاهر ، إذ قد أقره عثمان وعلى ولاية مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله كما قدمنا ، وإن كان المراد به رده بعد عزله ، فلا يعرف في التاريخ أن عثمان رد عمرا إلى ولاية مصر - ولا إلى غيرها - بل الثابت أنه لما عزله عن مصر قدم المدينة وجعل يطعن على عثمان ، فلما حصر عثمان المحصر الأول خرج عمرو من المدينة إلى أرض له بفلسطين فزل بها وكان يقول : والله إن كنت لألقى الراعي ، فأحرضه عليه - كما سيأتي - فقول عثمان في تلك الرسالة « فكل ذلك فعلت » لم يتحقق بالنسبة لعمرو بن العاص ، ولطه كان قد أزمع أن يردده إلى مصر تهدئة لثورة النافرين عليه ، ثم حالت الظروف دون تنفيذ ذلك ، أو لعله يقصد الحادث الآتي :

روى أنه لما عزل عمرو عن مصر وولى عبد الله بن سعد ، تزلت الروم بالإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحروب وهيبة في قلب العدو ففعل ، وخرج عليهم عمرو في البر والبحر ، فلما انهزم الروم أراد عثمان عمرا أن يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على المراج ، فقال عمرو : أنا إذن كما سلك البقرة بقرنيها وآخر يحملها ، وأبى ذلك - انظر حسن المحاضرة ۱ : ۶۹ - . (۴) معناه : لم يمكنوني من الصلاة .

المسجد ، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابي هذا وهم يخبرونني
 إحدى ثلاث : إما يُقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروكٍ منه شيء ،
 وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخرَ غيري ، وإما يُرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد ،
 وأهل المدينة فيتبرءون من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة ، فقلت
 لهم : أما إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تُخطئ وتُصيب ، فلم يُستفد^(۱) من
 أحدهم منهم ، وقد علمتُ أنما يريدون نفسي ، وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن
 يَكُلبوني^(۲) أحبُّ إلي من أن أتبرأ من عملِ الله عزَّ وجلَّ وخلافته ، وأما قولهم :
 يُرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتي ، فليست عليهم بوكيل ، ولم أكن
 استكرهتهم من قبلُ على السمع والطاعة ، ولكن أتوها طائعين يتفنون مرضاة الله
 عزَّ وجلَّ وإصلاح ذاتِ اللبئيين ، ومن يكن منكم إماماً يتفنى الدنيا فليس بنائلٍ منها
 إلا ما كتبَ الله عزَّ وجلَّ له ، ومن يكن إنما يريد وجهَ الله والدارَ الآخرةَ وصلاحَ
 الأمة وابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ ، والسنةَ الحسنةَ التي استنَّ بها رسولُ الله صلى الله
 عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ، فإنما يَجْزِي بذلكم اللهُ ، وليس بيدي
 جزاؤكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلها ، لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغن
 عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده ، فمن يَرْضَ بِالنكثِ منكم فإنى
 لا أَرْضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذي يخبرونني فإنما
 كله النزغُ والتأثير ، ففلكتُ نفسي ومن معي ، ونظرتُ حُكْمَ الله وتخيير النعمة
 من الله سبحانه ، وكرهتُ سنةَ السوء وشقاقَ الأمة وسفك الدماء .

فإنى أنشدكم^(۳) بالله والإسلام أن لا تأخذوا إلا الحقَّ وتُعطوه منى ، وترك
 البغى على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عزَّ وجلَّ ، فإنى أنشدكم الله سبحانه

(۱) استفاد الحاكم: سأله أن يقيد القاتل بالقتيل أى يقتله به . (۲) كلبه: ضربه بالكلاب،
 والكلاب كرمان: المهاز، أى الحديدية التى على خف الرانس يقال ساط الدابة يسوطها أى ضربها بالسوط،
 وكلبها أى ضربها بالكلاب . (۳) نشدتك بالله ونشدتك الله : استخلفتك .

الذى جعل عليكم العهدَ والموازرةَ^(۱) في أمر الله ، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق :
 « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » فإن هذه معذرةٌ إلى الله ولعلكم تذكرون .
 « أما بعدُ : فإنى لا أبرئى نفسى إنَّ النفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّى
 إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، وإن عاقبتُ أقواما فما أبتغى بذلك إلا الخيرَ ، وإنى أتوب
 إلى الله عزَّ وجل من كل عملٍ عملته وأستغفرُهُ ، إنه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا هُوَ ، إنَّ
 رَحْمَةَ رَبِّى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، إنه لا يَقْنَطُ من رحمة الله إلا القومُ الضَّالُّونَ ، وإنه
 يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ . وأنا أسأل الله عزَّ وجل
 أن يغفر لى وللكم ، وأن يؤلف قلوبَ هذه الأمة على الخير ، ويكره إليها الفسق ،
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون . »

فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية^(۲) بمكة بيوم ، ثم قفلَ
 إلى المدينة وإذا عثمان قد قتل . (تاريخ الطبرى ۵ : ۱۴۰)

۳۱۸ - كتاب آخر إلى أهل الموسم

وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة . قال :

وكتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم ،
 فوافى به نافع يوم عرفة بمكة ، وابن عباس يخطب - وهو يومئذ على الناس كان قد
 استعمله عثمان على الموسم - فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فإذا فيه :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج
 من المسلمين . »

أما بعدُ : فإنى كتبت إليكم كتابى هذا ، وأنا محصور ، أشرب من بئر القصر ،
 ولا آكل من الطعام ما يكفينى ، خيفة أن تنفذ ذخيرتى فأموت جوعا أنا ومن معى ،

(۱) الموازرة : المساعدة والمعاونة .

(۲) يوم التروية : ثامن ذى الحجة . لأن الماء كان قليلا بمكة ، فكانوا يرتوون من الماء لما بعد

لا أدعى إلى توبة أقبلها ، ولا تسمع مني حجة أقولها ، فأنشد الله رجلا من المسلمين
يلفه كتابي إلا قديم عليّ ، فأخذ الحق فيّ ، ومنعني من الظلم والباطل .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۲۹)

۳۱۹ - كتاب أبي الدرداء إلى معاوية

وكتب أبو الدرداء^(۱) إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنه من يتمسّ رضا الله بسخط الناس ، كفاء الله مؤثمة الناس ،
ومن التمسّ رضا الناس بسخط الله وكلّه الله إلى الناس . » (العقد الفريد ۱ : ۲۰)

۳۲۰ - كتاب أبي الدرداء إلى سلمان الفارسي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان الفارسي^(۲) ، وبين
أبي الدرداء ، فسكن أبو الدرداء الشام ، وسكن سلمان العراق ، فكتب أبو الدرداء
إلى سلمان :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن الله رزقني بعدك مالا وولداً ، ونزلت الأرض
المقدّسة . »

(۱) هو أبو الدرداء عويمر الأنصاري الحزرجي . اختلف في اسمه فقيل هو عامر ، وعويمر لقب ،
واختلف في اسم أبيه فقيل عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد ، وقد أسلم أبو الدرداء يوم بدر
وشهد غزوة أحد وأبلى فيها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : نعم الفارس عويمر وقال :
هو حكيم أمتي ، وقد ولاء معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر ، ومات لسنتين بقينا من خلافة عثمان وقيل
مات سنة ۵۳۲ ، وقيل مات بعد صيف سنة ۳۸ أو سنة ۳۹ هـ - انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة
۵ : ۴۶ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ۴ : ۱۵۹ - .

(۲) هو سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعف سلمان الميرمولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وسئل عن نبيه فقال : أنا سلمان بن الإسلام ، أصله من فارس ، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان ،
وكان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار ، وهو الذي أشار على رسول الله بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب ،
وتوفي سنة ۳۵ هـ في آخر خلافة عثمان ، وقيل في خلافة عمر ، والأول أكثر - انظر ترجمته في أسد
الغابة ۲ : ۳۲۸ ، والإصابة ۳ : ۱۳۳ .

۳۲۱ - رد سلمان الفارسی علیٰ ابی الدرداء

فكتب إليه سلمان :

« سلام علیکم ، أما بعدُ : فإنك كتبتَ إلىَّ أن الله رزقك مالا وولداً ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حِمْلُكَ ، وأن ينفعك عِلْمُكَ ، وكتبتَ إلىَّ أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد ، اعمل كأنك ترى ؛ واعدد نفسك من الموتى » .
(أسد الغابة ۲ : ۳۳۱)

۳۲۲ - كتاب سلمان الفارسی إلى ابی الدرداء

وكتب سلمان الفارسی إلى ابی الدرداء :

« أما بعدُ : فإنك لن تنالَ ما تريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تنال ما تأملُ إلا بالصبر على ما تكره ، فليكن كلامك ذِكْرًا ، وصمتك فِكْرًا ، ونظرك عِبْرًا ، فإن الدنيا تنقلب ، وبهجتها تتغير ، فلا تفتَرَّ بها ، وليكن بيتك المسجد والسلام » .

۳۲۳ - رد ابی الدرداء علی سلمان

فأجابه أبو الدرداء :

« سلام عليك ، أما بعد : فإنی أوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لسُفلك ، ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك ، واذكر حياة لاموتَ فيها في إحدى المنزلتين إما في الجنة ، وإما في النار ، فإنك لا تدرى إلى أيهما تصير^(۱) » .
(القدر الفريد ۱ : ۳۰۰)

(۱) ليس لدينا ما يؤكد لنا : في أي تاريخ صدرت كتب ابی الدرداء وسلمان الفارسی المذكورة ، ولكننا أوردناها في خلافة عثمان باعتبار أنهما توفيا في عهده .

۳۲۴ - كتاب نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية

وروى أن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان رضى الله عنه كتبت إلى معاوية ،
وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير ، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أوى ببلتعة :
« من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان :

أما بعدُ : فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من
الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ^(۱) عليكم النعمة ،
وأنشدكم^(۲) بالله وأذكركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه وبعزمته الله عليكم فإنه
قال : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْبَغِ^(۳) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ،
ولولم يكن له عليكم حقُّ إلا حق الولاية ، ثم أتى إليه ما أتى ، سَلَقَ على كل مسلم يرجو
أيام الله أن ينصره لقدمه فى الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أجاب داعى الله ، وصدق
رسوله ، والله أعلم به إذا انتخبه فأعطاه شرف الدنيا ، وشرف الآخرة .

وإنى أقصُّ عليكم خبره لأنى كنت مشاهدة أمره كله ، حتى قضى الله عليه ،
إن أهل المدينة حصروه فى داره ، يحرُسونه ليلهم ونهارهم قيامًا على أبوابه بسلاحهم ،
يمنعونه كلَّ شئٍ قدروا عليه حتى منعهوا الماء يُحْضِرُونَهُ الأذى ، ويقولون له الإفك^(۴)
فك هو ومن معه خمسين ليلةً ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر ،
وعمار بن ياسر ، وكان على مع الحضريين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ،
ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به ، فظلت تقاتل خزاعةً ،

(۱) أسبغ الله النعمة : أعطاها . (۲) نشدتك الله وبالله : استعلفتك به .

(۳) أى ترجم . (۴) الإفك : الكذب .

وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من مُزَبِنَة وجُهَيْنَة ، وأنباط^(۱) يَثْرِبَ ، ولا أدري سائرهم ، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره .

ثم إنه رُمِيَ بالنبل والحجارة فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه بصرُخون إليه ليأذن لهم في القتال ، فهام عنه وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم ، فردوها إليهم ، فلم يزددهم ذلك على القتال إلا جراءة ، وفي الأمر إلا إغراء ، ثم أحرقوا باب الدار فجاءهم ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا : إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق مجلس فيه ساعة ، وأسلحَ القوم مُظَلَّةً عليه من كل ناحية ، وما أرى أحداً يَعدِلُ ، فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس درعَه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبستُ درعاً ، فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تغزوه بشيء ، فكلموه وتحرَّجوا فوضع السلاح فلم يكن إلا أن وَضَعَهُ حتى دخل عليه القوم يقدِّمهم^(۲) ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيته ودَعَوْهُ بِاللَّقَبِ^(۳) ، فقال أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعَتْ في العظم فسَقَطَتْ عليه وقد أُنْخِنُوهُ^(۴) وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به ، فأتتني بنت شَيْبَةَ بن ربيعة ، فألقت نفسها معي عليه ، فتَوَطَّنَا^(۵) وطأ شديداً ،

(۱) الأنباط : جبل كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين .

(۲) قدمهم من باب نصر : تقدمهم . (۳) اللقب الذي تشير إليه هو « نعل » كجعفر ، وهو اسم رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية قيل : إنه كان يشبه عثمان ، فكان شاموه يسمونه نعلًا تشبيهاً بذلك الرجل ، قال الطبري . في تاريخه (۵ : ۱۳۱) « فتقدمهم محمد بن أبي بكر ، فأخذ بلحية عثمان ، فقال : قد أخزأك الله يا نعل ، فقال عثمان : لست بنعل ، ولكني عبد الله وأمير المؤمنين » . (۴) أُنْخِنُوهُ : أوهنه بالجراحة وأضعفه . (۵) وتَوَطَّنَا : داسه .

وَعُرِّيْنَا مِنْ ثِيَابِنَا^(۱) ، وَحُرْمَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ ، فَتَمَتُّوهُ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ وَعَلَى فِرَاشِهِ ، وَقَدْ أُرْسِلَتْ إِلَيْكُمْ بِثُوبِهِ وَعَلَيْهِ دَمُهُ ، وَإِنَّهُ وَأَقْبَهُ لَئِنْ كَانَ أُمَّتٌ مَن قَتَلَهُ لَمَا سَلِمَ مَن خَذَلَهُ ، فَانظُرُوا أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، فَإِنَّا نَتَشَكَّى مَا مَسَّنَا إِلَيْهِ ، وَنَسْتَنْصِرُ وَوَلِيَّهِ وَصَالِحِي عِبَادِهِ ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ عَلَى عُمَانَ ، وَكَعْنَ اللَّهِ مَن قَتَلَهُ ، وَصَرَاعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَصَارِعَ الْخِزْيِ وَالْمَذَلَّةِ ، وَشَقَى مِنْهُمْ الصُّدُورَ .

فَخَلَفَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ لَا يَطِئُوا النِّسَاءَ حَتَّى يَمْتَلُوا قَتْلَتَهُ ، أَوْ تَذْهَبَ أَرْوَاحَهُمْ .

(الأغانى ۱۵ : ۶۸)

(۱) قال الطبري : « وجاء التجبي » مخرباً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقه نائلة فقطع يدها » وفي الأغانى « فقطع أصبعين من أصابعها » .

(۱۹ - جبهة رسائل العرب - أول)

خلافة الامام علي بن أبي طالب

كريم الله وجهه

٣٢٥ - كتاب الإمام علي إلى عثمان بن حنيف

وبويع الإمام علي كرم الله وجهه بالخلافة ، لخمس بتمين من ذى الحجة سنة ٤٠ هـ ، فبعث عماله على الأمصار ، فكان عامه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري ، ثم بلغه أن ابن حنيف دعى إلى ولية قوم من أهله فمضى إليها ، فكتب إليه الإمام علي :

« أما بعد : يا ابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتية^(١) أهل البصرة دعاك إلى مأذبة فأسرعت إليها ، تستطاب^(٢) لك الألوان^(٣) ، وتُنقل إليك الجفان^(٤) ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم^(٥) ، عائلهم بجفوة^(٦) ، وغنيهم مدعو^(٧) ، فانظر إلى ما تقضمه^(٨) من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم

(١) أي من شبابها أو من أسخباؤها ، يقال للسخي : هذا فتى ، ويروى « أن رجلاً من قضان البصرة » أي سكانها ، والمأذبة : طعام يصنع لدعوة أو عرس ، وأدبهم كضرب : دعاهم إلى طعامه .
(٢) تستطاب : يطلب لك طيبها ، والألوان : أصناف الطعام ، والجفان : جمع جفنة بالفتح وهي القصعة ويروى « وكثرت عليك الجفان فكرعت وأكلت أكل ذئب نهم ، أو ضبع قرم » وكرع في الماء أو في الإناء كنع وسبع : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا يأنه ، وقرم كفرح شديد شهوة اللحم .
(٣) وروى « وما حبتك تأكل طعام قوم . . . » والعائل : الفقير .
(٤) قضم كسح : أكل بأطراف أسنانه (أو أكل يابساً) والمراد الأكل مطلقاً ، والمقضم : الأكل ، ولفظه وبه كضرب وسبع : رماء وطرحه .

قد اکتفی من دنیاه بطمیریہ^(۱) ، ومن طعمه بقرصیه ، ألا وإنکم لاتقدرون علی ذلك ، ولكن أعینونی بورع واجتهاد ، وعیفة وسداد ، فوالله ما کنزت من دنیا کم تبراً ، ولا ادخرت من غنائها وفراً ، ولا أعددت لبالی ثوبی طمراً^(۲) ، ولا خزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منها إلا کقوت أتان دبرة^(۳) ، ولهی فی عینی أوهمی وأهون من عصفه مقرة^(۴) ، بلی کانت فی أیدینا « فذک^(۵) » من کل ما أظلتہ السماء فشحت علیها نفوس قوم^(۶) ، وسخت عنها نفوس قوم آخريں ، ونعم احکم الله ، وما أصنع بحدک وغیر فذک؟ والنفس مظانها فی شد جدت^(۶) ، تنقطع فی ظلمته

(۱) الطمر: الثوب الخلق البالی، والطعم: الضمام، وروی « قد اکتفی من دنیا بطمیریہ ، وسد فورة جوعه بقرصیه ، لا یطعم الفلدة فی حوله إلا فی یوم أضحیته » - والفلدة بالکسر: القلعة من اللحم. والتبر: فئات الذهب والفضة قبل أن یصاغ، والوفر: المال الکثیر الواسع.

(۲) یقسم أنه ما أعد ثوباً بالیالیبه بدلاً عن ثوبه الذی یبلی ، فضلاً عن أن یعد ثوباً قشياً جدیداً كما یفعل الناس . (۳) هی التي عقر ظهیرها فقل أکلها، أو من أصف. وأهون: أخس. والعصف: الذی یتخذ منه الحجر، ویدبغ به ، ومقرة: أی مرة ، مقر الشيء بالکسر وأمقر: صار مراراً.

(۴) فذک: قرية بخیر فیها عین ونخل کثیر ، بینها و بین المدينة یومان ، أفاءها الله علی رسولہ صلی الله علیه وسلم سنة سبع صلحاً ، فكانت خالصة له بنفق ما یأتیه منها فی أبناء السبیل ، فلما قبض علیه الصلاة والسلام جاءت فاطمة رضی الله عنها أبا بکر رضی الله عنه تطالب میراثها من أبیها، وهو أرضه من فذک وسهمه من خیر ، فقال لها أبو بکر: أما لى سمعت رسول الله یقول: نحن معشر الأنبیاء لانورث ما رکننا فهو صدقة، إنا یا کل آل محمد من هذا المال، وإنی والله لا أدع أمراً رأیت رسول الله یصنعه إلا صنعتہ، فهجرتہ فاطمة فلم تکلمه فی ذلك حتى ماتت، وروی أنه قال لها: سمعت رسول الله یقول: إنا هی طعمة أطعمنیها الله تعالى حیاتی ، فاذا مت فهی بین المسلمین . وروی أیضاً أنها قالت له: إن رسول الله جعل لى فذک فأعطى إیها ، وشهد لها علی بن أبی طالب رضی الله عنه ، فأها شاهد آخر ، فشهدت لها أم ایمن مولاة رسول الله ، فقال: قد علمت یا بنت رسول الله أنه لا یجوز إلا شهادة رجلین أو رجل وامرأتین ، فانصرفت ، كما روى أیضاً أن فاطمة سألت أباهما أن یهبها لها ، فأبى وقال: ما کان لك أن تسألینى ، وما کان لى أن أعطیک ، ثم أدى اجتهاد عمر لما ولی الخلافة وفتحت الفتوح وامتدت علی المسلمین أن یردها إلی ورتة رسول الله ، فكان علی والعباس بن عبد المطلب یتنازعان فیها، فكان علی یقول: إن رسول الله جعلها فی حیاته لفاطمة ، وكان العباس یأبى ذلك ویقول: هی ملك رسول الله وأنا وارثه ، فكانا یتخاصمان إلی عمر فیابى أن یحکم بینهما ویقول: أنما أعرف بشأنكما ، أما أنا فقد سلسنا إلیكما، وسنعود إلی استیفاء الکلام فی هذا الموضوع فی الجزء الثانى فی (خلافة عمر بن عبد العزیز) إن شاء الله.

(۵) یعنى العباس كما تقدم لك ، وسخت عنها: أی أغصت وساحت ، یعنى نفعه .

(۶) مظان جمع مظنة: وهى الموضع الذی یظن فیہ وجود الشيء، والجندت: القبر، والمدرة: قطع الطین الیابس ، وضغفه: زحمه وعصره وضیق علیه ، وأضغطها الحجر: أی جعلها ضاغطة للبت عاصرة له

آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها،
لأضفتها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفس أروصها^(۱)
بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وثبتت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل. وأبواب هذا القمح، ونسائج
هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي^(۲) إلى تخير الأطعمة،
ولعل بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا
وحولى بطون غرثي، وأكباد حرعي، أو أكون كما قال القائل:

وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبَيْتَ بِبَطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ^(۳)

أقع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر،
أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش^(۴)؟ فما خلقت ليشغاني أكل الطيبات.
كالبهيمة للربوطة، ههنا علفها، أو للرسل شغها تغمها^(۵)، تكترش من أعلافها،
وتلهو عما يراد بها، أو أنرك سدى وأهمل عابثًا، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف
طريق التناهة^(۶).

(۱) أروصها: أدلها، والمزلق: أي الموضع الذي يخشى فيه الزلزال وهو الصراط.
(۲) اشبع: شدة الحرص، والمبطان: الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل، وغرثي:
جائعة، مؤنث غرثان، وفعله كفرح، وحرى: عطشى، مؤنث حران وفعله كظل، وروى
«ولو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفي، ولباب هذا البر المنقى، فضربت هذا بذاك حتى ينضج
وقودا، ويستحكم معقودا» وروى «ولعل بالمدينة يتما تريا، يتصور سغيا، أبيت مبطانا وحولى
بطون غرثي. إذن يحضرنى يوم القيامة وهم من ذكر وأنتي» - والترب كفرح: الفقير، والتصور
التلوي من وحم الجوع، والسقب كسب وشمس: الجوع.

(۳) البطنة: الكفة بالكسر، وذلك أن يتلى، الإنسان من الطعام امتلاء شديدًا، والقذ بالكسر
الشيء المقدود: أي المقطوع، من قده قدا بافتح إذا قطعه، والقدة بالكسر: القطعة من الشيء. والمعنى
أنها تحن إلى كسرة من حبر أو فلذة من لحم . . . ، والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي.

(۴) الأسوة بالضم والكسر: القدوة، والجشوبة: المشوثة.
(۵) تغمها: أي تغمها القمامات. أي الكناسات والتقاطها، أو أكلها ما بين يديها بغمتها
والقمة (مكينة وفتح) لذوات الطلف كالنور: الشفة، وتكترش: أي تلاكرشها.
(۶) اعتسف: ركب الطريق على غير هدى، والتناهة: الأرض يتناه فيها.

وكانى بمائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب ، فقد تعد به الضعفُ
عن قتال الأقران ، ومنازلة الشجعان ، ألا وإن الشجرة البرية أصلبُ عوداً^(۱) ،
والروائع الخضره أرقُّ جلوداً ، والنباتات البدوية^(۲) أقوى وقوداً : وأبطأ خموداً ،
وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو^(۳) ، والذراع من العصد ، والله لو تظاهرت
العرب على قتالى آنا ولئتُ عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعتُ إليها ،
وسأبهدُ فى أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس^(۴) ، والجسم المركوس ،
حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد .

إليك عنى يا دنيا ، تحبلك على غاربك^(۵) ، قد أنسلتُ من محالبك ، وأفلتُ
من حباتك ، واجتنبتُ الذهب فى مداحضك ، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك ؟
أين الأمم الذين فتمنتهم بزخارفك ، هاهم رهائنُ القبور ، ومضامينُ اللحد ، والله
لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسياً ، لأقتُ عليك حدود الله فى عباد غررتهم
بالأمانى ، وأمم أقيمتهم فى المهاوى ، وملوك أسلمتهم إلى التلّف ، وأوردتهم موارد
البلاء ، إذ لاورد ولا صدر^(۶) ، هيهات ! من وطئ دحضك زلق ، ومن ركب
لججك غرق ، ومن ازور عن حباتك وفق ، والسلام منك لا يبالى إن ضاق به مناخه ،

(۱) الشجرة البرية التى تنبت فى الر الذى لا ماء فيه ، فهى أصلب عوداً من الشجرة التى تنبت فى الأرض
الندية ، والروائع الخضرة : أى الأشجار والأعشاب التى يروعك (أى يعجبك) حسنها .

(۲) ورواية ابن أبى الحديد « والنباتات العذبة » والعذبة بكسر فكون : الررع الذى لا يسق
إلا من ماء المطر لبعده من المياه ، وهو يأخذ من الماء أقل من البت مقياً .

(۳) إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو ، والاثنان صنوان ، والجمع
صوان يرفع النون ، ورواه ابن أبى الحديد « كالضوء من الضوء » وشرحه فقال : « وذلك لأن الضوء الأول
يكون علة فى الضوء الثانى . . . الح » وأفس فى ذلك وأطلب ، وتكاف فيه تكلفاً لا داعى إليه .

(۴) عنى به معاوية ، والمراد انعكاس عقيدته وأنها ليست عقيدة هدى ، بل هى معاكسة للحق
والصواب ، والمركوس من الركب : وهو رد الشئ مقلوباً ، وكتب أوله على آخره ، والمدرة : قطعة الخبز
اليابس ، وحب الحصيد : أى حب النبات المحصود ، والمعنى : حتى يتنهر الدين وأهله منه .

(۵) الغارب : الكاهل وما بين الصنام والعنق ، والجملة كناية من كنايات الطلاق : أى دهن
حيث شئت ، والمداحض : المزاق ، والمداعب جمع مدعبة ، من الدعابة بانضم وهى المزاح ، ومضامين
المحود : أى قد تضمنتهم اللحد وحوشهم . (۶) الورد : ورود الماء ، والصدر : الصدور عنه
بعد الشرب ، ومكان دحض : أى زلق لا تنبت فيه الأرجل ، وازور : مال وانحرف .

والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه ، اعزبى^(۱) عنى ، فوالله لا اذلك لك فتستذلينى ،
ولا أسلس لك فتقودينى ، وايم الله يمينا أسثنى فيها بمشيئة الله ، لأروضن نفسى
رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مادوماً ، ولأدعن
مقلتى كمين ماء نضب^(۲) مَعِينُهَا ، مستفرغة دموعها .

أتملى السائمة من رعيتها^(۳) فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ، وبأكل
على من زاده فيتهجع ؟ قررت إذن عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة^(۴) ،
والسائمة المرعية !

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ، وعَرَكَتْ بِجَنِبِهَا بؤسها^(۵) ، وهجرت في الليل
غضها ، حتى إذا غلب الكرى عليها ، افترشت أرضها ، وتوسدت كفها ، فى مَعَشِرِ
أشهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهممت^(۶) بذكر
ربهم شفاهم ، وتفتت بطول استغفارهم ذنوبهم أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله
هم المفلحون .

فاتق الله يا بن حنيف ، ولتكفك أقراصك ، ليكون من النار خلاصك .
(نهج البلاغة ۲ : ۵۰)

۳۲۶ - كتاب معاوية إلى الزبير بن العوام

وكان أول الأحداث فى خلافة الإمام على ، أن السيدة عائشة وطلحة والزبير ومن
تبعهم خرجوا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان رضى الله عنه .

(۱) عرب كدخل : بعد ، وسلس كحلب : لان وسهل قياده .
(۲) نضب الماء كدخل : غار . (۳) الرعى : الكلاء ، والربيضة : الغنم برعاتها المجتمعة
فى مراتبها ، وربضت الغنم (كجلس) كبركت الابل .
(۴) الهاملة : السارحة بغير راع . (۵) أى صبرت على بؤسها والمشقة التى تالها ، يقال عرك
الان بمشيئة الأذى : أى صبر عليه كأنه حكه حتى عفاه الغمض : النوم وكذا الكرى .
(۶) الهمة : الكلام الحق ، وترديد الصوت فى الصدر . تفتت : انكشفت وزالت كما يتقشع السحاب

وروی ابن ابی الحدید أن علیا علیه السلام لما بویع بالخلافة كتب إلى معاوية يأمره أن يبایع له^(۱)، فلما قدّم رسوله علی معاوية وقرأ كتابه، بعث رجلاً من بنی عُمَیس، وكتب معه كتاباً إلى الزُّبیر بن العوّام، وفيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، أما بعدُ فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا^(۲) كما يستوسقُ الحلب، فدوّنك الكوفةَ والبصرةَ لا يسبقك إليهما ابنُ أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصيرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرنا الطلبَ بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجلدُ والتشمير، أظفرَ كما الله، وخذلَ مناوئكما^(۳) . »

فسرّ الزبير بهذا الكتاب، وأعلم به طلحة، ولم يشكّ في النصيح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام .

(شرح ابن ابی الحدید ص ۱ : ص ۷۷)

(۱) سرد کتاب بعد . (۲) أي اجتمعوا ، الحلب : اللين المحلوب . وروی الطبری أن طلحة والزبير سألا علیاً أن یؤمرهما علی الكوفة والبصرة ، فقال : تکونان عندي فأجملا بکما فإني وحش لفرأکما (انظر ج ۵ : ص ۱۵۳) .

وروی ابن ابی الحدید أنهما طلبا من علی أن یؤایهما المصيرين البصرة والكوفة . فقال حتى أظفر ، ثم استشار الغيرة بن شعبة فقال له : أرى أن تولیها لی أن یتقیم لك أمر الناس ، خلا بابن عباس ، وقال : ما ترى ؟ قال : یا أمير المؤمنين إن الكوفة والبصرة عين الخلافة ، وبهما كوز الرجال ، ومكان طلحة والزبير من الإسلام ما قد علمت ، واست آمنهما إن ولیتهما أن یحدثنا أمراً ، فأخذ علی برأی ابن عباس (انظر ج ۱ : ص ۷۷) .

فلما یثنا منه استأذناه في العمرة ، فقال : لعلکما تریدان البصرة أو الشام ! فأقسما أنهما لا یقصدان غیرهما ، فأذن لهما ، فلحقا بمائشة (انظر مروج الذهب ج ۲ : ص ۶) .

وروی الطبری أيضاً أن سعید بن العاص أتى مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق - حين خرجوا إلى البصرة - فقال : أين تذهبون ؟ قالوا : ندر فلاناً فقتل قتلة عثمان جميعاً ، خلا سعید وطلحة والزبير . فقال : إن طفرتما لمن تجملان الأمر ؟ اصدفاني ، قالا : لأحدنا ، أينما اختاره الناس ، قال : بل اجعلوه لولد عثمان ، فإنکم خرجتم تطلبون بدمه ، قالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم !!! (انظر ج ۵ : ص ۱۶۸) .

وروی أنه لما تواقف الفريقان بالبصرة (أصحاب علی وأصحاب عائشة) خرج علی علی فريسه فدعا الزبير فتواقفا ، فقال علی له . ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولى به منا ، فقال علی لست له أهلاً بعد عثمان !!! (انظر ج ۵ : ص ۱۶۸) . (۳) المناوی : المعادي .

۳۲۷ - کتاب مروان بن الحکم إلى معاوية

وإلى يعلى بن منية

وروى ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار قال :

لما حصرَ عثمانُ أبردَ مروانُ بنَ الحکمِ بـخَبْرِهِ ^(۱) بريدَينَ : أحدهما إلى الشامِ ، والآخِرَ إلى اليمینِ - وبها يومئذِ يعلى بن منية .. ومع كل واحد منهما كتاب فيه :

« إن بنی أُمیَّةَ فی الناسِ كالشامة ^(۲) الحمراء ، وإن الناسِ قد قعدوا لهم برأسِ كلِّ محجَّةٍ ^(۳) ، وعلى كلِّ طریقٍ ، فجعلوهم مرمی العرِّ والعَضِیة ^(۴) ، ومَقْدِفَ القَشْبِ والأفیکة ^(۵) ، وقد علِمَ أنها لم ^(۶) تاتِ عثمانَ إلا کرَّها تُجَبِّدُ من ورائها ، وإنی خائفٌ - إن قُتِلَ - أن تكون من بنی أُمیة بـمَنَاطِ الثَّرِیِّا ^(۷) ، إن لم نصِرْ کرصیف ^(۸) الأساسِ المُحکَمِ ، ولئن وهی ^(۹) عمودُ البیتِ لَتَتَدَاعَینَ جُدْرانُهُ ، والذي عیبَ علیه إطعامُکم ^(۱۰) الشامَ والیمینَ ، ولا شکَّ أنکما تابعاہ ^(۱۱) إن لم تحذرا ، وأما أنا فمُساغِفٌ كلِّ مستشیرٍ ، ومُعینٌ كلِّ مُستصرِخٍ ^(۱۲) ، وُجیبٌ كلِّ داعٍ ،

(۱) البرید : الرسول ، ومنه قول بعض العرب : الحمی بريد الموت أى رسوله ، وقيل : البرید البغلة المرتبة والرماط ، ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المرافة التي تقطعها ، وقد أبرد إليه فهو مرد أى أرسل .

(۲) الشامة : علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

(۳) المحجَّة : الطريق الواضح .

(۴) العرِّ : وهو تصحيف ، والعَضِیة : البهينة ، وهي الإفك والبهتان ، عضه كعضه عضها وعضية : لضعه به وعبره وود كره بسوء ، والأفیکة : الكذب .

(۵) القَشْبُ : الإصابة بالسكره المستقدر ، والافتراء ، قسه بالقبيح كضرب : لضعه به وعبره وود كره بسوء ، والأفیکة : الكذب .

(۶) التَّجَبُّدُ : تجذب .

(۷) مَنَاطُ الشَّيْءِ : نوطا : علقه ، وهو منى مناط الريا أى بعيد .

(۸) رصيف : فعليل بمعنى مفعول . وهو من إضافة الصفة للموصوف . أى كالأساس المرصوف .

(۹) وهی : وهي : ضعف .

(۱۰) أى أنه ولا كما الشام واليمین وتركهما طعمة لكما .

(۱۱) أى سائران إلى مصيرة .

(۱۲) استصرخه : استغاثه .

أتوقع الفرصة فائِبٌ وثِبةَ الفَهْدِ أبْصَرَ غَفْلَةَ مُقْتَنِصِهِ ، ولولا مَخَافَةُ عَطَبِ البَرِيدِ
وضياعِ الكُتُبِ ، لشرحتُ لَكُمَا من الأمرِ ما لا تفرعانِ معه إلى أن يحدث الأمرُ ،
فجِدَا في طلبِ ما أتَمَّا وَلِيَّاهُ ، وعلى ذلك فليكن العملُ إن شاء اللهُ ، وكتب
في آخره :

وما بلغتُ عثمانَ حتى تخطمتُ رجالاً ودانتُ للصغارِ رجالاً^(۱)
لقد رجعتُ عوداً على بدءِ كونها وإن لم تجدَا فالصيرُ زوالُ
سيبدي مكنونِ الضمائرِ قولهم ويظهرُ منهم بعد ذلك فعالُ
فإن تقعدا لاتطلبيا ما ورتما فليس لنا طولَ الحياة مَقالُ
نعيشُ بدارِ الذلِّ في كلِّ بلدةٍ وتظهرُ منا كآبةٌ وهُزالُ^(۲)

۳۲۸ - كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية

فلما ورد الكتاب على معاوية أذن في الناس : الصلاةُ جامعةً ، ثم خطبهم خطبةً
المستنصرِ المستصرِخِ ، وفي أثناء ذلك وُردَ عليه قبل أن يكتبَ الجوابَ كتابُ مروان
بقتل عثمان ، وكانت نسخته :

« وهب اللهُ لك - أبا عبد الرحمن^(۳) - قوَّةَ العزمِ ، وصلاحَ النيةِ ، ومَنَّ عليك
بمعرفةِ الحقِّ واتباعه ، فإني كتبتُ إليك هذا الكتابَ بعد قتلِ عثمان أميرِ المؤمنين ،
وأى قِتلةٍ قُتِلَ؟ نُحِرَ كما يُنحَرُ البعيرُ الكبيرُ عند اليأسِ من أن يَفُوءَ^(۴) بالحملِ ،

(۱) خطمه بالحطام وخطمه به : جملة على أنه ، أوجر أنه ليضم عليه الحطام ، وخطمه بالكلام :
قهره ومنه حتى لا ينبس ولا يحجر (والحطام بالكسر : الزمام) .
(۲) الكآبة والكآبة : الغم وسوء الحال الانكسار من حزن .
(۳) كان معاوية يكنى أبا عبد الرحمن باسم ابنه عبد الرحمن الذي ولد له من زوجته فاخنة بنت قرظة
ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد مات عبد الرحمن صبياً .
(۴) ناه بالحمل : نهض مثقلاً ، ونقب الحف كفرح : رق وتخرق ، وشفحة كل شيء : حانبه ، والراحل
جمع مرحلة : هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم ، وطى الراحل : قطعها ، والهجير والهجرة : نصف
النهار عند زوال الشمس .

بعد أن نَقَبَتْ صَفْحَتَهُ بِطَيِّ الْمَرَاحِلِ ، وَسَيَّرِ الْمَهِجِرَ ، وَإِنِّي مُعَلِّمُكَ مِنْ خَبْرِهِ غَيْرَ مَقْصُرٍ
وَلَا مُطِيلٍ :

إن القوم استطالوا مُدَّتَهُ ، واستقلُّوا ناصِرَهُ ، واستضعفوه في بدنه ، وأملوا بقتله
بَسَطَ أَيْدِيَهُمْ فِيمَا كَانَ قَبْضَهُ عَنْهُمْ ، وَاغْصَوْصَبُوا^(۱) عَلَيْهِ ، فَظَلَّ مُحَاصِرًا قَدْ مُنِعَ مِنْ
صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِ الرَّعِيَةِ ، حَتَّى كَانَهُ هُوَ فَاعِلٌ لِمَا فَعَلُوهُ ،
فَلَمَّا دَامَ ذَلِكَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، وَخَوَّفَهُمُ اللَّهَ وَنَاشَدَهُمْ وَذَكَرَهُمْ مَوَاعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلَهُ فِيهِ^(۲) ، فَلَمْ يَجْحَدُوا وَافَصَلَهُ وَلَمْ يُنْكِرُوهُ ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِأَبَاطِيلِ اخْتَلَقُوهَا .
لِيَجْمَعُوا ذَلِكَ ذَرِيعةً إِلَى قَتْلِهِ ، فَأَظْهَرَهُمُ التَّوْبَةَ مِمَّا كَرِهُوا ، وَوَعَدَهُمُ الرَّجْعَةَ إِلَى
مَا أَحْبَبُوا ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ ، وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَانْتَهَكُوا حُرْمَتَهُ ، وَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَسَفَكُوا
دَمَهُ ، وَانْقَشَمُوا^(۳) عَنْهُ انْقِشَاعَ سَحَابَةٍ قَدْ أَفْرَغَتْ مَاءَهَا ، مُنْكَفِئِينَ قَبْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
انْكَفَاءَ الْجَرَادِ أَبْصَرَ الْمَرْعَى ، فَأَخْلَقَ بَيْنِي أُمِيَّةً أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِجَرَى

(۱) من اعصوصبت الإبل : أي اجتمعت .

(۲) وروى الطبري قال : « أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم ، فقال : أنشدكم بالله هل
علمتم أنني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها (ورومة بالضم: بئر بالمدينة) شعلت رشائي منها كرشاء رجل
من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ قال : أنشدكم الله
هل علمتم أنني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزادته في المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحداً
من الناس منع أن يصل في قبلي ؟ قال : أنشدكم الله هل سمعتم نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا ،
أشياء في شأنه . . . الخ » - ج ۵ : ص ۱۲۵ .

وروى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ۳ - ص ۳۸۰) قال : « أشرف عثمان من القصر وهو محصور
فقال : أنشد بالله ، من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حراء إذا اهتز الجبل فركله برجله ، ثم
قال : اسكن حراء ، ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وأنا معه ، فانتشد له رجال ، ثم قال : أنشد
بالله ، من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة الرضوان ، إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة ،
قال : هذه يدي وهذه يد عثمان ، فبايع لي ؟ فانتشد له رجال ، قال : أنشد الله ، من شهد رسول الله
قال : من يوسع هذا البيت في المسجد بيت له في الجنة ؟ فابتغته من مالي فوسعت به في المسجد ، فانتشد
له رجال ، ثم قال : وأنشد بالله ، من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟
فهمزت نصف الجيش من مالي ، فانتشد له رجال ، قال : وأنشد بالله ، من شهد رومة يباع ماؤها من ابن
السبيل ، فابتغتها من مالي فأبختها ابن السبيل ؟ فانتشد له رجال . »
(۳) أي تفرقوا .

العيوق^(۱) ، إن لم يثأره ثأراً ، فإن شئتَ أبا عبد الرحمن أن تكونه فكُنْه ،
والسلام .

فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس ، ثم خطبهم خطبةً أبكى منها العيون ،
وقلقل القلوب ، حتى علت الرنة^(۲) ، وارتفع الضجيجُ ، وهم النساء أن يتسأجن .
ثم كتب إلى طلحة بن عبيد الله ، والزيبر بن العوام ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله
ابن عامر ، والوليد بن عقبة ، ويعلى بن منية^(۳) .

۳۲۹ - كتاب معاوية إلى طلحة بن عبيد الله

فكان كتاب طلحة :

« أما بعدُ : فإنك أقل قريش في قريش وتراً^(۴) ، مع صباحة وجهك ، وسماحة
كفك^(۵) ، وفصاحة لسانك ، فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة^(۶) ، وخامس البشرين
بالجنة^(۷) ، ولك يوم أحد وشرفه وفضله^(۸) ، فسارع - رحمك الله - إلى ما تقلدك

- (۱) العيوق : نجم ينلو الثريا، وثأره كتم وثأره : طلب دمه وقتل فأنله .
(۲) الرنة : الصوت . (۳) منية : اسم أمه ، وإنما اسم أبيه أمية .
(۴) الوتر (كالدحل بالفتح) النار . قال صاحب المصباح : والوتر : الفرد . والوتر : الدحل
بالكسر فيهما لثيم ، وبفتح العدد وكسر الدحل لأهل المالية ، وبالعكس وهو فتح الدحل وكسر العدد
لأهل الحجاز ، والصباحة : الجمال . (۵) وقد قال عمرو بن العاص حين بلغه مقتل عثمان : من يلي
هذا الأمر من بعده ؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيياً أي عطاء (تاريخ الطبري ۵ : ۲۳۴) .
(۶) كان طلحة من السابقين الأولين إلى الإسلام ، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأخذه ودخل به على
رسول الله صلى الله عليه وسلم . (۷) قال صلى الله عليه وسلم : « عشرة في الجنة : أبو بكر في
الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزيبر في الجنة ، وعبد الرحمن
ابن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح
في الجنة » - انظر أسد الغابة ۳ : ۳۱۴ .
(۸) أبلى طلحة يوم أحد بلاه عظيماً ، ووفى رسول الله بنفسه ، وانق عنه الذيل بيده حتى شات
أصبه ، وضرب ضربة على رأسه ، وحمل رسول الله على ظهره حتى صعد الصخرة . وقال عليه الصلاة
والسلام : « أوجب طلحة » وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سمعت أذن رسول الله يقول :
« طلحة والزيبر جاراي في الجنة » - أسد الغابة ۳ : ۵۹ .

الرعية من أمرها ، مما لا يَسْعُكَ التَّخَافُ عَنْهُ ، وَلَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالتَّيْمَامِ بِهِ ، فَقَدْ أَحْكَمْتَ لَكَ الْأَمْرَ قَبْلِي ، وَالزَّبِيرُ فَغَيْرُ مُتَقَدِّمٍ عَلَيْكَ بِفَضْلِ ، وَأَبُوكَا قَدَّمَ صَاحِبَهُ فَالْقَدَّمَ الْإِمَامَ ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْقَدَّمَ لَهُ ، سَلَّكَ اللَّهُ بِكَ قَصْدًا^(۱) الْمُهْتَدِينَ ، وَوَهَبَ لَكَ رُشْدَ الْمَوْفِقِينَ ، وَالسَّلَامَ »

۳۳۰ - كتاب معاوية إلى الزبير بن العوام

وكتب إلى الزبير :

« أما بعد : فإنك الزبير بن العوام ، ابن أبي خديجة^(۲) ، وابن عمّة^(۳) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحواريّة^(۴) وسيفه^(۵) ، وصهر أبي بكر ، وفارس المسلمين ، وأنت الباذل في الله مُهْجَتَهُ بِمَسْكَةٍ عِنْدَ صَيِّحَةِ الشَّيْطَانِ ، بَعَثَكَ الْمُنْبِثُ ، فَخَرَجْتَ كَالثَّعْبَانِ الْمَسْلُوحِ بِالسَّيْفِ الْمُنْصَلِّ ، تَخْبِطُ خَبْطَ الْجَمَلِ الرَّدِيعِ^(۶) ، كُلَّ ذَلِكَ قُوَّةَ إِيمَانٍ وَصِدْقِ يَقِينٍ ، وَسَبَقَتْ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَشَارَةُ بِالْجَنَّةِ ، وَجَعَلَكَ عُمرُ أَحَدَ الْمَسْتَخْلَفِينَ^(۷) عَلَى الْأُمَّةِ .

واعلم يا أبا عبد الله أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لِغَيْبَةِ الرَّاعِي ، فَسَارِعْ

(۱) القصد : استقامة الطريق . (۲) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ، فالسيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول عليه الصلاة والسلام عمته .
(۳) أم الزبير هي صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله .
(۴) الخواري : الناصر ، أو ناصر الأنبياء . وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « إن لكل نبي حواريًا ، وحواري الزبير بن العوام » . (۵) سيفه : أي زوج أخت امرأته ، فقد تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر ، وتزوج رسول الله عائشة أختها .
(۶) كان الزبير أول من سئل سبأً في الله عز وجل . وسبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمسكة ، وقم الخبر أن النبي قد أخذه الكفار ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه ، والنبي بأعلى مكة فقال له : ما لك يا زبير قال : أخبرت أنك أخذت ، فصلى بملية النبي ودعاه ولسيفه - أسد الغابة ۲ : ۱۹۶ - والسيف المنصت : أي الصقيل الماضي ، والرديع : (بالعين والعين) الصريع يركب ظله .
(۷) لما طعن عمر أوصى أن تكون الخلافة شورى في ستة نفر توفى رسول الله وهو عنهم راض : وعم : عثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وتهدد الرحمن بن عوف .

- رحمتك الله - إلى حَمْنِ الدماء ، ولمَّ الشَّعْتُ^(۱) ، وجمع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، قبل تَفَاقُمِ الأمر ، وانتشار الأمة ، فقد أصبح الناس على شَفَا جُرْفٍ هَارٍ^(۲) ، عمَّا قليلٍ ينهارُ إن لم يُرَأَب ، فسمَّر لتأليف الأمة وابتغى إلى ربك سبيلا ، فقد أحكمتُ الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدَّم ، ثم لصاحبه من بعده ، جعلك الله من أئمة الهدى ، وبقاة الخير والتقوى ، والسلام .

۳۳۱ - كتاب معاوية إلى مروان

وكتب إلى مروان بن الحكم :

«أما بعد: فقد وصل إلي كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين ، ومار كيوه به ، ونالوه منه ، جهلاً بالله ، وجراءة عليه ، واستخدماً بما يحقه ، ولأمانى لواح الشيطان بها في شرك الباطل ، ليدهدهم^(۳) في أهويات الفتن ، ووهدات الضلال ، ولعمري لقد صدق عليهم إبليسُ ظنُّهُ ، ولقد اقتنصهم^(۴) بأنشوطه فخذهُ ، فعلى رسلك^(۵) أبا عبد الله تمشي الهويئتي ونكون أولاً ، وإذا قرأت كتابي هذا وكان كالأهد لا يضطاد إلا غيلة^(۶) ، ولا يتشازر إلا عن حيلة ، وكالثعلب لا يفلت إلا روغاناً ، وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف ، وامتنين^(۷) نفسك امتهان من يأس القوم من نصره وانتصاره ، وابحث عن أمورهم بحث الدُّجاجة عن حبِّ الدُّخن عند فقامها^(۸) ، وأنقل^(۹) الحجاز ، فإني مُنفل الشام ، والسلام .»

- (۱) الشعث : انتشار الأمر . (۲) شفا : أى حرف ، وهار الجرف هوراً كقال : انصدع ولم يسقط ، فهو هار - وهو مقلوب هائر - فإذا سقط فقد انهار ، ويرأب : يصلح .
(۳) دهمه الحجر فتدهمه : دخرجه فتخرج ، والأهوية : الهوة .
(۴) في الأصل « اقتنصهم » وهو تحريف ، وصوابه « اقتنصهم » بدليل ما بعده - واقتنص المرأة : اقتنصها - والأنشوطه : عقدة يسهل انحلالها . (۵) أى على مهلك وتؤدثك .
(۶) الغيلة : الاغتيال ، وتشازر القوم : نظر بعضهم إلى بعض شزراً ، والشزر : النظر : تؤخر العين ، وأكثر ما يكون النظر الشزر في حال الغضب . (۷) امتننه : احتقره وابتذله .
(۸) الذى في كتب اللغة « فقس » فقس الطائر بيضه فقاً : كسرهما وأخرج ما فيها .
(۹) أى أفسده عليهم ، نقل الأديم كفرح : فسد في الدباغ ، وأنقله : أفسده .

۳۳۳ - کتاب معاویة إلى سعید بن العاص

وكتب إلى سعید بن العاص :

« أما بعد : فإن كتاب مروان وردَ عليّ من ساعة وقعتِ النازلةُ ، تُقبِلُ به البردُ^(۱) بسيرِ المطيِّ الوجيفِ ، تتوجَّسُ^(۲) توجَّسَ الحيةَ الذِّكرَ خوفَ ضربةِ الفأسِ ، وقبضةِ الحاويِ ، ومروانُ الرائدُ^(۳) لا يكذبُ أهله ، فعلامَ الإفكاكِ^(۴) يا ابن العاص ولاتَ حينَ مناصٍ ؟ ذلكَ أنكم يا بني أمية عمّا قليلٍ تسانون أدنى العيش من أبعاد المسافة ، فيُنكِرُكم من كان منكم عارفاً ، ويصدُّ عنكم من كان لكم واصلاً ، متفرِّقين في الشَّعابِ^(۵) ، تتمنونَ مُطَاةَ^(۶) المعاشِ .

إن أمير المؤمنين عُبِّ عليه فيكم ، وقُتِلَ في سبيلكم ، فقيم القعودُ عن نصرته ، والطلبِ بدمه ! وأتم بنو أبيه وذوو رَحِمِهِ ، وأقربوه وطلابُ ثأره ، أصبحتُم مستهسكين بشظفِ^(۷) معاشِ زهيدٍ ، عمّا قليلٍ يُنزَعُ منكم عند التخاذلِ ، وضعفِ التَّوَيِّ ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فِدْبَ دَيْبِ البرءِ في الجسدِ النَّحيفِ ، وصرُ سِرِّ النجومِ تحت الغمامِ ، واحشُدْ حَشْدَ^(۸) الذرَّةِ في الصيفِ لِابحجارها في الصَّرْدِ ، فقد أيدتكم بأسدٍ وتيمِّ .

وكتب في الكتاب :

(۱) البرد جمع بريد ، ووجف الفرس والبعر وجيفاً : عدا .

(۲) توجَّسَ : تسمع إلى الصوت الحني ، ورجل حاو وحواء : يجمع الحيات .

(۳) الرائد : أصله المرسل في طلب الكلأ . (۴) أي الزاخي ، من أفكت الناقة إذا أقربت

فاسترحى صلواتها (والصلا : وسط الظهر أو ما على عين الذئب وشماله) والمناس : الفرار .

(۵) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل . وميل الماء في بطن أرض .

(۶) المطاة : ما يبقى في الفم من الطعام ، ويستعار لبقية الشيء القليل ، وفي الأصل « لظلة » وهو تحريف - واللظة بالضم : بياض في جفلة الفرس السفلى . (۷) الشظف : بيس العيش وشدته

(۸) أي اجمع جمع الذرة ، وفي الأصل « واحد حمد الذرة » وهو تصحيف ، والصرد بالفتح

وبالتحريك : البرد ، وقيل : شدته ، وانحجر : دخل في جحره .

تالله لا يذهبُ شَيْخِي بِاطِلَاً حَتَّى أُبِيرَ مَالِكًا وَكَاهِلًا^(۱)
القَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلَاخِيَلَا خَيْرَ مَقْدَرٍ حَسَبًا وَنَائِلًا

۳۳۳ - كتاب معاوية إلى عبد الله بن عامر

وكتب إلى عبد الله بن عامر :

« أما بعدُ : فإن المنبر مرَّ كذب ذلولٍ سهل الرِيَاضَةِ لا يَنَازِعُكَ اللَّجَامُ ، وَهِيَهَاتِ
ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ رُكُوبِ أَتْبَاجِ^(۲) الْمَهَالِكِ ، وَاقْتِحَامِ أَمْوَاجِ الْمَعَاطِبِ ، وَكَأَنِّي بِكُمْ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ
شَعَارِيرٍ كَالْأَوَارِقِ تَقُودُهَا الْحُدَاةُ^(۳) ، أَوْ كَرَّخِمِ الْخَنْدَمَةِ^(۴) تَذْرِفُ خَوْفَ الْعِقَابِ ،
فَتِيبُ الْآنَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - قَبْلَ أَنْ يَسْتَشْرِىَ^(۵) الْفَسَادُ ، وَنَدَبُ السَّوْطِ جَدِيدٍ ، وَالجُرْحُ
لَمَّا يَنْدَمِلُ ، وَمَنْ قَبْلَ اسْتِضْرَاءِ^(۶) الْأَسَدِ ، وَالتِّقَاءِ لِحَيِّهِ عَلَى نَرِيَسْتِهِ ، وَسَاوِرِ الْأَمْرِ
مَسَاوِرَةَ الذُّبِّ الْأَطْلَسِ كَسِيرَةِ الْقَطِيعِ ، وَنَازِلِ الرَّأْيِ ، وَأَنْصِبِ الشَّرْكَ ، وَأَرْمِ
عَنْ تَمَكُّنٍ ، وَضَعِ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(۷) ، وَاجْعَلْ أَكْبَرَ عُدَّتِكَ الْحَذَرَ ، وَأُخِذْ
سَلَاحِكَ التَّحْرِيفَ ، وَأَغْضِ عَنِ الْعَوْرَاءِ ، وَسَامِحِ الْأَجْوَاجَ ، وَاسْتَعِطِفِ الشَّارِدَ ،
وَلَا يَنْ الْأَشْوَسَ^(۸) . وَقُوْ عَزْمَ الْمُرِيدِ ، وَبَادِرِ الْعَقَبَةِ ، وَازْحَفْ زَحْفَ الْحَيَّةِ ، وَاسْبِقْ

- (۱) شَيْخِي ، يَعْنِي بِهِ عُثْمَانُ ، أَبَاهُ : أَهْلَكَ . وَالْحُلَاخِلُ : السِّيدُ الشَّجَاعُ الرَّكِيْنُ ، وَالنَّائِلُ : الْعِضَاءُ .
(۲) أَتْبَاجُ جَمْعُ تَبِجٍ بِالتَّحْرِيفِ : وَهُوَ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظُّهْرِ ، وَوَسَطُ الشَّيْءِ ، وَمَعْظَمُهُ .
(۳) يُقَالُ : ذَهَبُوا شَعَالِبًا وَشَعَارِيرَ أَي مَتَفَرِّقِينَ ، وَاحِدُهُ شَعْرُورٌ كَعَصْفُورٍ ، وَالْأَوَارِقُ جَمْعُ
أُورِقٍ ، وَجَمَلٌ أَوْرِقٌ : أَي لَوْنُهُ لَوْنُ الرَّمَادِ ، وَالْحُدَاةُ جَمْعُ الْحَادِي : وَهُوَ سَائِقُ الْإِبِلِ ، وَهَذِهِ الْعِمَارَةُ فِي الْأَصْلِ :
« وَكَأَنِّي بِكُمْ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ شَعَارِيرٍ كَالْأَوَارِقِ تَقُودُهَا الْحُدَاةُ » وَأَرَاهَا مَعْرُفَةٌ . وَالْأَوْرَاكُ جَمْعُ أَوْرَاكٍ : وَهُوَ
العَظِيمُ الْوَرَكِيْنُ . (۴) الْخَنْدَمَةُ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ ، وَذَرَفَتْ عَيْنُهُ : سَالَ دَمْعُهَا .
(۵) اسْتَشْرَى الْأَمْرُ : عَظُمَ وَتَفَاقَمَ ، وَالتَّرْبُ : جَمْعُ نَدْبَةٍ : وَهِيَ أَثَرُ الْجُرْحِ الْبَاقِي عَلَى الْجِلْدِ بَعْدَ
الْبُرْءِ ، وَفِي الْأَصْلِ « يَدِبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَانْدِمَالُ الْجُرْحِ : تَمَاطَلٌ .
(۶) أَي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِيرَ ضَارِبًا ، ضَرَبَ بِهِ كَرِيضِي ضِرَاوَةً : لَهَجٌ ، وَأَضْرَاهُ : أَغْرَاهُ ، وَسَاوَرَهُ :
وَاتَّهَى وَأَخَذَ بِرَأْسِهِ ، وَالتُّبُّ الْأَطْلَسُ : الَّذِي فِي لَوْنِهِ غَبْرَةٌ إِلَى السَّوَادِ .
(۷) الْهِنَاءُ : الْفَطْرَانُ ، وَالتُّبُّ بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ ، وَالتُّبُّ بَضْمٌ فَفَتْحٌ : الْفَطْعُ الْمَتَفَرِّقَةُ مِنَ الْجُرْبِ الْوَاحِدَةِ
تُتَبُّ كَعَرْفَةٍ ، وَفِي قَوْلِ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَةِ : « بَضْمُ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ التُّبِّ » .
(۸) الشَّوْسُ بِالتَّحْرِيفِ : النَّظَرُ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ تَكْبِيرًا أَوْ تَفْظِيلاً ، وَفَدَّ شَوْسٌ كَفَرَحٌ فَهُوَ أَشْوَسٌ .

أَنْ تُسَبِّقَ ، وَقَمِ قَبْلَ أَنْ يَقَامَ لَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ غَيْرُ مَتْرُوكٍ وَلَا مُتَهَمَلٍ ، فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ، وَالسَّلَامُ .»

وكتب في أسفل الكتاب أبياتاً :

عليك سلامُ الله قيسَ بنِ عاصمٍ
ورحمته ، ماشاء أن يترحمها^(۱)
تحية من أهدى السلام لأهله
إذا شطَّ داراً عن مزارك سلماً
فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ
ولكنه بنيان قومٍ تهدماً

۳۳۴ - كتاب معاوية إلى الوليد بن عقبة

وكتب إلى الوليد بن عقبة :

« يَا بَنَ عُقْبَةَ : كِنُ الْجَيْشِ ، وَطِيبُ الْعَيْشِ ، أَطِيبُ مِنْ سَفْعِ سُمُومِ^(۲) الْجَوْزَاءِ
عِنْدَ اعْتِدَالِ الشَّمْسِ فِي أَقْتَمِهَا ، إِنْ عُثْمَانُ أَخَاكَ^(۳) أَصْبَحَ بَعِيداً مِنْكَ ، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ
ظِلًّا تَسْكِنُ بِهِ ، إِنِّي أُرَاكَ عَلَى التَّرَابِ رَقُوداً ، وَكَيْفَ بِالرُّقَادِ بِكَ ؟ لَا رُقَادَ لَكَ !
فَلَوْ قَدْ اسْتَنْبَبَ هَذَا الْأَمْرَ لِمُرِيدِهِ أُلْفَيْتَ كَشْرِبِدِ النَّعَامِ بِفَزَعٍ مِنْ ظِلِّ الطَّائِرِ ، وَعَنْ
قَلِيلٍ تَشْرَبُ الرَّنَقَ^(۴) ، وَتَسْتَشْعِرُ الْخُوفَ ، أُرَاكَ فَسِيحَ الصَّدْرِ ، مُسْتَرْخِيَ اللَّبِّبِ^(۵) ،
رِخْوَ الْحِزَامِ ، قَلِيلَ الْاِكْتِرَاثِ ، وَعَنْ قَلِيلٍ يُجْتَثُّ أَصْلُكَ ، وَالسَّلَامُ » :

(۱) الأبيات لعبد بن الطبيب (وعبد بكون الباء) يرثي بها قيس بن عاصم، وشط كضرب ونصر: بعد، والمزار: موضع الزيارة، وفي رواية الأغاني:

تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلماً

(ج ۱۸ : ص ۱۶۳) وفي الشعر والشعراء ص ۲۸۰ : « تحية من ألبسته . . . » وفي ديوان

الحماسة ج ۱ : ص ۲۳۶ « تحية من غادرت غرض الردي . . . » والشحط بالسكون والتحرك :

البعد، وهي هنا بالسكون . (۲) السموم : الريح الحارة ، وسففته السموم : لفته لفتحاً يسيراً

فغيرت لون البشرة ، والجوزاء : من بروج السماء - ونجم يعترض في جوز السماء .

(۳) الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه . (۴) ماء رنق : أي كدر ، واستشعر الخوف جعله

شعاراً له . والشعار ككتاب : ما يلبس على شعر الجسد .

(۵) اللبب : ما يشد في صدر الدابة لينعم استنفاخ الرجل ، ويجث : يقتلم .

وكتب في آخر الكتاب :

اخترت نومك أن هبت شامية^(۱) عند الحجير وشربا بالعشيات^(۲)
على طلابك نارا من بني حاكم هيات من راقد طلاب ثارات

۳۳۵ - كتاب معاوية إلى يعلى بن أمية

وكتب إلى يعلى بن أمية :

« حاطك الله بكلاءته^(۳) ، وأيدك بتوفيقه ، كتبت إليك صبيحة ورد على^(۴)
كتاب مروان بنجر قتل أمير المؤمنين ، وشرح الحال فيه ، وإن أمير المؤمنين طال به
العمر حتى تمصت قواه ، وثقلت نهضته ، وظهرت الرعشة في أعضائه ، فلما رأى ذلك
أقوام لم يكونوا عنده موضعاً للإمامة والأمانة ، وتقليد الولاية ، وثبوا به وألبوا
عليه^(۵) : فكان أعظم ما نعموا عليه وعابوه به ، ولايتك اليمن ، وطول مدتك
عليها ، ثم ترامى بهم الأمر حالاً بعد حال ، حتى ذبحوه ذبح النطيحة^(۶) مبادراً بها
الموت ، وهو مع ذلك صائم ، معانق المصحف ، يتلو كتاب الله فيه ، عظمت مصيبة
الإسلام بصهر^(۷) الرسول ، والإمام المقتول على غير جرم ، سفكوا دمه ، واتهمكوا
حرمته ، وأنت تعلم أن بيعته في أعناقنا ، وطلب ثاره لازم لنا ، فلا خير في دنيا تعدل
بنا عن الحق ، ولا في إمرة نوردنا النار ، وإن الله جل ثناؤه لا يرضى بالتعذير^(۸)
في دينه ، فشمرد دخول العراق ، فأما الشام فتمد كفيتك أهلها ، وأحكمت أمرها ، وقد
كتبت إلى طلحة بن عبید الله أن ياتمك بمكة ، حتى يجتمع رأبكمما على إظهار الدعوة ،

(۱) شامية : أي ربيع شامية ، وشربا معطوف على نومك .

(۲) كلاءه كنهه كلاً وكلاءة وكلاء بكسرهما : حرسه .

(۳) التأليب : التعريض . (۴) النطيحة : التي ماتت من النطح .

(۵) تزوج سيدنا عثمان السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوج بعد موتها أختها

السيدة أم كلثوم . (۶) المعنر : المعسر الذي لا عنز له ولكن يتكاف عنزاً .

والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم ، وكتبت إلى عبد الله بن عامر ، يمهّد لكم العراق ، ويسهّل لكم حُرُوتَهُ عِقَابِهَا^(۱) ، واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصِدُوكِ بَادِيٌّ بَدءٌ ، لاستنزاف ما حَوَتْهُ يَدَاكَ من المال ، فاعلم ذلك واعمل على حَسَبِهِ إن شاء الله .

وكتب في أسفل الكتاب :

ظَلَّ الخليفةُ محصورًا يَنَاشِدُهُمُ بالله طَوْرًا ، وبالقرآن أحيانًا
وقد تَأَلَّفَ أقوامٌ على حَنَقِي عن غير جُرْمٍ ، وقالوا فيه بُهْتَانًا
فَقَامَ يُذَكِّرُهُم وَعَدَّ الرسول له وقوله فيه إِسْرَارًا وإِعْلَانًا
فقال : كُفُّوا ، فَإِنِّي مُعْتَبٌ لَكُمْ وصارِفٌ عنكم يُغْلَى وَمَرَوَانًا^(۲)
فكَذَّبُوا ذاك منه ، ثم سَاوَرَهُ مَن حَاضَ لِسَتِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا^(۳)

۳۳۶ - كتاب مروان إلى معاوية

فكتب إليه مروان جوابا عن كتابه :

« أما بعدُ : فقد وصل كتابك ، فینعم کتابُ زعيم العثيرة ، وحامي الدمار^(۴) وأخبرك أن النوم على سَنَنِ استقامةٍ إِلا شَطَايَا^(۵) شَعَبٌ ، شَدَنْتُ بينهم مِثْمُولِي على غير مجابَهَةٍ ، حَسَبَ ما تَقَدَّمَ من أمرِك ، وإِنما كان ذلك دَسِيسِ^(۶) العُصاة ، ورَمَى الجِذْرَ من أغصان الدَّوْحَةِ ، ولقد طويْتُ أديمهم^(۷) على نَفْلِ يَحْمِلُ منه الجلدُ ، كذَبَتْ

(۱) حُرُوتُهُ الأرض : غلظها وخشونها. والعقاب جمع عقبة بالتحريك : وهي المرق الصعب من الجبال
(۲) أعتبه : أرساه وسره بديما ساءه . (۳) اللبنة : النجر ، وساوره : واثبه وأخذ رأسه ، وحاض السيل : إذا سال - واستعمل هنا بمعنى أسال .

(۴) الدمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .
(۵) الشطايا جمع شطية : وهي كل فلفة من شيء ، والمقول : اللسان ، وشنه : صبه ، وأصله من شن الماء على الشراب إذا فرقه ، وجبهه كمنه : استقبله بما يكره .
(۶) الدسيس : إخفاء المكر ، وفي الأصل « رسيس » وهو تحريف « ورس الحمى ورسيسها : بدؤها وأول مسها ، وذلك إذا تغطى المحموم من أجلها وفرجته وتخره » .

(۷) الأديم : الجلد المدبوغ ، ونقل الأديم كفرح : فسد في الدباغ . وحلم الجلد كفرح : وقع فيه الحلم ، والحلم بالتحريك دود يقع في الجلد فيأكله ، وهو القراد ، واحدته حلمة ، وفي المثل : « كدابة وقد حلم الأديم » .

نفسُ الظانِّ بنا تَرَكَ اللَّظِيْمَةَ ، وَحُبُّ الْمُهْجُوْعِ إِلَّا تَهْوِيْمَةً^(۱) الرَّا كِبِ الْمَعْجِلِ ، حَتَّى
تُجَذُّ الْجَاجِمُ جَذَّ الْعَرَا جِيْنَ الْمَهْدَلَةِ حِيْنَ اِبْتِیَاعِهَا ، وَأَنَا - عَلٰی صِحَّةِ نِيَّتِي ، وَقُوَّةِ عَزِيْمَتِي ،
وَتَحْرِيكِ الرَّحِيْمِ لِي وَغَدَايَانِ الدَّمِ مِنِّي - غَيْرِ سَابِقِكَ بِقَوْلِ ، وَلَا مَتَقَدِّمَكَ بِفِعْلِ ، وَأَنْتِ
ابْنُ حَرْبِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ^(۲) ، وَآبِي الضَّمِيْمِ ، وَكِتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا كَحِرِّ بَاءِ السَّبَبِ
فِي الْمَجِيْرِ تَرْقُبُ عَيْنَ الْغَزَا لَةِ ، وَكَالسَّبْعِ الْمُفْلِتِ مِنَ الشَّرْكِ بِفَرَقٍ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ ،
مَنْتَظِرًا لِمَا تَصِيْحُ بِهِ عَزِيْمَتِكَ ، وَيَرِدُ بِهِ أَمْرُكَ ، فَيَكُوْنُ الْعَمَلُ بِهِ وَالْمَحْتَدَى عَلَيْهِ .
وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ :

أُبَقِّتِلْ عَثْمَانَ وَتَرَقًّا دَمَوْعُنَا وَتَرَقُّدُ هَذَا اللَّيْلِ لَا تَنْزَعُ؟^(۳)
وَنَشْرَبُ بَرْدَ الْمَاءِ رِيًّا ، وَقَدْ مَضَى عَلٰی ظَلَمًا ، يَتْلُو الْقُرْآنَ وَيَرُكِعُ؟
فَإِنِّي وَمَنْ حَجَّ الْمَلْبُوثُونَ بَيْتَهُ وَطَافُوا بِهِ سَعْيًا ، وَذُو الْعَرْشِ يَسْمَعُ
سَأْمَنَعَ نَفْسِي كُلَّ مَا فِيهِ لَذَّةٌ مِنْ الْعَيْشِ حَتَّى لَا يُرَى فِيهِ مَطْمَعٌ
وَأَقْتُلُ بِالْمَظْلُومِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا وَذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ مَا فِيهِ مَدْفَعٌ

۳۳۷ - كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ

وَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ لَنَا الْجَنَاحَ الْحَاضِنَةَ تَأْوِي إِلَيْهَا فِرَاحِيًا تَحْتَهَا ،
فَلَمَّا أَقْصَدَهُ^(۴) السَّهْمُ صِرْنَا كَالنَّعَامِ الشَّارِدِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ مُشْرِدًا الْفِكْرَ ، خَالَ الْفَهْمُ ،
أَلْتَمِسُ دَرِيَّةً اسْتَجِنُ بِهَا مِنْ خَطَا الْحَوَادِثِ ، حَتَّى دَفِعَ إِلَيَّ كِتَابُكَ فَانْتَبَهْتُ مِنْ

(۱) التهويم : هز الرأس من النعاس ، وتجد : تقطع ، والعراجين جمع عرجون كعصفور ،
وهو أصل العنق (بالكسر) الذي يعوج ويقطع منه الشاربخ فينبى على النخل بإسأ ، والرحم : القربة .
(۲) الثرات جمع ترة رمى النار ، والسبب الغزاة ، والغزاة : الشمس ، ويفرق : يخاف .
(۳) رفاً الدمع كجعل : جف وسكن .
(۴) أقصد السهم : أصاب قتل مكانه ، والدريئة والدريئة : كل ما استتر به الصيد ليختل ، واستجنت :
استتر ، والمهجة : الطريق بواضح

غفلة طال فيها رُقادي ، فأنا كواجد المحجة كان إلى جانبها حائراً ، وكأني أعايزُ ما وصفتَ من تصرف الأحوال ، والذي أخبرك به أن الناس في هذا الأمر : تسعة لك ، وواحد عليك ، ووالله للموت في طلب العزِّ أحسنُ من الحياة في الذلة ، وأنت ابن حرب قتي الحروب ، ونصار بنو عبد شمس ، والهَمُّ بك منوطة وأنت مُنهضها ، فإذا نهضتَ فليس حينَ قعود ، وأنا اليومَ على خلاف ما كانت عليه عزمي : من طلب العافية ، وحبَّ السلامة ، قبل قرعك سُويداء^(۱) القلبِ بسوطِ اللام ، ولنعم مؤدب العشيبة أنت ، وإنا لندرجوك بعد عثمان ، وهأنا متوقع ما يكون منك لِأُمَّتَيْهِ^(۲) وأعمل عليه إن شاء الله .

وكتب في أسفل الكتاب :

لاخيرَ في العيش في ذلٍّ ومنقصةٍ	والموتُ أحسنُ مضمَنٍ ومِن عارٍ
إنا بنو عبد شمس معشرٌ أنف	غرٌّ ججاججةٌ طلبُ أوتار ^(۳)
والله لو كان ذمياً مجاورنا	ليطلب العز ، لم تقعد عن الجار
فكيف عثمان لم يُدفنَ بمزبلة	على القمامة مطروحاً بها عارى ^(۱)
فازحف إلى فاني زاحفٌ لهم	بكل أبيض ماضي الحدِّ بتار

۳۳۸ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب إليه الوليد بن عقبة :

« أما بعدُ : فإنك أسدٌ قريش عَقلاً ، وأحسنهم فهماً ، وأصوبهم رأياً ، معك حُسنُ السياسة ، وأنت موضعُ الرِّياسة ، تُوردُ بمعرفة ، وتُصدرُ عن منهل روي ،

(۱) سويداء القلب وسوداؤه : حبه .

(۲) امثل طريقته : اتبعها فلم يعدها . (۳) ربما كان : « إنا بنو عبد شمس » منصوباً على الاختصاص ، ورجل أنوف : شديد الأنفة والجمع أنف ، غر : مشهورون . جمع أعر ، وججاججة جمع ججاج بالفتح وهو السيد . (۴) القمامة الكناسية .

مناويك^(۱) كالمنقلب من العيوق ، فهو ي به عاصف الشمال إلى تجة البحر .
 كتبت إلى تذكر كين الجيش ، ولين العيش ، فلات بطنى على حرام ،
 إلا منكة^(۲) الرمق ، حتى أفرى أوداج قتلة عثمان فرى الأهب بشبا الشفار ،
 وأما اللين فهيات ، إلا خفية المرتقب يرتقب غفلة الطالب ، إنا على مداجاة^(۳) ،
 وأنا نبد صفحاتنا بعد ، وليس دون الدم بالدم مزحل ، إن العار منقصة ، والضعف
 ذل ، أئحبط قتلة عثمان زهرة الحياة الدنيا ، ويستقون برود المصير ، وأنا يمتطوا^(۴)
 الخوف ، ويستحلوا الحذر بعد مسافة الطرد ، وامتطاء العقبة الكثود في الرحلة ؟
 لادعت لعقبة إن كان ذلك ، حتى أنصب لهم حربا نضع الحواميل لها أظفاها ،
 قد ألوت^(۵) بنا السافة ، ووردنا حياض المنايا ، وقد عقلت نفسى على الموت عقل
 البعير ، واحتسبت أنى ثاني عثمان أو أقتل قاتله ، فعجل على ما يكون من رأيك ،
 فإننا منوطون بك متبعون عقيبك ، ولم أحسب الحال تراخى بك إلى هذه الغاية
 لنا أخافه من إحكام القوم أمرهم .

وكتب في أسفل الكتاب :

نومي على محرم إن لم أقم بدم ابن أمي من بني العلات^(۶)
 قامت على (إذا قعدت ولم أقم بطلاب ذاك) مناحة الأموات
 عذبت حياض الموت عندي بعدما كانت كريهة مؤرد النهلات^(۷)

(۱) المناوي : المعادي ، وعاصف الشمال : أي ربيع الشمال العاصفة .

(۲) السكة : ما يملك الأبدان من الغذاء والشراب أو ما يتبلغ به منها ، وفرى كرمى : شق وقطع ، والأوداج جمع ودج كسب وهو عرق في العنق ، وهما ودجان ، والأهب جمع إهاب ككتاب وهو الجلد ، وشبا جمع شباة وهي حد كل شيء والشفار جمع شفرة بالفتح وهي السكين العظيم .

(۳) المداجاة : المداواة ، وأبدى له صفحته : حاهره بالعداوة ، ومزحل : معبد : من زحل كنعن .

(۴) امتطى الدابة : جعلها مطية ، وفي الأصل « ولا يمتطوا » وهو تحريف ، واستحل فلان

الخوف : إذا لم يفارقه الخوف ، وعقبة كثود وكأداء : صعبة .

(۵) ألوى بهم الدهر : أهلكهم ، والسافة جمع سائق : يمى من صار يسدهم زمام الأمر ؛ وفي

الأصل « السافة » وأراه محرفا ، وعقل البعير : شد وظيفه إلى ذراعه .

(۶) بنو العلات : بنو أمهات شتى من رجل واحد .

(۷) نهل كفرح نهلا بالتحريك : شرب الشرب الأول حتى روى .

۳۳۹ - کتاب یعلی بن أمیة إلى معاوية

وكتب إليه یعلی بن أمیة :

« إنا وأتم یابنی أمیة كالحجر ، لا یبني بغير مدر^(۱) ، وكالسيف لا یقطع إلا بضاربه ، وصل كتابك یخبر القوم وحالهم ، فان كانوا ذبحوه ذبح النطيحة بودر بها الموت ، كینحرن ذابحه نحر البدنة^(۲) وافی بها الهدى الأجل ، شكيتنی من أنا ابنها إن امت عن طلب وتر عثمان ، أو یقال لم یبق فيه رمق ، إني أرى العيش بعد قتل عثمان مرًا ، إن أدلج^(۳) القوم فإني مدلج ، وأما قصدهم ماحوته یدی من المال ، فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلینا قتلة عثمان ، وإن أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم ، وإن لنا ولهم معركة یتناحر فیها نحر الجزار النقايع^(۴) عن قليل نصل لحومها » .

وكتب فی أسفل الكتاب :

مثل هذا اليوم أوضی الناس لاتعط ضمًا أو یخز الرأس

فكل هؤلاء كتبوا إلى معاوية یحرضونه ویغرونه ویحركونه ، إلا سعید بن العاص ،

فإنه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء ، كان كتابه :

(۱) المدر : قطع الطير اليابس . (۲) البدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة وتحر بها . والهدى : ما يهدي إلى مكة ، وشكلته أوه كفرح : فقدته .
(۳) أدلج : سار من أول الليل . (۴) النقايع : جمع نقيمة كنفينة ، وهي كل جزور جزرت للصيد ، ومنه : « الناس نقائع الموت » أي یجزرثم : جزر الجزار النقيمة ، وصل اللحم كضرب صلولا وأصل : أنتن .

۳۴۰ - کتاب سعید بن العاص إلى معاوية

« أما بعدُ : فإن الحزم في التثبُت ، والخطأ في العَجَلَة ، والشُّوم في البِدَار ،
والسهمُ سَهْمُكَ ما لم يَنْبِضْ به الوترُ ، ولن يَرُدَّ الخالبُ في الضَّرْعِ اللَّبَنَ ، ذَكَرْتَ
حقَّ أمير المؤمنين علينا ، وقرابتنا منه ، وأنه قُتِلَ فينا ، فَنَخَصَلْتانِ ذِكْرُهُما نَقْصُ ،
والثالثة تكذُّبٌ^(۱) ، وأمرتنا بطلب دم عثمان ، فأى جهة نَسَلُكَ فيها أبا عبد الرحمن ؟
رُدِمَتِ الفِجَاجُ^(۲) ، وأحْكِمِ الأمرُ عليك ، وولي زِمامَهُ غيرك ، فدعْ مُناوَأَةَ مَنْ
لو كان اقترش فراشه صدر الأمر لم يُعَدَّلْ به غيره ، وقلت : كأننا عن قليل
لا نتعارف ، فهل نحن إلا حتى من قريش ، إن لم تَدَنَا الوِلايَةَ لم يَضِقْ عِنا الحَقُّ ؟
إنها خِلافةٌ مَنَافِيَةٌ^(۳) ، وبالله أقسم قَسَمًا مبروراً لئن صحَّتْ عِزْمَتُكَ على ما ورد به
كتابك لأَلْفِينِكَ بين الحالين طَلِيحاً^(۴) ، وهبني إخالكَ بعد خَوْضِ الدماء تنالُ
الظفر ، هل في ذلك عَوْضٌ من ركوب المأثم ، وَنَقْصُ الدين ؟ أمأ أنا فلا على بنى أمية
ولا لهم ، أجمعُ الحزم داري ، والبيت سِجْنِي ، وأتوسد الإسلام ، وأستشعر العافية ،
فاعذلُّ أبا عبد الرحمن زمامَ راحتك إلى مَحَجَّةِ الحَقِّ ، واستوهبِ العافية لأهلك ،
واستعطفِ الناس على قومك ، وهيهات من قبولك ما أقول حتى يفجر مروانُ يَنابيعَ
الفتن تاججُ في البلاد ، وكأني بكما عند ملاقاتة الأقران تعتذران بالتدَرِّ ، ولبئس
العاقبةُ الندامةُ ، وعمَّا قليل يَصِحُّ لك الأمرُ والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۵۷۹)

(۱) تكذب : تكلف الكذب . (۲) الفجاج : جمع فجع بالفتح وهو الطريق

الواسع ، وردم الباب والثلمة كضرب : صده ، والمناوأة : المعادة .

(۳) نسبة إلى عبد مناف جد معاوية وعلى ، فالأول هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن

عبد شمس بن عبد مناف ، والثاني هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يعنى

بذلك أن الخلافة إن صارت إلى على فهي لم تخرج عن قبيلتنا .

(۴) طليح كمنع طلحا وطلاحة : إذا أعيا وكل فهو طليح .

۳۴۱ - كتاب السيدة أم سلمة إلى السيدة عائشة

وكانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج عام مقتل عثمان ، فلما قضت حجها بلغها وهي عائدة ممثلة عثمان ، فارتدت إلى مكة ، وأزمنت أن تطلب بدمه ، وجاءت إلى السيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت أم سلمة بمكة في هذا العام - تفرّجها بالخروج معها للطلب بدم عثمان ، فأبت أن تُجيبها ، وأظهرت موالاته على عليه السلام ونصرتة .

وكتبت إلى السيدة عائشة إذ عزمّت على الخروج إلى البصرة :

« من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين :

سلام عليكِ فإني أحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك سُدّة^(۱)

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ، وحجابك مضروب على حرمة^(۲) ،

قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه^(۳) ، وسكن عقيرك^(۴) فلا تصحريها ، الله من

(۱) السدة : الباب ، والمعنى . أنت باب بين رسول الله وبين أمته ، فني أصيب ذلك الباب بشيء ، فقد دخل على رسول الله في حرمة وحوزته واستبج حماه ، فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك فتجوجي الناس إلى أن يفعلوا ذلك ، وهذا مثل قول النعمان بن مقرن للمسلمين في غزاة نهاوند . « ألا وإنكم باب بين المسلمين والمشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه » ، ويروى « إنك جنة » والجنة بالضم : الوفاة . (۲) الحرمة ما لا يحل انتهاكها .

(۳) أي فلا تفتحيه ولا توسعيه بالحركة والخروج إلى البصرة ، يقال : ندحت الشيء كفتح إذا

وسعته ، ومنه يقال : فلان في مندوحة عن كذا أي في سعة ، تريد قول الله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ »

وروى « فلا تبدحيه » بالباء من باب فتح أيضاً ، من البداح ككتاب وهو المتسم من الأرض وهو بمعنى

الأول . (۴) عقر الدار : أصلها (وأهل الحجاز يضمون العين ، وأهل نجد يفتحونها) وعقيرى

مفصوياً : اسم مبنى من عقر الدار ، على صيغة التصغير ، (ومثله مما جاء مصغراً : التريا ، والحما : وهي

سورة الشراب) قال ابن قتيبة : ولم أسمع بعقيرى إلا في هذا الحديث ، قال الزمخشري : كأنها تصغير المقري

على فعل بالفتح ، من عقر كفرح إذا بقي مكانه لا يتقدم ولا يتأخر فرعا أو أسفاً أو خجلاً ، وأصله من

عقرت به بفتح القاف إذا أطك حبه كأنك عقرت راحلته فبقي لا يقدر على البراح ، أرادت أم سلمة

بعقيرك نفس عائشة ، أي سكنى نفسك التي حقها أن تلزم مكانها ، ولا تصحريها : أي لا تبرزيها وتجعلها

بالصحراء ، يقال : أعره كما يقال : أنجد وأسهل وأحزن ، وفي العقد القريد : « قد جمع القرآن ذبولك

فلا تصحريها ، وسكن خفارتك فلا تبدليها » والخفارة بالفتح والخفر بالتحريك : شدة الحياء ، خفرت

المرأة كفرح فهي خفرة ، وابتذله : ضد صانه .

وراء هذه الأمة^(۱)، لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يَحْتَمِلْنَ الجهادَ عَهْدَ
إليك^(۲)، عَلَّتِ عَلْتًا بل قد نَهَاكَ عن الفُرْطَةِ^(۳) في البلاد، إن عمود الدين لا يُثَابُ^(۴)
بالنساء إن مال، ولا يُرَأَبُ^(۵) بهن إن صُدِعَ، حَمَادِيَاتُ^(۶) النساءِ غَضُّ الأَطْرَافِ
وَخَفْضُ الأصواتِ، وخَفَرُ الأعراضِ، وَضَمُّ الذبولِ، وَقِصْرُ الوَهَاذَةِ^(۷)، ما كنتِ
قَائِلَةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عَارَضَكَ ببعض الفلواتِ، نَاصَّةً^(۸) قَعُوداً من

(۱) أى عيظ بهم وحافظ لهم كقوله تعالى «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ»

(۲) وفي رواية ابن أبي الحديد عن ابن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث: «لو أورد
رسول الله أن يعهد إليك عهداً» قال في شرحه: الجواب محذوف أى لفعل ولعهد، كقوله تعالى:
«وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ» أى لكان هذا القرآن .

(۳) عال عولا: جار ومال عن الحق، قال تعالى «ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا» أى جرت في هذا
المخرج وعدلت عن الصواب، ومن الناس من يرويه: «علت علر» بكسر العين، أى ذهبت في البلاد
وأبعدت السير، يقال: عال فلان في البلاد عيلاً أى ذهب وأبعد ودار .

(۴) في رواية ابن أبي الحديد عن ابن قتيبة «نهاك عن الفرطة في بلاد» وفي تفسيره: «أى عن
الفر والشخوص، من الفرط (كالضرب) وهو السبق والتقدم» وفي رواية العقد «نهاك عن الفرطة
في الدين» وقال صاحب اللسان: الفرطة بالضم: اسم للخروج والتقدم، وأورد الروایتين المذكورتين ثم
قال: يعنى السبق والتقدم ومجاوزة الحد . (۵) أى لا يرد ولا يعاد بهن إلى استوائه إن مال، من
قولك ثاب فلان إلى كذا يثوب: أى رجع إليه وعاد، وفي ابن أبي الحديد «لا يثاب» مهبوزاً، وفي
العقد «لا يثبت» وفي الإمامة والسياسة «لا يثيب» وكل ذلك تحريف .

(۶) رأب الصدع كنم: أصلحه، والصدع: الشق، ويروى «إن صدع» بفتح الصاد والدال،
أجروه مجرى قولهم: جبرت العظم خبر . (۷) يقال: حاداك أن تفعل كذا أى مبلع جهدك وغايتك
مثل قصارك وزنا ومعنى، وجمع حادييات أى غاية ما يعمد منهن، الحفر: شدة الحياء كما قدمنا،
والأعراس جمع عرض بالكسر: وهو: النفس والجسد .

(۸) قال في اللسان «وقصر الوهابة» أى قصر الخطى، والوهابة: الخطو، وقد توهم يتوهم:
إذا وطى وطئاً ثقيلًا، وعلى هامته «الوهابة ضبطلت بفتح الواو في الأصل ومتن القاموس شكلاً، وضبطلت
في النهاية بكسرهما، وتقل الكسر شارح القاموس عن الصاغاني اه مصححه» وقال شارح القاموس:
وضبطله الصاغاني بالكسر وقال: وهو قول ابن الأعرابي . أقول: وقد جاءت هذه الكلمة في لسان
العرب أيضاً في مادة «حمد»: «وقالت أم سلمة حادييات النساء غص الطرف وقصر الوهابة» وضبطلت
كلمة قصر بفتح القاف رسكون الصاد . والوهادة الدال، وهو تحريف، وفي العقد «جهاد النساء غص
الأطراف، وضم الذبول، وقصر المادة» وفي الإمامة والسياسة «خيرات النساء» وكل ذلك تحريف
أيضاً . (۹) نص ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير، وانعود:

اليعبر الشاب، سمي بذلك لأن ظهره اقتعد أى ركب، وفي رواية ابن أبي الحديد «قلوصاً» والقلوس:
الناقة الشابة أيضاً .

مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ ، قَدْ وَجَّهَتْ سِدَّافَتَهُ (۱) ، وَتَرَكْتَ عَهْدَاهُ (۲) ، إِنَّ بَعِيْنَ اللَّهِ
مَهْوَاكَ (۳) ، وَعَلَى رَسُولِهِ تَرْدِيْنَ ، وَأَقْسِمُ لَوْ سِرْتُ مَسِيرَكَ هَذَا ثُمَّ قِيلَ لِي :
يَا أُمَّ سَلَمَةَ : أَدَخَلَ الْفِرْدَوْسَ ، لِأَسْتَحْيِيْتُ أَنْ أَلْقَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتِكَةً
حِجَابًا قَدْ ضَرَبَهُ عَلِيٌّ .

اجْعَلِي بَيْتَكَ حِصْنَكَ ، وَوَقَاعَةَ (۴) السِّتْرِ قَبْرَكَ ، حَتَّى تَلْقِيَهُ وَأَنْتِ عَلَى تِلْكَ ،
أَطْوَعُ مَا تَكُونِينَ لِلَّهِ إِذَا لَزِمْتِهِ ، وَأَنْصَرُ مَا تَكُونِينَ لِلدِّينِ مَا حَلَّتْ فِيهِ ، وَلَوْ
ذَكَرْتُكَ فَوَلًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِيفِيهِ ، لَهَيْشْتِ بِهِ نَهْشَ الرَّقْشَاءِ
الْمُطْرَقَةِ (۵) ، وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن أبي الحديد ۲ : ۷۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۲۷ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۴۵)

(۱) السدافة الحجاب والستر ، من أسدف الليل إذا أرخى ستوره وأظلم ، وأسدفت المرأه
الفتاح ، أي أرسلته ، وسدفته أيضاً وبروى بفتح السين ، وبروى سجافته بكسر الهمزة
وفتحها أيضاً ، والسدفة والسجافة بمعنى ، وتوجيهها : كشفها ، فعنى وجهت سدافته : أي هتكها وكشفتها
وأخذت وجهها ، وقيل معناه : أزلت السدافة عن مكانها الذي أمرت أن تزميه ، وقيل معناه : أخذت
وجهاً هتكته سرك فيه ، وذكر صاحب اللسان هذه المعاني في مادة « سجدف » و « سدف » و « وجه »
ونقل ابن أبي الحديد في شرحه : « ووجهت سدافته » أي نظمتها بالخرز ، والوجهية : خرزة معروفة ،
وعادة العرب أن تنظم على الحمل خرزات إذا كان للنساء .

(۲) العهيدى بالتشديد والقصرى فعيلى من العهد ، كالجهدى من الجهد ، والعجيلى من العجلة .
(۳) أي أن الله يرى سيرك وحركتك والهوى كفضى : الانحدار في السير من النجد إلى الغور ،
والإسراع في السير . (۴) الوقاعة بالكسر : موضع وقوع طرف الستر على الأرض إذا أرسل ،
وهى موقعه وموقعه ، وبروى بفتح الواو أي ساحة الستر ، وأنت على تلك الحال خذف ، والضمير في
« لزمته » راجع إلى « بيتك » وفي العقد الفريد « فاجعليه سترك ، وقاعة البيت حصنك ، فإنك أنصح
ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم » وفي الإمامة والسياسة : « اجعلي حجابك الذي ضرب عليك
حصنك ، فابنيه منزلاً لك حتى تلقيه ، فإن أطوع ماتك كونين إذا لزمته وأنصح ماتك كونين إذما قعدت فيه » .
(۵) وفي الإمامة والسياسة : « ولو ذكرتك كلاماً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهشتني نهش
الحية » وفي العقد الفريد « ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهشت نهش
الرقشاء المطرقة ، والمعنى : لعضك ونهشك ما أذكره لك وأذكرك به ، كما تنهشك أفعى رقشاء . والحية
الرقشاء : هى المنقطة بسواد وبياض : والأفعى توصف بالإطراق ، قال الشاعر :

فأطرق لإطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لناباه الشجاع لصما

(والشجاع : الحية) ، هذا وقد أوردنا ذلك الكتاب والذي يليه في عداد الرسائل ، وفاقا لما ورد
في العقد الفريد ، والإمامة والسياسة ، وإلحدى روايتي ابن أبي الحديد ، وفي الأخرى قال : وقد ذكر =

۳۴۲ - رد السيدة عائشة على السيدة أم سلمة

فاجابتها السيدة عائشة :

« من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة :

سلام عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فما أُقبلني
لوعظك ، وأعرَفني لحق نُصْحِك ، وما أنا بِعَمِيَّةٍ عن رأيك ، وليس مسيرى على
ما تظنين ، ولنعم المسيرُ مسيرٌ فزِعَتْ فيه إلى قِتانٍ متناجزتان^(۱) من المسلمين ،
فإن أقعد في غير حرج^(۲) ، وإن أمضِ فإلى ما لا بدَّ لي من الأزدِياد منه ،
والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۷۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۲۷ ، والإمامة السياسة ۱ : ۴۵)

۳۴۳ - كتاب السيدة أم سلمة إلى علي

وكتبت السيدة أم سلمة إلى علي عليه السلام من مكة :

« أما بعدُ : فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يُريدون أن يخرجوا
بعائشة إلى البصرة ، ومعهم ابن الحزبان^(۳) عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، ويذكرون

== هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث ، قال : لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة ، أتتها أم سلمة فقالت لها . . . « ومنه ترى أن ذلك الحديث كان مشافهة لامكانة ، وقدم جدت صاحب اللسان عند تفسير كل كلمة يوردها من هذا الحديث يقول : « وفي حديث أم سلمة أنها قالت لعائشة لا أرادت الخروج إلى البصرة . »

(۱) وفي رواية « متناجزتان ، وفي العقد والإمامة والسياسة : ولنعم المطامع مطامع فرقت فيه بين قتيبين متناجزتين من المسلمين . » (۲) أي في غير إثم .

(۳) هكذا في الأصل ، أقول : ولعل صوابه « ابن الجزار » أو « ابن الجزاز » من جز الصوف أو ابن الجزران أي الطحان من جرن الحب أي طحنه ، أو « ابن المزان » من خزن المسال وأكثره وقد ورد في ترجمة عبد الله بن عامر (في أسد الغابة ج ۳ : ص ۱۹۱) « أنه أول من لبس الخنز بالبصرة - وكان عثمان قد استعمله عليها بعد أبي موسى الأشعري - لبس جبة دكناه ، فقال الناس : ليس الأمير جلد دب ، فلبس جبة حمراء ، فلعل صواب الكلمة « ابن الجزاز » تسمى أم سلمة بذلك عن أنه امتلأت يده من بيت مال البصرة ، ففدا متزفا متعماً يرئدى الخنز ويرفل فيه (وليست تعنى أن أباه كان يبيع الخنز) .

أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وأنهم يطلبون بدمه ، والله كافيهم بحوله وقوته ، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج ، وأمرنا به من لزوم البيوت^(۱) ، لم أدع الخروج إليك ، والنصرة لك ، ولكني باعثة نحوك ابني ، عدل^(۲) نفسي ، عمر بن أبي سلمة ، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً .

فلما قدم عمر على علي عليه السلام ، أكرمه ولم يزل مقياً معه حتى شهد مشاهدته كلها ، ووجهه أميراً على البحرين .
(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۷۸)

۳۴۴ - كتاب الأشر إلى السيدة عائشة

وكتب الأشر من المدينة إلى السيدة عائشة ، وهي بمكة :
« أما بعدُ : فإنك ظمينة^(۳) رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أمرت أن تقرى في بيتك ، فإن فعلت فهو خير لك ، وإن أبيت إلا أن تأخذى منسأتك^(۴) ، وتلقى جلبابك ، وتبدي للناس شعيراتك ، قاتلتك حتى أردك إلى بيتك ، والموضع الذي يرضاه لك ربك » .
(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۸۰)

۳۴۵ - رد السيدة عائشة على الأشر

فكتبت إليه في الجواب :
« أما بعدُ : فإنك أول العرب شبَّ الفتنه ، ودعا إلى الفرقة ، وخالف الأئمة ، وسعى في قتل الخليفة ، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يُصيبك منه بنقمة ينتصر بها

(۱) تشير إلى قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ » .

(۲) العدل بالفتح والكسر والعديل : المثل والنظير .

(۳) يقال للمرأة ظمينة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، لأن زوجها يظعن بها ، والظمانية في الأصل وصف للمرأة في هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مظعونة .

(۴) النساء : العصا . لأن الدابة تنأ بها أي تزجر وتساق .

منك للخليفة المظلوم ، وقد جاءني كتابك ، وفهمت ما فيه ، وسيكفينيك الله ،
وكُلَّ من أصبح مما تلاك في ضلالك ، وغَتَّيك إن شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۸۰)

۳۴۶ - كتاب طلحة والزبير إلى كعب بن سور

وإنا أجمعت عائشة وطلحة والزبير وأشياعهم على المسير إلى البصرة ، قال الزبير
لعبد الله بن عامر - وكان عاملَ عثمان على البصرة ، وهرب عنها حين مَصير عثمان
ابن حنيفة عاملِ عليٍّ إليها - : من رجالُ البصرة ؟ قال : ثلاثة ، كلُّهم سيِّد مطاع : كعب
ابن سور في اليمن ، والمنذر بن ربيعة في ربيعة ، والأحنف بن قيس في البصرة .
فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور .

« أما بعدُ ، فإنك قاضي عمر بن الخطاب ، وشيخُ أهل البصرة ، وسيِّد أهل اليمن ،
وقد كنتَ غضبتَ لعثمان من الأذى ، فاغضبْ له من القتل ، والسلام » .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۷)

۳۴۷ - كتابهما إلى الأحنف بن قيس

وكتبا إلى الأحنف بن قيس :

« أما بعدُ ، فإنك وافِدُ عمر^(۱) ، وسيِّد مَضَرَ ، وحَلِيم أهل العراق ، وقد بلغك
مُصابُ عثمان ، ونحن قادمون عليك ، والعيان^(۲) أشقى لك من الخبر ، والسلام » .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۸)

(۱) كان الأحنف وفد في أهل البصرة وأهل الكوفة على عمر رضي الله عنه وخطب بين يديه، وقد
أوردنا خطبته في جبهة خطب العرب ج ۱ : ص ۱۱۲ : (۲) العيان : العاينة والمشاهدة .

۳۴۸ - کتابهما إلى المنذر بن ربيعة

وکتبا إلى المنذر :

« أما بعدُ : فإن أباك كان رئيساً في الجاهلية ، وسيّدا في الإسلام ، وإنك من أبيك بمنزلة المصلّي^(۱) من السابق ، يقال كاد أو لحق^(۲) ، وقد قتل عثمان من أنت خير منه ، وغضب له من هو خير منك ، والسلام . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۸)

۳۴۹ - رد كعب بن سور على طلحة والزبير

فكتب كعب بن سور إلى طلحة والزبير :

« أما بعد : فإننا غضبنا لعثمان من الأذى والغير^(۳) باللسان ، فجاء أمرُ الغير فيه بالسيف ، فإن يكن عثمان قتلَ ظالماً فما لكما وله ؟ وإن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى به ، وإن كان أمره أشكل على من يشهده ، فهو على من غاب عنه أشكل . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۸)

۳۵۰ - رد الأحنف عليهما

وكتب الأحنف إليهما :

« أما بعدُ : فإنه لم يأتنا من قبلكم أمرٌ لا نشكُّ فيه إلا قتلُ عثمان ، وأتم قادمون علينا ، فإن يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم ، وإلا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا أيديكم ثقة ، والسلام . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۸)

(۱) المصلّي . التالي السابق .

(۲) هذه العبارة رواها صاحب العقد في كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان كما سئرى

(۳) غير الدهر : أحداثه .

۳۵۱ - رد المنذر عليهما

وكتب المنذر إليهما :

« أما بعد : فإنه لم يُلحِقني بأهل الخير إلا أن أكون خيراً من أهل الشر ، وإنما أوجب حقَّ عثمان اليومَ حقهَ أمس ، وقد كان بين أظهرِكُم نخذلتُموه ، فمتى استنبطتم هذا العلم ، وبدا لكم هذا الرأي ؟ » .

فلما قرأ اكتب القوم ساءها ذلك وغضباً . (الإمامة والسياسة ۱ : ۴۸)

۳۵۲ - كتاب السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان

وكتبت السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي^(۱) إذ قدِمَت البصرة :

« من عائشة أبنّةِ أبي بكر أم المؤمنين حَبِيبَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها

انخالص زيد بن صوحان :

سلام عليك ، أما بعدُ : فإن أباك كان رَأْسًا في الجاهلية ، وسَيِّداً في الإسلام ، وإنك من أبيك بمنزلة المصلّي من السابق ، يقال : كاد أو لَحِق ، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مُصاب عثمان بن عفان ، ونحن قادمون عليك ، والعيانُ أشْفَى لك من الخير .

فإذا أتاك كتابي هذا ، فاقدمْ فانصُرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فمَبْطُ^(۲) الناس عن علي بن أبي طالب ، وكن مكانك حتى يأتيك أمري ، والسلام .

(۱) هو من أشرف الكوفة .

(۲) ورواية الطبري : « انخل » والمعنى واحد .

وفي رواية ابن أبي الحديد :

« أما بعدُ : فأقيم في بيتك ، وخذل الناس عن عليّ ، وليبذلني عنك ما أحب ، فإنك أوثقُ أهلي عندي والسلام . »

(العقد الفريد ۲ : ۲۲۷ ، تاريخ الطبري ۵ : ۱۸۳ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۸۱)

۳۵۳ - رزید بن صوحان علی السیدة عائشة

فكتب إليها زيد :

« من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين :

سلام عليك : أما بعدُ : فإن الله أمرك بأمرٍ وأمرنا بأمرٍ : أمرك أن تقرمي في بيتك ، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنَةً^(۱) ، فركت ما أمرت به ، وكتبت تنهيننا عما أمرنا به^(۲) ، فأمرك عندي غير مطاع ، وكتابك غير مجاب ، والسلام . »

وفي رواية الطبري :

فكتب إليها :

من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أما بعدُ : فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ، ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول من نأبدك^(۳) :

(العقد الفريد ۲ : ۲۲۷ ، تاريخ الطبري ۵ : ۱۸۴ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۸۱)

(۱) يشير إلى قوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ »

(۲) وروى ابن أبي الحديد : « وقد أتاني كتابك ، فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله ، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به وصنعت ما أمرني الله به . »

(۳) وروى الطبري بعد ذلك : « قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ، أمرت أن نزم بيتها ، وأمرنا أن نقاتل ، فركت ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه . »

۳۵۴ - كتاب الصلح بين أصحاب الجمل وبين عثمان بن حنيف

وخطب طلحة والزبير والسيدة عائشة أهل البصرة ، وحثوهم على موازرتهم في الطلب بدم الخليفة المظلوم ، حتى استمالوا فريقاً منهم ، ونسب القتال بين أصحاب عائشة وبين أصحاب ابن حنيف ، وفشت الجراحات في الفريقين ، حتى إذا مس الشر أصحاب ابن حنيف وعرضهم ، نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح ، فأجابوهم ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة ، وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كان طلحة والزبير أكرها على بيعة علي ، خرج ابن حنيف عنهما ، وأخلى لهما البصرة ، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير ، ونص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين : أن عثمان يُقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وأن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة ، ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد . ولا سوق ، ولا طريق ، ولا فُرْضة^(۱) ، بينهم عيبة^(۲) منقوحة ، حتى يرجع كعب بالخبر ، فإن رجع بأن القوم أكرهاوا طلحة والزبير ، فالأمر أمرهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته^(۳) ، وإن شاء دخل معهما ، وإن رجع بأنهما لم يُكرها فالأمر أمر عثمان ، فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي ، وإن شاء خرجا حتى يلحقا بطيئتهما ، والمؤمنون أعوان الفالج^(۴) منها . »

(۱) الفضة : من النهر تامة يستق منها ، ومن البحر : حط السفن .

(۲) هكذا في الأصل ، والتعبير الوارد عن العرب في هذا الصدد « عيبة مكفوفة » انظر تفسيرها في ص ۳۱ .

(۳) يقال : مضى لطئته أي لوجه الذي يريد ولئته التي اتواها .

(۴) أي الظافر الفاجر .

نخرج كعب حتى قدم المدينة ، واجتمع الناس لقدمه ، فقام فقال : « يا أهل المدينة
إني رسول أهل البصرة إليكم : أأكره هؤلاء القوم هذين الرجاءين علي بيعة علي ،
أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحد من القوم ، إلا ما كان من أسامة بن زيد ، فإنه قام
فقال : اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان . » (تاريخ الطبري ۵ : ۱۷۷)

۳۵۵ - كتاب علي إلى عثمان بن حنيف

وبلغ علياً الخبر ، فبادر بالكتاب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول :

« والله ما أكرها إلا كرهاً على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل^(۱) ،
فإن كانا يريدان الخلع ، فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا » :

فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف ، وقدم كعب ، فأرسلوا إلى عثمان أن أخرج
عنا ، فاحتج بالكتاب ، وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، فجمع طلحة والزبير
الرجال ، ثم قصدا المسجد وقت صلاة العشاء ، وأبطأ ابن حنيف ، فقدم عبد الرحمن
ابن عتاب ، فشهر الزط^(۲) والسباجة^(۳) السلاح ، ووضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم
فأقتلوا في المسجد .

ثم أخذ أصحاب عائشة ابن حنيف فضربوه أربعين سوطاً ، وفتقوا شعر لحيته ،
ورأسه وحاجبيه ، وأشعار عينيه وحبسوه . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۷۸)

(۱) روى أن الناس نا بايعوا علياً تشاوروا فيما بينهم ، وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت
فبعثوا إليهما وجاءوا بهما يحدونهما بالسيف للبيعة ، فتلصقا طلحة فقال له مالك الأشتر - وسل سيفه -
والله لتبايعن أو لأضربن به ما بين عينيك ، فقال طلحة : وأين المهرب عنه ؟ فبايعه وبايع الزبير والناس ،
وروى أن علياً قال لهما : إن أحببنا أن تبايعا لي ، وإن أحببنا بايعتكما ، فقالا : بل نبايعك ، وقال بعد ذلك :
إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا ، وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۵۳)

(۲) الزط : قوم سود من أهل السند والهند ، وكذا السباجة : قوم ذوو جلد من السند والهند
يكونون مع رئيس السفينة البحرية يخفرونها ، وكانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن .

۳۵۶ - کتاب طلحة والزبير إلى أهل الأوصار

وأصبح طلحة والزبير وبيت المال في أيديهما ، والناسُ معهما ، وبعثت عائشة : لا تحديسا عثمان بن حنيف ودعاها ففعلا فخرج عثمان فمضى لطيبته ، وثار حكيم بن جبلة فيمن تبعه لنصرة ابن حنيف ، وهو يقول : لست بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة ، وقالت عائشة : لا تقاتلوا إلا من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان فليكف عنا ، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ، ولا نبداُ أحداً ، فأنشَبَ حكيم القتال ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً ، وكان النصر لأصحاب عائشة .

ثم كتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه .

« إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع ، والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم . وخالفنا شيرارهم ونزاعهم^(۱) ، فردونا بال سلاح ، وقالوا فيما قالوا : نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحشتم عليه ، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين ، فخرجوا إلى مضاجعهم ، فلم يفلت منهم مخبر^(۲) إلا حرقوص بن زهير ، والله سبحانه مقيد^(۳) إن شاء الله ، وكانوا كما وصف الله عز وجل^(۴) .

وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا أنهضتم بمثل ما نهضنا به فنلتى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا ، وقضينا الذي علينا .

وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله ، وكذا إلى أهل اليمامة وأهل المدينة .

(تاريخ الطبرى ۵ : ۱۸۱)

(۱) نزاع القبائل : غرباؤهم الذين يجاورون قبائل لبسوا منهم . الواحد نزيح ونازع .

(۲) أى إنسان يخبر بخبرهم . (۳) أناد القاتل بالقتيل : قتله به .

(۴) قال تعالى « قَطِّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

۳۵۷ - کتاب السیدة عائشة إلى أهل الكوفة

وکتبت السیدة عائشة رضی الله عنها إلى أهل الكوفة :

« أما بعدُ : فإنی أذکرکم الله عز وجل والإسلام ، أقیموا کتاب الله بإقامة ما فيه ، اتقوا الله واعتصموا بحبله وكونوا مع کتابه ، فإننا قد منّا البصرة فدعوناهم إلى إقامة کتاب الله بإقامة حدوده ، فأجابنا الصالحون إلى ذلك واستقبلنا من لا خیر فيه بالسلاح . وقالوا : لنتبعنکم عثمان ، لیزیدوا^(۱) الحدودَ تعظيلاً ، فعاندوا فشهدوا عايناً بالكفر ، وقالوا لنا المنکر ، فقرأنا عليهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ » فأذعن لي بعضهم ، واختلّفوا بينهم فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي ، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني ، حتى منعتني الله عز وجل بالصالحين ، فردّ كيدهم في محورهم ، فمكثنا سِتّاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى کتاب الله ، وإقامة حدوده ، وهو حَقُّ الدماء أن تُهْرَاقَ^(۲) دون من قد حلّ دمه ، فأبوا واحتجّوا بأشياء فاصطاحنا عليها ، فخانوا وغدّروا ، وحافوا وحشروا ، فجمع الله عز وجل لعثمان رضی الله عنه ثأره ، فأفادهم فلم يُفِلت منهم إلا رجل ، وأردنا^(۳) الله ، ومنعنا منهم بعمير بن مرثد ، ومرثد بن قيس ، ونفر من قيس ، ونفر من الرباب والأزد ، فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ، ولا تمنّاهم عن الخائنين ، ولا تمنعهم ، ولا ترضوا بذوي حدود الله فتكونوا من الظالمين . »

(۱) في الأصل « ليرتدوا » وهو تصحيف .

(۲) هراق الماء بهريقه بفتح الهاء هراقة بالكسر ، وأصله أراق .

(۳) أردناه : أعاناه ، والردء بالكسر : العون .

وكتبت إلى رجال بأسمائهم : أما بعد : فثبّطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم ، واجلسوا في بيوتكم ، فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفرّقوا بين جماعة الأمة ، وحالفوا الكتاب والسنة ، حتى شهدوا علينا - فيما أمرناهم به ، وحثّناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده - بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فأنكر ذلك الصالحون ، وعظّموا ما قالوا ، وقالوا ما رضىتم أن نقتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم أن أمرتكم بالحق لتقتلوهما ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأئمة المسلمين ، فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسبائجتهم ، فلذنا منهم بطائفة من الفسطاط^(۱) ، فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً ندعوهم إلى الحق ، وألا يحولوا بيننا وبين الحق ، فغدروا وخانوا فلم نقابستهم^(۲) ، واحتجّوا ببيعة طلحة والزبير فأبردوا بريداً فجاءهم بالحجّة ، فلم يعرفوا الحق ، ولم يصبروا عليه ، فعادوني في الغلس^(۳) ليقتلوني ، والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سُدّة^(۴) بيتي ، ومعهم هادٍ يهديهم إلى ، فوجدوا نفرًا على باب بيتي ، منهم عمير بن مرثد ، ومرثد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مرثد ، ونفر من قيس ، ونفر من الرباب والأزد ، فدارت عليهم الرّحى ، فأطاف^(۵) بهم المسلمون ، فقتلهم ، وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة ، فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر ، وكانت الواقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ۳۶ هـ .

وكتب عبيد بن كعب في جمادى . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۸۱)

(۱) الفسطاط : مجتمع أهل الكورة . (۲) قاس الشيء قدره على مثاله ، والمقايضة : مفاعلة من القياس ، والمعنى لم نحاكمهم ولم ننسج على منوالهم في ذلك .
(۳) الغلس : طلعة آخر الليل . وغاداه : باكره .
(۴) السدّة كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه . (۵) أحاط .

۳۵۸ - کتاب علی إلى أهل الكوفة

أما علیؑ فإنه حين نَمَى إليه أن عائشة وأشياعها قد توجَّهوا نحو العراق ، خرج في أثرهم وهو يرجو أن يُدركهم ويردِّهم ، فلما انتهى إلى الرَبْذَة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا يريدون البصرة ، فأقام بالرَبْذَة أياماً ، وكتب إلى أهل الكوفة :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ فإني قد اخترتكم ، وآثرتُ النزول بين أظهركم لِمَا أعرفُ من مودَّتكم وحبِّكم لله عزَّ وجل ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقَّ ، وقضى الذي عليه . »
(تاريخ الطبری ۵ : ۱۸۴ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۲۹۴)

* * *

وفي رواية أخرى رواها الطبري أيضاً أنه لما قدِمَ الرَبْذَة أقام بها وسرَّح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، وكتب إليهم :
« إني اخترتكم على الأمصار ، وفزيتُ إليكم لِمَا حَدَّثت ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيدُّونا وانهبُّوا إلينا ، فالإصلاح ما نُريد ، لِنَعُودِ الأمة إخواناً ، ومن أحبَّ ذلك وآثره ، فقد أحبَّ الحقَّ وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغضَ الحقَّ ونَحِصَه^(۱) . »
(تاريخ الطبری ۵ : ۱۸۵)

۳۵۹ - کتاب علی إلى أهل الكوفة

وروي أنه لما نزل الرَبْذَة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة الحمدَّين : محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، وكتب إليهم :

(۱) نَحِصَه كضرب وسم و فرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه كما غنمته .

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، جبهة الأنصار^(۱) ،
وسنّام العرب^(۲) .

أما بعد ، فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمّهُ كعِيَانِه : إن الناس طعنوا
عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثِرُ استِعتَابَه^(۳) وأقلُّ عِتَابَه ، وكان طلحة
والزبير أهونُ سِيرِهَما فيه الوجيف^(۴) ، وأزفَقُ حُدَاثِهَما العنيفُ ، وكان من عائشة فيه
فَاتَةٌ غَضَبٌ^(۵) ، فأتَيْح^(۶) له قوم فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مُجْبَرِينَ ،
بل طائعين مُخَيَّرِينَ .

(۱) الأنصار هـ : الأعوان ، وليس المراد بهم بني قبيلة (وقبيلة بالفتح : أم الأوس والخزرج)
وجبهة القوم : سيدهم ، على المثل ، لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، فالعني « سادة الأنصار وأنصارهم »
والجبهة أيضاً : الجماعة من الناس ، والعني « جماعة الأنصار » والأول أرجح يؤيده ما بعده .

(۲) أي أهل الرفعة منهم ، لأن السام أعلى أعضاء البعير .

(۳) استعته : طلب إليه العتي (بالضم وهي الرضا) . (۴) وجف الفرس والبعير وجيفا :
عدا . والجملة خبر كان ، ومناها هي وما بعدها أنهما يلتقا في الشدة عليه أقصى حد ، والحداء : سوق الإبل
(۵) جاء في شرح ابن أبي الحديد م ۳ . ص ۷۷ : « قال كل من صنف في السير والأخبار :
إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان ، حتى لأنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله ،
فنصبت في منزلها ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل ، وعثمان
قد أبلى سنته ، قالوا : وأول من سمى عثمان نعتلا عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعتلا ، قتل الله نعتلا » اهـ
— وقد تقدم لك تفسيره في ص ۳۲۷ — وجاء في لسان العرب أيضاً : « وفي حديث عائشة : اقتلوا نعتلا ،
قتل الله نعتلا ، تعني عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبت وذهبت إلى مكة » اهـ .

وذلك أنه لما اشتد الحصار على عثمان جاءت إليه أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فضرب الثوار وجه بفلتها ، فقالت : إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل ، فأحيت أن ألفاه فأسأله عن
ذلك ، كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل ، قالوا : كاذبة وأهووا لها وقطعوا جبل البغلة بالسيف ، فذبت
بأم حبيبة ، فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها ، وتجهزت
عائشة خارجة إلى الحج هاربة . وجاءها مروان بن الحكم فقال : يا أم المؤمنين ، لو أقت كان أجدر أن
يراقبوا هذا الرجل ، فقالت : أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لأجد من يعنى ؟ لا والله .

فلما قضت حجها لقيها وهي عائدة عبد بن أم كلاب فأنبأها بقتل عثمان وخلافة علي ، فقالت : ردوني
ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قتل والله عثمان مظلوما والله لأطابن بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب :
ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعتلا فقد كفر ، قالت : لأنهم استنابوه
ثم قتلوه وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب أيبانا منها :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام م وقلت لنا إنه قد كفر

انظر تاريخ الطبري ج ۵ ص ۱۲۷ ، و ص ۱۷۳ (۶) أي قدر له .

واعلموا أن دار الهجرة^(۱) قد قلعت بأهلها وقلعوا بها ، وجاشت^(۲) جيشَ المرّجل ، وقامت الفتنة على القطب ، فأسرّعوا إلى أميركم ، وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله ، فحسبي بكم إخوانا ، وللدّين أنصاراً ، فأنفروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(۳) .

(نهج البلاغة ۲ : ۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۲۹۱)

۳۶۰ - کتاب علی إلى أبي موسى الأشعري

وروی أيضاً أنه لما نزل الرّبذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري - وهو يومئذ أمير الكوفة - ليُنْفِرَ إليه الناس ، وكتب إليه معه :
« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس :

أما بعد: فإني قد بعثت إليك هاشم بن عتبة، لِتُشَخِّصَ إِلَيَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِيَتَوَجَّهُوا إِلَى قَوْمٍ نَكَّشُوا بَيْعَتِي، وَقَتَلُوا شَيْعَتِي، وَأَخَذَتُوا فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْخَلْدَ الْعَظِيمَ فَأَشَخَّصَ النَّاسَ إِلَيَّ مَعَهُ حِينَ يَقْدَمُ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أَوْلِكَ الْمِصْرَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَلَمْ أَفِرِّكَ عَلَيْهِ، إِلَّا لِتَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْصَارِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَالسَّلَامِ.»
(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۲۹۱ ، وتاريخ الطبري ۵ : ۱۹۸)

۳۶۱ - کتاب هاشم بن عتبة إلى علي

وجاء أهل الكوفة أبا موسى يستشيرونه في الخروج ، فنبطهم وقال لهم :
أما سبيلُ الآخرة فأن تُقِيمُوا ، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا ، وأبى أن يتبع ما كتب به إليه ، وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوِّفه ، فكتب هاشم إلى عليّ :

(۱) دار الهجرة : المدينة وقلعت بأهلها وقلعوا بها : فارقت أهلها وفارقها .
(۲) جاشت القدر : غلت ، والمرجل : القدر ، والقطب حديدة تدور عليها الرحي .
(۳) الآية الكريمة « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

« لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة :

أما بعدُ : يا أمير المؤمنين ، فَإِنِّي قَدِمْتُ بِصُكَّتَابِكَ عَلَى امْرِئٍ غَالٍ^(۱) مُشَاقٍ ،
بَعِيدِ الرَّدِّ ، ظَاهِرِ الْغِلِّ وَالشَّنَّانِ ، فَتَهَدَدَنِي بِالسَّجْنِ ، وَخَوَّفَنِي بِالْقَتْلِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ مَعَ الْمُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ أَخِي طَيِّبٍ ، وَهُوَ مِنْ شِيعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ ، وَعِنْدَهُ
عِلْمٌ مَا قَبَلْنَا ، فَاسْأَلْهُ عَمَّا بَدَأَكَ ، وَاسْأَلْهُ بِرَأْيِكَ وَالسَّلَامَ .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۲۹۱ ، وتاريخ الطبري ۵ : ۱۹۸)

۳۶۲ - كتاب علي إلى أبي موسى

فلما جاء عليًا كتابُ هاشم وعلم ما كان من أمر أبي موسى قال : وآلله ما كان
عندي بمؤتمن ولا ناصح ، ولقد أردت عزله ، فأتاني الأشر فسالني أن أقره ، وذكر
أن أهل الكوفة به راضون فأقرته ، وبعث إليه عليّ عبد الله بن عباس ، ومحمد بن
أبي بكر وكتب متهما :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس :

أما بعد يا بن الحائك فوالله إني كنت لأرى أن بُعدك من هذا
الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ، ولا جعل لك فيه نصيباً ، سيمنعك من ردّ أمرى
والانتزاع^(۲) عليّ ، وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبي بكر نفاهما والمضرب وأهله ،
واعترزل عما نأمد وما^(۳) مدحوراً ، فإن فعلت ، وإلا فإني قد أمرتهما أن يناداك
على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فإذا ظهرا عليك قطعك إرباً إرباً^(۴) ،
والسلام على من شكر النعمة ، ووفى بالبيعة ، وعمل برجاء العاقبة .

وبعث إليه عليّ الأشر ، فأخرجه من الكوفة .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۱۲۹)

(۱) غال : وصف من الغلو ، ومشاق : مخالف ، والشنان : البغض . (۲) انتزى : وثب .
(۳) ذأمه كنعته : لا تحقره وذمه وطرده وخزاه ، ودحره كنعته : طرده أيضاً وأبعده .
(۴) الإرب : العضو .

وهذا الكتاب في رواية مروج الذهب : « اعترزل عملنا يا بن الحائك مذموماً مدحوراً ، فما هذا أول يومنا منك ، وإن لك فيها لهنات وهنات^(۱) » .

(مروج الذهب ۲ : ۷)

وفي تاريخ الطبری : أن علياً بعث الحسن ابنه ، وعمّار بن ياسر يستنفران له الناس ، وبعث قرظّة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة ، وكتب معه إلى أبي موسى : « أما بعد : فقد كنت أرى أن تُعذّب^(۲) عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله عز وجل لك منه نصيباً ، سيمنعك من ردّ أمرى ، وقد بعثت الحسن بن عليّ ، وعمّار بن ياسر يستنفران الناس ، وبعثت قرظّة بن كعب والياً على مصر ، فأعترزل عملنا مذموماً مدحوراً ، فإن لم تفعل فإني قد أمرته أن ينابذك ، فإن نابذته فظفّر بك أن يتطّعتك آراباً » .
فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعترزل . (تاريخ الطبری ۵ : ۱۹۸)

۳۶۳ - كتاب علي إلى أبي موسى

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة أن علياً عليه السلام كتب إلى أبي موسى وهو عامله على الكوفة ، وقد بلغه عنه تشبيطه الناس عن الخروج إليه كما ندبهم لحرب أصحاب الجمل :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس :

أما بعد ، فقد باغني عنك قول هو لك وعليك ،^(۳) فإذا قدّم عليك رسولي فارفع ذيلك^(۴) ، وأشدّد ميزرك ، وأخرج من جُجرك^(۵) ، وأندب من معك ، فإن حققت

(۱) جاء في حديث سطيح « ثم تكون هنات وهنات » أي أمور عظام شدائد . وفي الحديث « ستكون هنات وهنات فمن رأيتموه يمسي إلى أمة محمد ليفرق جماعتهم فاتلوه » أي شرور وفساد ، واحداً هنت كشمس وقد يجتمع على هنوات ، وفيل واحداً هنة كثرة نابت هن . (۲) الإعداب : النع والكف والترك . (۳) وذلك أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة : إن علياً لإمام هدى وبيته صحيحة إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة . (۴) هذه الجملة وما بعدها كناية عن التشهير للجهاد . (۵) كناية فيها غص من أبي موسى واستهانة به ، ولو أراد إعظامه لقال : وأخرج من خيسك أو من غيبك كما يقال للأسد ، ولكنه جملة تملياً أو صبا .

فَانْفِذْ وَإِنْ تَفَشَّكَ فَأَبْعُدْ^(۱) ، وَإِنَّمُ اللَّهُ لِتَوَاتُبِنِ حَيْثُ أَنتَ^(۲) ، وَلَا تُتْرَكَ حَتَّى
يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَائِرِكَ^(۳) ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى تَعْجَلَ عَنْ قِدْتِكَ ، وَتَحْذَرَ مَنْ
أَمَامَكَ كَحْذَرِكَ مَنْ خَلْفَكَ ، وَمَا هِيَ بِالْمُؤَيَّنِي^(۴) الَّتِي تَرْجُو ، وَلَكِنهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى
رُكْبُ جَهْلِهَا ، وَبُذَلُ صَعْبِهَا ، وَيُسْهَلُ جَبَلُهَا ، فَاعْقِلْ^(۵) عَقْلَكَ ، وَأَمَلِكْ أَمْرَكَ ،
وَخُذْ نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَمَنَّحْ إِلَى غَيْرِ رُحْبٍ^(۶) وَلَا فِي تَجَاةٍ ،
فِي الْحَرَى^(۷) لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَخَلَقَ مَعَ مُحِقِّ^(۸) ،
مَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُجِدِّدُونَ ، وَالسَّلَامُ . (نهج البلاغة ۲ : ۸۸)

۳۶۴ - كتاب علي إلى أهل الكوفة

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا أَبْطَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَدْرِ مَا صَنَعَا
رَحَلَ عَنِ الرَّبِذَةِ إِلَى ذِي قَارٍ . فَلَمَّا نَزَلَهَا بَعَثَ إِلَى الْكُوفَةِ ابْنَهُ الْحَسَنَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ
وَزَيْدَ بْنَ صُوحَانَ وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، وَمَعَهُمْ كِتَابٌ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ،
وَفِيهِ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ بِالْكَوْفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي
خَرَجْتُ مُخْرَجِي هَذَا إِمَّا ظَالِمًا وَإِمَّا مَظْلُومًا ، وَإِمَّا بَاطِلًا وَإِمَّا مَبِينًا عَلِيًّا ، فَأَنْشُدُ اللَّهَ

(۱) أَي لِمَنْ أَمَرَكَ مَعِيَ مَعْنَى عَلَى الشُّكِّ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ لِرُؤْمِ طَاعَتِكَ لِي فَاغْزِ وَسِرْ لِي ، وَإِنْ أَقَمْتَ
عَلَى الشُّكِّ فَاعْتَرَلِ الْعَمَلُ ، وَأَرَادَ بِتَفَشَّكَ : فَشَلَّتْ أَي ضَعُفَتْ وَجَبِنَتْ وَتَرَاخَيْتَ (وَتَفَشَّلَ الْمَاءُ : سَالَ) .
(۲) أَي لِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْإِسْتِرَابَةِ وَالتَّشْيِيطِ وَقَوْلِكَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ : لَا يَجِلُّ لَكُمْ سَلِ السِّيفِ لَا مَعِ
عَلَى وَلَا مَعِ طَلْحَةَ وَالزُّمُوَا بِيُوتِكُمْ وَاسْكُرُوا سِيُوفَكُمْ ، لِأَتَيْنَكُمْ أَهْلَ الْبَصْرَةَ مَعَ طَلْحَةَ ، أَوْ لَأَتَيْنَكُمْ نَحْنُ
بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ . (۳) الْحَائِرُ : الْمَلِينُ الْغَالِيطُ ، وَأَخْبَرَتْ الزُّبَيْدُ تَرْكُهُ خَائِرًا وَذَلِكَ إِذَا لَمْ تَذْبِهِ ، وَفِي
الْمَثَلِ : « مَا يَدْرِي أَيُّ خَيْرٍ أَمْ يَدِيْبٌ » يَضْرِبُ لِلْمُتَحَيِّرِ الْمُرَدِّدِ فِي الْأَمْرِ . وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَسْأَلُ السَّمْنَ (أَي
تَذْبِيهِ) فَيَخْتَلِطُ خَائِرُهُ بِرَفِيْقِهِ فَلَا يَصْفُو ، فَتَبْرَمُ بِأَمْرِهَا فَلَا تَدْرِي أُنُوَقِدُ نَحْنَهُ حَتَّى يَصْفُو ؟ وَتَخْشَى لِمَنْ هِيَ
أَوْقَدَتْ أَنْ يَحْمِزَ ، فَتَحَارُ لِذَلِكَ . (۴) الْفَعْدَةُ : هَيْئَةُ الْقَعُودِ ، وَالْمَعْنَى : لَيْسَتْ دُونَ عَالِيكَ الْأَمْرِ حَتَّى
يَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جِلْسَتِكَ فِي الْوَلَايَةِ . (۵) الْمُوَيَّنِي تَصْغِيرُ الْمُوَيَّنِ بِالضَّمِّ مُؤَنَّثٌ أَهْوَنٌ .

(۶) أَي فُقِيْدَهُ بِالْعَزِيْمَةِ ، وَلَا تَدْعُهُ بِذَهَبٍ مَذَاهِبُ التَّرَدُّدِ مِنَ الْخَوْفِ .

(۷) رُحْبُ الْمَكَانِ رُحْبًا بِالضَّمِّ : أَي اتَّسَعَ ، فَهُوَ رُحْبٌ بِالْفَتْحِ .

(۸) يُقَالُ : بِالْحَرَى أَنْ يَكُونَ كَذَا : أَي جَدِيْرٌ وَخَلِيْقٌ ، وَالْمَعْنَى جَدِيْرٌ أَنَا نَكْفِيْكَ الْقِتَالَ وَنَظِيْرٌ
وَأَنْتَ نَائِمٌ خَامِلٌ لَا يُبَالُ عَنْكَ .

رجلا بَلَّغَهُ كِتَابِي هَذَا إِنَّمَا^(۱) نَفَرٌ إِلَى ، فَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا أَعَانِي ، وَإِنْ كُنْتَ ظَالِمًا اسْتَعْتَبْنِي ، وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن الحديد م : ۳ ص ۲۹۲ ، ونهج البلاغة ۲ : ۸۲)

۳۶۵ - كتاب السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر

ولما نزل على عليه السلام ذا قار . كتبت السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر :

« أما بعد ، فَإِنِّي أُخْبِرُكَ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ نَزَلَ ذَا قَارَ ، وَأَقَامَ بِهَا مَرَعُوبًا خَائِفًا ، إِنَّمَا بَلَّغَهُ مِنْ عُدَّتِنَا وَجَمَاعَتِنَا ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَشْقَرِ ، إِنْ تَقَدَّمَ نَحْرٌ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقْرٌ^(۲) . »
(شرح ابن أبي الحديد م : ۳ ص ۲۹۲)

۳۶۶ - كتاب علي إلى طلحة والزبير

ولما تَعَبَّ التَّمُومَ لِلْقِتَالِ كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ :

« أما بعدُ : فَقَدْ عَلِمْتُمَا - وَإِنْ كَتَمْتُمَا - أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أُرَادُونِي^(۳) ، وَلَمْ أَبَايِعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِن كَمَا لِمَنْ أُرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِن الْعَامَّةَ لَمْ تَبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ^(۴) ، فَإِنْ كُنْتُمْ بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ

(۱) لَّا هُنَا بِمَعْنَى إِلَّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى « إِنْ كُنْتُ نَفْسٍ آتًا عَلَيْهَا حَافِظٌ » .

(۲) الشقرة (بالضم) في الحيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ، والعرب تقول : أكرم الحيل وذوات الخير منها شقرها ، وفي الأمثال « كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقير » وهو مثل يضرب لما يكره من وجهين ، والعرب تشاهم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جيلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تقدم نحر ، وإن تأخر تعقر ، وذلك أن العرب تقول شقر الحيل سراعها ، وكنها صلابها ، فهو يقول لفرسه : يا أشقر إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزما أتوك من ورائك فقروك ، فأنبت والزم الوقار وانف عنك العار - انظر بجم الأمثال للمبدائي ج ۲ : ص ۵۸ .

(۳) أي لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم ذلك مني .

(۴) أي لم تبايعي خوفًا من قوة قهرتم بها ، ولا طمعًا في مال حاضر فرقتهم عليهم ، وفي رواية ابن أبي الحديد « ولا لحرس حاضر » والمعنى واحد .

قريب ، وإن كنتما بايعتاني كارهين ، فقد جعلتني عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتان ، إنك يا زبير لغارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وإنك يا طلحة لشيخ المهاجرين . وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه ، كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقراركما به .

وقد زعمت أني قتل عثمان ، فبينى وبينكما من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة^(۱) ، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل ، وزعمت أني آويت قتل عثمان ، فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ، ثم يخاصموا إلى قتل أبيهم ، وما أنتما وعثمان ، إن كان قتل ظالماً أو مظلوماً ؟ ولقد بايعتاني وأنتما بين خصلتين قبيحتين : نكث بيعتكما ، وإخراجكما أمكما . فارجعوا إليها الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن أعظم أمر كما العار ، من قبل أن يتجمع العار والنار ، والسلام .

(نهج البلاغة ۲ : ۸۰ والإمامة والسياسة ۱ : ۵۵)

۳۶۷ - كتاب علي إلى السيدة عائشة

وكتب إلى السيدة عائشة :

« أما بعد : فإنك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس ؟ تطلبين بدم عثمان ، ولعمري لمن عرّضك للبلاء ، وحملك على المعصية أعظم إليك ذنباً من قتل عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت ، وما هجرت حتى هيجت ، فاتق الله وارجمي إلى بيتك . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۵۵)

(۱) أي جعلت الحكم بينى وبينكما من تخلف عن نصري ونصركما من أهل المدينة كعبد بن مسلمة وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وغيرهم .

۳۶۸- رد طلحة والزبير على

فأجابه طلحة والزبير :

« إنك سرت مَسِيرًا له ما بعده ، ولست راجعًا وفي نفسك منه حاجة ، فامضِ لأمرِك ، أما أنتَ فمستَ راضيًا دون دخولنا في طاعتك ، ولسنا بداخلين فيها أبدًا ، فاقضِ ما أنتَ قاضٍ . » (الإمامة والسياسة ۱ : ۵۵)

۳۶۹ - رد السيدة عائشة على

وكتبت السيدة عائشة :

« جَلَّ الأمرُ عن العِتَابِ ، والسلام » (الإمامة والسياسة ۱ : ۵۵)

۳۷۰ - كتاب على إلى عامله بالكوفة

ونشِب القتال بينه وبين أصحاب السيدة عائشة في وقعة الجمل المشهورة - في جمادى الآخرة سنة ۳۶ هـ - وكانت له عليهم الغلبة ، وكتب بالفتح إلى عامله بالكوفة .

« من عبد الله على أمير المؤمنين :

أما بعدُ : فإننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخرَيبية^(۱) فأعطاهم الله عز وجل سُنَّة المسلمين ، وقُتِلَ منا ومنهم قَتْلَى كثيرة ، وأصيب ممن أُصيب منا ثَمَامَةُ بن المُنْثَنِي ، وهند بن عمرو ، وعِلبَاء بن الهَيْثَمِ ، وسَيْحَان وزيد ابنا صُوحان ومحدوج .
وكتب عبد الله بن رافع . (تاريخ الطبري ۵ : ۲۲۴)

(۱) فناء من أقبية البصرة ، ويسمى البصرة الصغرى .

۳۷۱ - كتاب الأحنف بن قيس إلى قومه

وسار عليّ عليه السلام عن البصرة بعد أن أمر عليها عبد الله بن عباس ، ووليّ زياد بن أبيه الخراج وبيت المال^(۱) ، فلما قدّم الكوفة ، وأراد المسير إلى الشام ، قام إليه الأحنف بن قيس - وكان لم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين - فكان فيما قال : يا أمير المؤمنين إن بك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل ، فان ينصروا عايك غيرك ، وإن عشيرتنا بالبصرة ، فلو بعثنا إليهم فقدّموا علينا فقاتلنا بهم العدو ، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس ، ولنا من قومنا عدد ، ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ، ولا نسدّ بهم ثغراً أشدّ من الشام ، فقال له عليّ : اكتب إلى قومك .

فكتب الأحنف إلى بني سعد :

« أما بعدُ : فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم ، وعصمكم الله برأى حتى نلتّم ما رجوتم ، وأمنتم مما خفتم ، فأصبحتم منقطعين عن أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية .

وإني أخبركم أنا قدّمنا على تميم بالكوفة ، فأخذوا علينا بفضلم مرتين مسيرهم إلينا مع عليّ ، وتبيّثهم للمسير إلى الشام ، ثم انحسرونا إليهم ، فصرنا كأننا لا نعرف إلا بهم ، فأقبلوا إلينا ولا تتكّلوا علينا ، فإن لهم أعدادنا من رؤسائهم ، فلا تبطنوا عنا ، فإن من تأخير العطاء جرّماناً ، ومن تأخير النصر خذلاناً ، فخرّمان العطاء القلّة ،

(۱) كان زياد ممن اعترك ولم يشهد وقعة الجمل ، فلما ظفر على أخذ البيعة على أهل البصرة ، وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكر في الستامين - فلما بعد ما فرغ على من البيعة - فقال له عليّ : وعمك المتربص المتقاعد بي ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إنه لك لواد ، وإنه على مسرتك لحربس ، ولكنه بلغني أنه يشتكي ، فأعلم لك علمه ثم آتيتك ، وكنتم علياً مكانه حتى استأمره ، فأمره أن يعلمه فأعلمه ، فقال عليّ : امش أمامي فاهدني إليه ففعل ، فلما دخل عليه قال : تقاعدت عني وتربصت ، ووضع يده على صدره وقال : هذا وجع بين ، فاعتنر إليه زياد ، فقبل عذره واستشاره ، وأراده عليّ على البصرة فقال : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس ، فإنه أجدر أن يطمئنا وينقادوا وسأ كفيك ، وأشير عليه ، فأمر عليّ ابن عباس على البصرة ووليّ زيادا الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسم منه .

وخذلان النصر الإبطاء ، ولا تنتقص الحقوق إلا بالرضا ، وقد يرضى المضطرُّ بدون الأمل .

فلما أتى كتاب الأحنف إلى بنى سعد ، ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٦)

۳۷۲ - كتاب علي إلى جرير بن عبد الله البجلي

وكتب مع زُفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ - وكان جرير على ثغر همدان ، كان استعمله عليه عثمان - :

« أما بعدُ : فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ، ثُمَّ إِنِّي أَخْبَرْتُ عَنَا وَعَمْرُ مَرْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ جَمْعِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ عِنْدَ نَكْثِهِمَا بَيْعَتِهِمَا ، وَمَا صَنَعْنَا بِعَامِلِي عُثْمَانَ ابْنَ حُنَيْفٍ : إِنِّي نَهَضْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِيَعُضِ الطَّرِيقِ بَعَثْتُ إِلَى الْكُوفَةِ الْحَسَنَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ابْنَ عَمِّي ، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ ، فَاسْتَنْفَرْتُهُمْ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ ، فَأَجَابُوا وَسَرَتْ بِهِمْ ، حَتَّى نَزَلْتُ بِظَهْرِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْذَرْتُ فِي الدَّعَاءِ ، وَأَقْلَتُ الْعَثْرَةَ ، وَنَاشَدْتُهُمْ عَقْدَ بَيْعَتِهِمْ ، فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالِي ، فَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْ قَتْلِ ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ إِلَى مِصْرِهِمْ ، فَسَأَلُونِي مَا كُنْتُ دَعْوَتِهِمْ إِلَيْهِ قَبْلَ الْإِتْمَاءِ ، فَقَبِلْتُ الْعَافِيَةَ ، وَرَفَعْتُ عَنْهُمْ السِّيفَ ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَسَرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ زُفَرَ ابْنَ قَيْسٍ ، فَسَأَلَهُ عَمَّا بَدَا لَكَ ، وَالسَّلَامُ » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩ : وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٤٦)

۳۷۳ - کتاب علی إلى الأشعث بن قیس

وكتب مع زياد بن كعب إلى الأشعث بن قيس - والأشعث يومئذ بأذربيجان ،
كان استعمله عليها عثمان - :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس .

أما بعدُ : فلو لا هَنَاتٌ وهَنَاتٌ^(۱) كانت منك ، لكنت أنت المقدم في هذا الأمر
قبل الناس ، ولعلَّ أمرك يحملُ بعضهُ بعضاً إن اتقيتَ الله عزَّ وجلَّ ، وقد كان من
بِيعَةِ الناسِ إياي ما قد علمت ، وقد كان طاححة والزبير أول من بايعني ثم نتمضاً بيعتي
على غير حَدَثٍ ، وأخرجوا أمَّ المؤمنين فساروا إلى البصرة ، وسرت إليهم فيمن بايعني
من المهاجرين والأنصار ، فالتقينا فدعوتهُم إلى أن يرجعوا إلى ماخرجوا منه فأبوا
فأبَلَّغْتُ في الدعاء ، وأحسنتُ في البُقياء ، وأمرتُ أن لا يُدَفَّفَ^(۲) على جريح ، ولا
يُتَّبَعَ منهزم ، ولا يُسَلَّبَ قتيل ، ومن ألقى سلاحه ، وأغلق بابهُ فهو آمن .

وإن عملك ليس لك بطُعْمَةٍ^(۳) ، ولكنه في عنقك أمانة ، وأنت مُسْتَرْعَى لمن
فوقك ، ليس لك أن تفتتَ في رَعِيَةٍ ، ولا تُخاطِرَ إلا بوثيقة^(۴) ، وفي يدك مال من

(۱) انظر تفسيرها في ص ۳۳۰ وذلك أن الأشعث بن قيس الكندي كان ممن ارتد بعد النبي صلى
الله عليه وسلم ، فلما سير أبو بكر الجنود إلى اليمن أخذوا الأشعث أسيراً فأحضر بين يديه ، فقال له :
ماذا تراني أصنع بك ؟ قال : نعم حتى فطلق أسارى وتقبلتني عثرتي وتقبلتني أسلامي وترد على زوجتي (وقد
كان خطب أخت أبي بكر أم فروة بنت أبي قحافة ، مقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجه
وأخراها إلى أن يقدم النابية ، نسات رسول الله وفعل الأشعث ما فعلتني أن لا ترد عليه) تجدني
خير أهل بلادى لدين الله ، فقال أبو بكر : قد فعلت ، ونجاني له عن دمه وقبل منه ورد عليه أهله . وقال :
انطلق فليفتني عنك خير ، وقد ولدت له أم فروة ابنة محمد بن الأشعث ، انظر تاريخ الطبري ج ۳ : ص ۲۷۵
وأسد الغابة ج ۱ : ص ۹۸ . (۲) ذفف على الجريح : أجهز عليه وحرر قتله .

(۳) الطعنة : الأكلة ، وفتتات : أي تفعل ما تفعل بغير إذن مني ، وهو افتعال من الموت : أي
السبق ، كأنه يفوت أمره فيسبقه إلى الفعل قبل أن يأمره .

(۴) أي لا بعد أن تتوثق وتحتاط للأمر .

مال الله عز وجل ، وأنت من خزانى عليه حتى تسلمه إلى إن شاء الله ، ولعلی أن لا أكون شرّاً ولأتیک لك والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م : ۳ ص ۲۹۹ ، ونهج البلاغة ۲ : ۴ ،
والإمامة والسياسة ۱ : ۷۰ والعقد الفريد : ۲ ص ۲۳۲)

۳۷۴ - کتاب جریر إلى الأشعث

وكتب جریر إلى الأشعث :

« أما بعد : فإنه أتتني بيعة عليّ فقبلتها ، ولم أجد إلى دفعها سبيلاً ، وإني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجدته يلزم مني ، وقد أشهد المهاجرون والأنصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف ، فأقبل بيعة ، فإنك لا تنقلب إلى خير منه ، واعلم أن بيعة عليّ خير من مصارع أهل البصرة ، وقد تحلب الناقة الضجور ، ويحلس العود والبعير الدبر^(۱) ، فانظر لنفسك ، والسلام . »

وأخذ جریر والأشعث البيعة لعلی على من قبلهما من الناس وانصرفا إليه .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۱ وشرح ابن أبي الحديد م : ۱ ص ۲۴۷)

۳۷۵ - کتاب علی إلى معاوية

وروى الشريف الرضى أن عليّاً عليه السلام كتب في أولى ما يوبع له بالخلافة

إلى معاوية :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد : فقد علمت إعداري فيكم^(۲) ، وإعراضى عنكم ، حتى كان مالا بد منه ،

(۱) الحلس كقرود وسبب : كساء على ظهر البعير تحت الرجل ، وجلس البعير كضرب ونصرو وأحلسه : إذا جعل عليه الحلس ، أى مياءه للركوب ، والمعنى هنا : وقد يركب ، والعود : الجمل السن . والدبر : الذئب

أصابه الدبر بالتحريك وهو قرحة الدابة ، وفي الأصل « ويجلس العود على البعير الدبر » وهو تحريف .

(۲) الكتاب لمعاوية والمحطاب لبئامة جميعا ، وإعداري فيكم : أى كوني ذا عفر ، حتى كان مالا بد منه

منه يعنى نزل عثمان .

ولا دَفَعَ له ، والحديثُ طويل ، والكلامُ كثير ، وقد أدبرَ ما أدبرَ ، وأقبلَ ما أقبلَ ، فبايعَ مَنْ قبلكَ ، وأقبلَ إلىَّ في وفدٍ من أصحابك والسلام .

(نهج البلاغة ۲ : ۹۸)

وروى ابن أبي الحديد أن علياً عليه السلام لما بويح كتب إلى معاوية :
« أما بعد : فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني ، وبأيعونى عن مشورة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابي ، فبايع لي ، وأوفد إلى أشرف أهل الشام قبلك .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۷۷)

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه كتب إليه :
أما بعد : فقد وليتكَ ما قبلك من الأمر والمال ، فبايعَ مَنْ قبلك ، ثم أقدمَ إلى في ألف رجل من أهل الشام .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۰)

۳۷۶ - رد معاوية على عليّ

فلما أتى معاوية كتاب عليّ دعا بطومار^(۱) ، فكتب فيه :

« من معاوية إلى عليّ ، أما بعد : فإنه

ليس بيني وبين قيس عتابُ غير طعن الكلي وضرب الرقاب »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۴۰)

۳۷۷ - كتاب عليّ إلى معاوية

وروى ابن قتيبة أيضاً أن علياً عليه السلام لما فرغ من وقعة الجمل ، وبايع له أهل العراق ، واستقام له الأمر بها ، كتب إلى معاوية :

(۱) الطومار : الصحيفة .

« أما بعدُ : فإن القضاء السابق ، والقدر النافذ ، ينزل من السماء يَقَطِرُ كَالْمَطَرِ^(۱) ،
فَتَمُضِي أحكامه عز وجل ، وتنفذُ مَشِيئته بغير كِتَابٍ المخلوقين ، ولا^(۲) رِضَا الأدميين ،
وقد بَلَغَكَ ما كان من قتل عثمان رحمه الله ، وبيعتِ الناس عامَّةً إياي ، ومصارِعِ
الناكثين لي ، فادخلُ فيما دخل الناس فيه ، وإلا فأنا الذي عرَفْتَ ، وحوَلِي مَنْ
تعلمهُ ، والسلام » .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۶۴)

۳۷۸ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية كتاباً عنوانه « من معاوية إلى عليّ » وداخله :
« بسم الله الرحمن الرحيم » لا غيرُ .

فعرِفَ عليّ أن معاوية محارِبٌ له ، وأنه لا يُجيبه إلى شيء مما يريد .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۶۴)

۳۷۹ - كتاب عليّ إلى معاوية

ولما قدِمَ جرير بن عبد الله البجلي على عليّ عليه السلام - بعد وقعة الجمل -
وجهه عليّ إلى معاوية في أخذ بيعته ، وكتب معه كتاباً إليه :
« سلام عليك ، أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لَزِمَتْك وأنت بالشام ، لأنه بايعني
القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان علي ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ،
ولا للغائب أن يرُدَّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل
وسمَّوه إماماً ، كان ذلك لله رِضًا ، وإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه
إلى ما خرج عنه ، فإن أباي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاهُ اللهُ ما تَوَلَّى
وأصلاه جهنمَ وساءت مصيراً .

(۱) في الأصل « ويقطر المطر » وهو تحريف . (۲) في الأصل « إلا » وهو تحريف أيضاً .

وإن طلحة والزبير بايعاني ، ثم نقضاً بيعتهما ، وكان نقضهما كرهتهما ، فجاهدتهما
بعد ما أعذرت إليهما ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، فدخل فيما دخل
فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء ، فإن
تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك ، وقد أكرت في قتلة عثمان . فإن أنت
رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكت القوم
إلى ، حملتكم وإيهم على كتاب الله ، وأما تلك التي تريدان فهي خدعة الصبي
عن اللبن^(۱)

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدني أبرأ الناس
من دم عثمان ، ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه ، إلا أن تتجني^(۲) ، فتجني
ما بدالك .

واعلم أنك من الطلقاء^(۳) الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعقد معهم الإمامة ،
ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي ،
وهو من أهل الإيمان والمهجرة ، فبايعه ، ولا قوة إلا بالله .

(المقدم الفريد ۲ : ۲۳۳ ، ونهج البلاغة ۲ : ۵ ، وشرح ابن أبي الحديد
۳ م ص ۳۰۰ م ۱ : ص ۲۴۸ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۷۱)

۳۸۰ - كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

« وقدم جرير على معاوية بكتاب علي ، فلما أبطأ عليه معاوية برأيه ، استخذه
بالبيعة ، فقال له معاوية : يا جرير إن البيعة ليست بخلسة ، وإنه أمر له ما بعده ،

(۱) وذلك ما تصنع له أمه في أول فطامه مما يكره إليه الثدي ويلهبه عنه . وفي الحديث « الحرب
خدعة » مثله وبضم ففتح . روى ابن جرير : أي تنقض بخدعة .

(۲) تجني عليه : ادعى عليه ذنباً لم يفعله .

(۳) لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة سنة ثمان دخل الكعبة وجلس في المسجد والناس
حواله فقال : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا
فأنتم الطلقاء ، وكان معاوية ممن أسلم في هذا اليوم .

فَابْلِعْنِي رِيْقِي ، وودعا أهل ثِقَتِهِ فاستشارهم ، فقال له أخوه عُثْبَةُ : استعِنِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ
بِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَإِنَّهُ مِنْ قَدِ عَرَفْتَهُ ، فَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرُو ، وَهُوَ
بِفِلَسْطِينَ (۱) :

(۱) فتبع عمرو بن العاص مصر في خلافة عمر بن الخطاب ، وولاه عمر عليها ، وبنى كذلك واليا
عليها أول خلافة عثمان ، ثم إن عثمان عزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ، واستعمل على الخراج عبدالله
ابن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاع - ثم جمعها لعبد الله بن سعد وعزل عمرا ، فلما
قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوما عثمان خاليا به ، فقال : يا ابن النابغة ، ما أسرع
ما قل جربان جبتك (جربان القميص بضم الجيم والراء وكسرهما وتشديد الباء : جيبه) إنما عهدك بالعمل
عاما أول ، أنتطعن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك ، فقال عمرو :
إن كثيرا مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم باطل ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعبتك ، فقال عثمان :
والله لقد استعملتك على ظلمك وكثرة القالة فيك (الظلم في الأصل غمز البعير في مثبه ، والمراد : على
ما فيك من عيب وميل) فقال عمرو : قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض ، فقال عثمان :
وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت لك فاجزأت علي . . . - نخرج عمرو من
عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي طلحة
مرة فيؤلبه على عثمان ، ويعترض الحاج فيضربهم بما أحدث عثمان .

ولما قضد الثوار إلى المدينة أخرج لهم عثمان عليا فكلّمهم فرجعوا عنه ، وخطب عثمان الناس فقال
« إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر ، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا
إلى بلادهم » فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد : اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهابير (جمع نهيرة
بالضم : أي مهلكة) وركبناها معك ، فتب إلى الله نعب ، فناداه عثمان . وإنك هناك يا ابن النابغة ! قلت
والله جبتك منذ تركتك من العمل .

فلما كان حصر عثمان الأول خرج عمرو من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع
فتزل بها ، وكان يقول : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، (نكأ القرحة كنع : قشرها قبل أن
تدأ قنديت) والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه عليه .

فلما بلغه مقتل عثمان ، قال : أنا أبو عبد الله قتله وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر بعده ؟
إن يله طلحة فهو فتى العرب سيبا (أي عطاء) وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق (استنظف
الشيء : أخذه كله ، واستنظف الوالي ما عليه من الخراج : استوفاه) وهو أكره من يليه إلى ، فبلغه أن
عليا قد بويج له ، فاشتد عليه وتربص لينظر ما يصنع الناس ؟ ثم نبى إليه أن معاوية بالشأم يأبى أن يبايع
عليا ، وأنه يعظم قتل عثمان ويحرض على الطالب بسمة ، فاستشار ابنه عبد الله ومحمد في الأمر وقال : ماتريان؟
أما على فلا خير عنده ، وهو رجل يدل بسابقته ، وهو غير مشرك في شيء من أمره . فقال له عبد الله :
أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه ، وقال له محمد : أنت ناب من أنياب
العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك أي صوت ولا ذكر ، فرجع لديه أن يلحق بمعاوية ،
وكتب إليه يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان ، وكان فيما كتب به إليه : « ما كنت صانعا إذا قصرت من
كل شيء تملكه ؟ فاصنع ما أنت صانع » فبعث إليه معاوية ، فسار إليه .

« أما بعدُ : قد كان من أمرِ علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر^(۱) من أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبست^(۲) نفسي عليك ، فاقدم علي بركة الله اذا كرك أموراً لا تعدم صلاح منغيتها إن شاء الله »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۳۶ و ص ۲۴۹)

= وذكروا أنه قال له : يا عمرو اتبعني ، قال : لماذا ؟ للآخرة ؟ فوالله ما معك آخرة ، أم للدنيا ؟ فوافق لا كان ، حتى أكون شريكك فيها ، قال : فأنت شريكى فيها ، قال : فاكتب لى مصر وكورها طعمة ، فكتب له ، وكتب في آخر الكتاب : « وعلى عمرو السمع والطاعة » قال عمرو : اكتب إن السمع والطاعة لا يتقضان من شرطه شيئاً ، قال معاوية : لا ينظر الناس إلى هذا ، قال عمرو : حتى تكتب ، فكتب ، ما يجد بدا من كتابتها ، وقبل إنه كتب عليه « ولا ينقض شرط طاعة » فقال عمرو : يا علام اكتب « ولا تنقض طاعة شرطاً » وقال عمرو في ذلك :

معاوى لا أعطيك ديني ولم أنل
فإن تعطينى مصراً ، فأربح صفقة
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
أخذت بها شيئاً يضر وينفع

(انظر تاريخ الطبرى ج ۵ : ص ۱۰۸ - ۱۱۱ و ص ۲۳۵ ، و مروج الذهب ۲ : ۴ ، والعقد القريب ۲ : ۲۳۸ ، والكامل للمبرد ۱ : ۱۵۵ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۳۷) .

أما قول عثمان لعمر : « يا بن النابغة » فشم له ، والنابغة أم عمرو ، قال ابن أبي الحديد في شرحه (م ۲ : ص ۱۰۰) : « فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال : كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عذرة (بالتحريك) نسيت ، فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغياً ثم أعتقها ، فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجهمي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد ، فولدت عمراً ، فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه ، فقالت : هو من العاص بن وائل ، وذلك لأن العاص كان ينفق عليها كثيراً ، قالوا : وكان أشبه بأبي سفيان ، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب في عمرو :

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل

وقال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب : كان اسمها سلمى ، وتلقبت بالنابغة بنت حرمة من بني حلان بن عذرة بن أسد ، أصابها سبب فصارته إلى العاص بن وائل بعد جملة من قریش فأولدها عمراً ، ويقال : إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمراً وهو على المنبر من أمه ؟ فسأله ، فقال : أمى سلمى بنت حرمة تلقب بالنابغة من بى عذرة ، أصابها رماح العرب ، فبعت بمكاف ، فاشتراها الفاك بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيء نخذه (انظر أيضاً العقد الفريد ۱ : ۱۸) وقال المبرد في الكامل اسمها ليلي ، وذكر هذا الخبر وقال : لأنها لم تكن « في موضع مرصى . . . »

ورأي فيما روى من نسب عمرو بن العاص أن الإسلام يجب ما قبله .

(۱) في الإمامة والسياسة : « في رافضة » والمراد بالرافضة هنا من رفضوا طاعة علي .

(۲) وفي الإمامة والسياسة « وقد حبست » وحب كصبره : عده .

۳۸۱- کتاب علیؑ إلى جریر بن عبد الله

وذكروا أن معاوية قال لجرير : إني قد رأيتُ رأيتُ رأيتُ ، قال جرير : هاتِ ، قال :
اكتب إلى عليؑ أن يجعل لي الشام ومصر جباية ، فإن حضرته الوفاة ، لم يجعل لأحد
من بعده في عُنق بيعة ، وأسلم إليه هذا الأمر ، وَاكتب إليه بالخلافة ، قال جرير :
اكتب ماشئت ، فكتب إلى عليؑ يسأله ذلك ، فلما أتى عليًا كتاب معاوية ، عرف أنها
خُدعة منه ، وكتب إلى جرير بن عبد الله :

« أما بعدُ : فإن معاوية إنما أراد بما طلبَ إلاَّ يكون لي في عُنق بيعة ، وأن
يختار من أمره ما أحبَّ ، وأراد أن يُرِيَّيك وَبِطْطُك حتى يذوق أهل الشام ، وقد
كان المغيرة بن شعبه أشار عليؑ وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشام ، فأبیتُ ذلك عليه (۱) ،
ولم يكن الله لي راني أن أتخذَ المضلِّين عَضُدًا ، فإن بايعك الرجل وإلاَّ فأقبل ،
والسلام . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۳ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۲۵۰)

۳۸۲- كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وفشا كتاب معاوية في العرب ، فبعث إليه الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط
(وهو أخو عثمان لأمه) :

(۱) في حديث علي عليه السلام مع ابن عباس قال : « جاءني المغيرة بن شعبه بعد مقتل عثمان بيومين
فقال : أخلني ، ففعلت ، فقال : « إن النصح رخيص ، وأنت بقية الناس ، وأنا لك ناصح ، وأنا أشير عليك
إلا نرد عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم ، فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك ، عزلت
من أحببت ، وأقررت من أحببت ، فقلت له : والله لا أداهن في ديني ، ولا أعطى الرياء في أمري ، قال :
فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت . واترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسوع منه ، ولك
حجة في إثباته ، فقد كان عمر ولاء الشام كلها . فقلت له : لا والله لا أستعمل معاوية بيومين أبداً »
- مروج الذهب ۲ : ۵ - .

مُعَاوِيَ : إِنَّ الشَّامَ شَأْمُكَ ، فَاعْتَصِمِ
 وَحَامِ عَلَيْهَا بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 وَإِنَّ عَلِيًّا نَاطِرٌ مَا تُجِيبُهُ
 وَإِلَّا فِئْتُمْ ، إِنَّ فِي السَّلْمِ رَاحَةً
 وَإِنْ كَتَابًا يَا بْنَ حَرْبٍ كَتَبْتَهُ
 سَأَلْتَ عَلِيًّا فِيهِ مَا لَنْ تَنَالَهُ
 وَسَوْفَ تَرَى مِنْهُ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا
 أَمِثْلَ عَلِيٍّ تَعْتَرِيهِ بِمُخْدَعَةٍ
 بِشَأْمِكَ ، لَا تُدْخِلُ عَلَيْكَ الْأَفَاعِيَا
 وَلَا تَكُ مَوْهُونِ الذَّرَاعِينَ وَائِيًّا^(۱)
 فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا^(۲)
 لِمَنْ لَا يَرِيدُ الْحَرْبَ ، فَاخْتَرْ مُعَاوِيَا
 عَلَى طَمَعٍ يُزْجِي إِلَيْكَ الدَّوَاهِيَا^(۳)
 وَإِنْ نَلْتَهُ لَمْ تَبْقَ إِلَّا لِيَالِيَا
 بَقَا ، فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْكَ الْأَمَانِيَا
 وَقَدْ كَانَ مَا جَرَّبْتَ مِنْ قَبْلُ كَافِيَا ؟
 (شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۰)

۳۸۴ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية أيضاً يُوقظه ، ويشير عليه بالحرب ، وألاً يكتب
 جواب جرير :

مُعَاوِيَ : إِنَّ الْمُلْكَ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ
 أَتَاكَ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ بِمُخْطَئِهِ
 فَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَاتِرِينَ مَوْدَةَ
 وَأَنْتَ بَمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُ^(۱)
 هِيَ الْفَعْلُ ، فَاخْتَرْ سِلْمَهُ أَوْ تُحَارِبُهُ^(۵)
 وَلَا تَأْمَنِ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْتَ رَاهِبُهُ^(۶)

(۱) الصوارم مع صارم ، وهو السيف . القنا جمع قناة ، وهي الرياح ، والوهن بالكون ويزرك : الضعف ، وفعله كوعد وورث وكرم ، وهو واهن وموهون : لا يبطش عنده ، وون في الأمر كوعى بين ونا وونى (كفى) : ضعف وقر .

(۲) النواصي جمع ناصية : وهي قسام الشعر في مقدم الرأس .

(۳) زجاء يزجوه وزجاء وأزجاء : ساقه ودفعه .

(۴) جب : قطع . والغارب : ما بين السنام والعنق ، والمعنى : قد قتل صاحبه وهو عثمان ، وقوله بما في كفك : أى بتأني يديك من القوة والعدة . (۵) المخطئ : الأمر .

(۶) وتره يتره من الوتر وهو النار كالتره بالكسر ، ووتره أيضاً أفزعه وأدركه بمكروه ، أى فلا تخرج عند الواترين لنا مودة ، يريد علياً فقد وتر بني عبد شمس بمن قتله منهم كما سيأتى ، وقد قدمنا لك أنه جلد الوليد بن عقبة ثمانين لشربه أقر - انظر ص ۲۹۴ ، ورهبه كعلم : خافه .

وَحَارِبُهُ إِن حَارَبْتَ حُرًّا بِنَ حُرَّةٍ وَإِلَّا فَتَلْمُ لَا تَدِبُّ عَقَّارِبُهُ^(۱)
فَإِن عَلِيًّا غَيْرُ سَاحِبٍ ذَبِيلِهِ عَلَى خُدَعَةٍ ، مَا سَوَّغَ الْمَاءَ شَارِبُهُ^(۲)
فَلَا تَدَعَنَّ الْمَلِكَ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ وَتَطْلُبُ مَا أَعْيَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ
فَإِن كُنْتَ تَنْوِي أَنْ تُجِيبَ كِتَابَهُ قَبَّحَ مُمْلِيهِ وَقَبَّحَ كَاتِبُهُ
وَإِن كُنْتَ تَنْوِي أَنْ تَرُدَّ كِتَابَهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مَحَالَةَ رَاكِبُهُ
فَأَلْقِ إِلَى الْحَىِّ الْيَمَانِينَ كَلِمَةً تَقَالُ بِهَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
تَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ عَدُوٌّ ، وَمَا لِأَمِّ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ^(۳)
أَفَانِينَ : مِنْهُمْ قَائِلٌ وَمَحْرَضٌ بِلَا تَرَّةٍ كَانَتْ ، وَآخِرُ سَالِبِهِ^(۴)
وَكَانَتْ أَمِيرًا قَبْلُ بِالشَّامِ فِيكُمْ فَحَسْبِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبُهُ
تَجِيبُوا (وَمَنْ أَرْمَى نَبِيرًا مَكَانَهُ تَدَافَعُ بِنَجْرِ لَا تَرُدُّ غَوَارِبُهُ^(۵)
فَأَقِلُّ وَأَكْثِرُ ، مَا لَهَا الْيَوْمَ سَاحِبٌ سَوَاكُ ، فَصَرَّحَ ، لَسْتَ مِنْ تَوَارِبِهِ^(۶)
(شرح ابن أبي الحديد م : ۱ : ص ۲۵۰)

۳۸۴ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب الوليد أيضاً إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان، ويحرّضه، وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبه :

أَلَا أَبْلِغُ مَعَاوِيَةَ بِنَ حَرْبٍ فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ مُلِيمٍ^(۷)

- (۱) لا تدب عقاربه : أي لا تشوبه شائبة ولا يفسده شيء (ويقولون أيضاً للرجل الذي يقترض أعراس الناس : إنه لتدب عقاربه) . (۲) ما : مصدرية ظرفية ، وساغ الشراب يسوغ : سهل مدخله في الخلق ، وأساغ فلان الشراب : ابتلعه (وسوغ مثله) . (۳) أمير المؤمنين أي عثمان ، ومالام مسهل عن المأثم ، أي ساعدتم وشايهم . (۴) أفانين جمع أفنون كعصفور : وهو النوع والضرب من الشيء كالفن (وجاء أفانين جمع جمع لفن بالتحريك وهو النصفن) . (۵) نير : جبل بمكة ، وغوارب الماء : أعلى موجه . (۶) المواربة : المخادعة والمداهاة . (۷) ألام الرجل فهو مليم : أي ما يلام عليه .

تَقَطَّتَ الدَّهْرَ كَالسَّدِيمِ الْمَعْنَى تَهْدَّرَ فِي دِمَشْقٍ وَلَا تَرِيمٍ^(۱)
 فَإِنَّكَ وَالْمَكْتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كدَابِقَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمِ^(۲)
 فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَمَّرَ لَا أَلْفٌ وَلَا سَتُومٌ^(۳)
 لَكَ الْوَيْلَاتُ ، أَقْحَمَهَا عَلَيْهِمْ نَحِيرُ الطَّالِبِ الثَّرَّةِ الْغَشُومِ^(۴)
 (شرح ابن أبي الحديد م : ۱ : ص ۲۵۴ ، وم ۳ ص ۳۰۱ : ومجم الأمثال ۲ : ۶۴)

۳۸۵ - رد معاوية على الوليد بن عقبة

فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ :
 وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنْاتِنَا وَلَوْ زَبَنْتَهُ الْحَرْبُ كَمَا يَتَرَمَّرَمُ^(۵)
 (شرح ابن أبي الحديد م : ۱ : ص ۲۵۴)

۳۸۶ - كتاب علي إلى جرير

وأقام جرير عند معاوية ثلاثة أشهر^(۶) وهو يماطله بالبيعة ، فيكتب علي
 إلى جرير :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على العصل^(۷) ،

(۱) الفعل السدم : الذي يرغب (بالبناء للمجهول) عن خلقه فيجال بينه وبين ألقاه ، ويقيد إذا
 هاج ، فيرعى حوالى الدار ، وإن سال جعل له حجام يمنع عن فتح فيه ، وهدر البعير كضرب وهدر : صوت
 في غير شقيقة ، ورام المكان ورام منه يرم رما : برحه .

(۲) الحلم بالتحريك : دود يقع في الجلد فيفسده ، وحلم الجلد كفرح . وقع فيه الحلم . وهو مثل
 يضرب الأمر الذي قد انتهى فساده .

(۳) رجل ألف : أى عي بطيء الكلام إذا تكلم ملاً لسانه فيه .

(۴) أقحمه في الأمر : رماه به بلا روية ، والغشوم : الظلوم .

(۵) زينت الناقة حالها كضرب : ضربته برجلها ودففته فهي زيون بالفتح ، وزينت الحرب الناس :
 صدمتهم ودفقتهم . على التشبيه بالناقة - فهي زيون أيضاً ، وترمرم : تحرك للكلام ولم يتكلم .

(۶) وقيل أربعة (ابن أبي الحديد - ۳ : ص ۳۰۱) .

(۷) أى لا تتركه متلكاً متردداً ، بطعمك نارة ويؤيك أخرى ، بل اجله على أمر فيصل ، إما
 البيعة وإما الحرب ، وكذا قوله « وخذه بالأمر الجزم » أى الأمر المقطوع به .

وَحَذَّه بِالْأَمْرِ الْجَزْمَ ، وَخَيْرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْبِيَةٍ^(۱) ، أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَاذْبُدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَأَقْبِلْ إِلَى السَّلَامِ .

(العقد الفريد ۲ : ۲۳۲ ونهج البلاغة ۲ : ۶ وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۱)

۳۸۷ - كتاب عياض الثمالي إلى شرح حبل بن السمط

وكتب معاوية بإشارة عمرو بن العاص إلى شرح حبل بن السمط الكندي ، وهو بحمص (وكان رأس اليمينية وشيخها والمقدم عليها) « إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفضع^(۲) فاقدم » ودعا معاوية يزيد بن أسد ، وبسر ابن أرطاة ، وعمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحرث الزبيدي ، وحمزة بن مالك ، وحابس ابن سعد الطائي ، وهؤلاء رهوس قحطان واليمن ، وكانوا ثقات معاوية وخاصته ، وبنى عم شرح حبل بن السمط ، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان ، فلما قدم كتاب معاوية على شرح حبل ، استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه ، وأبى شرح حبل إلا أن يسير إلى معاوية ، فكتب إليه عياض الثمالي^(۳) - وكان ناسكاً - :

يا شرحُ يا ابن السَّمَطِ : إنك بالغُ بؤدُّ عليٍّ ما تريد من الأمر
يا شرحُ إن الشام شامك ، ما بها سواك ، فدع عنك المضلل من قهر^(۴)
فإن ابن هنادٍ ناصبٌ لك خدعةً تكون علينا مثل راغية البكر^(۵)

(۱) أي حرب تجلي القهورين فيها عن ديارهم أي تخرجهم ، والسلم : الصلح ، يؤت ويذكر ، وسلم مخزبة : أي فاضحة ، وإنما جعلها مخزبة لأن معاوية امتنع أولاً عن البيعة ، وفي رواية العقد « حرب مضلة » وفي ابن أبي الحديد « بين حرب مخزبة أو سلم محظية » .

(۲) فظع الأمر فهو فظيع ، وأفزع فهو مفضع .

(۳) بنو عمالة : بطن من الأزدي . (۴) قهر : هو قهرش .

(۵) من أمثال العرب « كانت عليهم كراغية البكر » والراغية : الرغاء ، والبكر : ولد الناقة .

بهنون رغاء بكر نمود حين عقر الناقة قدار بن سالف . وهو مثل يضرب في الفشاوم بالشيء .

فإن نال ما يرجو بنا كان مُلْكنا
 فلا تَبَغِين حَرْبَ العراق ، فإنها
 وإن عَلِيًّا خَيْرٌ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى
 له في رقاب الناس عهدٌ وذمة
 فبايع ولا ترجع على العقب كافرًا
 ولا تسمعن قول الطغاة ، فإنهم
 وماذا عليهم أن تطاعن دونهم
 فإن غلبوا كانوا علينا أئمة
 وإن غلبوا لم يصل بالخطب غيرنا
 يهون على عليا لؤي بن غالب
 فدع عنك عثمان بن عفان ، إنما
 على أي حال كان مضرعُ جنيدٍ
 هينًا له ، والحربُ قاصمةُ الظهر (۱)
 تحرّم أطهارَ النساء من الذُّعْرِ
 من الهاشميين المداريكِ للوتر (۲)
 كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
 أعيدك بالله العزيز من الكفر
 يريدون أن يلقوك في لجة البحر
 عليًا بأطراف المُتَقَفِّ السُّمْرِ؟ (۳)
 وكنا بحمد الله من ولد الطُّهْرِ
 وكان عليُّ حَرْبنا آخرَ الدهرِ (۴)
 دماء بني قحطان في ملكهم تجرى
 لك الخير لا تدرى بأنك لا تدرى
 فلا تسمعن قول الأَعِيرِ أو عمرو (۵)

فلما قدّم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظّموه ، حتى دخل عليه
 فمكلم معاوية ، فقال : يا شرحبيل ، إن جرير بن عبد الله قديم علمينا بدعونا إلى بيعة
 علي ، وعليُّ خيرُ الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان ، وقد حبست نفسي عليك ،
 وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضي ما رضوا وأكره ما كرهوا ، فقال شرحبيل :
 أخرجُ فأنظر ، فلقية هؤلاء النَّفَر ، فكلهم أخبره أن عليا قتل عثمان ، حتى ملثوا صدره
 حقدًا وإحقةً على علي فرجع مفضبًا إلى معاوية ، فقال : يا معاوية أباي الناس إلا أن عليا

(۱) قصه : كسره . (۲) مداريك جمع مدراك .

(۳) ثقب الرمح : سواه ، والأسير : الرمح .

(۴) يقال : فلان حرب فلان : أي محاربه ، وفلان حرب لي : أي عدو محارب ، وإن لم يكن محاربًا .
 والمعنى : وكان علي عدوا محاربًا لنا إلى آخر الدهر ، وفي الأصل « وكنا حربنا على آخر الدهر » ولا يستقيم
 عليه الوزن . (۵) الأعر : مصغر الأعور ، يعني أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى وهو أحد
 خاصة معاوية وثقاته .

قتل عثمان، والله إن بايعت له لنخر جَنك من شأمننا أو لنقتلنك، فقال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام. قال: فردَّ هذا الرجل إلى صاحبه إذن، فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأبى الشام كله مع شرحبيل.

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۳۹)

۳۸۸ - كتاب آخر إلى شرحبيل بن السمط

وكتب كتاب لا يُعرف كاتبه إلى شرحبيل يقول:

شرحبيلُ يا بنَ السَّمطِ لا تَتَّبِعِ الهوى
ولا تَأْكُ كالمُجْرى إلى شَرِّ غايَةٍ
وقل لابن حربٍ : مالكَ اليومَ خُلةٌ
شرحبيلُ : إن الحقَّ قد جدَّ جدُّه
وأزودٌ ولا تفرطُ بشيءٍ تخافه
مقالُ ابنِ هندٍ في عليٍّ عَضِيهَةٌ
وما منَ عليٍّ في ابنِ عفانٍ سَقَطَةٌ
وما كانَ إلا لازماً قَعَرَ يَتِيه
فما لك في الدنيا من الدين من بدل
فقد خرَّقَ السَّرْبَالُ واستنوقَ الجَمَلُ^(۱)
ترومُ بها مارمُتَ واقطعْ له الأملُ^(۲)
فكن فيه مأمونَ الأديمِ مِنَ النغلِ^(۳)
عليك ، ولا تعجلْ فلا خيرَ في العَجَلِ^(۴)
ولله في صدر ابنِ أبي طالبٍ أَجَلٌ^(۵)
بقولٍ ، ولا مالا عليه ، ولا قَتْلُ^(۶)
إلى أن أتى عثمانَ في داره الأجلُ

(۱) السربال : القميص ، أو الدرع ، أو كل ما لبس ، ومن أمثالهم : « قد استنوق الجمل » أي صار ناقة . وهو مثل يضرب في التغليب . ذكروا أن السبب بن علس أنشد بين يدي عمرو بن هند :
وقد أتلاف لهم عند احتضاره بناج عليه الصعيرة مكدم

بناج : أي بغير بناج ، أي مسرع ، وصف النجاء بالفتح : وهو السرعة في السير - وفي القاموس المحيط : وناقة ناجية ونجية : سريعة ، لا يوصف به البعير ، أو يقال ناج - والصعيرة : سمه لأهل اليمن توسم بها النوق خاصة في أعناقها دون الفحول (وغل مكدم بضم فسكون ففتح : إذا كان قويا شديدا) .
وكان طرفه بن العبد حاضرا وهو غلام فقال : قد استنوق الجمل ، فغضب السبب وقال : ليقتلنه لسانه فكان كما تفرس فيه . (۲) الحلة : الصداقة .

(۳) نغل الأديم كفرح : فد في الدباغ . (۴) أزود : أمهل وفرط كنصر : سبق وتقدم .

(۵) للعضية : الإفك والبهتان . (۶) مالا مسهل عن مالا : أي ساعد وشايم .

وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَمَنْ بَاتَمِيهِ فِي نَفْسِهِ يُضْرَبَ الْمَثَلُ
فَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا فَحَسَبُهُ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ بَعْضُ الَّذِي احْتَمَلُ
فَلَمَّا قَرَأَ شُرْحَ حَبِيلِ الْكِتَابِ ذُعِرَ وَفَكَّرَ ، وَقَالَ : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لِي فِي دِينِي ، لَا وَاللَّهِ
لَا أُعْجَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْءً ، وَكَأَدِ يَحْوُلُ عَنْ نَصْرِ مَعَاوِيَةَ وَيَتَوَقَّفُ ، فَلَفَّقَ لَهُ مَعَاوِيَةُ
الرِّجَالَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيَخْرُجُونَ وَيُعْظَمُونَ عِنْدَهُ قَتْلَ عُمَانَ ، وَيُرْمُونَ بِهِ عَلِيًّا ، وَيَقِيمُونَ
لِلشَّهَادَةِ الْبَاطِلَةَ ، وَالْكَتَبِ الْمَخْتَلَفَةَ حَتَّى أَعَادُوا رَأْيَهُ ، وَشَحَّذُوا عَزْمَهُ .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٤٩)

٣٨٩ - رد معاوية على عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ جواباً عن كتابه إليه مع جرير :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَمَا بَعْدُ
فَلَعَمْرِي لَوْ بَايَعَكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ بَايَعُوكَ وَأَنْتَ بَرِيٌّ ، مِنْ دَمِ عُمَانَ لَكُنْتَ كَأَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرُ وَعُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَكِنَّكَ أَغْرَبْتَ بَدَمَ عُمَانَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَخَذَلْتَ
عَنْهُ الْأَنْصَارَ ، فَأَطَاعَكَ الْجَاهِلُ ، وَقَوِيَ بِكَ الضَّعِيفُ ، وَقَدْ أَبَى أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا قِتَالَكَ ،
حَتَّى تَدْفَعَ إِلَيْهِمْ قَتْلَةَ عُمَانَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ كَانَتْ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا كَانَ
الْحِجَازِيُّونَ هُمُ الْحُكَّامُ عَلَى النَّاسِ وَالْحَقُّ فِيهِمْ ، فَلَمَّا فَارَقُوهُ كَانَ الْحُكَّامُ عَلَى النَّاسِ
أَهْلُ الشَّامِ ، وَلَعَمْرِي مَا حُجِّتُكَ عَلَى كَحُجِّتِكَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، لِأَنَّهَا بَايَعَاكَ وَلَمْ
أَبَايَعَكَ ، وَمَا حُجِّتِكَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ كَحُجِّتِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ
أَطَاعُوكَ ، وَلَمْ يُطِيعَكَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَأَمَّا شَرَفُكَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَوْضِعُكَ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَسْتُ أُدْفِعُهُ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الْكِتَابِ
بِشَرِّ كَتَبٍ بَنِي جُعَيْلٍ ، وَهُوَ :

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّرَهُ مَمْلَكَةَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِيْنَا

وَكَلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْفِضًا يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
 إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَا^(۱)
 فَقَالُوا : عَلِيُّ إِمَامٌ لَنَا فَقَانَا : رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا^(۲)
 وَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ فَقَانَا : أَلَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا^(۳)
 وَمِنْ دُونَ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ وَضَرْبُ وَطَعْنُ بَفِضِ الشُّونَا^(۴)
 وَكُلُّ بُسْرٍ بِمَا عِنْدَهُ يَرَى غَثَّ مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينًا^(۵)
 وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُسْتَعْتَبٍ مَقَالٌ سَوَى ضَمِّهِ الْمُحَدِّثِينَ^(۶)
 وَإِثَارِهِ الْيَوْمَ أَهْلَ الذُّنُوبِ وَرَفَعَ الْقِصَاصِ عَنِ الْقَاتِلِينَ^(۷)
 إِذَا سِيلَ عَنْهُ حَدًّا شُبْهَةً وَعَمَى الْجَوَابَ عَلَى السَّائِلِينَ^(۸)
 فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاحِطٍ وَلَا فِي النَّهَاءِ وَلَا الْآمِرِينَ
 وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرَّهٌ وَلَا بُدَّ مِنْ بَعْضِ ذَا أَنْ يَكُونَا

(العقد الفريد ۲ : ۲۲۳ ، والكامل للبرد ۱ : ۱۵۵ ، والإمامة والبيعة

۱ : ۷۷ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۲۵۲ و ص ۱۵۸)

(۱) دانه (وأدانه) أقرضه ، ودانه أيضا دينا بالفتح ويكسر : جزاءه ، قال تعالى :
 « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » أي يوم الجزاء والحساب .

(۲) ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

(۳) دان له : خضع وأطاع ودخل في دينه (بالكسر) أي في طاعته .

(۴) القناد : شجر صلب له شوك أمثال الإبر ، والخراط : قشر الورق عن الشجرة اجتذابا بكفك .

وهو مثل يضرب للأمر دونه مانع ، يفيض : أي يكسر ويفرق . والشئون جمع شأن ، وهي مواصل

قبائل الرأس وملقاهما . وذلك أن للرأس أربع قبائل : أي قطع مشعوب بعضها إلى بعض ، فالكشون

هي الشعب التي تجمع بين تلك القبائل ، وقالوا إن مجارى الدموع منها ، ولذا أطلقوا الكشون على مجارى

الدمع من الرأس إلى العين . فقالوا : استهلث شئونه . ومنه قول أوس بن حجر :

لا تحزني بالفرق فإني لا تستهل من الفرق شئوني

وفي رواية « وضرب وطعن يقر العيون » يقال : قرنت عينه أي بردت « من القر وهو البرد وهو

خلاف قولهم سخنت عينه » أو رأيت ما كانت متشوفة إليه . (۵) الفث : الممزول .

(۶) استعنبه : طلب إليه العتي (بالضم) أي الرضا ، والمحدث الجاني (۷) آثره : فضله وقدمه .

(۸) سبل منى المجهول من سال يسأل كخاف يخاف لغة في سأل ، وحذا : قدر ، والمعنى ذكر ،

أو هو « حذا » أي سأل .

۳۹۰ - رد علی- علی معاویة

فكتب إليه الإمام علی- رضی الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من علی بن أبی طالب إلى معاویة بن صخر : أما بعد ،
قد أتانی کتابك كتاب امری ليس له بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ ، دعاه
الهوى فأجابہ ، وقاده فاتَّبَعَهُ ؛ زعمتَ أنك إنما أفسدَ عليكَ بيعتي خَفَرِي (۱) بعثان ،
ولعمري ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين ، أوردتُ كما أوردوا ، وأصدرتُ كما
أصدروا ، وما كان الله ليَجْمَعَهُم على ضلال ، ولا لِيَضْرِبَهُم بالعمى ، وما أمرتُ
فلزمتني خَطِيئَةُ الأَمْرِ ، ولا قتلْتُ فأخافَ على نفسي قِصاصَ القاتل .

وأما قولك إن أهل الشام هم حُكَّامُ أهل الحجاز ، فهاتِ رجلا من قريش الشام
يُقْبَلُ في الشورى ، أو تَحِلُّ له الخِلافةُ ، فإن سَمَّيتَ كذَّبَكَ المهاجرون والأنصار ،
ومن أتيتك به من قريش الحجاز .

وأما قولك ادفع إلى قتلة عثمان ، فما أنت وذاك ؟ وما هنا بنو عثمان ، وهم أولى
بذلك منك (۲) فإن زعمتَ أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم ، فارجع إلى البيعة
التي لزمَتَكَ (۳) وحَاكِمِ القومَ إلى (۴) .

وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير ، فاعمري

(۱) خفر به كضرب خفرا وخفورا : نفس عهده وغدره . وفي رواية الكامل « خطيئتي
في عثمان » وكذا في الإمامة والسياسة .

(۲) وفي رواية الكامل : « وبعد ما أنت وعثمان ؟ إنما أنت رجل من بني أمية ، وبني عثمان
أولى بطلبة دمه » .

(۳) وفي رواية الكامل : « فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم
حَاكِمِ القومَ إلى » (۴) وفي رواية الكامل : « لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الحيار ، ولا
يتأنف فيها النظر » وفي رواية النهج : لأنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يتأنف فيها
الحيار » وسيد عليك فقر مكررة في بعض الرسائل ، لاختلاف رواياتها .

فما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة ، لا يتأتى فيها النظر ، ولا يُستأنف فيها الخيار .

وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعي من قريش ، فاعمرى لو استطعت دَفَعَهُ لَدَفَعْتَهُ .

(العقد الفريد ۲ : ۲۳۳ ، والكامل للبرد ۱ : ۱۵۷ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۲ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۷۷ ، ونهج البلاغة ۲ : ۵)

۳۹۱ - كتاب معاوية إلى عليّ

وفي رواية عن جرير قال : إن معاوية لما جاءه كتاب الوليد بن عُقبَةَ الأخير ، وصل بين طُومارين أبيضين ، ثم طواها وكتب عنوانها :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » ودفعَهما إلى لا أعلم ما فيهما ، ولا أظنهما إلا جوابا ، وبعث معي رجلا من بني عَبَسَ لا أدري مامعه ، فخرجنا حتى قدِمنا الكوفة ، واجتمع الناس في المسجد لا يشكون أنها بيعة أهل الشام ، فلما فتح عليّ عليه السلام الكتاب لم يجد شيئا ، وقام العَبَسِيُّ ندفع إلى عليّ كتابا من معاوية ففتحهُ فوجد فيه :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ عُقْمَةٌ وفيه اجْتِدَاعٌ لِلنَّفُوسِ أُصِيلُ
مُصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَدَّةٌ نَكَادُ لَهَا صُمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ
(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۳۰۱)

۳۹۲ - كتاب معاوية إلى أهل مكة والمدينة

وكتب معاوية - أيام كان جرير عنده ينتظر جوابه - إلى أهل مكة والمدينة :
« أما بعد ، فإنه مها غاب عنا من الأمور ، فلم يَبِ عَنَا أَنْ عَلِيًّا قَتَلَ عَثْمَانَ ،

والدليل على ذلك أن قتلته عنده^(۱) ، وإنما نطلب بدمه حتى يدفع إلينا قتلته ، فنقتلهم بكتاب الله تعالى ، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه ، وجعلناها سُورَى بين المسلمين ، على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب ، فأما الخلافةُ فلسنا نطلبها ، فأعينونا على أمرنا هذا يرحمك الله ، وانهضوا من ناحيتكم ، فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد هابَ عليٌّ ما هو فيه والسلام .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۵ ، ونشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۸)

۳۹۳ - رد المسور بن مخرمة على معاوية

فلما قرئ عليهم كتابه ، اجتمع رأيهم على أن يُسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمة فجاب عنهم ، فكتب إليه :

« أما بعد : فإنك أخطأت خطأ عظيماً ، وأخطأت مواضع النصر ، وتناولتها من مكان بعيد ، وما أنت والخلافة^(۲) يا معاوية ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ؟ فكف عنا فليس لك قبلنا وليٌّ ولا نصير . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۵)

وفي رواية ابن أبي الحديد :

فكتب عبد الله بن عمر إلى معاوية ، وعمرو بن العاص :

« أما بعدُ : فلعمري لقد أخطأتما موضع النصر ، وتناولتماها من مكان بعيد ، وما زاد الله من شكٍّ في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً ، وما أنتما والمشورة ؟ وما أنتما والخلافة ؟ أما أنت يا معاوية فطليق ، وأما أنت يا عمرو فظنين^(۳) ، ألا فكفَّا أنفسكما ، فليس لكما فينا وليٌّ ، ولا نصير . »

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۸)

(۱) وفي ابن أبي الحديد : « والدليل على ذلك مكان قتلته منه . »

(۲) الأرجح فيه الرفع ، ويجوز فيه النصب على تقدير ما تكون والخلافة ثم حذف الفعل وانفصل

النصير . (۳) الظنين : المتهم .

۳۹۴ - کتاب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو

قال أيضاً : وكتب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو بن العاص مع كتاب عبد الله بن عمر :

مُعاوِيَ : إن الحقَّ أبلجٌ واضحٌ وليس بما ربّصتَ أنت ولا عمرو^(۱)
 نصبتَ ابن عَفَّانَ لنا اليومَ خُدعةً كما نصبَ الشيطانَ إذ قُضِيَ الأمرُ^(۲)
 فهذا كما ذاك البلاءَ حذوً فعليه سواءَ كرقراقٍ يُغرُّ به السفرُ^(۳)
 رميتُم عليًّا بالذي لا يضيرُهُ وإن عظمتَ فيه المَكيدةُ والمكرُ^(۴)
 وما ذنبُهُ أن نالَ عثمانَ مَعشرُ أتوه من الأحياءَ تجمعهم مِصرُ
 فثارَ إليهم المسلمونَ ببئعةٍ علانيةٍ ما كان فيها لهم قَسرُ^(۵)
 وبإيعةِ الشيطانِ ثم تحملاً إلى العُمرةِ العظمى وباطنِها للغدرُ^(۶)
 فكان الذي قد كان ، مما اقتصاصُهُ يطولُ ، فيا لله ما أحدثَ الدهرُ
 وما أتانا والنصرُ منا ؟ وأتانا ببيتنا حُروب ما يبُوخُ لها جمرُ^(۷)
 وما أتانا ؟ لله درُّ أيكما ! وذكُرُ كما الشورى وقد وضَحَ النجرُ^(۸)
 (شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۵۸)

- (۱) أبلج : مضى ، مشرق ، وربص بفلان وتربص : انتظر به خيراً أو شراً يحل به .
 (۲) يعني بالشيخين : طلحة والزبير . (۳) من أمثالهم : « حذو النعل بالنعل » وهو مثل يضرب في النسوية بين الشيطان . والرقراق : تفرق السراب (وكل شيء له بصيص وتلاؤف فهو رقراق) والسفر : المسافرون . (۴) ضاره : ضره .
 (۵) القسر : القهر . (۶) انظر ص ۲۹۵ ، وتحمل : ارتحل وذهب .
 (۷) البيت : الرسول وهو فعيل بمعنى مفعول ، وبأخت النار : سكنت .
 (۸) فة دره ، كلمة تقال لمن يتعجب منه ، والدر : اللب ، والمراد هنا اللب الذي ارتضعه من ندى أمه وأضيف إلى الله تعالى تشريفاً ، أى أن اللب الذي تغذى به يستحق أن ينسب إلى الله تعالى لشرفه وعظمه ، وقيل : معناه فة الندى الذي أرضعه وهو قريب من الأول ، والدر أيضاً العمل والنفس ، أى أن عمله عظيم جليل جدير به أن يضاف إلى الله تعالى ، أو أن نفسه شريفة كريهة كذلك .

۳۹۵ - كتاب معاوية إلى ابن عمر

وكتب معاوية إلى عبد الله بن عمر كتاباً خاصاً دون كتابه إلى أهل المدينة :
« أما بعد : فإنه لم يكن أحد من قريش أحبَّ إلىَّ أن يجتمع الناس عليه بعد
قتل عثمان منك ، فذكرتُ خذلك إياه ، وطعنك على أنصاره ، فتغيرتُ لك ، وقد
هوّن ذلك عليَّ خِلافك علياً^(۱) وطعنك عليه ، ومحا عنك بعض ما كان منك ،
فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم ، فإنني لست أريد الإمارة عليك ، ولكني
أريدها لك ، فإن أنت أبيتَ كانت شورى بين المسلمين » .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۵ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ ص ۲۶۰)

۳۹۶ - رد ابن عمر على معاوية

فكتب إليه عبد الله بن عمر :

« أما بعدُ : فإن الرأي الذي أطعك فيّ هو الذي صيّرك إلى ما صيّرك إليه ،
تركتُ علياً في المهاجرين والأنصار ، وتركتُ طلحة والزبير وعائشة وأنبئك !
وأما قولك إني طعنتُ على عليّ ، فلعمري ما أنا كعليّ في الإسلام والهجرة ومكانه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أحدثتُ أمراً لم يكن إلينا فيه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد ، ففزعنتُ إلى الوقوف ، وقلتُ : إن كان هذا هدىً ،
ففضلُ تركته ، وإن كان ضلالةً ، فشرُّ منه نجوتُ ، فأغنِ عني نفسك ، والسلام » .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۶ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ ص ۲۶۰)

(۱) قال الطبري (ج ۵ : ص ۱۵۴) « وبايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه
منهم سعد بن أبي وقاص ، ومنهم ابن عمر ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن مسلمة ، وصلبة بن
وقش ، وأسامة بن زيد » .

۳۹۷ - کتاب معاویة إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب معاویة إلى سعد بن أبي وقاص ، يدعوہ إلى القيام معه فی دم عثمان :
« سلام علیک ، أما بعد : فإن أحقَّ الناس بُنصرة عثمان أهل الشوری من قریش ،
الذین أثبتوا حقَّه واختاروه علی غیره ، وقد نصره طلحة والزبیر ، وهما شریکاک فی الأمر
والشوری ، ونظیراک فی الإسلام وخفتَ لذلك أم المؤمنین ، فلا تکرهن ما رضوا ،
ولا تردنَّ ما قبلوا ، وإنما نرید أن نردَّها شوری بین المسلمین ، والسلام . »
(العقد الفرید ۲ : ۲۳۵ ، والإمامة والسیاسة ۱ : ۷۶ ، وشرح ابن أبی الحدید م ۱ : ص ۲۶۰)

۳۹۸ - رد سعد علی معاویة

فأجابہ سعد :

« أما بعد ، فإن عمر رضی الله عنه لم یدخل فی الشوری إلا من تحلَّ له الخلافة ،
فلم یکن أحد منا أولى بها من صاحبه إلا باجماعنا علیہ ، غیر أن علیاً کان فیہ ما فینا
ولم یکن فینا ما فیہ ، ولو لم یطلبها ولزم بیته لطلبته العرب ولو بأقصى الیمین ، وهذا
الأمر قد کرهنا أوَّلَه وکرهنا آخره ، وأما طلحة والزبیر فلو لزمنا بیوتهما لکان
خیراً لهما ، والله یغفر لأم المؤمنین ما أتت ، والسلام . »
(العقد الفرید ۲ : ۲۳۵ ، وشرح ابن أبی الحدید م ۱ : ص ۲۶۰)

وفی رواية الإمامة والسیاسة :

فكتب إليه سعد : « أما بعد فإن أهل الشوری لیس منهم أحد أحقَّ بها من
صاحبه ، غیر أن علیاً کان من السَّابِقة ، ولم یکن فینا ما فیہ ، فشاركنا فی محاسننا
ولم نشاركه فی محاسنه ، وكان أحقَّنا کلنا بالخلافة ، ولكن مقادیر الله تعالی التي
صرفتها عنه حیث شاء لعلمه وقدره ، وقد علمنا أنه أحقُّ بها منا ، ولكن لم یکن یدُّ

من الكلام في ذلك والنشاجر فدع ذاً ، وأما أمرك يا معاوية فإنه أمر كرهنا أوله
وآخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيعتهما لكان خيراً لهما ، والله تعالى يغفر لعائشة
أم المؤمنين . (الإمامة والسياسة ۱ : ۷۶)

۳۹۹ - كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري

وكتب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري - وكان فارس الأنصار وذا النجدة
فيهم - : .

« أما بعدُ : فإنني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك ، ولكنني أردت أن
أذكرك النعمة التي خرجت منها ، والشك الذي صيرت إليه ، إنك كنت فارس
الأنصار وعدة المهاجرين ، وقد ادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً
لم تستطع أن تتمضي عليه ، وهو أنه نهك عن قتال أهل القبلة . أفلا نهيت أهل القبلة
عن قتال بعضهم بعضاً ؟ فقد كان عليك أن تكره لهم ما كره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ألم تر عثمان وأهل الدار^(۱) من أهل القبلة ! فأما قومك الأنصار فقد عصوا
الله تعالى ، وخذلوا عثمان ، والله سائلهم وسائلك عن الذي كان يوم القيامة والسلام .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۶ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۲۶۰)

۴۰۰ - رد ابن مسلمة على معاوية

فكتب إليه ابن مسلمة :

« أما بعدُ : فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل الذي في يدي ، وقد أخبرني رسول الله بالذي هو كائن قبل أن يكون ، فلما
كان كسرت سيفي ، ولزمت بيتي ، وأتتهم الرأي على الدين ، إذ لم يصح لي
معروف أمر به ، ولا منكر أنهى عنه ، ولعمري يا معاوية ما طلبت إلا الدنيا ،

(۱) هم الذين تسوروا الدار على عثمان وقتلوه .

ولا أتبت إلا الهوى ، ولئن كنت نصرت عثمان ميثاً ، لقد خذلكه حياً ، ونحن ومن
قبلنا من المهاجرين والأنصار أوئى بالصواب .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۷۷ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۶۰)

۴۰۱ - كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري - وكان سيداً معظماً
من سادات الأنصار ، وكان من شيعة علي عليه السلام - كتاباً : سطرأ واحداً ،
وهو :

« حاجيتك^(۱) : لا تنسى الشيباء أبا عذرها^(۲) ، ولا قاتل بكرها »
فلم يدري أبو أيوب ما هو ! فأتى به علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إن معاوية
كهنف المناقين كتب إلى بكتاب لا أدري ما هو ؟ قال علي : فأين الكتاب ؟ فدفعه
إليه فقرأه وقال : « نعم ، هذا مثل ضربه لك ، يقول : لا تنسى الشيباء أبا عذرها ،
والشيباء : المرأة البكر ليلة افتضاها^(۳) ، لا تنسى بئلهما الذي افترعها أبداً ، ولا تنسى
قاتل بكرها وهو أول ولدها ، كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان . »

وروى أن معاوية كتب في أسفل كتابه إلى أبي أيوب :

أبلغ لديك أبا أيوب مألكة^(۴) أنا وقومك مثل الذئب والنقد^(۵)

(۱) حاجاه : فاطنه أى باراه في الفطنة .

(۲) العذر بالضم : البكرة ، وافتضاض الجارية ، ويقال : فلان أبو عذر فلانة وأبو عذرتها : إذا
كان افترعها وافتضاها (بالفاء وبالقاف) .

(۳) وجاء في لسان العرب في مادة شيب : « وكانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل
بها ولم يفترعها ليلة زفافها : باتت بليته حرة (بالإضافة) وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليته شيباء
(بالإضافة أيضاً) وقيل : ياء شيباء بدل من واو لأن ماء الرجل شاب ماء المرأة ، غير أنا لم نسمعهم
قالوا بليته شوباء ، جعلوا هذا بدلاً لازم كعيد وأعياد ، وقال أيضاً في مادة شوب (وباتت المرأة بليته
شيباء) قيل إن الياء فيها معاقبة (بكسر القاف) ، وإنما هو من الواو لأن ماء الرجل خالط ماء المرأة ،
ويقال باتت بليته شيباء ، وباتت بليته الشيباء .

(۴) المألكة بضم اللام وتفتح : الرسالة ، والنقد : جنس من الفم قبيح الشكل .

إِمَّا قَتَلْتُمْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَجُوا الْمَوَادَّةَ مِنَّا أَخِرَ الْأَبَدِ
 إِنِ الَّذِي نَلْتَمُوهُ ظَالِمِينَ لَهُ أَبَقْتُ حَزَاذَتُهُ صَدْعًا عَلَى كَبِدِي (۱)
 إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ لَقَدْ قَتَلْتُمْ إِمَامًا غَيْرَ ذِي أَوْدٍ (۲)
 لَا تَحْسَبُوا أَنِّي أَنَسَى مُصِيبَتَهُ وَفِي الْبِلَادِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَحَدٍ
 قَدْ أَبَدَلَ اللَّهُ مِنْكُمْ خَيْرَ ذِي كَلْعٍ وَالْيَحْصَبِيِّينَ أَهْلَ الْجُوفِ وَالْجَنْدِ (۳)
 إِنِ الْعِرَاقَ لَنَا فَقَعٌ بِقَرَقَرَةٍ أَوْ شَحْمَةٌ بَرَّهَا شَاوٍ وَلَمْ يَكْدِ (۴)
 وَالشَّامُ يَنْزِلُهَا الْأَبْرَارُ ، بَلَدُهَا أَمْنٌ ، وَبَيْضَتُهَا عَرِيْسَةُ الْأَسَدِ (۵)
 (شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۲۸۰)

۴۰۲ - رد أبي أيوب على معاوية

فكتب أبو أيوب إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنك كتبت « لانسى الشيباء أبا عذرها ، ولا قاتل بكرها »
 فضربتها مثلا بقتل عثمان ، وما نحن وقتل عثمان ؟ إن الذي تربص بعثمان ، وثبط
 يزيد بن أسد وأهل الشام عن نصرته لأنت (۶) ، وإن الذين قتلوه كغير الأنصار » .
 وكتب في آخر كتابه :

لَا تُوعِدُنَا ابْنَ حَرْبٍ ، إِنَّا نَفَرٌ لَا نَبْتَغِي وَدَّ ذِي الْبَغْضَاءِ مِنْ أَحَدٍ

(۱) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه ، والصدع : الشق .

(۲) الأود : الأعوجاج ، وفعله كفرح .

(۳) يعنى بذى كلم ذاك الكلاع (كسحاب) الحميرى ، وكان من أعظم أصحاب معاوية شأنا وقدرًا
 وهو ذو الكلاع الأصغر سميف بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما
 من أدواء اليمن ، ويحصب مثلث الصاد : حى باليمن ، والنسب إليه يحصى مثلث الصاد أيضا ، والجوف
 باليمن : موضع بناحية عمان ، وكذا الجوف بالحاء (وفي الأصل بالحاء وهو تصحيف) والجند : بلد باليمن .

(۴) الفقم بالفتح ويكسر : البيضاء الرخوة من الكماء ، والقرقرة : أرض معاشة لينة كالقرقر
 ويقال للذليل : « هو أذل من فقم بقرقرة » لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل ، وبرزها :
 نزعها وأخذها بجفاء وقهر ، وشاو : اسم فاعل من شوى اللحم (والشاوى أيضا صاحب الشاة) .

(۵) البيضة : حوزة كل شيء وساحة القوم ، والعريس والعريسة : مأوى الأسد .

(۶) انظر ص ۳۷۷ .

واسعوا جميعاً بنى الأحزاب كلکم
 نحن الذين ضربنا الناس كلهم
 والعام قصرک منا إن ثبت لنا
 أما عليّ فإننا لا نفارقه
 إما تبدلت منا بعد نصرتنا
 لا يعرفون (أضلّ الله سعيهم)
 فقد بنى الحق هضماً شرّ ذى کلع
 فلما أتى معاوية کتاب أبي أيوب كسره .

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۲۸۱)

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :

وكتب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري - وكان أشد الأنصار على معاوية - :

« أما بعدُ : فإنّي نسيتك ما لا تنسى الشّيباء » .

(۱) يُزِيل يفرق .

(۲) الآل : السراب ، أو خاص بنا في أول النهار . ويؤنث ، ورف لونه كضرب : برق وتلألأ
 وفي الأصل « مارفر الآل » من رفر الطائر إذا حرك جناحيه ، والمعنى عليه صحيح على المجاز ،
 والظاهر عندي أنه (مارفت الآل) كما أوردته . والدو والدوية والداوية ويخفف الفلاة . والجرد:
 فضاء لا نبت فيه . (۳) طرا جيما ، وجاء في أمثال العرب « هو أذل من بيضة البلد » وهي بيضة
 تركها النعامة في الفلاة فلا تخضنها ، فتبقى تريكه بالفلاة ، وهي من الأضداد تستعمل مدحا وذما ، يقولون
 للرجل الكريم هو بيضة البلد ، يذحوته ، ويقولون الآخر : هو بيضة البلد ، يذموه ، فإذا ذم بها فهي
 التي قد خرج الفرخ منها وزى بها الظلم ، فتقع في البلد الففر فيدوسها الناس والإبل ، ومن ذلك قول الراعي
 يهجو ابن الرقاع العاملي :

لو كنت من أحد يهجي هجوتكم

يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسا

وابنا نزار فأتم بيضة البلد

(وأن تعرف بالجزم على لغة من يجزم بأن المصدرية) وإذا مدح بها فهي التي فيها الفرخ ، لأن
 الظلم حينئذ يصونها ويوقبها الأذى . والمعنى على المدح أن ذلك الرجل هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ،
 ويقبل قوله ، أو هو فرد ليس أحد مثله في شرفه .

فلما قرأ كتابه أتى به علياً ، فأقرأه إياه ، قال علي : يعني بالشيء المرأة الشمطاء
لاتنسى نكل ابنها^(۱) ، فأنا لا أنسى قتل عثمان .

فكتب إليه أبو أيوب :

« إنه لاتنسى الشيء نكل ولدها ، وضربتها مثلاً لقتل عثمان ، فما نحن وقتلة
عثمان ؟ إن الذي تربص بعثمان ، وثبّط أهل الشام عن نصرته لأنت ، وإن الذين قتلوه
غير الأنصار ، والسلام » . (الإمامة والسياسة ۱ : ۸۲)

۴۰۳ - كتاب شرح جليل بن السمط إلى معاوية

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : أن معاوية دعا أهل الشام إلى الطلب بدم
عثمان ، فقاموا إليه فقالوا : هو ابن عمك وأنت وليه ، ونحن الطالبون معك بدمه ،
فبايعوه أميراً عليهم ، وكتب وبعث الرسل إلى كور الشام ، وكتب إلى شرح جليل
ابن السمط الكندي ، وهو بمحصر أن يبايع له بمحصر كما بايع أهل الشام ، فقال
شرح جليل : هذه سقطة ، ولكننا نبايع له بالخلافة ، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة ،
فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل محصر ، ثم كتب إليه :

« أمّا بعدُ : فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إليّ أن أبايع لك بالإمرة ،
وأنت تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم ، وأنت غير خليفة ، وقد بايعت ومن قبلي
لك بالخلافة » .

فلما قرأ معاوية كتابه سرّه ذلك ، وأخبر الناس بها قال شرح جليل ، ودعاهم إلى

(۱) هكذا مرواه ابن قتيبة ، وقد جاء في لسان العرب : « وبتان : رجل أشيب . ولا يقال
امرأة شيباء ، لا تمتع به المرأة ، اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء ، وقد يقال شاب رأسها ، وفي القاموس
المحيط وهو أشيب ولا فعلاء له ، والنكل : الفقد .

بيعه بالخلافة ، فأجابوه ولم يتخلف منهم أحد^(۱) . (الإمامة والسياسة ۱ : ۶۲)

۴۰۴ - كتاب معاوية إلى علي

قال ابن قتيبة : فلما بايع القوم له بالخلافة ، واستقام له الأمر ، كتب إلى علي :

« سلام الله على من اتبع الهدى .

أما بعدُ : فإننا كنا نحن وإياكم يداً جامعة ، وألفةً أليفةً ، حتى طمعت
يا بن أبي طالب ، فتغيرت وأصبحت تعدُّ نفسك قويا على من عاداك بطغام^(۲)
أهل الحجاز ، وأوباش أهل العراق ، وحمقى الفسطاط^(۳) ، وغوغاء السواد ، وآثم الله
لبنجيين عنك حمقاها ، ولينقشمن^(۴) عنك غوغاؤها انتشاع السحاب^(۵) عن السماء .

قتلت عثمان بن عفان ، ورقيت سُمَّا أظلمك الله عليه مُطلع سوء عليك لالك ،
وقتل الزبير وطلحة ، وشردت أمك عائشة ، ونزلت بين المصريين فمئيت وتمئيت ،
وخيل لك أن الدنيا قد سُخرت لك بخيلها ورجلها^(۵) ، وإنما تعرفُ أمئيتك ،
لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقبية الإسلام ، فيحيطون بك من ورائك ،
ثم يقضي الله علمه فيك والسلام على أولياء الله » (الإمامة والسياسة ۱ : ۶۲)

(۱) الوارد في تاريخ الطبري أن عمرو بن العاص بعد أن خدع أبا موسى الأشعري في مجلس التحكيم
انصرف هو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة (انظر ج ۶ : ص ۴۰) .
وروي أيضا : أن أهل الشام لما انصرفوا من صهين ، كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان ، فلما
انصرفا وتفرقا ، بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزد لإلا قوة (ج ۶ : ص ۵۵) وفي مروج الذهب
أن عمرا بعد فشل التحكيم رجم إلى الشام ، وأحضر معاوية الخوارج من أهل الشام ، فقال لهم عمرو :
قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحدا أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام ، وانصرف إلى
منزله خائفة - انظر ج ۲ : ص ۳۵ - .

(۲) الطغام : أوعاد الناس .

(۳) الفسطاط : علم مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص ، يعني مصر .

(۴) انقشع السحاب : انكشف . (۵) رجل : جمع راجل ، وهو ضد الفارس .

۴۰۵ - رد علی علی معاویة

فأجابه علی :

« أما بعد ، فقدّر الأمور تقدیراً مَنْ ينظر لنفسه دُونَ جُنْدِهِ ، ولا يشتغل بالهزل من قوله ، فلمعری لئن كانت قوتی بأهل العراق أوثق عندي من قوتی بالله ومعونتی به لیس^(۱) عند مَنْ كان علی هذا بالله تعالى یقین ، ففناج نفسك مناجاة مَنْ یستغنی بالجدّ دون الهزل ، فإن فی القول سعةً ، ولن یُعذر مثلك فیما طمّحَ إليه الرجال .

وأما ما ذكرتَ من أنا کنا وإیاکم یداً جامعةً ، فکنا كما ذكرت ، ففرّق بیننا وبينکم أن الله بعثَ رسوله منا فآمنا به وكفرتم ، ثم زعمتَ أني قتلت طلحة والزبير ، فذلك أمرٌ غِبتَ عنه ولم تحضّره ، ولو حضّرتَه لعلّمتَه ، فلا عليك ، ولا العذرُ فيه إليك ، وزعمتَ أنك زأرتی فی المهاجرین ، وقد انقطعت الهجرةُ حين أُسِرَ أخوک^(۲) ، فإن كانَ فیک عَجَلٌ فاستبقه ، وإن أزرک فجدیرٌ أن یكون الله بعثنی عليك للثّمة منك ، والسلام .

(الإمامة والسياسة : ۱ : ۶۲)

وروی هذان الكتابان بصورة أخرى ، وها کها :

(۱) جملة لیس جواب القسم ، وبالله متعلق بیقین ، وفي الأصل : « لیس عند الله تعالى یقین من كان علی هذا » وهي عبارة مضطربة ، وقد أصلحتها كما ترى .

(۲) فی الأصل « أبوک » وهو تحریف ، یعنی أخاه یزید بن أبی سفیان ، أسر يوم فتح مكة و بات الخدمة ، وكان خرج فی نفر من قریش یحاربون ویمنعون المسلمین من دخول مكة ، فقتل منهم قوم وأسیر یزید ، أسره خالد بن الولید ، نخلصه أبو سفیان منه وأدخله داره فآمن ، لأن رسول الله صلى الله علیه وسلم قال یومئذ : من دخل دار أبی سفیان فهو آمن ، والمعنی : لیس معك مهاجر ، لأن أكثر من هلك ممن رأى رسول الله صلى الله علیه وسلم هم أبناء الطلقاء ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال علیه الصلاة والسلام « لا هجرة بعد الفتح » .

۴۰۶ - کتاب معاویة إلى علی

روی ابن ابی الحدید قال :

کتب معاویة إلى علی :

« من معاویة بن أبی سفیان إلى علی بن أبی طالب :

أما بعدُ : فإننا بنی عبد منافٍ لم نزل من قَلِيبٍ^(۱) واحد ، ونَجْرِي في حَلْبَةٍ
واحدة ، ليس لبعضنا على بعض فَضْلٌ ، ولا لِقَائِمْنا على قاعدنا نَجْرٌ ، كَلِمَتنا مؤنفة ،
وَأَلْفَتنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كَرَمُ العِرْقِ^(۲) ، ويحويها شرفُ النَجْارِ ،
ويحنو قلوبنا على ضعيفنا ، ويؤاسي غنينا فقيرنا ، قد خَلَصَتْ قلوبنا من غِلِّ الحسد ،
وطَهَّرَتْ أنفسنا من خُبثِ النية ، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من
الإدْهان^(۳) في أمر ابن عمك والحسدِ له ، وتضريبِ^(۴) الناس عليه ! حتى قُتِلَ بِمَشْهَدِ
منك لا تدفعُ عنه باسان ولا يد ، فإيتك أظهرت نصره حيث أَسْرَرْتَ خَيْرَهُ^(۵) ،
فكنت كالمتعلق بين الناس بغير وإن ضعف ، والمتبرئ من دمه بدفع وإن وهن ،
واكنك جاست في دارك تدمسُ إليه الدواهي ، وترُصِلُ إليه الأفاعي ، حتى إذا قضيت
وطارك^(۶) منه أظهرت شماتةً ، وأبديت طلاقاً ، وحسرت^(۷) للأمر عن ساعدك ،
وشمَّرتَ عن ساقك ، ودعوتَ الناس إلى نفسك ، وأكرهت أعيان المسلمين
على بيعتك .

ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شَيْخِي المسلمين أبى محمد طلحة ، وأبى عبد الله

(۱) القليب : البئر ، والمعنى : من أصل واحد ، والحلبة : الخيل تجتمع للبقا .

(۲) العرق . أصل كل شيء ، والنجار : الأصل أيضا .

(۳) الإدْهان : الغش وإظهار خلاف ما يضر ، وعنى باین عمه عثمان .

(۴) التضريب بين الناس : الإغراء . (۵) الحسر : الندم والمديعة ، أو أقبج النذر .

(۶) الوطر : الحاجة . (۷) حسر عن ساعده : كضرب : كشف .

الزبير ، وها من الموعودين بالجلعة ، والبشر قاتل أحدهما^(۱) بالنار في الآخرة ، هذا إلى
تشريدك^(۲) بأم المؤمنين عائشة ، وإحلالها محلّ الهون^(۳) ، مُبتدلةً بين أيدي الأعراب ،
وفسقة أهل الكوفة ، فمن بين مُنتهري^(۴) لها ، وبين شامتٍ بها ، وبين ساخرٍ منها ،
ترى ابن عمك كان بهذه العوراء^(۵) راضياً ؟ أم كان يكون عليك ساخطاً ، ولك عمه
زاجراً أن تُؤذي أهله ، وتشرّد بحليلته ، وتسفك دماء أهل مائته !

ثم تركك دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « إن المدينة
لتنفي خبثها ، كما ينفي الكبرُ خبث الحديد^(۶) » فلعمري لقد صحَّ وعده ، وصدق
قوله ، ولقد نفت خبثها ، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها ، فأقت بين
المصريين ، وبعثت عن بركة الحرميين ، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة ، وبمجاورة
الخوزنق والحيرة ، عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة .

ومن قبل ذلك ما عيّبت خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما ،
فعدت عنهما ، وألبت^(۷) عليهما ، وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمراً لم يرك الله
تعالى له أهلاً ، ورقيت سلماً وعرأ ، وحاولت مقاماً دحضاً^(۸) ، وادّعت ما لم تجد عليه
ناصرأ ، ولعمري لو وليتها حينئذ كما ازدادت لإفسادا واضطرابا ، ولا أعقبت

(۱) هو الزبير بن العوام ، وذلك أنه لما انهزم أصحاب عائشة يوم الجمل ، انصرف الزبير حتى أتى
وادي السباع ، فتبعه عمرو بن جرموز فقتله في الفلاة وأتى علياً بسيفه فقال علي : سيف طالما جلى الكرب
من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه الحين ومصارع الدوه ، وبشر قاتل ابن صفية بالنار ، قال
ابن أبي الحديد « وقوله : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، اختلف فيه ، فقال قوم من أرباب السير وعلماء
الحديث : هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع ، وقوم منهم جعلوه مرفوعاً ، وعلى كل حال فهو حق
لأن ابن جرموز قتله مولياً خارجاً من الصف مفارقاً للحرب ، فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع عن الباطل ،
وقاتل هذه حاله فاسق مستحق للنار » . (۲) شرده : طرده ، وشرده به سمع بعبوبه .

(۳) الهون : الذل . (۴) انتهره ونهره : زجره .

(۵) العوراء : الفعلة (والكلمة) الفبيحة ، ويعني بابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحليلته :
زوجته ، بمعنى عائشة . (۶) كبر الحديد : منافخه ، وخبث الحديد : ما نفاه الكبر منه ، وهو ما
لاخبر فيه . (۷) التاليب : التحريك .

(۸) مكان دحس بالفتح ويمحرك زلق .

وَلَا يَتُكَّمَا إِلَّا انْتِشَارًا وَارْتِدَادًا ، لِأَنَّكَ الشَّامِخُ بِأَفْهِهِ ، اللَّاهِبُ بِنَفْسِهِ ، الْمُسْتَعْلِيلُ عَلَى النَّاسِ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ .

وَهَآنَا سَاطِرٌ إِلَيْكَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، تَحْفُهُمْ سَيْوْفٌ شَامِيَةٌ ، وَرِمَاحٌ قَحْطَامِيَّةٌ ، حَتَّى يُحَاكِمُوكَ إِلَى اللَّهِ ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَادْفَعْ إِلَى قَتْلَةِ عَثْمَانَ ، فَإِنَّهُمْ خَاصَّتِكَ وَخَلَصَاؤُكَ^(۱) وَالْمُحَدِّقُونَ بِكَ ، فَإِنَّ أُبَيْتَ إِلَّا سَبِيلَ اللَّجَاجِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْغَيِّ وَالضَّلَالِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِيكَ ، وَفِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَكَ : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۲۰۱)

۴۰۷ - رد علی - علی معاویة

وروی الشریف الرضی رحمہ اللہ أن علیاً علیہ السلام کتب إلى معاویة جواباً عن کتابه :

« أما بعدُ : فإننا كنا نحن وأتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة ، ففرق بيننا وبينكم أمسٍ أنا آمننا وكفرتم ، واليوم أنا استقمنا وفقتم ، وما أسلم مسلّمكم إلا

(۱) الملصاء : جمع خلس بالكسر كخدن ، وهو الصاحب .
وَأَنْتِ إِذَا تَدَبَّرْتِ هَذَا الْكِتَابَ وَجَدْتِ أَسْلُوبَهُ أَسْلُوبَ مِخَالِطَةٍ فِي لِصَاقِ هَذِهِ التَّهْمِ بِعَلِيٍّ ، فَإِنَّ عَلِيًّا لَمْ يَقْتُلْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَإِنَّمَا قَتَلَ فِي خُرُوجِهِمَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَشْرُدْ بِعَاشَةِ بَلْ هِيَ شَرَدَتْ نَفْسَهَا ، وَخَرَجَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ فَتَعَرَّضَتْ لِمَا نَالَهَا . عَلِيٌّ أَنْ عَلِيًّا بَعْدَ أَنْ هَزَمَ أَصْحَابَهَا أَمْرَ أَخَاهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَضْرِبَ عَلَيْهَا قَبَةَ ، وَقَالَ : انظُرْ هَلْ وَصَلَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِرَاحَةٍ ؟ فَوَجَدَهَا سَلِيمَةً لَمْ تَصِبْ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ جَاءَهَا فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا أُمِّهِ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَفْرَقُ اللَّهُ لَكَ . قَالَ : وَلَكَ ، ثُمَّ جَهَّزَهَا بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ مَرْكَبٍ أَوْ زَادٍ أَوْ مَتَاعٍ ، وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْمَعْرُوفَاتِ يَرِافِقْنَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ تَجْهِّزِي يَا مُحَمَّدُ فَبَلَّغْنَاهَا ، وَشِيمِهَا هُوَ أَمْبَالًا ، وَسَرَّحَ بَنِيهِ مَعَهَا يَوْمًا ، وَالْمَعْجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ يَصْمَعَ عَلِيًّا يَبْرُكُ دَارَ الْهَجْرَةِ . وَأَنْ يَقُولَ لَهُ إِنْ الْمَدِينَةَ قَدْ نَفَتِكَ عَنْهَا لِأَنَّكَ خَبِثَ ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُرَدُّودٌ عَلَيْهِ هُوَ ، فَقَدْ نَفَتَهُ الْمَدِينَةَ عَنْهَا مِنْذُ وَلى الشَّامِ مِنْ عَهْدِ عُمَرَ فَهَلْ هُوَ إِذَنْ خَبِثَ ! وَكَذَلِكَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَاشَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَالَّذِينَ يَتَعَصَّبُ لَهُمْ وَيَحْتَجُّ بِهِمْ ، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ طَوِيلٌ نَجْتزِي مِنْهُ بِهَذَا الْقَدْرِ الْبَسِيرِ .

كُرِّهًا^(۱) ، وبعد أن كان أُنْفَ^(۲) الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حرباً .
 وذكرت أني قتلت طلحة والزبير ، وشردت بعائشة ، ونزلت المصريين ، وذلك
 أمرٌ غيبت عنه ، فلا عليك ، ولا العذرُ فيه إليك .
 وذكرت أنك زائرِي في المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِرَ
 أخوك^(۳) ، فإن كان فيك عَجَلٌ فاستترِفيه^(۴) ، فإنني إن أزرُك فذلك جدير أن يكون
 الله إتما بعثني إليك للثمة منك ، وإن تزُرني فكما قال أخو بني أسد :

(۱) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثمان لفتح مكة في جيش عدته عشرة آلاف مقاتل ، ومضى حتى نزل مر الظهران ، فأمر أصحابه أن يوقدوا النار ، وبعث قريش أبا سفيان وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وسمع العباس بن عبد المطلب أبا سفيان وهو يقول لبديل : ما رأيت كالبيلة نيرانا قط ولا عسكرا ، فعرف صوته ، فقال له : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فأركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك ، فركب خلفه ورجع صاحبا ، حتى مر به عمر بن الخطاب فلما رآه على عجز البغلة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، وخرج يشتد نحو رسول الله ، وقال له : دعني فلاضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله إنني قد أجرتك ، وأكثر عمر في شأنه ، فقال رسول الله : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به ، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ، فقال له : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بآبي أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً بعد ، فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فتشهد وأسلم ، فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ، فقال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن - انظر سيرة ابن هشام ۲ : ۲۶۷ وشرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۲۰۸ وقد أسلم معاوية يوم الفتح كما قدمنا .

(۲) أنف كل شيء : أوله ، أي وبعد أن كان من أسلم منكم محارباً لرسول الله طوال أول الإسلام ، وقد كان أبو سفيان قائد الجيوش النازية لرسول الله يوم أحد والمندق وأنف هنا منصوب على الظرفية واسم كان ضمير مستتر يعود على مسلمكم .

(۳) هو يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح كما قدمنا ، وقد أسر أيضاً أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر - انظر سيرة ابن هشام ۲ : ۳۱ - ولكن ليس هو المراد هنا كما جاء في تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده ، لقوله « وقد انقطعت الهجرة » . (۴) أي فكن ذارفاً هية واسترح ولا ترهقن نفسك بالمجل فلا بد من تلاقينا ، فأى حاجة بك إلى أن تعجل ؟

مستقبين رِيحَ الصَّيْفِ نَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُحُودٍ^(۱)

وعندى السيفُ الذى أَعْضَضْتُهُ^(۲) بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فى مَقَامٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّكَ
وَأَلَّهِ - مَا عَلِمْتُ - الْأَغْلَفُ^(۳) الْقَابِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ
رَقِيتَ سُلْمًا أَطْلَعَكَ مُطْلَعٌ سَوْءٌ عَلَيْكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ^(۴) ، وَرَعَيْتَ
غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فى مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فَعْلِكَ^(۵)
وَاقْرَبِ مَا أَشْبَهْتَ^(۶) مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ ، وَتَمَنَّى الْبَاطِلَ عَلَى الْجُحُودِ
بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَضَرَعُوا مَصَارِعَهُمْ ، حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنَعُوا
حَرِيمًا ، بَوَاقِعِ سَيْوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعْيُ ، وَلَمْ تَمَاشِهَا^(۷) الْهُوَيْنَى .

وَقَدْ أَكْثَرَتْ فى قِتْلَةِ عَثْمَانَ ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ التَّمُومَ إِلَى ،
أَنْحَلِكَ وَإِيَاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِى تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ
الْأَبْنِ (فى أَوَّلِ الْفِصَالِ^(۸) ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ) . (نهج البلاغة ۲ : ۸۹)

(۱) رِيحُ حَاصِبٍ : أَى تَحْمِلُ الْحَصْبَاءَ وَهِيَ صَفَارُ الْحَصَى ، وَأَغْوَارٌ : جَمْعُ غُورٍ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ مَا سَفَلَ
مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْجُحُودُ : الصَّخْرُ ، وَلَا يُنْفَى أَنْ رِيحَ الصَّيْفِ إِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ شَدِيدَةَ الْفَجِّ عَظِيمَةَ
الضَّرْرِ ، وَالْمَنَى : وَإِنْ تَغْرَوْنَا تَكُونُوا مُسْتَقْبِلِينَ . . الخ أَى تَعْرَضُوا أَنْفُسَكُمْ لِأَشَدِّ الْأَخْطَارِ .

(۲) يُقَالُ : أَعْضَضْتَهُ الشَّيْءَ : جَمَلْتَهُ بَعْضَهُ ، وَأَعْضَضْتَهُ سَيْفِي : ضَرَبْتَهُ بِهِ ، فَهَمَزْتَهُ لِلتَّعْدِيَةِ ، وَقَوْلُهُ :
أَعْضَضْتَهُ بِجَدِّكَ أَى جَمَلْتَهُ بَعْضَهُ وَبِضْرِبِهِ وَالْبَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : وَأَعْضَضْتَهُ أَى جَمَلْتَهُ مَعْضُوضًا
بِرءِوسِ أَهْلِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتَى أَفْعَالُهُ أَنْ تَجْمَعَهُ فَاعِلًا ، وَهُوَ هُنَا مِنَ الْقُلُوبِ أَى أَعْضَضْتَ رءِوسَ أَهْلِكَ
بِهِ . وَجَدَّهُ هُوَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ جَدَّهُ لِأُمِّهِ ، وَخَالَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ ، وَأَخُوهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَتَلَهُمْ
عَلَى يَوْمِ بَدْرٍ . (۳) الْأَغْلَفُ الْقَلْبُ : الَّذِى لِابْصِيرَةٍ لَهُ كَأَنَّ قَلْبَهُ فى غِلَافٍ . مُقَارِبُ الْعَقْلِ : نَاقِصُهُ
ضَعِيفُهُ ، كَأَنَّهُ يَكَادُ يَكُونُ عَاقِلًا وَلَيْسَ بِهِ .

(۴) الضَّالَّةُ : مَا فَقَدْتَهُ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ ، وَنَشَدَ الضَّالَّةَ : طَلَبَهَا وَعَرَفَهَا ، وَالسَّائِمَةُ : الْمَالُ الرَّاعِي ،
وَالْمَعْنَى طَلَبْتَ مَا لَيْسَ لَكَ .

(۵) كَانَ مَعَاوِيَةَ بَادِي الْأَمْرِ يُزْعَمُ أَنَّهُ لَمَّا نَهَضَ لِلطَّلِبِ بِدَمِ عَثْمَانَ الَّذِى قَتَلَ مَظْلُومًا ، وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ
حَتَّى يَقْتُلَ قِتْلَتَهُ ، ثُمَّ تَسْكُونُ الْخِلَافَةَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَكْبَهُ كَانَ يَعْمَلُ لِنَيْلِ الْخِلَافَةِ وَتَبَوُّءِ عَرْشِهَا .
(۶) مَامْصَدْرِيَّةٌ ، أَى وَقْرَبِ شَبِيهِكَ .

(۷) لَمْ تَمَاشِهَا : أَى لَمْ تَصَاحِبْهَا ، بَلْ مَضَتْ مَسْرَعَةً فى الرءِوسِ وَالْأَعْنَاقِ .

(۸) الْفِصَالُ : فَطْمُ الْمَوْلُودِ ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زَائِدٌ فى رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ .

۴۰۸ - کتاب علیؑ إلى معاوية

وكتب علیؑ إلى معاوية :

« من عبد الله علیؑ أمير المؤمنين إني معاوية بن أبي سفيان :

« أما بعد : فإن الدنيا دار تجارة ، وربِّحْها أو خسرْها الآخرة ، فالسعيد مَنْ كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ، ومَنْ رأى الدنيا بعينها وقدَّرها بتدْرِرها ، وإني لأعظُّك مع علیؑ بسابق العلم فيك مما لا مرَدَّ له دون نفاذه ، وليكنَّ الله تعالى أحدَّ علیؑ العلماء أن يؤدِّوا الأمانة ، وأن ينصِّحوا الغويِّ والرَّشيد ، فاتَّقِ الله ولا تكن ممن لا يرجون لله وقارًا ، ومَنْ حَقَّت عليه كلمة العذاب ، فإن الله بالمرصاد ، وإن دنياك ستدبر عنك ، وستعودُ حَسْرَةً عليك ، فأقْلِع عما أنت عليه من الغيِّ والضلال على كبرِ سنِّك ، وفناء عمرِك ، فإن حالك اليوم كحال الثوب المهمل^(۱) الذي لا يصلح من جانب إلا فسَدَ من آخر .

وقد أُرْدِيَتْ جِيلاً^(۲) من الناس كثيراً خدَعْتَهُمْ بِفَيْك ، وألْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِك ، تَغْشَاهُم الظُّلُمَات ، وتتلطم بهم الشُّبُهَات ، فجارُوا عن وجْهَتِهِمْ وَنَكَّصُوا^(۳) على أعقابِهِمْ ، وتَوَلَّوْا على أدبارِهِمْ ، وَعَوَّلُوا على أحسابِهِمْ ، إلا من فاء^(۴) من أهل البصائر ، فإنهم فارقوك بمدِّ مَعْرِفَتِك ، وهَرَبُوا إلى الله من مَوَازِرَتِك ، إذ حَمَّاتَهُمْ على الصَّعْب ، وعدَلَّتْ بِهِمْ عن القصد^(۵) ، فاتَّقِ الله يا معاوية في نفسك ، وجاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ، فإن الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريبة منك ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۵۰ ، ونهج البلاغة ۲ : ۵۱)

(۱) ثوب مهمل : أي رقيق سخيِّ النسج ، وفي الأصل « المهيل » وهو تحريف .

(۲) أي أهلكت قبيلًا وصنفا . (۳) أي رجعوا .

(۴) أي رجع ، والموازرة : المعاونة والمعاونة . (۵) القصد : استقامة الطريق .

۴۰۹ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أما بعد : فقد وقفتُ على كتابك ، وقد أُبديتَ على الفتنِ إلاّ تمادياً ، وإني لعالمٌ
أن الذي يدعوك إلى ذلك مَصْرَعُكَ الذي لا بُدَّ لك منه ، وإن كنت مُواثلاً^(۱) ،
فَارْدَدُ غِيّاً إلى غيك ، فطالما خَفَّ عَقْلُكَ ، وَمَنِّيتَ نَفْسَكَ ما ليس لك ، وَالتَّوَبْتُ
على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبةُ لغيرك ، واحتملتَ الوزرَ بما أحاط بك من
خَطِيئَتِكَ ، والسلام . »
(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۵۰)

۴۱۰ - رد عليّ على معاوية

فكتب عليّ عليه السلام إليه :

« أما بعد : فإن ما أنيتَ به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك
وقومك ، الذين حَمَلَهُم الكفر ، وَتَمَنَّى الأباطيل على حَسَدِ محمد صلى الله عليه وآله حتى
ضَرَبُوا مَصَارِعَهُم حيث علمت ، لم يمنعوا حَرِيماً ، ولم يدفعوا عَظِيماً ، وأنا صاحبُهم
في تلك المواطن ، الصَّالِي^(۲) بحربهم ، وَالْفَالُ لِحَدِّهِمْ ، وَالْقَاتِلُ لِرُءُوسِهِم رُءُوس الضلالة ،
وَالْمُتَّبِعُ إِنْ شَاءَ اللهُ خَلْفَهُمْ بِسَلْفِهِمْ ، فبئس الخلفُ خلفُ اتَّبِعَ سَلْفًا مَحَلُّهُ وَمَحَطُّهُ النَّارُ ،
وَالسَّلَام . »
(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۵۰)

۴۱۱ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعدُ : فقد طال في القى ما استمررت أَدْرَاجَكَ^(۳) ، كما طالما تمادى عن

(۱) وامل : طلب النجاة . (۲) صلى النار كرضى وصلى بها : ناسى حرها ، وهل حد : نله .

(۳) الأدرج : جمع درج بالتحريك وهو الطريق ، ويقال : استمر فلان درجه وأدرجه : أى استمر

وطريقه كما يقال . رجع فلان درجه وأدرجه : أى رجع في طريقه الذي جاء منه ، والنكوس الإحجام .

الحرب نكوصك وإبطائك ، فتوعد وعيد الأسد ، وتروغ روغان الثعلب ، فحنام
تحيد عن لقاء مباشرة^(۱) اللبوث الضارية ، والأفاعى القاتلة ، ولا تستبعدنها فكل
ما هو آت قريب ، إن شاء الله ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م : ۴ ص ۵۰)

۴۱۲ - رد على معاوية

فكتب إليه على عليه السلام :

« أما بعد : فما أعجب ما يأتيني منك ، وما أعلاني بمنزلك التي أنت إليها صائر
ونحوها سائر ، وليس إبطائي عنك إلا ترقيبا لوقت أنت له مكذب ، وأنا به مُصدق ،
وكأنني بك غدا وأنت تضحج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال ، وستدعوني أنت
وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم ، وتجدونه بقلوبكم ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م : ۴ ص ۵۰ ، وم ۳ ص ۴۱۱)

۴۱۳ - رد معاوية على

فكتب إليه معاوية :

« أما بعد : فدعني من أساطيرك ، واكف عني من أحاديثك ، وأقصر^(۲) عن
تقولك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور
من معك والخداع لهم ، فقد استغفرتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ،
ويعلموا أن ما جئت به باطل مُضْمَجِل ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م : ۴ ص ۵۰)

(۱) أي عن لقاء جنودى مباشرة اللبوث : أى مقاتلتها .

(۲) أقصر عن الشيء : كف عنه وانه .

۴۱۴ - رد علیؑ علی معاویہ

فکتاب إليه علیؑ عليه السلام :

« أما بعدُ : فظالما دعوتَ أنتَ وأولياؤك أولياءَ الشيطانِ الرجيمِ الحاقِ أساطيرَ ،
وَنَبَذْتُمُوهُ وراءَ ظُهُورِكُمْ ، وحاوَلْتُمْ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَأَفْوَاحِكُمْ ، وَبِأَبِي اللَّهِ إِلَّا
أَنْ مُيِّمٌ نُورَةٌ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، وَلِعَمْرِي لَيَتِمَنَّ النُّورُ عَلَيَّ كُرْهَكَ ، وَلَيَنْفُذَنَّ
الْعِلْمُ بِصَفَارِكَ^(۱) وَقَمَاتِكَ ، وَلَتَخْسَأَنَّ طَرِيداً مَذْحُوراً ، أَوْ قَتِيلاً مَشْبُوراً ، وَلَتُجْزَيْنَ
بِعَمَلِكَ حَيْثُ لَا نَاصِرَ لَكَ وَلَا مُصْرِحَ^(۲) عِنْدَكَ ، فِعِثْ فِي دِينِكَ الْمُنْقَطِعَةَ عَنْكَ مَا طَابَ
لَكَ ، فَكَأَنَّكَ بِبِاطِلِكَ وَقَدْ انْتَفَى ، وَبِعَمَلِكَ وَقَدْ هَوَى ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى لَطْفِي^(۳) .
لَمْ يَظْلِمَكَ اللَّهُ شَيْئاً ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

وقد أسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد
تربصت به الدوائر^(۴) ، وتمنيت له الأمان ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودل عليه فعلك ،
وإني لأرجو أن أحقق به على أعظم من ذنبه ، وأكبر من خطيئته ، فأنا ابن عبد المطلب
صاحب السيف ، وإن قائمته^(۵) آتني يدي ، وقد علمت من قتلت به من صنديد
بني عبد شمس ، وفراعنة بني سبهم وجمح وبني مخزوم ، وأيتمت أبناءهم ، وأيتمت
نساءهم .

وأذگرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة ، وجررت برجله إلى القليب^(۶) ،

(۱) الصغار : الذل ، وكذا القماءة والقماءة ، وخسأه كنع : طرده ، ودحره كنع : طرده أيضا ،
مشبورا : هالكا ، نبره الله نبورا كقعد : أهلكه ، ونبر هو نبورا ، يتهدى ولا يتعدى .
(۲) المصريح : المفيث ، وعان يعيث : أفند .
(۳) أي جهنم .

(۴) الدوائر : جمع دائرة وهي الهزيمة ، وتربص به : انتظر به سرا (أو خيرا) يحل به .
(۵) قائمة السيف وقائمه : مقبضه ، والصناديد جمع صنديد بالكسر : وهو السيد الشجاع ، وبنوهم
وجمح ومخزوم : بطون من قريش ، وأبيها : جعلها آيتا (كجيد) أي بلا زوج .
(۶) القليب : البئر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أمر بالقليب أن تنور ، ثم أمر بقتل
المشركين فطرحوا فيها ، وكان على قتل حنظلة وأسر عمرا يوم بدر كما قدمنا .

وأمرتُ أخاكَ عمراً فجعلتُ عنقه بين ساقيه رباطاً ، وطلبتك ففررتَ ، ولكِ حُصَّاصٌ^(۱) ، فلولا أني لا أتبعُ قاراً لجعلتُك ثالثهما ، وأنا أولي^(۲) لك بالله أليَّةَ بَرَّةٍ غيرَ فاجرة : لئن جمعتني وإياك جوامعُ الأقدار ، لأتركَنَّك مثلاً يتمثل به الناسُ أبداً ، ولأجمعن^(۳) بك في مُناخك ، حتى يحكمَ الله بيني وبينك وهو خيرُ الحاكِمين ، ولئن أنساَ اللهُ^(۴) في أجلى قليلاً ، لأغزيبَنَّك سراياَ المسلمين ، ولأنهدنَ إليك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار ، ثم لا أقبلُ لك مَعذِرَةَ ولا شفاعَةَ ، ولا أُجيبك إلى طلبِ وسؤالٍ ، ولترجعنَ إلى تحيرك ، وتردُّدك وتلدُّدك^(۵) ، فقد شاهدتَ وأبصرتَ ، ورأيتَ سُحْبَ الموتِ كيفَ هطَلتَ عليك بصيِّبها ، حتى اعتصمتَ بكتاب^(۶) أنت وأبوك أولُ من كفر وكذبَ بنزوله .

وانت كنتِ نفرستها^(۷) وأذنتك أنك فاعلها ، وقد مضى منها ماضى ، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى ، وأنا سائرٌ نحوك على أثرِ هذا الكتاب ، فأختر لنفسك وانظُرْ لها وتداركها ، فإنك إن فطرت^(۸) ، واستمرت على غيِّك وغلوائك حتى ينهدَ إليك عبادُ الله ، أرتجبتَ عليك الأمور ، ومُنِعتَ أمراً هو اليوم منك مقبول .

(۱) الحصاص : أن يصر الحمار بأذنيه ويصم يديه (أى يحركه ويضرب به) وبعدو ، والحصاص أيضاً الضراط . قال ابن أنى الحديد . سألت النقيب أبا زيد عن معاوية هل شهد بدرا مع المشركين ؟ فقال : نعم ، شهدها ثلاثة من أولاد أبي سفيان : حنظلة وعمر و معاوية ، قتل أحدهم ، وأسر الآخر ، وأفلت معاوية هارباً على رجله فقدم مكة وقد انتفخ قدماه وورمت سافاه فعالج نفسه شهرين حتى برأ .

(۲) آلى : أقسم ، والآلية : اليمين . (۳) جمع الإبل ، وجمع جمعها : حركها للاناخة . أو النهوس . (۴) أنساَ : أخر ومد ، وسرايا جمع سرية بالفتح وتشديد الباء : وهى القطعة من الجيش ، وقوله : لأغزيبك سرايا المسلمين : أى لأجعلنها تغزوك ، ونهد كنع : نهض ، والجحفل : الجيش العظيم .

(۵) تلدد : تلفت بيننا وشمالاً وتخير متلبداً وتلبث ، وسحاب صيب : ذو صوت أى مطر .

(۶) أى حتى آمنت وصدقت بالقرآن فاعتصمت به من القتل .

(۷) ها فى نفرستها يعود على مفهوم من السياق ، أى نفرست فعلتك التى فعلت ، وهى معالبتك لى على الخلافة ، ونفرستها أى عرفتها بفراستى ، وأذنتك : أى أعلمتك .

(۸) فطره كضرب ونصر : شفه ، أى إن شققت وحدة المسلمين وفرقت كلمتهم ، والعلواء : الغلواء ، وأرتج الباب : أغلقه إغلاقاً وثيقاً .

يا بن حرب ، إنَّ لِحَاجَتِكَ فِي مَنَازِعَةِ الْأَمْرِ أَهْلَهُ مِنْ سَفَاهٍ ^(۱) الرَّأْيِ ، فَلَا يُطْمَعَنَّكَ
أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَلَا يُؤْبَقَنَّكَ سَفَهُ رَأْيِ الْجَهَالِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ ، لَئِنْ بَرَقَتْ
فِي وَجْهِكَ بَارِقَةٌ مِنْ ذِي الْفَقَارِ ^(۲) لَتَصْعَقَنَّ صَعَقَةً لَا تُفِيقُ مِنْهَا حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ
النَّفْخَةُ الَّتِي بَنَسَتْ ^(۳) مِنْهَا كَمَا بَنَسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۵۱ و م ۳ : ص ۴۱۱)

۴۱۵ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

• أما بعد : فما أعظمَ الرِّينَ على قلبك ^(۱) ، والغِطاءَ على بَصْرِكَ ، الشَّرَّهَ مِنْ
شِيْمَتِكَ ، وَالْحَسَدَ مِنْ خَلِيْقَتِكَ ، فَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ ، وَاصْبِرْ لِلضَّرْبِ ، فَوَاللَّهِ لِيَرْجِعَنَّ الْأَمْرُ
إِلَى مَا عَلِمْتَ ^(۵) ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! أَخْطَاكَ مَا تَمَنَّى ^(۶) ، وَهُوَ
قَلْبِكَ مَعَ مَنْ هُوَ ، فَارْبَعٌ عَلَى ظَلْمِكَ ^(۷) ، وَقِسْ شِبْرَكَ بِفِئْتِكَ ، لِتَعْلَمَ أَيْنَ حَالُكَ
مِنْ حَالِ مَنْ يَزِنُ الْجِبَالَ حِمْلَهُ ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الشُّكِّ عَيْلَهُ ، وَالسَّلَامُ .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۵۱ ، و م ۳ ص ۴۱۰)

(۱) السفاه والسفه والسفاهة واحد ، وأوبقه : أهلكه .

(۲) ذو الفقار : هو سيف العاص بن منه ، قتل يوم بدر كافراً فصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم صار إلى علي ، وسمى بذلك لأنهم شبهوا ما فيه من الخروز بالفقار ، ويقال سيف مقرر (بتشديد القاف
المتروحة) : أي فيه خروز مطمئنة عن منته ، والصور : البوق .

(۳) أي إبان كفرك ، فقد كانوا قبل الإسلام لا يؤمنون بالبعث والنشور .

(۴) وفي الرواية الأخرى : فإنك المطبوع على قلبك ، المنطى على بصرك ، الشر من شيمتك ، والعتو
من خليقتك ، والرین : الدنس ، وران ذنبه على قلبه رينا وربونا : غلب .

(۵) أي إلى ، يعني أن يقول لعل : (على سبيل المفاصلة) إنك تعلم أن الخلافة صائرة إلى ولكتك

تخني ذلك وتجاهله . (۶) أي ماتمني .

(۷) طلع كنع : غمز في مشبه ، وربح كنع أيضا : وقف وانتظر وتحمس ، ويقال : اربح على ظلمك

أي إنك ضعيف فارتفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق ، أي اسكت على ما فيك من العيب ، وأبصر
قصك وعجزك .

۴۱۶ - رد علیٰ علی معاویة

فكتب إليه علی عليه السلام :

« أما بعدُ : فإن مَسَاوِيكَ مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن بَصَّحَ لك أمرُك ، وأن يرعوى قلبُك ، يان صَخْر ، يان اللعين^(۱) ، زعمت أن يزن الجبال حِلْمُك ، ويفصل بين أهل الشك عِدْمُك ، وأنت الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل^(۲) ، وقلت : فشمِّر للحرب ، واصبر للضرب ، فإن كنت صادقاً فيما تزعم ، ويُعينك عليه ابنُ النابغة^(۳) ، فدع الناس جانِباً ، وتيسر إِيَّادعوتني إليه من الحرب ، والصر على الضرب ، وأغفِ القريبين من القتال ، وابرُز إلى ليتعلم أئِنَّا المرين^(۴) على قلبه ، المُغطى على بصره ؟ فأنا أبو الحسن قاتلُ جدِّك وأخيك وخالك شدخاً^(۵) يومَ بَدْرٍ ، وذلك السيفُ معي ، وبذلك القلب ألقى عدوى ، وما أنت منهم ببعيد . »

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥١ وم ٣ ص ٤١١)

۴۱۷ - كتاب معاوية إلى عليّ

وروى صاحب العمد قال :

وكتب معاوية إلى عليّ :

« أما بعد : فإنك قتلت ناصِرَكَ ، واستنصرت وإِترَكَ^(۶) ، فأيمُ الله لأزَمِينِكَ

(۱) من كلام للحسن بن علي رضى الله عنهما يخاطب معاوية : « وأشدك الله يا معاوية ، أنذكر يوم جاء أبوك على جبلٍ أحر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عنبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ١٠٢

(۲) الجلف : الرجل الجاني ، والأغلف القلب : الذى لا بصيرة له كأن قلبه في غلاف ، وفي الرواية الأخرى : « وأنت الجاهل ، القليل الفقه ، المتفاوت العقل ، الشارد عن الدين »

(۳) هو عمرو بن العاص السهمي ، وفي الرواية الأخرى : « ويعينك عليه أخو بني سهم » والنابغة أم عمرو - انظر ص ٣٤٣ . (٤) المرين اسم مفعول من ران .

(٥) الشدخ : كسر الشيء الأجوف وبابه قطع ، شدخ رأسه فانشدخ .

(٦) الوتر : النار ، وقد وتره يتره كوعده . والشهاب : شعله من نار ساطعة ، وأذكى النار : أوقدها .

بشهاب تذكيره الريح ، ولا يُطفئه الماء ، فإذا وقع وَقَبٌ^(۱) ، وإذا مَسَّ ثَقَبٌ ،
فلا تحسبني كسحيم^(۲) ، أو عبد القيس ، أو حلوان الكاهن .

(العقد الفريد ۲ : ۲۳۳)

۴۱۸ - رد عليّ على معاوية

فأجابه عليّ :

« أما بعدُ : فوالله ما قتل ابن عمك غيرك ، وإني أرجو أن ألحقك به ، على مثل
ذنبه وأعظم من خطيئته ، وإن السيف الذي ضربتُ به أباك^(۳) وأهلك لمعي دائم ،
والله ما استحدثتُ ديناً ، ولا استبدلتُ نبياً ، وإني على المنهاج الذي تركتموه طائعين
وأدخلتم فيه كارهين . »

(العقد الفريد ۲ : ۲۳۳)

۴۱۹ - كتاب عليّ إلى معاوية

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة قال :

ومن كتاب لعلّ عايبه السلام إلى معاوية :

« وكيف أنت صانعٌ إذا تكشفت عنك جلايبُ ما أنت فيه من دنيا :
قد تبهجت^(۴) بزيتها ، وخذعت بلدتها ، دعّتك فأجبتّها ، وقادتك فاتبعتمها ،
وأمرتك فأطعتمها ، وإنه يوشك أن يقفك واقفٌ على ما لا ينجيك منه مجن^(۵) ،

(۱) المعنى : أحرق كل ما يصادفه ، من وقب الليل إذا دخل في كل شيء .

(۲) سحيم : هو عبد بن الحساس ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان حبشياً يرتضخ
لسكة حبشية ، وقتل في خلافة عثمان - انظر خزائن الأدب للبغدادى ج ۲ : ص ۸۷ ، وقد نقل أخباره
عن الكامل للمبرد والأغانى ج ۲ ص ۲۰ وغيرها وانظر أيضا البيان والتبيين ج ۱ : ص ۴۰ - والمعنى
لا تظنني ممن لا يمتد بشأه ولا يقام له وزن كسحيم ، وأما عبد القيس فلا أدري المراد به ، وقد أورد صاحب
الأغانى أخبارا لعبد قيس بن خفاف البرجمي . م حاتم الطائي (ج ۷ : ص ۱۴۵) ومع النايضة الذياني
(ج ۹ : ص ۱۵۸) والكنها لا تدل على أنه المراد هنا إذ يقول فيه « وكان شريفاً شاعراً شجاعاً » وحلوان
الكاهن : ما يعطاه الكاهن ويجعل له أجراً على كهنته .

(۳) يعني جده عتبة بن ربيعة ، وورثنا كان الأصل « أخاك » . (۴) تبهجت : صارت ذات بهجة .

(۵) المجن : النرس ، وفي رواية ابن أبي الحديد : « ما لا ينجيك منه منج » .

فَأَقْعَسَ^(۱) عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخَذَ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، وَشَمَّرَ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تَمَكَّنَ
الْفَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ أَعْلَمِكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مُتَرَفٍ^(۲) قَدْ أَخَذَ
الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا خَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالِدَمِ^(۳) .

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مَعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ^(۴) ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ،
وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ^(۵) ؟ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشُّمَاءِ ، وَأُحَذَّرُكَ أَنْ تَكُونَ
مَتَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ ، مُخْتَلِفَ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ ، فَدَعِيَ النَّاسَ جَانِبًا وَآخَرَ إِلَى ، وَأَعْفَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ
الْقِتَالِ ، لَتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمَغْطَى عَلَى بَصَرِهِ ؟ فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ
وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْحًا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السِّيفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ التَّلْبُ الْأَقْبَى عَدُوِي ،
مَا اسْتَبَدَّتْ دِينًا ، وَلَا اسْتَحْدَثَتْ نَبِيًّا ، وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ،
وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَأْرًا^(۶) بِعَثْمَانَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عَثْمَانَ ، فَاطْلُبْهُ
مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضْتِكَ ، فَجِيحَ
الْجَمَالِ بِالْأَثْمَالِ ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ ، وَالتَّمْضَاءِ الْوَاقِعِ ،
وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاهِدَةٌ ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ .

(نهج البلاغة ۲ : ۷)

صورة أخرى

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج :

إن هذه الخطبة - يريد الرسالة - قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفيين على

(۱) أي تأخر . (۲) أي قد أرفقتك النعمة وأطفتك .

(۳) أخذها من قوله عليه الصلاة والسلام : إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم .

(۴) يعني الأمة الإسلامية ، وإلا فقد كان بنو عبد شمس في الجاهلية ذرى رياسة وسيادة - لاعلى

بنى هاشم - وكان عتبة بن ربيعة رئيس الجيش المحارب لرسول الله يوم بدر ، وأبو سفيان قائدهم
يوم أحد والمخندق . (۵) باسقى : عال ، والفره : الففلة . (۶) ثأربه : طلب دمه .

وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى رحمه الله منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى ، وهذه عاداته ، لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه .

والذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

سلام على من اتبع الهدى ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنك قد رأيت مرور الدنيا وانقضاءها ، وتصرُّمها^(۱) ، وتصرُّفها بأهلها ، وخير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى ، ومن يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بعيداً .

واعلم يا معاوية أنك قد ادَّعيت أمراً لست من أهله ، لا فى القديم^(۲) ، ولا فى الحديث ، ولست تقول فيه بأمر بين يُعرف له أثر ، ولا عليك منه شاهد ، ولست متعلقاً بآية من كتاب الله ، ولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكيف أنت صانع إذا تقشَّعت عنك غيابة^(۳) ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزینتها ، ورَكَنت إلى لذاتها ، وخُلِّي بينك وبين عدوك^(۴) فيها ، وهو عدو كلب مضل جاهد مُلح مُلح ، مع ما قد ثبت فى نفسك من جهتها . دعَّتكَ فأجبتَها ، وقادتكَ فاتبعتها ، وأمرتكَ فأطعتها ، فاقعَس عن هذا الأمر ، وخذْ أهبة الحساب ، فإنه يوشك أن يقفك واقِفٌ على ما لا ينجيك منه مجن .

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية ، أو ولاة لأمر هذه الأمة ، بلا قدم حسن ، ولا شرف تليد^(۵) على قومكم ؟ ، فاستيقظ من سِنَتِكَ ، وارجع إلى خالقك ، وشمر لما سينزل بك ، ولا تمكن عدوك الشيطان من بُغيته فيك ، مع أنى أعرف أن الله ورسوله صادقان ، نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء .

(۱) أى انقضاءها أيضاً (۲) يعنى فى أول الإسلام ، لأن معاوية من الطلقاء كما تقدم ، وليس له سابقة فى الإسلام . (۳) غيابة كل شىء : ما سترك منه (۴) أى الشيطان ، وكاب كمرح اشتد ، وألاحه : أهلك (۵) أى قديم

وإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَعْلَمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، إِنَّكَ مُتَرَفِّقٌ قَدْ أَخَذَ مِنْكَ الشَّيْطَانُ مَأْخِذَهُ : فَجَرَى مِنْكَ تَجْرِي الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ ، وَلَسْتَ مِنْ أُمَّةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا مِنْ رُعَاتِهَا .

واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس ، أو بأيديهم لَحَسَدُونا ولَأَمْتَنُوا عَلَيْنَا بِهِ ، وَلَكِنَّهُ قِضَاءٌ مِنْ مَنَحْنَاهُ ، وَاخْتِصَّنا بِهِ ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْمَصْدَقِ ، لَا أَفْلَحُ مَنْ شَكَّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ وَالْبَيِّنَةِ ، رَبِّ أَحْكَمِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .
(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ۴۱۲)

۴۲۰ - رد معاوية على عليّ

فكتب معاوية إليه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

أما بعد فدع الحسد ، فإنك طالما لم تنتفع به ، ولا تُفْسِدَ سَابِقَةَ جِهَادِكَ بِشِرَّةِ نَحْوَتِكَ^(۱) ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِنَحْوَاتِهَا ، وَلَا تُتَمَحَّصُ^(۲) سَابِقَتَكَ بِتَمَالٍ مَنْ لَأَخَقَّ لَكَ فِي حَقِّهِ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ لَا تَضُرُّ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلَا تُتَمَحَّقُ^(۳) إِلَّا عَمَلَكَ ، وَلَا تُبْطِلُ إِلَّا حُجَّتَكَ ، وَلِعَمْرِي إِنْ مَاضَى لَكَ مِنَ السَّابِقَاتِ ، لَشَبِيهُهُ أَنْ يَكُونَ مَمْحُوقًا . لِمَا أَجْتَرَأْتَ عَلَيْهِ مِنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ ، وَخِلَافِ أَهْلِ الْحَقِّ ، فَأَقْرَأِ السُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْفَلَقُ^(۴) ، وَتَعَوَّذْ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ الْحَاسِدُ إِذَا حَسَدَ .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۴۱۲)

(۱) النخوة : الكبر والعظمة ، والشرة : النشاط والحدة .

(۲) التمهيص : التقيص . (۳) محقه كمنع : أبطله ومناه .

(۴) وأولها « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » والفاق : الصبح ، يشير إلى الآية الأخيرة

فيها وهي « وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

۴۲۱ - کتاب علیٰ معاویة

وكتب علیٰ معاویة :

« أما بعدُ : فقد بلغنی کتابک تذکر مُشَاغِبَتِي ، وتستقبحُ مُوَازَرَتِي ، وتزعمُنِي متحيراً ، وعن حقِّ الله مُقَصِّراً ، فسبحانَ الله ! كيف تستجيزُ الغيبةَ ، وتستحسنُ العُضِيَّةَ^(۱) ؟ إني لم أشاغِبُ إلا في أمرٍ معروفٍ ، أو نهى عن مُنكرٍ ، ولم أضجِرُ إلا على بايغٍ مارقٍ ، أو مُلحدٍ منافقٍ ، ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله سبحانه : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ^(۲) اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانَ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ . . . وَأما التقصير في حق الله تعالى : فعاذَ الله ! والمقصر في حق الله جل ثناؤه من عطَّلَ الحقوقَ الموكَّدةَ ، ورَكَنَ إلى الأهواءِ المبتدعةَ ، وأخلدَ إلى الضلالةِ المحيِّرةِ .

ومن العَجَبِ أن تصف يا معاویةُ الإحسانَ ، وتخالِفُ البرهانَ ، وتنكُ الوثاقَ التي هي لله عزَّ وجلَّ طلبية^(۳) ، وعلى عباده حُجَّةٌ ، مع تَبذيرِ الإسلامِ ، وتضييعِ الأحكامِ ، وطَمَسِ الأعلامِ ، والجرى في الهوى ، والتَهَوُّسِ في الرَّذَى ! فأتقِ الله فيما لديك ، وانظر في حقه عليك ، وارجع إلى معرفة ما لا تُندِرُ بِجَهَالَتِهِ فإن لاطاعة أعلاما واضحة ، وسُبُلًا نيرةً ، ومَحَجَّةً نهجَةً^(۴) وغايةً مُطلبةً^(۵) ، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ^(۶) ، ويخالِفها الانكاسُ ، من نكَبَ عنها جار عن الحق ، وخبَطَ

(۱) العضية : الإفك والبهتان . (۲) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

(۳) الطلبة : ما يطلب . (۴) المحجة : الطريق الواضحة ، والنهجة : الواضحة أيضا .

(۵) يجوز أن تكون « مطلبة » بتشديد الطاء الفتححة بمعنى مطلوبة : أي يطلبها المطيعون (وقد جاءت مطلوبة في تهج البلاغة شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده) من طابه كانتل أي طابه ، ويجوز أن تكون مطابة بسكون الطاء وكسر اللام من اطلبه إذا : أعطاه ماطلبه ، أي تؤتى أصحابها ما يطلبون من ثواب الله ورحمته وهذا أحسن .

(۶) الأكياس : جمع كيس كجيد ، وهو العاقل . والأنكاس : جمع نكس كفرد ، وهو الدنيء

المسيس ، ونكب عنه كنصر وفرح : عدل ، وخبط : مشى على غير هدى ، والنبي : الضلال .

فی التَّیِّبِ ، وَغَیْرِ اللَّهِ نِعْمَتَهُ ، وَأَحْلَ بِهِ نِعْمَتَهُ ، فَفَسَدَ نَفْسِكَ ، فَقَدْ بَیْنَ اللَّهِ لَكَ سَبِيلَكَ .

وَحِیثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ ، فَقَدْ أُجْرِبْتَ (۱) إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَنَحْوَةِ كُفْرٍ ، فَإِنْ نَفْسِكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا ، وَأَقْحَمَّتْكَ غِيًّا ، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ .

وَإِنْ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَغَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا ، فَفَسَدَ نَفْسِكَ قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِكَ (۲) ، فَإِنَّكَ إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ ، وَإِلَى حَشْرِهِ مُهْطِعٌ (۳) ، وَسَيَبْهَتْكَ كَرْبُهُ ، وَيُحِلُّ بِكَ غَمَّهُ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي النَّادِمَ نَدَمُهُ ، وَلَا يُتَمَبَّلُ مِنَ الْمُعْتَذِرِ عُدْرُهُ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

(شرح ابن ابی الحدید م ۴ : ص ۳ ، ونهج البلاغة ۲ : ۲۶)

۴۲۲ - کتاب علی إلى معاویة

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَابْتَلَى (۴) فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلِسَانًا لِلدُّنْيَا خُلِمْنَا ، وَلَا بِالسُّعَى فِيهَا أَمِرْنَا (۵) ، وَإِنَّمَا وَضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا ، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي ، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، فَفَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ (۶) ، وَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي ،

(۱) أَي أُجْرِبْتَ مَطِينِكَ ، وَالْمَعْنَى سَارَعْتَ ، وَالْمُهَلَّةُ : الْمَنْزِلُ ، وَأَوْلَجَتْكَ : أَدَخَلَتْكَ ، وَأَقْحَمَتْكَ رَمَتْ بِكَ . (۲) الرَّمْسُ : الْقَبْرُ .

(۳) هَظْمٌ كَنَعَ وَأَهْطَعَ : أَقْبَلَ سَرْعًا خَائِفًا ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفٍ ، وَقَبْلُ الْمَهْطِعِ مَنْ يَنْظُرُ فِي ذَلِّ وَخُسُوعٍ لَا يَجْلَعُ بَصَرَهُ ، أَوْ السَّاكِتُ الْمُنْطَلِقُ إِلَى مَنْ هَتَفَ بِهِ ، وَبَهْطُهُ الْأَمْرُ كُنْعُهُ : غَلْبُهُ وَثِقَلُ عَلَيْهِ وَبَلَغَ بِهِ مَشَقَّةً ، وَيُغْنِي : يُفِيدُ ، وَالْمَوْلَى : الصَّدِيقُ وَالنَّصِيرُ . (۴) أَيِ اخْتَبَرَ .

(۵) أَيِ لَمْ نَوْمِرْ بِالسُّعَى فِيهَا لَهَا بَلْ لَفِيهَا وَهُوَ الْآخِرَةُ .

(۶) وَذَلِكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّامِ ، أَنَا وَلِيُّ عُمَانَ ، وَقَدْ قَتَلَ عُمَانُ مَظْلُومًا ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى « وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَمَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا » (وَمَعْنَى التَّأْوِيلِ هُنَا أَنَّهُ يَجْعَلُ الْآيَةَ مَنْطِقَةً عَلَيْهِ وَيَقِيمُ نَفْسَهُ وَلِيًّا لِعُمَانَ مَعَ وَجُودِ أَبْنَاءِ عُمَانَ) ثُمَّ يَسُدُّمُ الظُّفْرَ وَالِدَوْلَةَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَفَبَ ذَلِكَ « فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا »

وَعَصَبَتَهُ^(۱) أَنْتَ وَأَهْلَ الشَّامِ نِي، وَأَلْبَ عَائِلَتِكُمْ جَاهِدِكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدِكُمْ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ
وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ،
وَاحْذَرِ أَنْ يَصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ^(۲) تَمَسُّ الْأَصْلَ ، وَتَقَطُّعُ الدَّابِرَ ، فَإِنِّي أُولَى
لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةٌ غَيْرَ فَاجِرَةٍ : لئن جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أُزَالُ بِبِأَحْتِكَ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .
(نهج البلاغة ۲ : ۸۱)

۲۳ - کتاب معاویة إلى علی

وكتب معاوية مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ قبل مسيره إلى صفين^(۳) :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، « أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً
بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبي له من المسلمين أعواناً
أبده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم
في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله ، الخليفة من بعده ، ثم خليفة الخليفة ، ثم الخليفة
الثالث المظلوم عثمان ، فكأنهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، عرفنا ذلك في نظرك
الشزر^(۴) ، وقولك المهجر ، وتنفسك الصعداء ، وإبطائك عن الخلفاء ، وأنت في كل
ذلك تقاد كما يقاد البعير الخشوش^(۵) حتى تباع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم
أشد حسداً منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم ألا تفعل ذلك به ، في قرابته

(۱) أي ربطته بي وأزمتني ، وألب : حرص ، والقياد : الزمام .

(۲) القارعة : الداهية ، وتمس : أي تقطع ، ومنه ماء مسوس كصبور أي يقطع الفلة وهي حرارة
العطش ، والدابر : التابع وآخر كل شيء ، أي ويقطع العقب والفرع (والدابر أيضا : الأصل) وباحة
الدار وساحتها : وسطها . (۳) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ،
كانت به وقعة صفين المشهورة بين علي ومعاوية سنة ۳۷ هـ .

(۴) النظر الشزر : النظر بعوخر العين . والمهجر : القبيح من الكلام . والصعداء : تنفس طويل .

(۵) الخشوش من خششت البعير : إذا جعلت في أنفه الخشاش : (ككتاب) وهو ما يدخل في عظام

أنفه من خشب لينقاد .

وصبره^(۱) ، فقطعت رَحْمَهُ ، وَقَبَّحْتَ مَحَاسِنَهُ ، وَأَلْبَتَ عَلَيْهِ النَّاسَ ، وَبَطَّيْتُ وَظَهَرْتَ
 حَتَّى ضُرِبَتْ إِلَيْهِ آبَاطُ^(۲) الْإِبِلِ ، وَشُهِرَ عَلَيْهِ السَّلَاحُ فِي حَرَمِ الرَّسُولِ ، فَقُتِلَ مَعَكَ
 فِي الْمَحَلَّةِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فِي دَارِهِ الْمَهَائِعَةَ^(۳) ، لَا تُؤَدِّي عَنْ نَفْسِكَ فِي أَمْرِهِ بِقَوْلٍ ، وَلَا فَعْلٍ
 بِرِ^(۴) ، وَأُقْسِمُ قَسَمًا صَادِقًا : لَوْ قَمْتُ فِي أَمْرِهِ مَتَمَّامًا وَاحِدًا تُنْهِنُهُ^(۵) النَّاسَ عَنْهُ ، مَا عَدَلَ
 بِكَ مَنْ قَبِلْنَا مِنَ النَّاسِ أَحَدًا ، وَلَمَّا ذَلِكَ عَنْكَ مَا كَانُوا يَمْرِفُونَكَ^(۶) بِهِ مِنَ الْجَانِبَةِ
 لِعِثْمَانَ وَالْبَغِيِّ عَلَيْهِ ، وَأُخْرَى أَنْتَ بِهَا عِنْدَ أَوْلِيَاءِ ابْنِ عَمَّانَ ظَنِينٍ : إِيوَاؤُكَ قَتَلَةَ عِثْمَانَ ،
 فَهَمَّ بِطَانَتِكَ وَعَضُدِكَ وَأَنْصَارِكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَنْتَفِي مِنْ دَمِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا
 فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَتَهُ نَقْتُلَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا فَايِسْ لَكَ وَأَصْحَابِكَ
 عِنْدَنَا إِلَّا السِّيفَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مَعَاوِيَةَ بِيَدِهِ : لَا أَطْلُبَنَّ قَتْلَةَ عِثْمَانَ فِي الْجِبَالِ وَالرَّمَالِ وَالْبَرِّ
 وَالْبَحْرِ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ ، أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ .

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۳ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۲۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۴۰۷)

۴۲۴ - رد عليّ علي معاوية

فكتب إليه علي :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد : فإن أخا خولان قديم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه
 وآله ، وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي ، فالحمد لله الذي صدقه الوعد ، وأبده

(۱) أي ومصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تزوج ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم .

(۲) آباط جمع لابط كحمل وتكسر الباء : وهو باطن المنكب ، أي حتى سار الثوار إليه .

(۳) المهائعة : الصوت تفرع منه .

(۴) في ابن أبي الحديد « لا ترد الظن والتهمة عن نفسك بقول ولا عمل » .

(۵) تنهته : تكلف ، وما عدل بك : أي ماسوى بك .

(۶) هكذا في الأصول ، والمعنى عابه صحیح ، ورمسا كان « يفر فونك به » أي يتهمونك به وبإبه
 ضرب ، والظنين : التهم .

بالنصر ، ومكّن له في البلاد ، وأظهره على أهل العداوة والشنآن^(۱) من قومه الذين وثبوا عليه ، وشنفوا له^(۲) ، وأظهروا تكذيبه ، ونابدوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراج وإخراج أصحابه وأهله ، وألبوا عليه العرب ، وحزبوا الأحزاب^(۳) ، وجهدوا في أمره كل الجهد ، وقدبوا له الأمور ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، وكان أشدّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً أسرته ، والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عظم الله .

وذكرت أن الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعواناً أيدته بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضاهم (زعمت) في الإسلام ، وأنصحهم الله ورسوله ، الخليفة وخليفة الخليفة من بعده ، ولعمري إن كان مكانهما في الإسلام لعظيماً ، وإن المصائب بهما لجرح في الإسلام شديد ، فرحمهما الله وجزأها أحسن ما عملاً ، وذكرت أن عثمان كان في الفضل تالياً ، فإن بك عثمان محسناً فسيأتي رباً شكوراً يضاعف له الحسنات ، ويجزيه الثواب العظيم ، وإن بك سيئاً فسيأتي رباً غفوراً لا يعاظمه^(۴) ذنب أن يفره .

ولعمري إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ، ونصيحتهم لله ورسوله ، أن يكون سهمنا في ذلك - أهل البيت - أوفر نصيب ، إن محمداً صلى الله عليه وآله لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له ، كنا أهل البيت أول من آمن به وصدقته فيما جاء ، فبئنا أحوالاً كاملة محرمة تامة ، وما يعبد الله في ربع^(۵) ساكن من العرب غيرنا .

(۱) الشنآن : البغض والكراهية . (۲) شنف له كفرح : أبغضه وتكره ، ونابدوه :

جاءروه ، وبن ابن أبي الحديد « وبارزوه » وظاهره : أعانه .

(۳) يمرض بعاوية فقد كان أبوه رئيس الأحزاب في غزوة الأحزاب « غزوة الخندق » كما تقدم

(۴) تعاظمه : عظم عليه . (۵) الربع : المنزل .

فأراد قومنا قتلَ نبينا ، واجتياح^(۱) أصلنا ، وهُموا بنا الهمومَ ، وقَعَلوا بنا الأفاعيلَ^(۲) ، ومنَعونا المسيرةَ ، وأمسكوا عنا العذبَ ، وأحلسونا^(۳) الخوفَ ، وجعلوا علينا الأرصادَ والعيونَ ، واضطَرُّونا إلى جَبَلٍ وَعَرٍّ^(۴) ، وأوقدوا لنا نارَ الحربِ ، وكتبوا بينهم كتاباً^(۵) : لا يُوأَكِلُوننا ولا يُشَارِبُوننا ولا يُنَاكِحُوننا ولا يبايعُوننا ، ولا نَأْمَنُ منهم حتى نَدْفِعَ إليهم محمداً يقتلونه ويمثلون به ، فلم نكن نَأْمَنُ فيهم إلا من مَوَاسِمَ ،

(۱) الاجتياح : الاستئصال ، والهموم منصوب على المصدرية وأل فيه عهدية ، أي وهُموا بنا تلك الهموم التي تعرفونها . (۲) الأفاعيل جمع أفعولة بالضم : أي فعلوا بنا الأفعال المنكرة ، والمسيرة : السير ، والعذب : أي العيش العذب أي الهنيء - وقد نقل أنهم منعوا من الماء العذب أيام الحصار في شعب بني هاشم . (۳) أحلسونا الخوف : أي ألزموناه ، والحلس بالكسر وكسب : كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت الرجل ، وما يبسط في البيت تحت حر المتاع ، وأحلس البعير : إذا جعل عليه الحاس ، ويقال : فلان حاس بيته إذا لم يبرحه على المثل ، فانعى : وجعلوا الخوف ملازماً لنا كالحلس الملازم لظهور البعير ، أو كالحاس الملازم للبيت ، والرصد بالتحريك : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربنا قالوا أرصاد ، والعيون : الجواسيس جمع عين .

(۴) مثل ضربه عليه السلام لحثونة مقامهم وشظف منزلم إبان مضايقة قريش لهم ، ويجوز أن يكون حقيقة لامثلاً ، لأن الشعب (بالكسر) الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين .

(۵) اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معه أول الإسلام ، وطال عليهم البلاء والعذاب كما هو مشهور . ثم إن قريشاً اجتمعوا وأتَمَرُوا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب : على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا ذلك في صحيفة وتعاهدوا وتواتقوا عليه ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تو كيدا على أنفسهم - وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف - فلما فعلت ذلك قريش أنحاز بنو هاشم وبني المطلب (مسلمهم وكافرهم) إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبة فاجتمعوا إليه ، وخرج منهم أبو لهب ابن عبد المطلب إلى قريش فظاهروهم على قومه ، وضاق الأمر ببني هاشم ، وعدموا القوات إلا ما كان يحمل إليهم سرا وخفية ، وهو شيء قليل لا يسك أرقامهم ، وأخافتهم قريش فلم يكن يظهر منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بكم ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى ائتمر خمسة نفر من قريش - وهم هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية بن الميرة والمطعم بن عدي بن نوفل وأبو البخثري بن هشام بن الحارث وزمعة بن الأسود ابن المطلب - وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، (وكان أولهم أحسنهم بلاءً و ذلك) وقام المطعم إليها لخطها وشقها - وذكروا أنهم وجدوا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من باسك اللهم ، وأن كاتبها شلت يده - فلما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب - انظر سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۱۵ - ۲۲۹ وشرح ابن أبي الحديد م ۳ ص ۳۰۸ .

فَعَزَمَ (۱) اللهُ لَنَا عَلَى مَنَعِهِ، وَالذَّبَّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّيْحَى مِنْ وِرَاءِ حُرْمَتِهِ (۲)، وَالْقِيَامَ بِأَسْيَافِنَا دُونَهُ، فِي سَاعَاتِ الْخَوْفِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُؤْمِنِينَ يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرِينَ يَحَامِي عَنْ الْأَصْلِ (۳)، وَأَمَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَرِيْشٍ فَإِنَّهُمْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ خَلَاءٌ (۴)، مِنْهُمْ الْحَلِيفُ الْمَمْنُوعُ، وَمِنْهُمْ ذُو الْعَشِيرَةِ الَّتِي تَدَافِعُ عَنْهُ، فَلَا يَبْغِيهِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا بَغَانَا بِهِ قَوْمُنَا مِنَ التَّلْفِ، بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ نَجْوَةٍ (۵) وَأَمِنْ، فَكَانَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ .

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالْهَجْرَةِ، وَأَذِنَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَكَانَ إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسَ (۶)، وَأُحْجِمَ النَّاسُ وَدُعِيَّتْ نَزَالٍ، أَقَامَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَاسْتَقْدَمُوا، فَوَقَّى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَدَّ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةَ (۷) بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ وَزَيْدٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مِنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ (۸) مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنْ

(۱) أَيْ قَضَى اللهُ لَنَا وَوَفَّقَنَا لَهُ وَجَعَلْنَا عَازِمِينَ عَلَيْهِ، وَالذَّبُّ: الدَّفْعُ، وَالْحَوْزَةُ: النَّاحِيَةُ وَيِيضَةُ الْمَلِكِ . (۲) فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « مِنْ وِرَاءِ حَوْمَتِهِ، وَحَوْمَةُ الْمَاءِ وَالرَّمْلُ: مَعْظَمُهُ، وَالرَّيْحَى عَنْهَا الْمُنَاضِلَةُ وَالْمَحَامَاةُ . (۳) أَيْ يَدَافِعُ عَنْ مُحَمَّدٍ حِمِيَةً وَمَحَافِظَةً عَلَى النَّسَبِ . (۴) أَيْ خَالُونَ مِنْهُ . وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ « وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَرِيْشٍ خَلَوْا بِمَا نَحْنُ فِيهِ، بِحَلْفِ مَنَعِهِ، أَوْ عَشِيرَةِ تَقُومُ دُونَهُ » وَالْحَلْفُ بِالْكَسْرِ: الْعَهْدُ .

(۵) النَّجْوُ مَصْدَرُ نَجَا، كَالنَّجَاةِ وَالنَّجَاءِ، وَالنَّجْوَةُ بِالتَّاءِ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الَّذِي تَنْظُنُ أَنَّهُ نَجَاؤُكَ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ زَائِدَةٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، وَهِيَ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، أَوْ هِيَ بِحِرْفَةٍ عَنِ النَّجْوِ . (۶) أَيْ اشْتَدَّ الْقِتَالُ حَتَّى أَحْمَرَتِ الْأَرْضُ مِنَ الدَّمِ، وَهُوَ عَجَازٌ كَقَوْلِهِمُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ، وَأُحْجِمَ النَّاسُ: أَيْ كَفُوا عَنِ الْمَرْبِ وَجَبَنُوا عَنِ الْإِقْدَامِ، يُقَالُ: حَجِمْتُ فَلَانًا عَنِ كَذَا وَأُحْجِمُهُ بِالضَّمِّ فَأُحْجِمُ هُوَ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنَ التَّوَادُرِ كَقَوْلِهِمْ كَبَيْتَهُ فَأَكْبُ، وَنَزَالٌ: اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى أَنْزَلَ بِمَعْنَى الْمُنَازَلَةِ، وَلِذَا أَنْتَ قَالَ الشَّاعِرُ: وَلَنْمُ حَشُو الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دَعَيْتَ نَزَالٌ وَلَجَّ فِي الدَّرْعِ

وَقَالَ آخِرُ:

وَقَدْ عَلِمْتَ سَلَامَةَ أَنْ سَيِّئِي كَرِيهَ كَلِمًا دَعَيْتَ نَزَالٌ

وَاسْتَقْدَمُوا: تَقَدَّمُوا، وَنَهْجُ الْبَلَاغَةِ « قَدِمَ أَهْلُ بَيْتِهِ » .

(۷) هُوَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بَارِزٌ يَوْمَ بَدْرٍ عَثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَاخْتَلَفَا بَيْنَهُمَا ضَرْبَيْنِ، كِلَاهُمَا جَرَحَ صَاحِبُهُ، لَحْمٌ عَلَى وَحْمَةٍ عَلَى عَثْبَةَ فَأَجْزَأَ عَلَيْهِ، وَاحْتِمَلَا عُبَيْدَةَ جَرِيحًا، ثُمَّ مَاتَ مِنْ جِرَاحَتِهِ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمُّ الرَّسُولِ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ غَافِلَةً وَحَفِيًّا - وَهُوَ مَوْلَى حَبِشَى الْجَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ - وَضَرِبَهُ فَقَتَلَهُ، وَمُؤْتَةَ: قَرْيَةٌ فِي حَدُودِ الشَّامِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَيْشًا لِلْقِصَاصِ مَنْ قَتَلُوا الْحَارِثَ بْنَ عَمْرِ بْنِ الْأَزْدِيِّ رَسُولَهُ إِلَى أَمِيرِ بَصْرَى، وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ مَوْلَاهُ وَحِبُّهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاهِيلَ الْكَلْبِيِّ - وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانَ لِلْهَجْرَةِ - وَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ أَصِيبَ فَالْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أَصِيبَ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَقَدْ قَاتَلَ ثَلَاثَتَهُمْ حَتَّى اسْتَشْهَدُوا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ . (۸) يَعْنِي نَفْسَهُ .

الشهادة مع النبي صلى الله عليه وآله غير مرة ، إلا أن آجالهم عجلت ، ومِنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ ،
واللهُ وَلِيُّ الإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالْمِنَّةُ عَلَيْهِمْ ، ، أسلفوا من أمر الصالحات ، فاسمعتُ
بأحد ولا رأيتُهُ هُوَ أَنْصَحَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا أَضْبَرَ عَلَى اللُّأْوَاءِ (۱) ، وَالسَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ ، وَحِينَ البَأْسِ ، وَمواطن المَكْرُوهِ مع النبي صلى الله عليه وآله ، من
هؤلاء البَغْرَ الَّذِينَ سَمَّيْتُ لَكَ ، وفي المهاجرين خير كثير يُعْرَفُ ، جزاهم الله خيراً
بأحسن أعمالهم .

فيا عَجَباً لِلدَّهْرِ ! إِذْ صرْتُ يُقَرَّنُ بِي مِنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقِي
التي لا يُدَلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِي مَدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَذَكَرْتُ حَسَدِي الْخُلَفَاءِ وَإِبْطَانِي عَنْهُمْ وَبَغْيِي عَلَيْهِمْ ، فَأَمَّا الْبَغْيُ فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
يَكُونَ ، وَأَمَّا الْإِبْطَاءُ عَنْهُمْ وَالسُّكْرَاهِيَّةُ لِأَمْرِهِمْ فَلَسْتُ أَعْتَذِرُ إِلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ،
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ : مَنْ أَمِيرٌ . وَقَالَتْ
الْأَنْصَارُ : مَنْ أَمِيرٌ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَنْ مُحَمَّدٌ ، فَتَحَنَّنَ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ ، فَعَرَفَتْ ذَلِكَ
الْأَنْصَارُ ، فَسَلَّمَتْ لَهُمُ الْوِلَايَةَ وَالسُّلْطَانَ ، نَإِذَا اسْتَحَقُّوْهَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
دُونَ الْأَنْصَارِ ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَنْصَارَ أَكْبَرُ الْعَرَبِ
فِيهَا نَصِيباً ، فَلَا أُدْرِي : أَصْحَابِي سَلِمُوا مِنْ أَنْ يَكُونُوا حَقِّي أَخَذُوا ، أَمْ الْأَنْصَارَ ظَلَمُوا ؟
بَلْ عَرَفْتُ أَنَّ حَقِّي هُوَ الْمَأْخُوذُ ، وَوَدَّ تَرَكَتَهُ لَهُمْ ، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عَثْمَانَ ، وَقَطِيعَتِي رَجَحَهُ ، وَتَأَلَّبِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ عَثْمَانَ عَمِلَ
مَا قَدْ بَلَغَكَ ، فَصَنَعَ النَّاسَ بِهِ مَا رَأَيْتَ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي قَدْ كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا
أَنْ تَتَجَنَّبَنِي ، فَتَجَنَّبَ مَا بَدَا لَكَ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ قَتْلَةِ عَثْمَانَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا
الْأَمْرِ ، وَضَرَبْتُ أَنْفَهُ وَعَيْنَهُ (۲) ، فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلِعَمْرِي

(۱) اللأواء : الشدة . (۲) جاء في الأمثال « ضرب وجه الأمر وعينه » وهو مثل يضرب لمن

يداور الشؤون ويقلبها ظهرا لبطن من حسن التدبير .

لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ^(۱) عَنْ غَيْبِكَ وَشِقَاقِكَ ، كَتَرَفْنَهُمْ عَمَّا قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يَكْلَمُونَكَ
أَنْ تَطْلُبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسُوكَ وَجَدَانَهُ ،
وَزَوْر^(۲) لَا يَسُرُّكَ لِقْيَانَهُ .

وقد كان أبوك أبو سفيان أتاني حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :
أنت أحق بمقام محمد ، وأولى الناس بهذا الأمر ، وأنا زعيم^(۳) لك بذلك على من خالف ،
أبسط يدك أبايعك^(۴) ، فلم أفعل ، وأنت تعلم أن أباك قد قال ذلك وأراده ، حتى كنت
أنا الذي أبيت عليه ، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام ، لتقرب عهد الناس بالكفر ،
فأبوك كان أعرف بحقي منك ، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرف تصب
رشدك ، وإلا فنستعين الله عليك ، والسلام لأهله .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۴۰۸ ، ونهج البلاغة ۲ : ۶ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۳۴)

۴۲۵ - كتاب معاوية إلى عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي ، ونسخته :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

أما بعد : فإن الله تعالى جدّه اصطفى محمداً عاياه الصلاة والسلام لرسالته ، واختصّه
بوحّيه وتأدية شريعته ، فأنقذه به من العمّاية^(۵) ، وهدي به من الفوابة ، ثم قبضه إليه

(۱) أي تكف . (۲) الزور : الزائرون .

(۳) أي كفيل . (۴) روى أنه لما بويع أبو بكر بالخلافة . قال أبو سفيان لعلّ : ما بال هذا

الأمر في أقلّ حى من قريش ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فقال عليّ : يا أبا سفيان طالما
عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً . وروى أيضاً أنه لما اجتمع الناس
على بيعة أبي بكر أنبل أبو سفيان وهو يقول : والله لئن لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف ،
فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المتضعفان ، أين الأذلان عليّ والعباس ؟ وقال : أبا حسن ابسط يدك حتى
أبايعك ، فأبى عليّ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتأس :

ولن يقيم عليّ ضيم يراد به
هذا على الحسف معكوس برمته
إلا الأذلان غير الحمى والوتد
وذا يشج فلا يبكي له أحد

فزجره عليّ ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بنيت الإسلام شراءً لاجابة
لنا في نصيحتك - انظر تاريخ الطبري ۳ : ۲۰۲ . (۵) العمّاية : الفوابة ، والإفك : الكذب :

رشيداً حَمِيداً ، قد بَلَغَ الشَّرْعَ ، وَتَحَقَّقَ الشَّرْكَ ، وَأَخَذَ نَارَ الْإِفْكَ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ ، وَضَاعَفَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ وَآلَاءَهُ^(۱) ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ اخْتَصَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَسْحَابِ أَيْدِيهِ وَنَصْرِهِ وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لَهُمْ : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » فَكَانَ أَفْضَلَهُمْ مَرْتَبَةً ، وَأَعْلَامَ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْزِلَةَ الْخَلِيفَةِ الْأُولَى ، الَّذِي جَمَعَ الْكَلِمَةَ ، وَآمَّ الدَّعْوَةَ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِيَ الَّذِي فَتَحَ الْفَتْوحَ ، وَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ ، وَأَذَلَّ رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةَ الثَّلَاثَ الْمَظْلُومَ الَّذِي أَشْرَ الْمِلَّةَ ، وَطَبَّقَ^(۲) الْآفَاقَ بِالْكَلِمَةِ الْحَنِيفِيَّةِ .

فَلَمَّا اسْتَوْثِقَ الْإِسْلَامَ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ^(۳) ، عَدَوْتَ عَلَيْهِ ، فَبَغَيْتَهُ النَّوَائِلَ ، وَنَصَبْتَ لَهُ الْمَكَائِدَ ، وَضَرَبْتَ لَهُ بَطْنَ الْأَمْرِ وَظَهْرَهُ ، وَدَسَّسْتَ عَلَيْهِ وَأَغْرَبْتَ بِهِ ، وَقَعَدْتَ - حَيْثُ اسْتَنْصَرَكَ - عَنْ نَصْرِهِ ، وَسَأَلْتَ أَنْ تُدْرِكَهُ قَبْلَ أَنْ يُتَزَقَّ فَمَا أَدْرَكَتَهُ ، وَمَا يَوْمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِوَاحِدٍ ، لَقَدْ حَسَدْتَ أَبَا بَكْرٍ وَالتَّوَيْتَ عَلَيْهِ ، وَرُمْتَ إِفْسَادَ أَمْرِهِ ، وَقَعَدْتَ فِي بَيْتِكَ ، وَاسْتَفْوَيْتَ عِصَابَةَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى تَأْخُرُوا عَنْ بَيْعَتِهِ ، ثُمَّ كَرِهْتَ خِلَافَةَ عُمَرَ وَحَسَدْتَهُ ، وَاسْتَقَطَلْتَ مَدَّتَهُ وَسُرِرْتَ بِتَلَّهُ ، وَأَظْهَرْتَ الشَّمَانَةَ بِمُصَابِهِ ، حَتَّى إِنَّكَ حَاوَلْتَ قَتْلَ وَلَدِهِ^(۴) لِأَنَّهُ قَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ أَشَدَّ مِنْكَ

(۱) الْآلَاءُ : النِّعْمُ ، وَاحِدُهَا إِلَى كَحَمَلٍ وَأَلُو وَأَلَى كَشَمْسٍ ، وَأَلَى كَفَتَى ، وَإِلَى كَرَمَا .

(۲) مِنْ طَبَّقَ الْحَبَابَ الْجَوَّ : أَي غَشَاهُ . (۳) جِرَانُ الْبَعِيرِ : مَقْدِمُ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى

مَنْعَرِهِ ، وَمَعْنَى ضَرْبِ الْإِسْلَامِ بِجِرَانِهِ . أَي اسْتِقَامَ وَقَرَّ فِي قَرَارِهِ كَمَا أَنَّ الدَّبِيرَ إِذَا بَرَّكَ وَاسْتَرَاحَ مَسَدَ جِرَانِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

(۴) يَعْنِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَقَدْ كَانَ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أَبُو لَوْلُؤَةَ فَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا قَدَّمْنَا ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ غَدَاةَ طَمَسَ عُمَرَ : مَرَرْتُ عَشِيَّ أَمْسَ عَلَى أَبِي لَوْلُؤَةَ ، وَسَعَى الْهَرَمَزَانَ وَجَفِينَةَ (وَجَفِينَةُ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ مِنَ الْعَبَادِ - بِكَسْرِ الْعَيْنِ - مِنْ أَهْلِ الْحَبِيرَةِ أَقْدَمَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ سَعِدُ بْنُ أَبِي وَقَّاسٍ لِيُعَلِّمَ بِهَا الْكِتَابَةَ) وَهُمْ نَجِيٌّ (أَي بَنِي نَجِيٍّ وَبَنِي سَارُونَ) فَلَمَّا رَهَقْتَهُمْ (بِكَسْرِ الْهَاءِ أَي عَشِيَّتَهُمْ) تَارُوا وَسَقَطَ مِنْهُمْ خَنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانٌ نَصَابَهُ فِي وَسْطِهِ ، فَانظُرُوا بِأَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ ، فَجِيءَ بِالْخَنْجَرِ الَّذِي وَصَفَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَأَمْسَكَ حَتَّى مَاتَ عُمَرَ ، ثُمَّ اشْتَمَلَ عَلَى السِّيفِ فَقَتَلَ الْهَرَمَزَانَ وَجَفِينَةَ وَابْنَ فَبْرُوزَ ، فَتَنَاهَا النَّاسَ فَلَمْ يَنْتَهَ وَكَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلَنَّ رَجُلًا مِنْ شَرِكِ وَدَمِ أَبِي - يَبْرُسُ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَهْبِي (وَكَانَ عُمَرُ أَوْصَى أَنْ يَصِلِيَ صَهْبِي بِالنَّاسِ إِلَى =

حسداً لابن عمك عثمان ، نَشَرْتَ مَقَابِحَهُ ، وَطَوَّيْتَ مَحَاسِنَهُ ، وَطَعَنْتَ فِي فِقْهِهِ ، ثُمَّ فِي دِينِهِ ، ثُمَّ فِي سِيرَتِهِ ، ثُمَّ فِي عَقْلِهِ ، وَأَغْرَيْتَ بِهِ السُّفْهَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ وَشِيعَتِكَ ، حَتَّى قَتَلُوهُ بِمَحْضَرٍ مِنْكَ ، لَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ ، وَمَا مِنْ هَوْلَاءٍ إِلَّا مَنْ بَغَيْتَ عَلَيْهِ ، وَتَلَكَّاتٍ فِي بَيْعَتِهِ حَتَّى حُمِلَتْ إِلَيْهِ قَهْرًا تُسَاقُ بِحَزَائِمِ الْاِقْتِسَارِ^(۱) كَمَا يَسَاقُ الْفَجَلُ الْمَخْشُوشُ ، ثُمَّ نَهَضْتَ الْآنَ تَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَقَتَلْتَ عُمَانَ خُلَصَاوُكَ وَسُجْرَاوُكَ^(۲) وَالْمُحَدِّقُونَ بِكَ ، وَتِلْكَ مِنْ أَمَانِي النُّفُوسِ وَضَلَالَاتِ الْأَهْوَاءِ .

(= أن يقوم خليفة) عمرو بن العاص فأخذ السيف من يده، فلما أخذ عمرو السيف وثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصبا (أي أخذ كل منهما بناصية صاحبه) وقال : قتلت جاري وأحفرتنى ! وحبسه صهيب في دار سعد حتى سلمه إلى عثمان لما استخاف ، فقال عثمان : أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق ، فقال بعضهم ومنهم علي : نرى أن نقتله ، وقال آخرون ومنهم عمرو بن العاص : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ! أبعد الله الهرمزان وجفينة ، وقال عمرو أيضا : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، فتركه عثمان وأعطى دية من قتل واحتملها في ماله ، وقيل لأنما تركه عثمان لأنه قال للمسلمين : من ولي الهرمزان ؟ قالوا : أنت ، قال : قد عفوت عن عبيد الله ، وقيل . إن عثمان سلم عبيد الله إلى القهاذبان بن الهرمزان ليقتله بأبيه ، قال القهاذبان : فأطاف بي الناس وكلموني في العفو عنه ، فقلت : هل لأحد أن يعفوني منه ؟ قالوا : لا ، قلت : أليس إن شئت قتلته ؟ قالوا : بلى ، قلت : قد عفوت عنه ، وتركته لله ولهم ، فاحتملوني فو الله ما بلغت المنزل إلا على رءوس الرجال وأكفهم ! وفي هذا نظر ، لأنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلی أن يقتله ، وقد أراد قتله لما ولي الخلافة) .

ولم يزل عبيد الله كذلك حيا حتى قتل عثمان وولي على الخلافة ، وكان رأيه أن يقتل عبيد الله فأراد قتله ، فهرب منه إلى معاوية ، وشهد معه صفين ، وكان على الخيل ، فقتل في بعض أيام صفين - انظر أسد الغابة ج ۳ : ۳۴۲ وتاريخ الطبري ج ۵ : ۴۱ - ۴۴ .

وجاء في مروج الذهب أيضا (ج ۲ : ۲۰) : « كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من علي أن يقيده بالهرمزان ، وذلك أن أبا أولؤة عالم المغيرة بن شعبه كان قتل في أرض العجم غلاما للهرمزان ، فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها إلا قتلته ، وكان الهرمزان عبيلا في الوقت الذي قتل فيه عمر ، فلما صارت الخلافة إلى علي أراد قتل عبيد الله ابن عمر بالهرمزان لفتنه إياه ظلما من غير سبب استحققه ، فلجأ إلى معاوية اه » .

هذا ولا يفوتنا أن نقول إن أبا أولؤة لما طعن عمر في الصلاة (وقد طعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة) أقبل رجل من بني تميم يقال له حطان ، فألقى كساءه عليه ثم احتضنه ، فلما علم أبو أولؤة أنه مأخوذ طعن نفسه - انظر العقد الفريد ۲ : ۲۰۹ .

(۱) في كتب اللغة : الحزام والحزامة بالكسر : ما حزم به ، والجمع حزم ككتب ، وقصره على الأمر واقتصره : قهره ، وقد تقدم معنى المخشوش .

(۲) الخالصاء جمع خالص بالكسر ، وهو الخدن بالكسر أيضا أي صاحب ، والسجاء جمع سجير ككريم : وهو الخليل الصني ، و الأصل « شجراؤك » وهو تصحيف .

فَدَعِ اللُّجَّاجَ وَالْعَبَثَ^(۱) جَانِبًا ، وَاذْفَعِ إِلَيْنَا قِتْلَةَ عَثْمَانَ ، وَأَعِدِ الْأَمْرَ سُورِي
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَتَّفِقُوا عَلَى مَنْ هُوَ اللَّهُ رِضًا ، فَلَا بَيْعَةَ لَكَ فِي أَعْنَاقِنَا ، وَلَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا ،
وَلَا عُنْتِي^(۲) لَكَ عِنْدَنَا ، وَلَيْسَ لَكَ وَالْأَصْحَابُ عِنْدِي إِلَّا السِّيفُ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَأَطْلُبَنَّ قِتْلَةَ عَثْمَانَ أَيْنَ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا حَتَّى أَقْتُلَهُمْ ، أَوْ تُلْحَقَ رُوحِي بِاللَّهِ .

فَأَمَّا مَا لَا تَزَالُ تَمُنُّ بِهِ مِنْ سَابِقَتِكَ وَجِهَادِكَ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ يَقُولُ :
« يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلِيلًا لَمْ يَمُنُّوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامًا لَكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ
أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » وَلَوْ نَظَرْتَ فِي حَالِ نَفْسِكَ لَوَجَدْتَهَا أَشَدَّ
الْأَنْفُسِ امْتِنَانًا عَلَى اللَّهِ بِعَمَلِهَا ، وَإِذَا كَانَ الْامْتِنَانُ عَلَى السَّائِلِ يُبْطِلُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ ،
فَالامْتِنَانُ عَلَى اللَّهِ يُبْطِلُ أَجْرَ الْجِهَادِ ، وَيَجْعَلُهُ كَصَفْوَانٍ^(۳) عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ
فَتَرَكَهُ صَالِدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .
(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۴۴۸)

۴۲۶ - رد على معاوية

فكتب إليه علي :

« أما بعدُ : فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدًا صلى الله عليه وآله
لدينه وتأبيده إياه بمن أئده به من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبًا ، إذ طفقت
تُخبرنا ببلاء^(۴) الله عندنا ، ونعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك كناقل التمر
إلى هجر^(۵) ، أو داعي مسدده إلى النضال ، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام

(۱) ربما كان والعتب . (۲) العتي : الرضا .

(۳) الصفوان واحدة صفوانة ، وهي الحجر الصلب الضخم . (۴) أي إنعامه وإحسانه .

(۵) هجر : قاعدة البحرين وهي كثيرة النخل فهي معدن التمر ، وفي الأمثال « كتبضع التمر إلى
هجر » ويقال أيضا « كتبضع التمر إلى خير » قال النابغة الجعدي :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة
كتبضع تمرًا إلى أرض خيرا

ومسدده : أي معلمه الرمي وموقفه للسداد ، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « أو داعي مدره » والمدره
كثير : المقدم في اللسان واليد عند الحصومة والقنال .

فلان وفلان^(۱)، فذكرت أمراً إن تم اعترلك كلّه، وإن نقص لم يلحقك ثلّه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء، وأبناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم؟ هيهات لقدحن قدح ليس منها^(۲)، وطفق يحكم فيها^(۳) من عليه الحكم لها! ألا ترعب أيها الإنسان على ظلمك، وتعريف قصور ذرعك^(۴)، وتتاخر حيث أخرجك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر!

وإنك لذهاب في التيه^(۵)، رواع عن القصد، ألا ترى - غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدثت - أن قوما استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار - وكل فضل - حتى إذا استشهد شهيدنا، قيل: سيد الشهداء^(۶)، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه^(۷)، ألا ترى أن قوماً

(۱) أي أبو بكر وعمر، وثلثه: أي عيه، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « قله » بالضم، وهو القلة، وفيها أيضاً « والسائل والمسؤل » محل « والسائس والمسوس » والرواية التي أوردناها (وهي رواية نهج البلاغة) أنسب.

(۲) في الأمثال « حن قدح ليس منها » حن: صوت، والقدح أحد قداح اليسر، وإذا كان أحد القداح من غير جوهر أخواته ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها، فيعرف به أنه ليس من جملة القداح، بضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها، أو يتمدح بما لا يوجد فيه، وما في منها راجعة إلى القداح، وقد مثل به عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال له الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أقتل من بين قريش؟ فقال عمر: حن قدح ليس منها (وقد ذكر جماعة من السابن أن جد أبيه ذكوان بن أمية بن عبد شمس كان مولى لأمية، وكان يلقب بالصفوري نسبة إلى صفورية بلد بالأردن، فتبناه أمية، فبنوه موال وليسوا من بني أمية لصلبه - انظر شرح ابن أبي الحديد (م ۱ ص ۱۵۰).

(۳) أي في الطبقات. (۴) ذرع الإنسان طاقته التي يبلغها.

(۵) التيه: الضلال والكبر، وراغ عنه مال وحاد، والقصد: استقامة الطريق.

(۶) هو حمزة بن عبد المطلب، قتل يوم أحد كما قدمنا وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء، وأشهد مجرولاً واستشهد كذلك: نقل في سبيل الله. (۷) روى أنه كان عليه السلام

كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة، لأن الشهداء و أحد سبعون (ابن أبي الحديد م ۳ ص ۳۹۵) وجاء في ترجمته في أسد الغابة ج ۲ ص ۴۹: « عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كبر على جنازة كبر عليها أربعاً، وأنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة، وعن ابن عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة فكبر عليه سبع ثم لم يؤت بفصيل إلا صلى عليه مع حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » - انظر قول ابن عباس أيضاً في سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۸۷.

قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا^(۱) مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيرِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَدَاكَ ذَاكَ^(۲) فَضَائِلَ جَمَّةً ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ .

فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ^(۳) ، فَإِنَا صَنَائِعُ رَبِّنَا^(۴) ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عَزَّنَا ، وَلَا عَادِي طَوْلِنَا^(۵) عَلَى قَوْمِكَ ، أَنْ خَلَطْنَا كَمِ بَأَنْفُسِنَا ، فَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا ، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ ، وَلَسَمَ هُنَاكَ ، وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ^(۶) ؛

(۱) یعنی جعفر بن ابی طالب قتل فی غزوة مؤتة کما تقدم ، وقد قطعت يدها ، أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل واللواء معه لم يلقه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة، ولذا سمي الطيار (ابن أبي الحديد م ۳ : ۴۰۵ وأسد الغابة ۱ : ۲۸۸ وسيرة ابن هشام ۲ : ۲۵۳) .

(۲) یعنی نفسه .

(۳) الرمية : الطريدة التي يرميها الصائد، وهي فعيبة بمعنى مفعولة ، وأثبت لأنها جعلت اسماً لانفتاح والمراد بها الدنيا، والمعنى : دع من مال إلى الدنيا ومالت به أي أمانته إليها: أي لا تستمع لهؤلاء الذين يعرفونك بالمضي فيما تطمح إليه من الخلافة طلباً للدنيا وطعماً فيها ، يهرس بعمر بن العاص فقد ملأ معاوية وشابحه على أن يجعل له مصر طعمة كما قدمنا ، وفي نهاية الأرب « الدنية » وهي الأمر الحسيس .

(۴) أي اصطفانا الله واختصنا بفضله ، وجعل النبوة في بيتنا ، ومنه فاضت الهداية على الوري ، أي فنحن أحق بالخلافة .

(۵) الطول : الفضل ، وعادى : أي قديم ، نسبة إلى عاد لإحدى قبائل العرب النائدة . فكحنا وأنكحنا : أي تزوجنا منكم وزوجناكم مننا، قال ابن أبي الحديد : « وينبغي أن يحمل قوله « قديم » و« عادى » على مجازه لا على حقيقته لأن بني هاشم وبني أمية لم ينفردا في الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف، وعرف بأفعاله ومكارمه ، ونشأ حينئذ أخوه عبد شمس ، وعرف بمثل ذلك ، وصار لهذا بنون ، ولهذا بنون ، وادعى كل من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الآخر ، ثم لم تكن المدة بين نشأ هاشم وإطهار محمد صلى الله عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة ، ومثل هذه المدة القصيرة لا يقال فيها « قديم عزنا ، وعادى طولنا » فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه ، لأن الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدة تكون بكثره المناقب والمآثر والمفاخر وإن كانت المدة قصيرة ، واللفظة قديم ترد ولا يراد بها قدم الزمان ، بل من قولهم لفلان قدم صدق وقديم أثر أي سابقة حنة له » وفسره الأستاذ الشيخ محمد عبده فقال : « العادى : الاعتبارى المعروف ، والأول هو الصحيح بقرينة قوله قبل « قديم عزنا » وقال أيضاً « قديم مفعول يمتنع ، وأن خلطناكم فاعله » والصحيح العكس ، وفي رواية صبح الأعشى « ومديد طولنا » .

(۶) أي وكيف يكون شرفكم كدشرفنا .

ومنا النبي، ومنكم المكذب^(۱)؛ ومنا أسد الله^(۲)، ومنكم أسد الأخطاف

(۱) يعنى أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله والمكذب له والمجلب عليه، وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده في تفسيره (وتقل عنه ذلك شارح نهاية الأرب) : « المكذب : أبو جهل، وهو خطأ، أجل إن أبا جهل كان من ألد أعداء رسول الله، والمكذبين له، ولكنه ليس من بي أمية، بل هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي من بني مخزوم بن مرة من قريش .

(۲) يعنى حمزة بن عبد المطلب، وأسد لأخطاف : يعنى عتبة بن ربيعة . وذلك أنه لما نادى المسلمون والشركون في غزوة بدر، خرج عتبة وشيبة والوايد حتى فصلوا من الصف ثم دعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم : من أنتم؟ قالوا : رهط من الأنصار، فقالوا: ارجعوا فإنا لنايم من حاجة، ثم نادى مناديتهم : يا محمد أخرج لإينا أكفاهنا من قومنا، فأخرج لهم صلى الله عليه وسلم حمزة وعليا وعميدة بن الحارث، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة : كمء كريم، وأنا أسد الحلفاء، من هذان معك؟ قال : علي بن أبي طالب وعميدة بن الحارث بن المطلب، فقال : كفتان كريتان .

قال الواقدي : قال ابن أبي الزناد : حدثني أبي قال : لم أسمع لعتبة كلمة قط أو هن من قوله « أنا أسد الحلفاء » يعنى بالحلفاء الأجمة (وعلى ذلك فهى بفتح الحاء وسكون اللام، وهى نبت نبتت في مفايض الماء . أى أنا أسد الأجمة، لأن مأوى الأسد الأجام ومنابت الحلفاء) .

قال ابن أبي الحديد : « قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى « وأنا أسد الحلفاء » يعنى (بضم ففتح) وروى « أنا أسد الأخطاف » (كما جاء في كتاب الإمام على) قالوا في تفسيرها : أراد أنا سيد أهل حلف المطيين (وسنبيه بعد) ورد قوم هذا التأويل، فقالوا : إن المطيين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الأخطاف، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم، وقال قوم في تفسيرها : إنما عني حلف الفضول (وسنبيه بعد أيضا) وهذا التفسير أيضا غير صحيح لأن بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول، فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت - (انظر شرح ابن أبي الحديد ص ۳۳۳) .

غير أن ابن أبي الحديد مع ما ذكره من تفنيد هذين التفسيرين، لم يبين المراد بالأخطاف أو الحلفاء في رواية من روى « أنا أسد الأخطاف » و« أنا أسد الحلفاء » جمعا، وأقول : إنما إذا بحثنا عن قتلوا من مشركي قريش يوم بدر وجدناهم : من بني عبد شمس بن عبد مناف، ومن بني نوفل بن عبد مناف، ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي، ومن بني عبد الدار بن قصي، ومن بني نيم بن مرة بن كعب بن لؤى، ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة، ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص، ومن بني عامر بن لؤى : (راجع كتب السيرة) أى أن هذه البطون من قريش كانت قد تآزرت وانفقت كلمتها على حرب محمد وإن شئت فقل إنهم قد تحالفوا على قتاله - وإن لم ينقل لإينا التاريخ أنهم قد عقدوا بينهم على ذلك حلفا بمعناه الأخص - ثم ولوا أمرهم عتبة بن ربيعة فكان قائدهم وصاحب حربهم، فهو إذ يقول : « أنا أسد الأخطاف » يعنى أن يقول إنه أسد هذه البطون القرشية المتناصرة على قتال المسلمين .

ومن تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده (وتابعه أيضا شارح نهاية الأرب) : « أسد الأخطاف : أبو سفيان . لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق » وقد قدمنا لك خبر الأحزاب في ص ۲۷۵ - وهو تفسير ملام، غير أن التنظير في كتاب الإمام يقتضى حينئذ أن يكون « المكذب شخصا آخر غير أبي سفيان .

وقال ابن أبي الحديد: «قال الراوندي: المكذب من كان يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله عنادا من قريش، وأسد الأحلاف: أسد بن عبد العزى، قال: لأن بنى أسد بن عبد العزى كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا في حلف المطيين، وهذا كلام ظريف جدا، لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل يازاء النبي صلى الله عليه وسلم مكذب من بنى عبد شمس، فقال: المكذب من كذب النبي من قريش عنادا، وليس كل من كذبه عليه الصلاة والسلام من قريش يعبر معاوية به، ثم قال: أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى، وأى عار يلزم معاوية من ذلك؟ ثم إن بنى عبد مناف كانوا في هذا الحلف، وعلى معاوية من بنى عبد مناف ولكن الراوندي يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه اه .»

وهالك كلمة عن حلف المطيين: كان قصي بن كلاب جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ثم إن بنى عبد مناف بن قصي (عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفلا) أجمعوا على أن يأخذوا مابأيدي بنى عبد الدار بن قصي من ذلك، ورأوا أنهم أولى به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتنفرت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم، كان معهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر بن مالك، وكانت طائفة أخرى مع بنى عبد الدار، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم، كان معهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جح بن عمرو بن هصيص وبنو عدى بن كعب، فقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا، مابل بحر صوفة، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا ثم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا «المطيين» بفتح الياء المشددة - وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا ثم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا، فسموا «الأحلاف» - انظر سيرة ابن هشام ۱: ۸۲ .

أما حلف الفضول: فسببه أن رجلا من زبيد من أهل اليمن قدم مكة معتمرا بيضاة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ومطله باليمن، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا له - وكان بنو سهم وبنو جح أهل بنى وعدوان - فظوف في قبائل قريش يتصرخهم فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش محالسه حين ناشدتم ظلامته، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم في دار عبد الله بن جدعان التيمي، فتعالفوا وغمسوا أيديهم في ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت وتعاهدوا على أن لا يجحدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس لإقاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وأن يأخذوا على يد الظالم وينهوا عن كل منكر، مابل بحر صوفة، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل فقالوا له: أد إلى هذا حقه، فأدى إليه حقه فكنوا كذلك دهرا، لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه. وكان حلف الفضول بعد حلف المطيين بزمان، وقد شهدته رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة، قال عليه الصلاة والسلام: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حر النعم (به أى بدله: أى مقابل تقضه) ولودعيت به اليوم لأجبت، ولا يزيد الإسلام إلا شدة» وإنما سمي حلف الفضول لأنهم تحالفا أن ترد الفضول على أهلها (فالفضول: جمع فضل وهو الزيادة، لأن الظالم يأخذ فضلا عن حقه) وقيل إنه كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف «جرهم» في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم: أحدهم الفضل بن فضالة =

ومننا سيّدا شباب أهل الجنة^(۱)، ومنكم صبيّة النار^(۲)؛ ومننا خير نساء العالمين^(۳)،

والثاني الفضل بن وداعة، والثالث فضيل بن الحارث، فلما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول (فالفضول جمع فضل، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم) انظر سيرة ابن هشام ۱: ۸۳ والروض الأتق ۱: ۹۱ وشرح ابن أبي الحديد م ۳: ص ۳۳۴ وص ۶۴.

(۱) يعني الحسن والحسين عليهما السلام، قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» (أسد الغابة ۲: ۱۱).

(۲) كان عقبه بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو وذكوان بن أمية بن عبد شمس من أشد المستهزئين برسول الله المؤذنين له (وأخباره في ذلك مشهورة فراجعها في كتب السيرة) وكان من أسرى المشركين يوم بدر فقتله رسول الله صبرا، فقال له عقبه كالمستعطف له: من للصبيّة يا محمد؟ قال: النار (سيرة ابن هشام ۱: ۳۹۳).

قال ابن أبي الحديد: ولم يعلم الراوندي ما المراد بهذه الكلمة فقال: صبيّة النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ، ولما أخبر النبي صلى الله عليه وآله عنهم بهذه الكلمة كانوا صبيّة ثم ترعرعوا واختاروا الكفر، ولاشبهة أن الراوندي قد كان يفسر من خاطره فهما خطرله قال: «اه»، وأقول: إن ما ذكره الراوندي خطأ فاحش، وتصيل القول في ذلك أن الحكم بن أبي العاص (أبامروان) كان قد قدم المدينة بعد الفتح - وكان قد أسلم يوم الفتح سنة ثمان للهجرة - فأخرجه رسول الله إلى الطائف، وقال له: «لا تسكني في بلد أبدا» لوقيته فيه (قيل: كان يتسمع سر رسول الله ويطلع عليه من باب بيته، وهو الذي أراد رسول الله أن يفتأ عينه بمدري في يده لما اطلع عليه من الباب وقيل كان يحكي رسول الله في مشيته وبعض حرركاته، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتكئا في مشيته) فطرده رسول الله ولعنه وأبعده حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله، ولم ير ابنه مروان رسول الله لأنه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل لما نفي النبي أباه - وقد ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة - وقيل إنه ولد بالطائف لبان نفي أبيه بها «انظر أسد الغابة ج ۲: ص ۳۴ وج ۴: ص ۳۴۸» فكيف يقول الراوندي: «ولما أخبر النبي عن أولاد مروان بهذه الكلمة كانوا صبيّة» مع أن أباهم مروان نفسه كان على عهد الرسول صبيّا، على أن أولاده لما ترعرعوا لم يختاروا الكفر كما يقول، وهو واضح ظاهر. وذكر الجاحظ أن عبد الملك بن مروان كان عابد قريش قبل أن يستخلف، ورعا وزهدا «العقد الفريد ۳: ۸».

(نعم روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر به الحكم بن أبي العاص فقال: ويل لأمتي مما في صلب هذا) وذكر الأستاذ الشيخ محمد عبده في تفسيره ما ذكره الراوندي فقال: «وصبيّة النار قليل هم أولاد مروان بن الحكم، أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار، ومرقوا من الدين في كبرهم اه» (ونابغه أيضا شارح نهاية الأرب) وقد بينا فساده.

(۳) يعني فاطمة عليها السلام، جاء في الإصابة ج ۸: ص ۱۵۸ (عن أبي هريرة مرفوعا: خير نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة) (وآسية هي امرأة فرعون، نزل فيها وفي مريم قوله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ

ومنكم حمالة الحطب^(۱) ، في كثير مما لنا وعليكم :

فإسلامنا ما قد سُمِع ، وجاهليتنا لا تُدْفَع ، وكتابُ الله يجمع لنا ما شَدَّ عنا ، وهو قوله سبحانه وتعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » وقوله تعالى : « إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ آتَبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » فنحن مرةً أَوْلَىٰ بِالرَّابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ ، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السبيفة^(۲) برسول الله صلى الله عليه وآله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ، فإن يكن الفلجُ به فالحقُّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم .

وزعمتَ أني لكل الخلفاء حسدٌ ، وعلى كلهم بغيتُ ، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك ، فيكون العذرُ إليك :

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا^(۳) *

وقلتَ إني كنتَ أقادُ كما يقادُ الجملُ المَخشوشُ حتى أبايعَ ، ولعمركَ اللهُ لقد أردتَ

التي أَحصتَ فَرَجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا مِنَ الْقَافِلِينَ .

(۱) هي أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لب وعمة معاوية ، وقد ورد فيها التنزيل بذلك « وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » وقيل لها حمالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك والعدان وتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم ليذاه له (وكانت جارته) أو هو النيمة ، إذ كانت تسمى عليه بالنائم وتوفد بذلك نار الحسومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بعماداته ، وتحمل زوجها على ليدائه .

(۲) لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد سعد بن عباد ، وكان بينهم وبين المهاجرين حجاج انتهى باستغلاف أبي بكر كما هو معروف ، وقلج على خصمه كنصر : فاز عليه وظفر .

(۳) هو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، قال :

أبي القلب إلا أم عمرو فأصبحت تحرق نارى بالشكاة ونارها

وعيرها الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والشكاة في الأصل : المرض ، وتوضع موضع العيب والذم كما في هذا البيت ، فعناها هنا العيب والنقصة ، ويقال : ظهر عنى هذا العيب : إذا نبا عنك ولم يعلق بك منه شيء .

أَنْ تَذُمَّ فَدَخْتُ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَانْتَضَحْتُ ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ^(١) فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا ، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَابًا بِبَيْعِينِهِ ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا^(٢) ، وَلَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِتَمَرٍ مَا سَنَحَ^(٣) مِنْ ذِكْرِهَا .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمرِ عثمان، فلك أن تُجَابَ عن هذه، لِرَحِمِكَ^(٤) منه، فأبينا كان أعدى^(٥) له، وأهدى إلى مَقَاتِلِهِ، أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتِهِ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ^(٦)، أَمْ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ^(٧)، وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعْوَقِينَ^(٨) مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا .

وما كنتُ لِأَعْتَدَرَ مِنْ أَى كُنْتُ^(٩) أَنْقِمَ عَلَيْهِ أَحْدَانًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لِأَذْنَبَ لَهُ^(١٠) .

(١) غض منه : نقص ووضع من قدره .

(٢) أى إني إذا احتجبت لحتى في الخلافة فإبينا أحتج إلى غيرك لا إليك ، إذ ليس لك في الخلافة

شان . (٣) أى عرض . (٤) الرحم : القرابة .

(٥) أى أشد عدوانا ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٦) استقعدده واستكفه : طلب قعوده وكفه، ويعنى «بمن بدل له نصرته» نفسه فقد كان للإمام على

عليه السلام في الدفاع عن عثمان موقف مجيد لا ينكره إلا كل مكابر ، وقد قال : « والله ما زلت أذب عنه

حتى إني لأستحي » وقال أيضا : « والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما » وبث إليه بالماء

حين منعه عنه المحاصرون، كما بث إليه بابنيه الحس والحسين ومواليه للذب عن داره، وقال لا بنيه: اذهبوا

سيفيكما حتى تقوموا على باب عثمان فلا تدعوا أحدا يصل إليه بمكروه ، وقد خضب الحسن بالدماء في سبيل

مدافعة الثوار وشج قبر مولى على ، حتى قال عثمان للحسن : إن أباك الآن لني أمر عظيم فأقسمت عليك لما

خرجت ، فأبى وشاء الله أن ينفذ القضاء في عثمان فجاء على فقال لا بنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما

على الباب ولطم الحسن وأصرب الحسين، وقد فصلنا القول في هذا الموضوع في كتابنا « ترجمة على بن أبي طالب

باب مقتل عثمان » .

(٧) يعنى به معاوية ، وقد كان عثمان كتب إليه يستنصره فنرى به (انظر ما قدمناه في ص ٢٧٧)

والمنون : الموت ، وبث المنون إليه : أى أنه تقاعس عن نصرته فأفضى ذلك إلى بلوغ الثوار مأربهم فيه

فقتلوه . (٨) أى المانعين من النصرة .

(٩) نقم منه كضرب وعلم : عابه ، والأحداث جمع حدث كجب وهو البدعة .

(١٠) هو مثل من قول أكرم بن صيني يقول : فد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون

حجته وعذره فهو يلام عليه .

* وقد يستفيد الظنَّة المتنصَّح^(١) • وما أردتُ إلاَّ الإصلاحَ ما استطعتُ
وما توفيتني إلاَّ باللهِ عليه توكَّلتُ وإليه أُنيبُ .

وذكرت أنه ليس لي ولا صحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استيعبار^(٢) !
متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء نا كين^(٣) ، وبالسيوف مخوفين ؟ « فلبثتُ
قليلاً يلحق الهيجا حمل^(٤) » فيطلبك من تطلب ، ويقرَّب منك ما تستبعد ، وأنا
مرقل^(٥) نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديد

(١) الظنَّة: التهمة ، والتنصح هنا : المبالغ في النصح لمن لا ينتصح ، وهو شطر بيت ، وصدرة :

* وكم شقت في آثاركم من نصيحة *

(٢) استعبر : جرت عبرته ، أي بكى ، فقوله يبكي لأنه يطلب ملاحق له فيه ، ويشق عصا الجماعة
ويضحك لتهديده من لا يهدد . (٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : نكس وجبن .

(٤) لبث : من اللبث بالفتح وهو الكث أي انتظر ، والهيجا يقصر ويهدد : الحرب ، وحمل اسم رجل
(وستعرفه بعد) وهو مثل يضرب للتهديد بالحرب ، رواه أبو هلال العسكري في جهرة الأمثال ج ٢ : ص
١٧٧ ، فقال : « لبث رويداً يلحق الهيجا حمل » أي انتظر حتى يتلاحق الشبان) وفي لسان العرب ج
١٣ ص ١٩٣ « ضح قليلاً يدرك الهيجا حمل » وفي مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٨٣ « ضح رويداً يدرك الهيجا
حمل » (ومعنى « ضح رويداً » لا تعجل في الأمر وتأن وارفق) ضمن الإبل : غداها في الضمى فتضحت هي
أي أكلت في الضحى ، وأصله أن العرب كانوا يسرون في البادية يوم ظفهم ، فإذا مروا ببقعة من الأوس فيها
كلأ وعشب ، قال فائلهم : الأضحوا رويداً ، أي ارفقوا بالإبل حتى تتضحى ، أي تتال من هذا المرعى ، ثم
وضعت التضحية مكان الرفق ، لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت اه لسان العرب ج ١٩ : ص ٢١٥ .
أما حمل فهو حمل بن سعدانة (بالفتح) الصحابي . جاء في أسد الغابة ج ٢ : ص ٥٢ وفي شرح القاموس
ج ٧ ص ٢٩٠ : « حمل بن سعدانة الكلبي ، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له لواء وشهد مع
خالد بن الوليد مشاهدته كلها ، وهو القائل :

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وشهد صفين مع معاوية ، وقد تمثل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق اه ، وفي سيرة ابن هشام ج ٢ : ص
١٦٣ ، في غزوة الخندق : « فر سعد بن معاذ وعليه درع له مفاصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي
يده حربته يرقل بها (أي يسرع) يقول :

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

وفي لسان العرب : « حمل : إنما يعني به حمل بن بدر » وكذا في مجمع الأمثال ، وقال شارح القاموس :

ولي الحكم : إنما يعني به حمل بن بدر ، قلت : وفيه نظر .

وقد جاء في تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده أنه حمل بن بدر ، وكذا ذكر شارح نهاية الأرب
مستنداً إلى ماورد في لسان العرب ، وقد عرفت ما فيه ، ولم يرد في شرح ابن أبي الحديد تفسيره . وأكبر
ظني أنه سقط في أثناء الطبع ، لأن شرح ذلك الكتاب واقع في نهاية المجلد الثالث ، ولم يذكر تفسير الجزء
الأخير منه . (٥) مرقل : مسرع . والجحفل : الجيش العظيم

زِحَاهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ^(١)، متسرّبلين سرّابيل الموت، أَحَبُّ اللّقاء إليهم لقاءه
 ربهم، وقد صحّبتهم ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ^(٢)، وسيوف هاشمية، قد عرّفت مواقع نصالها
 في أخيك وخالك وجدك وأهلك، وما هي مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ .
 (نهج البلاغة ٢ : ٢١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٩ ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٣)

٤٢٧ - كتاب علي إلى مخنف بن سليم

والا أجمع عليّ عليه السلام أن يسير إلى الشام لقتال معاوية، كتب إلى عمّاله
 يستفِزّهم، فكتب إلى مخنف بن سليم عامله عليّ أضحّبان وهمدان :
 « سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن جهادَ مَنْ
 صدَفَ^(٣) عن الحق رغبةً عنه، وهبَّ في نَعاسِ العمى والضلال اختياراً له، فريضةً
 على العارفين أن الله يَرْضَى عمن أرضاه، وَيَسْخَطُ عليّ من عصاه .

وإنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله،
 واستأثروا بالنفوس، وعطلوا الحدود، وأماتوا الحق، وأظهروا في الأرض الفساد،
 واتخذوا الفاسقين وليجةً^(٤) من دون المؤمنين: فإذا وليّ الله أعظمَ أخطائهم أبغضوه
 وأقصوه وحرّموه، وإذا ظالمٌ ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدّنوه وبرّوه، فقد
 أصرّوا على الظلم، وأجمعوا على الخلاف، وقد يماً صدّوا عن الحق، وتعاونوا على الإثم
 وكانوا ظالمين .

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف عليّ عمك أو ثِقَ أصحابك في نفسك، وأقبلْ إلينا

(١) القتام: الفبار، وساطع: أي منتشر، والسرابيل: جمع سرّبال بالكسر: وهو القميص أو
 الدرع أو كل ما لبس، وقد تسربل به: أي لبسه، والمعنى: أنهم مستعدون للموت مرحبون به .
 (٢) أي من ذراري أهل بدر الذين قاتلوا أهلك يوم ذاك وقتلوا منهم .
 (٣) صدف عنه كضرب: أعرض .
 (٤) الوليجة: خاصتك من الرجال، أو من تتخذة معتمداً عليه من غير أهلك .

لعلك تلتقي معنا هذا العدو المَحِلَّ (١)، فتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتُجامع المَحِقَّ، وتباين المَبْطِلَ، فإنه لا غنى بنا ولا بك عن أجر الجهاد، وحبنا الله ونعم الوكيل.»

وكتبه عبيد الله بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

فاستخلف مخنفٌ على أصبَهان الحرث بن أبي الحرث بن الربيع، واستعمل على همدان سعيد بن وهب وكلاهما من قومه، وأقبل حتى شهد مع عليّ عليه السلام صفين .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٢)

٤٢٨ - كتاب عليّ إلى عبد الله بن عباس

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى عليّ عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة، فكتب إليه عليّ عليه السلام :

«أما بعدُ : فقد قدّم عليّ رسولك، وقرأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصرافي عنهم، وسأخبرك عن القوم :

هم بين مُقيم لرغبةٍ يرجوها، أو خائفٍ من عقوبةٍ يخشاها، فأرغب راعبهم بالعدل عليه، والإنصاف له، والإحسان إليه، وأحلل عُقدَةَ الخوف عن قلوبهم،

(١) قال صاحب القاموس : (ورجل محل : متمك للحرام، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة). وجاء في اللسان : (ويقال : المحل الذي محل لنا قتاله، والمحرم : الذي يحرم علينا قتاله، ويقال : المحل الذي لا عهد له ولا حرمة، والمحرم : الذي له حرمة، وجاء في كتاب الإمام إلى أخيه عقيل (وستورده بعد) (فإن رأيت قتال المحلين) وفسره ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٧ . قال : أي الخارجين من الميثاق والبيعة يعني البغاة ومخالئي الإمام، ويقال لكل من خرج من إسلام أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحرم محل، وعلى هذا فسر قول زهير : (وكم بالفنان من محل ومحرم) أي من لادمة له ومن له ذمة، وكذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير بن العوام :

ألا من لقب معنى غزل بحب المحلة أخت المحل

أي ناقضة العهد أخت المحارب في الحرم أو أخت ناقض بيعة بني أمية . وقال المبرد في الكامل أيضا (ج ٢ : ص ١٦٨) (وكان عبدالله يدعى المحل لإحلاله القتال في الحرم، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير . . . الخ) وكذا في العقد الفريد ج ٤ : ص ٢٦٨ .

وانتبه إلى أمرى ولا تعدّه، وأحسن إلى هذا الحى من ربيعة وكل من قبلك فأحسن إليه ما استطعت إن شاء الله .

وكتب إلى أمراء عماله كلهم بنحو ما كتب به إلى مخنف بن سليم، وأقام ينتظرهم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٢)

٤٢٩ - كتاب على إلى عبد الله بن عباس

وكتب إلى ابن عباس أيضاً :

« أما بعد : فأشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين وذوكرهم بلائى عندهم ، وعفوى عنهم فى الحرب ، وأعلمهم الذى هم فى ذلك من الفضل ، والسلام . »

فقدم عليه ابن عباس بأهل البصرة .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٣)

٤٣٠ - كتاب زياد بن النضر إلى على

وأمر على فنودى فى الناس أن أخرجوا إلى معسكركم بالذخيلة ، واستخاف على الكوفة ، ثم خرج وخرج الناس معه ، ودعا زياد بن النضر وشرىح بن هانى ، وكانا على مذبحج والأشعريين ، فأوصى زياداً وقال له : إنى قد وليتك هذا الجند ، ثم أمرها أن يأخذا فى طريق واحد ولا يختلفا ، وبعثهما فى اثنى عشر ألفاً على مقدمته ، وكل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش ، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على ميدة ، ولا يقرب زياداً فكتب زياد إلى على عليه السلام :

« لعبد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النضر :

سلام عليك ، وإنى أحمذ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك وليتنى أمر الناس ، وإن شريماً لا يرى بى عليه طاعة ولا حقاً ، وذلك من فعله بى استخفافاً بأمرى ، وترك لعهدك ، والسلام . »
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

۴۳۱ - کتاب شریح بن ہانیؑ إلى علی

وكتب شريح بن هانيؑ إلى علي عليه السلام :

« لعبد الله علي أمير المؤمنين من شريح بن هانيؑ :

سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن زياد ابن النضر حين أشركته في أمرك ، وولَّيتهُ جنداً من جنديك ، طغى واستكبر ، ومال به العجب والخيلاء والزَّهْو إلى ما لا يَرْضَى اللهُ تعالى به من القول والفعل ، فإن رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزله عنا ، ويبعث مكانه مَنْ يُحِبُّ فليفعل ، فإننا له كارهون ، والسلام . » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

۴۳۲ - کتاب علی إلى زياد و شريح

فكتب علي عليه السلام إليهما :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر ، وشريح بن هانيؑ :

سلام عليكما ، فإني أحمدُ إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإني قد وليتُ مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليها ، وشريح بن هانيؑ على طائفة منها أمير ، فإن انتهى جمعكما إلى بأس فزياد بن النضر على الناس كلهم ، وإن افرقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التي وليناه أمرها .

واعلموا أن مقدمة النور عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ، فإذا أنتم خرجتما من بلاد كما فلا تتأما من توجيه الطلائع ، ومن نفخ الشعاب^(١) والشجر والخمر في كل جانب ، كي لا يفتَرَ كما^(٢) عدو ، أو يكون لهم كمين ، ولا تُسيرن الكتاب

(١) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما افرج بين الجبلين ، والجمع شعاب. والخمر : كل ماواراك من شجر أو بناء أو غيره ، ونفخ المكان كنصر واستنفذه وتنفضه : إذا نظر جميع ما فيه حتى يعرفه ، وفي الأصل « قفص » بالقاف وهو تصحيف .

(٢) اغتررت الرجل : إذا طلبت غرته . والفره بالكسر : النقلة .

بوالقبائل من لدُن الصبح إلى المساء إلا على تعبية^(١) ، فإن دَهَمَكِمْ عدوٌّ أو غَشِيَكِمْ
مكروهٌ كنتم قد تقدّمتم في التعبية ، فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن مَعَسَكِمْ
في قُبُل الأشراف^(٢) ، وأسفاح الجبال ، وأثناء الأنهار ، كما يكون ذلك لكم رِدْءًا ،
وتكون مَقَاتَلَتِكِمْ من وجه واحد ، أو اثنين ، واجعلوا رُقَبَاءَ كَمَا فِي صِيَاصِي^(٣) الجبال ،
وبأعلى الأشراف ، ومناكب الأنهار ، يَرَوْنَ لَكُمْ ، لا يأتِيَكِمْ عدوٌّ من مكان مخافة
أو أمنٍ ، وإياكم والتفرق ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعًا ، وإذا رَحَتُمْ فارحلوا جميعًا ،
فإذا غَشِيَكِمْ الليلُ فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ، ولتكن رُمَاتِكِمْ من
وراء تراسِكِمْ ، ورماحكم يُلُونَهُمْ ، وما أقمتم فكذلك فافعلوا ، كي لا يصاب لكم غفلة ،
ولا يُبَدَى لَكُمْ غِرَّةٌ ، فاقوموا يحفون عسكركم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار ،
إلا كانوا كأنهم في حصون ، واحرّسوا عسكركم بأنفسكم ، وإياكم أن تذوقا نومًا
حتى تُصَبِحَا إِلَّا غِرَارًا^(٤) أو مَضْمُضَةً ، ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تفتبيا
إلى عدوكم ، وليكن كل يوم عندي خبرُ كما ورسولٌ من قبلكما ، فإني - ولا شيء
إلا ما شاء الله - حَثِيْتُ^(٥) السير في إثرِكَمَا ، وعليكما في جريكما بالتؤدة ، وإياكم
والعجلة إلا أن تُمَكِّنَا فِرْصَةً بعد الإعذار والحجة ، وإياكم أن تقانلا حتى أقدم
عليكما ، إلا أن تُبَدَأَا ، أو يأتِيَكَمَا أمرى إن شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

(١) في الأصل « بقية » وهو تحريف .

(٢) الأشراف : جمع شرف بالتحريك وهو المكان العالي . وقيل الجبل بضمة وبضمين . صفحه ، وهو أصلة أو الحضيض الأسفل ، وقد ورد في كتب اللغة جمعه على سفوح ، والأثناء جمع ثني بالكسر ونى النهر منعطفه ، والرده : العون .

(٣) الصياصي جمع صيصية : وهي كل ما امتنع به وتحصن .

(٤) الغرار : القليل من النوم ، ومضض الناس في عينه : دب ، وما مضضت عيني بنوم أي مانمت .

(٥) أي سرّيت .

٤٣٣ - كتاب علي إلى أمراء الأجناد

وكتب علي عليه السلام إلى أمراء الأجناد :

« أما بعدُ فإني أبرا إليكم من مَعْرَةِ الجنود ، فأعزِّبوا^(١) الناس عن الظلم والعدوان، وخذوا على أيدي سفهائكم ، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يَرْضَى اللهُ بها عنا ، فَيَرُدَّ بها علينا وعليكم دعاءنا ، فإنه تعالى يقول : « مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ » وإن الله إذا مَمَّتْ قوماً من السماء هلكوا في الأرض ، فلا تَأْتُوا أنفسكم خيراً ، ولا الجنْدَ حَسَنَ سِيْرَةٍ ، ولا الرعيَّةَ مَعُونَةً ، ولا دين الله قوَّةً ، وأبْلُوا في سبيله ما استوجبَ عليكم ، فإن الله قد اصطنع^(٢) عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بمُجْهِدنا ، وأن ننصره ما بلغت قوتنا ، ولا قوة إلا بالله » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

٤٣٤ - كتاب علي إلى الأجناد

وكتب علي عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم وعليهم :

« أما بعدُ : فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء : أسودكم وأحمركم^(٣) ، وجعلكم من الوالي منكم بمنزلة الولد من الوالد ، والوالد من الولد ، فحُتِّمَكم عليه إنصافكم والتعديلُ بينكم والكفُّ عن فيثكم ، فإذا فعل معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، ونُصرتُه والدفع عن سلطان الله ، فإنكم وَزَعَةٌ^(٤) الله في الأرض ، فكونوا

(١) أعزبه : أبعد . (٢) اصطنع عنده صبغة : اتخذها .

(٣) جاء في حديثه صلى الله عليه وسلم « أرسلت إلى الأسود والأحمر » يعني العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياس والحمره .

(٤) الوزعة : جرم وازع ، من وزعه كوضعه إذا كفه ، أي أنتم جنود الله الذين تكفون الناس عن الظلم والعدوان .

له أعواناً ، ولدينه أنصاراً ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

٤٣٥ — كتاب علي إلى معاوية ومن قبله من قريش

وسار علي عليه السلام حتى نزل الرِّقَّةُ^(١) ، فقالت له طائفة من أصحابه :
يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومن قبله من قومك ، فإن الحجّة لا تزاد عليهم
بذلك إلا عظاماً ، فكتب إليهم :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش :

سلام عليكم فإني أئتمركم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله دباداً آمنوا
بالتنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفقهوا في الدين ، ودين الله فضلهم في القرآن الحكيم .
وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول تكذبون بالكتاب ، تُجمعون على حرب المسلمين ،
مَنْ تَقِفْتُمْ^(٢) منهم حبستموه أو عدتتموه أو قتلتتموه ، حتى أراد الله تعالى إعراز دينه ،
وإظهار أمره ، فدخات العرب في الدين أفواجاً ، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً ،
فكنتم فيمن دخل في هذا الدين إماماً رغبةً وإماماً رهبةً ، على حين فاز أهل السبق
بسبقتهم ، وفاز المهاجرون الأولون بفضلتهم ، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقتهم
في الدين ، ولا فضائلهم في الإسلام ، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهل وأولى به
فيحوب^(٣) وبظلم ، ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره ، وبعده طوره ،
ويشقى نفسه بالتماس ما ليس بأهله ، فإن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً
أقربها من الرسول ، وأعلمها بالكتاب ، وأفقهها في الدين ؛ أولهم إسلاماً ، وأفضهم
جهاداً ، وأشدهم بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاعاً^(٤) ، فاتقوا الله الذي إليه ترجعون

(٢) ثفته كسمه : صادقه أو ظفر به وأدركه .

(٤) اضطلم بالأمر : قوى عليه .

(١) بلد على الفرات مقابل صفين .

(٣) حاب يحوب : أتم .

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَعَلِمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ ، وَإِنْ شَرَّارَهُمُ الْجُهَّالُ الَّذِينَ يَنَازِعُونَ الْجَهْلَ أَهْلَ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ لِلْعَالَمِ بَعْلَهُ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَزِدَادُ بِمَنَازَعَتِهِ الْعَالَمَ إِلَّا جَهْلًا ، أَلَا وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَحَقِّنْ دِمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنْ قَبَلْتُمْ أَصَبْتُمْ رَشْدَكُمْ ، وَاهْتَدَيْتُمْ لِحِفْظِكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَشَقَّ عَصَاهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَمْ تَزِدَادُوا مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ، وَلَا يَزِدَادُ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا سُخْطًا ، وَالسَّلَامُ . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٦ - رد معاوية على علي

فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطرًا واحدًا وهو :
« أما بعد : فإنه :

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلي وضرب الرقاب^(١)
فقال علي عليه السلام لما أتاه هذا الجواب : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٧ - كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس

ولم تجد الكتب بين علي ومعاوية نفعًا ، فعَبَأَ كُلَّ مِنْهَا جَيْشَهُ ، وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي صِفِّينَ ، عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ .
فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَظُمَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، بَعَثَ مَعَاوِيَةَ أَخَاهُ عَتَبَةَ لِاتِّمَاءِ الْأَشْعَثِ
ابن قيس الكندي^(٢) ، فَجَعَلَ يَسْتَهْوِيهِ وَيَسْتَكْفِيهِ ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُ : إِنَّا لَأَدْعُوكَ إِلَى
تَرْكِ عَلِيٍّ وَنُصْرَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنَّا نَدْعُوكَ إِلَى الْبَقِيَّةِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُكَ وَصَلَاحُنَا ، فَقَالَ
لَهُ الْأَشْعَثُ : لَسْتُ بِأَجُوجَ إِلَى الْبَقِيَّةِ مِنَّا ، وَلَمْ يَلْقَ عِنْدَ عَتَبَةَ مَا يَجِبُ .

(١) انظر رواية ابن قتيبة التي قدمناها في ص ٣٣٩ (٢) وكان من رهوس جند هلي .

فلما ينس معاوية من الأشعث قال لعمر بن العاص : إن رأس أهل العراق بعد عليّ هو عبد الله بن عباس ، فلو كتبت إليه كتاباً لعلك ترققه ، ولعله لو قال شيئاً لم يخرج عليّ منه ، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام ، فقال عمرو : إن ابن عباس لا يُخدع ، ولو طمعت فيه لطمعت في علي . قال معاوية : علي ذلك فاكتب ، فكتب عمرو إلى ابن عباس :

« أما بعدُ : فإن الذي نحن وأتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وأنت رأس هذا الجمع بعد عليّ ، فانظر فيما بقي ودع ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياة ولا صبراً . واعلم أن الشام لا تهلك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا تهلك إلا بهلاك الشام ، فما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم ؟ وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول : ليتها لم تكن ، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه ، وإنما هو : أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، وموثمن مشاور وهو أنت ، فأما الأشر^(١) الغليظ الطبع القاسي القلب فليس بأهل أن يدعى في ثقات أهل الشورى ، ولا في خواص أهل النجوى » .

وكتب في أسفل الكتاب :

طال البلاء وما يُرجى له آسى بعد الإله سوى رفقِ ابنِ عباس^(٢)
قولا له قول من يرجو مودته لا تنس حظك ، إن الخامير النامى
انظر (تُفدّيك نفسى) قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسى^(٣)
إن العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة مع المُستغلق القاسى^(٤)

(١) هو مالك بن الحارث ، وكان من رهوس جند عليّ أيضا ، كان على اليمين ، وابن عباس على اليسرة ، وعلى في القلب . (٢) الآسى الطيب ، أما الجرح بأسوه : داواه . (٣) قصمه كضرب : كسره . والرقية بالضم : العوذة (بالضم أيضا) وقد رقاها يرقبه أى عودته . (٤) المستغلق : استغلقني فلان في بيعة : إذا لم يجعل لي خيارا في رده .

يا بن الذي زمزم سقيا الحجيج له أعظم بذلك من فخر على الناس^(١)

إني أرى الخير في سلم الشام لكم والله يعلم ما بالسلم من بأس^(٢)

فيها التقى وأمور ليس يجهلها إلا الجهول، وما نوحى كأي كياس^(٣)

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨٨ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٢)

٤٣٨ - رد ابن عباس على ابن العاص

فلما انتهى كتاب عمرو إلى ابن عباس أتى به إلى علي عليه السلام : فأقرأه إياه فضحك ، وقال : قاتل الله^(٤) ابن العاص ! ما أغراه بك يا عبد الله أجه ، وليرد عليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر ، فكتب ابن عباس إلى عمرو :

« أما بعد : فإني لا أعلم أحداً من العرب أقل حياءً منك ، إنك مال بك الهوى إلى معاوية ، فبعتته دينك بالثمن الأوكس^(٥) ، ثم خببت الناس في عشواء^(٦) طمعاً في الدنيا فأعظمتها إعظام أهل الدنيا ، فلما ترامينا أعظمت الحرب والرماة إعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك إلا تمهيد الحرب ، وكسر أهل الدين ، فإن كنت تريد الله ، فارجع إلى بيتك ، ودع الطمع في مصر ، والركون

(١) الحجيج جمع حاج ، وزمزم بئر بمكة حفرها عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابنه العباس في الجاهلية رئيساً في قريش ، وإليه كانت السقاية في الجاهلية (انظر أسد الغابة ج ٣ : ص ١٠٩) وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٦١ « وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب ، ثم سلمها إلى أخيه العباس » . وزمزم مبتدأ خبره الجار والمجرور وسقيا الحجيج بدل من زمزم أو عطف بيان . (٢) النسب إلى الشام ويعني شامي ويعني بيا مشددة ، وقد قالوا فيها شام ويعني (منقوصين) وأصلها شامى ويعني ، حذفوا إحدى ياءى النسب تخفيفاً وعوضوا عنها الألف فتحت همزة شامى بعد سكونها فصارت شامى ويعني ، ثم أعلا كفاض ، وقالوا فيها أيضاً شامى ويعني بيا مشددة مع الألف ، والبأس : الشدة والقوة ، وفي الأصل « ناس » وهو تصحيف .

(٣) الضمير في « فيها » يعود على السلم وهو يذكرو ويؤنث ، والنوك : الحق ، والنوك بالضم والفتح : الحق ، نوك كفرح فهو أنوك ، والأكياس : العفلاء جمع كبس كجيد .

(٤) قاتله الله : لعنه ، أو قتله أو عاداه .

(٥) أى الخسيس . يروى « في عشوة » و « في عشواء » والمشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير بيان ، وبالفتح : الظلمة كالعشواء .

إلى الدنيا الفانية . واعلم أن هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي ، بدأها علي بالحق ، وانتهى فيها إلى العذر ، وبدأها معاوية بالبغي ، وانتهى فيها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق : بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولست أنا وأنت فيها سواء : أردتُ الله ، وأنت أردت مصر ، وقد عرفتُ الشيء الذي باعدك مني ، ولا أعرف الشيء الذي قربك من معاوية ، فإن نرد شراً لانتسبته لك به ، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه ، والسلام .

ثم دعا أخاه الفضل فقال : يا بن أمِّ أجبني ، فقال الفضل :

يا عمرو : حسبتك من مكرٍ ووسواسٍ فاذهب فليس لداء الجهل من آسي^(١)
 إلا نواترُ طعنٍ في نحرٍ — ووركهم^(٢) يُشجى النفوس ويشفي نخوة الراس^(٣)
 أمّا عليٌّ فإن الله فضَّله^(٤) بفضلِ ذي شرفٍ عالٍ على الناس^(٥)
 إن تعقلوا الحربَ تعقلها مُخَيِّسةً^(٦) أو تبشوها فإنها غيرُ أنكاس^(٧)
 قتلى العراقِ يقتلَى الشامِ ذاهبةً هذا بهذا ، وما بالحق من باسِ
 ثم عرض الشعر والكتاب على علي عليه السلام ، فقال : لا أراهُ يجيبك بعدها
 أبداً بشيء إن كان يعقل ، وإن عاد عدت عليه ، فلما انتهى الكتاب إلى عمرو بن العاص
 عرضه على معاوية فقال : إن قلب ابن عباس وقلب علي قلب واحد ، وكلاهما ولد
 عبد المطلب ، وإن كان قد خشن فلقد لان ، وإن كان قد تعظَّم وعظَّم صاحبه فلقد
 قارب وجنح إلى السلم . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : س ٨٨ والإمامة والسياسة ١ : ٨٤)

(١) وسواس إليه نفسه أو الشيطان : حديثه بما لا تقع فيه ولاخير ، والمصدر وسوسة ووسواس بكسر الواو في الثاني ، والوسواس بالفتح : اسم منه .
 (٢) النواتر : التابع ، وشجاء : حزنه وطربه كأشجاء فيهما ، ضد ، ويصح الغنيان في البيت أي يمزج نفوسكم ، أو يسر نفوسنا ، والنخوة : السكر والعظمة .
 (٣) بفضل ذي شرف : أي بفضل نبي ذي شرف .
 (٤) من عقل الدابة إذا قيدها وحبسها ، والمعنى : إن تكفروا عن الحرب « وخيه تخيباً : ذلله والأنكاس جمع نكس بالكسر : وهو الرجل الضعيف والمقصود عن غاية النجدة والكرم .

٣٣٩ - كتاب معاوية إلى ابن عباس

وقال معاوية لأكتبن إلى ابن عباس كتاباً أستعرض فيه عقله ، وأنظر ما في نفسه ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإنكم معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع منكم بالمساءة إلى أنصار ابن عفان ، حتى إنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما بدمه ، واستعظامهما ما نيل منه ، فإن كان ذلك منافسةً لبني أمية في السلطان ، فقد وليها عدي وتيم^(١) ، فلم تنافسوهم وأظهروا لهم الطاعة .

وقد وقع من الأمر ما قد ترى ، وأدالت^(٢) هذه الحربُ بعضنا من بعض حتى استوينا فيها ، فما يطعمكم فينا يطعمنا فيكم ، وما يؤيسنا منكم يؤيسكم منا ، ولقد رجونا غير الذي كان ، وخشينا دون ما وقع ، ولستم ملاقين اليوم بأحدٍ من حدكم أمس ، ولا غدًا بأحدٍ من حدكم اليوم وقد قنعنا بما في أيدينا من ملك الشام ، فأقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق ، وأبقوا على قريش ، فإنما بقي من رجالها ستة : رجلان بالشام ، ورجلان بالعراق ، ورجلان بالحجاز ، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو ، وأما اللذان بالعراق ، فأنت وعلي ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر^(٣) ، فائتان من الستة ناصبان^(٤) لك ، واثنتان واقفان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع ، ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا أسرع منا إلى علي . »

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

(١) أي وليها عمر وأبو بكر ، فالأول من عدى بن كعب بن لؤي ، والثاني من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . (٢) أداله الله من عدوه : نصره عليه . (٣) يعني سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر . (٤) نصباه : عاداه .

٤٤٠ - رد ابن عباس على معاوية

فلما أتى كتاب معاوية إلى ابن عباس ضحك ثم قال : حتى متى يخطب ابن هند إلى عتلى ، وحتى متى أجمعم^(١) عنه ما في نفسي ؟ فكتب إليه :

« أما بعد : فقد جاءني كتابك وقرأته ، فأما ما ذكرت من مُرعتنا بالمساءة إلى

أنصار عثمان وكراهتنا لسلطان بني أمية ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرتك فلم تنصره حتى صرته إلى ما صرت إليه ، وبينى وبينك في ذلك ابن عمك

وأخو عثمان الوليد بن عتبة ، وأما طلحة والزبير ، فإنهما أجلبا عليه وضيقا خنقه^(٢) ،

ثم خرجا يتقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغي ،

وأما قولك إنه لم يبق من قريش غير ستة ، فما أكثر رجالها ، وأحسن بقيتها ! وقد

قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلنا إلا من خذلك . وأما إغراؤك إيانا بعدى

وتيم ، فإن أبا بكر وعمر خير من عثمان كما أن عثمان خير منك ، وقد بقي لك منّا ما ينسبك

ما قبله وتخاف ما بعده ، وأما قولك : إنه لو بايعني الناس استقامت ، فقد بايع الناس علياً ،

وهو خير مني فلم تستقم له ، وما أنت وذكركم الخليفة يا معاوية ؟ وإنما أنت طليق ،

وابن طليق والخليفة للمهاجرين الأولين وليس الطلقاء منها في شيء ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م : ٢ ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

٤٤١ - كتاب علي إلى معاوية

وكتب معاوية إلى علي عليه السلام يسأله إقراره على الشام ، فكتب إليه علي :

« أما بعد : فإن الدنيا حلوة خضرة^(٣) ذات زينة وبهجة ، لم يصب إليها أحد إلا

(١) حجم في صدره شيئاً : أخفاه ولم يبده . (٢) الخناق : الخبل يخنق به .

(٣) أخذها من قوله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه « ألا إن الدنيا خضرة حلوة ، انظر

جمهرة خطب العرب ١ : ٥٤ ، وخضرة : أي ناضرة من خضر الزرع كفرح فهو أخضر وخضر ،

وصيا إليه : مال .

شَفَلْتَهُ بِزَيْنَتِهَا عَمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهَا ، وَبِالْآخِرَةِ أَمْرُنَا ، وَعَلَيْهَا حُثْنُنَا ، فَدَعِ يَا مَعَاوِيَةَ مَا بَقِيَ ، وَأَعْمَلْ لِمَا يَبْقَى ، وَاحْذِرِ الْمَوْتَ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُكَ ، وَالْحِسَابَ الَّذِي إِلَيْهِ عَاقِبَتُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ أَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَكْرَهُ ، وَوَقَّعَهُ لَطَاعَتِهِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ سُوءٍ أَنْغَرَاهُ بِالدُّنْيَا وَأَنْسَاهُ الْآخِرَةَ ، وَبَسَطَ لَهُ أَمَلَهُ ، وَعَاقَهُ عَمَّا فِيهِ صِلَاةٌ ، وَقَدْ وَصَانِي ^(١) كِتَابِكَ فَوَجَدْتِكَ تَرْمِي غَيْرَ غَرَضِكَ ، وَتَنْشُدُ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَتَخْبِطُ فِي عِمَايَةٍ ^(٢) ، وَتَتِيهِ فِي ضَلَالَةٍ ، وَتَعْتَصِمُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ ، وَتَلُوذُ بِأَضْعَفِ شُبُهَةٍ .

فَمَا سَأَلَكَ الْمَتَارَكَةَ وَالْإِقْرَارَ لَكَ عَلَى الشَّامِ ، فَلَوْ كُنْتَ فَاعِلًا ذَلِكَ الْيَوْمَ لَفَعَلْتَهُ أَمْسَ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنْ عَمِرَ وَلَا كَهَ فَقَدْ عَزَلَ ^(٣) مَنْ كَانَ وَلَاهَ صَاحِبِهِ ، وَعَزَلَ عُمَانَ مَنْ كَانَ عَمْرُ وَلَاهَ ^(٤) ، وَلَمْ يُنْصَبْ لِلنَّاسِ إِمَامٌ إِلَّا لِيَرَى مِنْ صِلَاحِ الْأُمَّةِ مَا ^(٥) قَدْ كَانَ ظَهَرَ لِمَنْ قَبْلَهُ ، أَوْ أَخْفَى عَنْهُمْ عَيْبُهُ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرَ ، وَلِكُلِّ وَالٍ رَأْيٌ وَاجْتِهَادٌ .

فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَشَدَّ لَزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ ، وَالْخَيْرَةِ الْمَتَّبِعَةِ . مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ ، الَّتِي هِيَ اللَّهُ تَعَالَى طَلِبَةٌ ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ ، فَمَا إِكْثَارَكَ الْحِجَاجِ فِي عُمَانَ وَقَتْنَتَهُ ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ ^(٦) ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ ^(٧) لَهُ ، وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٧ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٤)

(١) جاء في القاموس المحيط : « وصل الشيء ووصل إليه : بلغه وانتهى إليه » - فهو بهذا المعنى يستعمل متعديا ولازما . (٢) العماية : الضلال .

(٣) يريد خالد بن الوليد ، فقد تقدم لك أن عمر لا ولي الخلافة عزله وولي أبا عبيدة قيادة جند الشام بدله . (٤) أي من عمال الأمصار غير معاوية فقد استبقاه على الشام .

(٥) في الأصل « أما ما قد كان . . الح » وهو تحريف .

(٦) أي حيث كان فيه فائدة لك ، فأنت الآن تنهض للنار به رجاء تحقيق مآربك .

(٧) أي حيث كان فيه فائدة له ، فقد استنصر بك حين حصر فزبربت به .

٤٤٢ - كتاب معاوية إلى ملك الروم

وبلغ معاوية أن صاحب الروم يريد قصد بلاد الشام أيام صفين ، فكتب إليه :
« نَأَلَّهُ لَنْ تَمَّتْ ^(١) عَلَى مَا بَلَغَنِي لِأَصَالِحِنَّ صَاحِبِي ، وَلَا أَكُونَنَّ مَقْدَمَتَهُ
إِلَيْكَ ، وَلَا أَجْمَلَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الْحَمْرَاءَ حُمَّةً ^(٢) سَوْدَاءَ ، وَلَا أَتَزَعَنَّكَ مِنَ الْمَلِكِ
تَزَعِ الْإِسْطَفَلِينَةِ ^(٣) ، وَلَا أَرُدُّنَكَ إِرِّيًّا ^(٤) مِنَ الْأَرَارِسَةِ تَزَعِي الدَّوَابِلِ ^(٥) .
وفي رواية : « كما كنت تزعي الخناييص ^(٦) . »

(لسان العرب ٧ : ٣٠٠)

٤٤٣ - كتاب معاوية إلى علي

وكتب معاوية إلى علي في أواخر حرب صفين :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

أما بعد : فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه : « وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَانَ عَمَلِكَ ^(٧) وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »
وإني أحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا ^(٨) هذه الأمة ، وتفريق

(١) تم على الأمر وتم عليه بإظهار الإدعاء: استمر عليه .

(٢) الحممة : الفحمة وأجمع حم . (٣) الإسطقلينة : الجزيرة . قال ابن الأثير : ليست اللفظة
مربية محضة ، لأن الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان إلا قلبا .

(٤) الإريس : الأكار - انظر ص ٣٨ .

(٥) الدوابل جمع دويل كجوهر : وهو الخنزير أو ذكره أو ولده .

(٦) الخناييص جمع خنوص بكسر الخاء وتشديد النون مفتوحة : وهو ولد الخنزير .

(٧) أي ليفسد . (٨) هو مثل . بقولون : شق عصام ، أي فرق جماعتهم : وأصل العصا

الاجتماع والائتلاف ، وذلك أنها لاتدعى عصا حتى تكون جيبا ، فإن انشقت لم تدع عصا ، فاللغتي : شق
اجتماعهم وائتلافهم ، قالوا : وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رقة ، فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التي
معيها ، فأخذوا هذا نصفها وهذا نصفها ، يضرب مثلا لكل فرقة .

جماعتها ، طأنق الله واذكر موقف القيامة ، وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو تمالأ^(١) أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين ، لأكبهم الله على متأخرهم في النار » فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين ، وسادات المهاجرين ، بله^(٢) ما طحنت رحي حربيه من أهل القرآن ، وذوى العبادة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشاب غرير^(٣) ، كلهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقرر عارف ، فإن كنت - أبا حسن - إنما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صححت خلافتك لكنت قريباً من أن تُعذر في حرب المسلمين ، ولكنها ما صححت لك ، أنني بصحتها ، وأهل الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوها ؟ وخف الله وسطواته ، وآتق بأسه ونكاله ، وأغمد سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب ، فلم يبق منهم إلا كالثمد^(٤) في قرارة الفدير ، والله المستعان .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠٢)

٤٤٤ - رد على معاوية

فكتب علي عليه السلام إليه جواباً عن كتابه :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

(١) تمالأ على الأمر اجتمعوا ، وكبه وأكبه وكبكه : قلبه وصرعه ، والمناخر جمع منخر بفتح الميم والماء وبكسرهما وضمهما وكجلس : وهو الأتف .

(٢) قال جماعة من أهل اللغة : بله معناها على ، وقال الفراء : من خفض بها جعلها بمنزلة على وما أشبهها من حروف الخفض ، قاله في : زد قتله أعلام المسلمين على طحن رحي حربيه أهل القرآن ، وضمه لآيه ، وذكر النحويون أن بله تستعمل اسم فعل بمعنى أترك فينصب ما بعدها بالفعولية (والمعنى حينئذ : دع وأترك طحن رحي حربيه أهل القرآن وذوى العبادة ، فإنه أشد وأفطع) ومصدرا بمعنى الترك فيجر ما بعدها بالإضافة ، واسم استفهام بمعنى كيف . فتكون خيراً مقدماً ويرفع ما بعدها على الابتداء .

(٣) الغرير والنر بالكسر : الثاب لا تجرية له .

(٤) الثمد كشمس وسبب وكتب : الماء القليل لا مادة له .

أما بعدُ : فقد أتتني منك مَوْعِظَةٌ مَوْصَلَةٌ^(١) ، ورسالة مُحَبَّرَةٌ ، نَمَّقَتَهَا بِضَلَالِكَ ،
وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وَكِتَابُ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ،
قَدْ دَعَا الْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ^(٢) لَاطِطًا ، وَضَلَّ خَابِطًا ، فَأَمَّا
أَنْزُكُ لِي بِالتَّقْوَى فَارْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الَّذِينَ إِذَا أَمَرُوا بِهَا أَخَذَتْهُمْ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، وَأَمَّا تَحذِيرُكَ إِيَّاي أَنْ يَحْبِطَ عَلَيَّ وَسَابِقَتِي
فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَعَمْرِي لَوْ كُنْتُ الْبَاغِيَّ عَلَيْكَ ، لَكَانَ لَكَ أَنْ تَحذِّرَنِي ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي
وَجَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « فَتَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ »^(٣) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ « فَنَظَرْنَا إِلَى
الْفِتْنَتَيْنِ ، أَمَا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَوَجَدْنَاهَا الْفِتْنَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ، لِأَنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ
وَأَنْتَ بِالشَّامِ ، كَمَا لَزِمَتْكَ بَيْعَةُ عُمَانَ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَنْتَ أَمِيرُ لُعْمَرَ عَلَى الشَّامِ ، وَكَأَنَّ
لَزِمَتْ يَزِيدَ أَخَاكَ بَيْعَةُ عُمَرَ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْأَبِيِّ بَكْرٍ عَلَى الشَّامِ .

وَأَمَّا شَقُّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَأَنَا أَحَقُّ أَنْ أَنْهَكَ عَنْهُ ، فَأَمَّا تَخْوِيفُكَ لِي مِنْ قَتْلِ
أَهْلِ الْبَغْيِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَنِي بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
« إِنْ فِيكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلَيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَيَّ تَنْزِيلَهُ » وَأَشَارَ إِلَيَّ ، وَأَمَّا
أَوْلَى مَنْ اتَّبَعَ أَمْرَهُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنْ بَيْعَتِي لَمْ تَصِحَّ ، لِأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا ،
فَكَيْفَ ؟ وَإِنَّمَا هِيَ بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، تَلْزَمُ الْحَاضِرَ وَالْغَائِبَ ، لَا يُبْنَى^(٤) فِيهَا النَّظَرُ ،
وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ^(٥) ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ^(٦) ، وَالْمُرُوءِيُّ^(٧) فِيهَا مُدَاهِنٌ ، فَارْتَبِعْ

(١) أي ملفقة من كلام مختلف جم من هاهنا وهاهنا ووصل بعضه ببعض فبدأ متكلفا غير متسق ،
ومحبرة : أي محسنة مزينة ونسق الكتاب : حسنه وزينه أيضا .

(٢) هجر في نومه ومرضه هجرا بالضم : أي هذى ، واللاط : ذو اللفظ (كشمس وسبب) وهو
الصوت والجلبة ، أو أصوات مبهمه لانهم وخبط البعير فهو خابط : إذا مشى ضالا تخبط يديه كل ما يلقاه
لا يتوق شيئا . (٣) أي ترجع .

(٤) أي لا ينظر فيها ثانية . (٥) أي لا خيار لمن عقدها ولا لغيرهم فيها بعد عقدها .

(٦) أي طاعن على الأمة التي ولت الإمام باختيارها .

(٧) روى في الأمر نظر وفكر ، أي الذي يفكر ويروي فيها ويبطئ عن الطاعة مداهن

أي منافق .

حَلَى ظَنَمِكَ ، وَانزِعَ سِرْبَالَ غَيْتِكَ ، وَاتْرَكَ مَالًا جَدْوَى لَه عَلَيْكَ ، فَلَيْسَ لَكَ
عِنْدِي إِلَّا السِّيفُ ، حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ صَاحِرًا ، وَتَدْخُلَ فِي الْبَيْعَةِ رَاغِمًا^(١) ،
وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥)

٤٤٥ - كتاب معاوية إلى علي

وكتب معاوية إلى علي ثانية (قبل ليلة الهرير^(٢) بيومين أو ثلاثة) يسأله إقراره

(١) أي ذليلاً .

(٢) بدأ القتال بين علي ومعاوية في وقعة صفين يوم الأربعاء غرة صفر سنة ٣٧ هـ ، واستمر عشرة
أيام إلى يوم الجمعة عاشر صفر ، وقد اقتتل الناس ليلة الجمعة كلها حتى الصباح ، حتى تقصفت الرماح ونقد
النبل وصار الناس إلى السيوف ، وأصبح صباح الجمعة والناس يقتلون من كل جانب ، وأخذ الأشرير يحرف
بأنيمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولاها مشية الخميس ليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ثم كانت مكيدة عمرو
ابن العاص يرفع المصاحف على رموس الرماح على ما هو مشهور ، وقد سميت ليلة الجمعة المذكورة (ليلة عاشر
صفر) بليلة الهرير - انظر تاريخ الطبري ٦ : ٢٦ ومروج الذهب ٢ : ٢٧ وايست هذه التسمية بالأولى
في بابها ، فقد سبق أن سميت ليلة من ليالي وقعة القادسية (وكانت سنة ١٤ هـ) بليلة الهرير ، جاء في معجم
البلدان لياقوت ٧ : ٧ « ذكر أصحاب الفتح أن القادسية كانت أربعة أيام ، فسموا اليوم الأول يوم أرمان ،
واليوم الثاني يوم أغوات ، واليوم الثالث يوم عماس (وضبطه ياقوت في معجمه بالكسر) وليلة اليوم
الرابع ليلة الهرير ، واليوم الرابع سموه يوم القادسية ، وفيه كان الفتح للمسلمين ، وقتل رستم ولم يقم
للفرس بعد فائحة » وجاء في تاريخ الطبري ٤ : ١٣١ : ١٣٢ « واجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح
لا ينطقون ، كلامهم الهرير ، سميت ليلة الهرير » وجاء فيه أيضا « وأصبحوا ليلة القادسية وهي صبعة
ليلة الهرير ، وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ، والناس حسري لم يفضوا ليلتهم كلها . : »
- ويطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث « إنى سمعت هريرا كهريرا الرحي » أي صوت
دورانها ، انظر لسان العرب مادة هرر - ومن قبل وقعة القادسية سميت العرب « يوم الهرير » أيضا ، جاء
في القاموس المحيط في مادة هرر « ويوم الهرير يوم بين بكر بن وائل وبنهم ، قتل فيه الحرث بن بية سيدتهم »
وجاء في معجم ياقوت ٨ : ٤٦١ « والهرير من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع ، وهو صوت
دون النباح ، ووم الهرير من أيامهم ما أظنه سمي إلا بذلك ، إلا أنه كان الأغلب على أيامهم أن يسمي
بالمكان الذي يكون فيه ذلك ، وهو من أيامهم القديمة قبل يوم الهرير بصفين كانت به وقعة بين بكر بن
وائل وبين بني تميم قتل فيه الحرث بن بية الجاشعي . الخ وورد في مجمع الأمثال للميداني في باب أسماء أيام
العرب ٢ : ٢٦٩ « يوم الهرير » مضبوطا بوزن اسم الأسد وهو تصحيف ، ولم يذكره صاحب العقديين
أيام العرب - راجع الجزء الثالث - ولا صاحب صبح الأعشى - راجع الجزء الأول - .

وتتمة للفائدة أقول : قال ياقوت في معجمه عند الكلام على أسماء أيام القادسية « أرمان وأغوات =

على الشام ، وذلك أن علياً عليه السلام قال : لأناجزنهم^(١) مُصْبِحًا ، وتناقل الناس كلمته ، ففزع أهل الشام لذلك ، فقتل معاوية : قد رأيت أن أعاود علياً وأسأله إقرارى على الشام ، فقد كنت كتبت إليه في ذلك فلم يجب إليه ، ولا كتبت ثانية ، فالتقى في نفسه الشك والرقة ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإنك لو علمتَ وعلمنا أن الحرب تبلغُ بنا وبك ما بلغتُ ، لم يجنِّها بعضنا على بعض ، ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا ، لقد بقي لنا منها ما نندم^(٢) به على ما مضى ، ونصلِّح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك بيعة وطاعة ، فأبيتَ ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما منعتَ ، وأنا أدعوك اليومَ إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإني لا أرجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا أخاف من الفناء^(٣) إلا ما تخاف ، وقد والله رقتِ الأجنادُ ، وذهبتِ الرجال ، ونحن بنو عبد منافٍ ليس لبعضنا على بعض فضلٌ ، إلاَّ فضلٌ لا يُستدلُّ به عزيزٌ ، ولا يُسترقُّ به حرٌّ ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٢٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٠ والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

= وعماسه : ولا أدري : أهذه الأسماء مواضع ، أم هي من الرمت والغوث والعمس اه ج ١ : ص ٢٩٦ (والرمت كسبب : خشب يضم بعضه إلى بعض ويشد ثم يركب في البحر ، وجمعه أرمان ، والعمس كسبب أيضا : الشدة ، وأمر عمس كشمس وعماس كسحاب : شديد مظلم لا يدري من أين يؤتى له) وأقول : لعل تسمية اليوم الأول بيوم أرمان أن رسم قائد الفرس لما أراد عبور نهر الفتيق ، أمر بسكره (وسكر النهر كنعصر سده) فباتوا ليأتهم يسكرونه حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع والأمتعة حتى جعلوه طريقا (انظر تاريخ الطبري ٤ : ١١٢) وذلك أشبه بالأرمان ولعل تسمية اليوم الثاني بيوم أغوات : أنه قدم على المسلمين فيه مدد من الشام ، بعثه أبو عبيدة بأمر عمر ، وعليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو (تاريخ الطبري ٤ : ١٢٠) فكان ذلك المدد غوثا لهم ، ولعل تسمية اليوم الثالث بيوم عماس ، لما كان فيه من الشدة ، ولم يكن في أيام القادسية مثله (تاريخ الطبري ٤ : ١٢٦) :

(١) المناجزة : المعالجة والقتال . وقد ذكروا أنه بعد انتهاء القتال يوم الثلاثاء صابح أيام صفين قال علي : حتى متى لاناهاض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم خرج إليهم في اليوم الثامن بسوم الأربعاء بنفسه (انظر تاريخ الطبري ٦ : ٧ ومروج الذهب ٢ : ٢٠) .

(٢) في الإمامة والسياسة « ما ندم به ماضى » وفي مروج الذهب « ما ندم به ماضى » .

(٣) في مروج الذهب « من القتال » وفي ابن أبي الحديد « من الموت » .

٤٤٦ - رد عليّ علي معاوية

فأجابه عليّ :-

« أما بعدُ : فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا
وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض ، فإنّي ^(١) لو قُتِلْتُ في ذات الله وحييت ،
ثم قُتِلت ثم حييت سبعين مرة ، لم أرجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله ،
وأما قولك إنه قد بقي من عمولنا ما نندم به على ماضى ، فإنّي ما تنقصت ^(٢) عقلي ،
ولا ندمت على فعلى ، وأما طلبك ^(٣) إلى الشام ، فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم
ما منعتك أمس ، وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات ^(٤) أنفس
بميت ، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ^(٥) ، ومن أكله الباطل فإلى النار ، وأما
استواؤنا في الخوف والرجاء ، فليست بأفضى على الشك منى على اليقين ، وليس
أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة ، وأما قولك إننا بنو
عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل ، فاعمرى إننا بنو أب واحد ، ولكن ليس

(١) وفي الإمامة والسياسة « وأنا وإيالك في غاية لم يبلغها بعد » وفي مروج الذهب « وأنا وإيالك
نلتس منها غاية لم يبلغها بعد .

(٢) انتقصه وناقصه واستنقصه : نسب إليه النقصان ، وفي الأصل « شرح ابن أبي الحديد » ما ناقصت ،
وأراه محرفاً لأن تنقص وانتقص أدل على المعنى المراد هنا . (٣) طلب إليه : رغب .

(٤) جمع حشاشة : وهي بقية الروح في المريض .

(٥) معناه : من هلك في سبيل الحق والدفاع عنه فمضيه إلى الجنة ، وكذا ما بعده وقال ابن
أبي الحديد : « وروى : ألا ومن أكله الحق فإلى النار ، وهذه الرواية ألبق من الرواية المذكورة في
أكثر الكتب ، لأن الحق يأكل أهل الباطل ، ومن روى تلك الرواية أضمر مضافاً تقديره أعداء الحق
ومضافاً آخر ، ويجوز أن يكون من أكله الحق فإلى الجنة أى من أفضى به الحق ونصرته والقيام دونه
إلى القتل فإن مضيه إلى الجنة . . . »

أُمِّيَّة كَهَاشِم^(١) ، ولا حَرْب كَعَبِدِ الْمَطْلَب^(٢) ، ولا أَبُو سَفِيَّانِ كَأَبِي طَالِبٍ ، ولا

(١) ولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة (والسقاية : إسقاء الحجيج الماء العذب ، والرفادة بالكسر : خرج كانت قريش تخرجه في كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للعجاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد) فُسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذامال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمته به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسين ناقة سود الخدق ينجرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلها بينهما الكاهن الخزاعي - وهو جد عمرو بن الحوق . ومنزله بعسفان بالضم : موضع على مرحلتين من مكة - وكان مع أمية هممة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن « والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو مر طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر (والعلم بالتحريك : مانصب في الطريق يهتدى به) من منجد وعائر (وأنجد : أنى نجدا ، وغار وأغار : أنى غورا) لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو هممة بذلك خابر » فقضى لهاشم بالغبلة ، وأخذ هاشم الإبل فنجرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالكأف عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية - انظر تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ والسيرة الحلبية ١ : ٤ وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠ .

(٢) حرب هو حرب بن أمية جد معاوية ، وعبد المطلب جد علي وقد تنافرا أيضا . وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، ففاظ ذلك حرب بن أمية ، وكان نديم عبد المطلب ، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله ، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار ، وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر ، ولم يعرف عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأتى حربا ولامه ، وطلبهما منه فأخفاهما ، فتعالفا في القول ، حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فأبى أن ينفر بينهما (نفره عليه : قضى له عليه بالغبلة) فجعل بينهما قبيل ابن عبد العزى بن رباح ، فقال لحرب : « يا أبا عمرو : أتنافر رجلا هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة . وأوسم منك وسامة (والوسامة بالفتح : الحسن والجمال) وأقل منك ملامة ، وأكثر منك ولدا ، وأجزل صفدا (والصفد بالتحريك : العطاء) وأطول منك مذودا (والمذود كمنبر : اللسان) ولأني لأقول هذا وإنك لعبد الغضب ، رفيع الصوت في العرب ، جلد المريرة (أى العزيمة) جليل العشرة ، ولكنك نافرته منفرا » فغضب حرب وقال : إن من انتكاس الزمان أن جعلت حكما ، فزك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادم عبد الله بن جدعان ، وأخذ من حرب مائة ناقة . فدفعها إلى ابن عم اليهودي ، وارتمج ماله إلا شيئا هلك فقرمه من ماله - انظر تاريخ الطبري ج ٢ : ١٨١ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ .

فقد بان لك وجه التنظير في قول الإمام ، وقال ابن أبي الحديد : « وكان الترتيب يقتضى أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه في قعد (والقعد كبرئ : القرين) وكلاهما ولد عبد مناف أصله ، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام ، لأن كل واحد من هؤلاء في قعد صاحبه ، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين بإزاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس » وهذا القول ليس هناك لما قدمنا ، ولأن سلسلتي نسب علي ومعاوية إلى عبد مناف ليستا متكافئتين بطبيعتهما ، فهي تزيد في معاوية حلقة ، فمعاوية هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، فكيف يكون التنظير على قول ابن أبي الحديد ؟

المهاجر كالطليق^(١) ، ولا الصريح كاللصيق^(٢) ، ولا المحق كاللبطل ، ولا المؤمن كالذغل^(٣) ، ولبيئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم^(٤) .
 وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذلنا بها العزيز ، ونعشنا^(٥) بها الدليل ،
 ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا ، وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها ، كنتم
 ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة ، على حين فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب
 المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ، ولا على نفسك
 سبيلاً .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٢٤ ، ونهج البلاغة ٢ : ١٢ ،
 ومروج الذهب ٢ : ٦١ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

٤٤٧ - كتاب معاوية إلى علي

واشتد القتال بين الفريقين ليلة الهريز ، واقتتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح
 ولما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، دعاهم
 إلى تحكيم كتاب الله ، فرفع أصحاب معاوية المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله
 عز وجل بيننا وبينكم ، فوقمت الفرقة بين أصحاب علي ، فريق يتول : نجيبي إلى
 كتاب الله ونذيب إليه ، وفريق يأبى إلا القتال حتى يتم الأمر ، ويرآون أن رفع

(١) يعنى بالمهاجر: نفسه ، وبالطليق: معاوية ، وقد تقدم ذلك ، وفسره الأسناد الشيخ محمد عمده
 فقال : « والمهاجر: من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها » وأقول : إن التنظير الذي تنطق به عبارة الإمام
 على يقتضى التخصيص لا التعميم .

(٢) أصل اللصيق: الدعوى في قوم اللصق بهم وليس منهم ، والمراد به هنا اللصيق في الإسلام ،
 فالصريح فيه : من أسلم اعتقاداً وإخلاصاً ، واللصيق فيه : من أسلم كرهاً أو رغبة في الدنيا وقد صرح
 بذلك بعد فقال : كنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة .

(٣) أدغل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده ، والدغل بالتحريك: الفساد .

(٤) لا يعيب على معاوية بأن سلفه كانوا كفاراً ، بل بكونه متعاهلاً لهم ، فقد نهج في معاداة علي نهج
 أجداده في معاداة أجداد علي .

(٥) وفي رواية « وأعززنا » ونعته كنعته وأنته ونعته : رفعه ، الأفواج : جمع فوج ، وهو
 الجماعة من الناس .

المصاحف خُدعة ، وعلى في جانب هؤلاء ، ورجعت كيفة الطريق الأول ، فأجاب علي إلى التحكيم على كرهه منه .

وكتب معاوية إلى علي :

« أما بعد : فإن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يُعطيَ واحدنا الطاعة للآخر ، وقد قُتل فيما بيننا بشر كثير ، وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدَّ مما مضى ، وإنا سوف نُسأل عن هذه المواطن ، ولا يُحاسب غيري وغيرك ، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياة وعُذر وبراءة وصلاح للأمة ، وحقن للدماء ، وألفة للدين ، وذهاب للضغائن والفتن : أن نحكم بيني وبينكم حكَمين مرَضِيَّين ، أحدهما من أصحابي ، والآخر من أصحابك ، فيحكمان بيننا بما أنزل الله ، فهو خير لي ولك ، وأقطع لهذه الفتن ، فأتق الله فيما دُعيت إليه ، وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨)

٤٤٨ - رد علي على معاوية

فكتب إليه علي عليه السلام :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان : أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله ، واستوجب فضله ، وسلم من عيبه ، وإن البغي والزور يزريان^(١) بالمرء في دينه ودنياه ، ويبديان خلة عند من يعيبه ، فاحذر الدنيا فإنه لا فرح بشيء وصلت إليه منها ، ولقد علمت أنك غير مُدرك ما قضى

(١) وفي رواية : بوتقان أي يهلكان ، والوتع بالتحريك : الهلاك والإثم ، وفعله كويل ، أوتفه

الله : أهلكه ، وأوتفه دينه بالإثم : أفسده ، وفي رواية أخرى « ينيطان » .

فَوَاتُهُ ، وَقَدْرَامَ قَوْمٍ أَمْرًا بغيرِ الحَقِّ فَتَأْوَلُوا^(١) عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَأَكْذَبَهُمْ وَمَتَّعَهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ اضْطَرَّ لَهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ، فَاحْذَرُوا يَوْمًا يَغْتَبِطُ^(٢) فِيهِ مِنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ ، وَيَنْدَمُ فِيهِ مِنْ أَمْكَنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يَجَازِبْهُ ، وَغَرَّتَهُ الدُّنْيَا ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا .

ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ دَعَوْتَنِي إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَلَا حُكْمَهُ تَرِيدُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَلِسْنَا إِيَّاكَ أَجْبِنًا ، وَلَكِنَّا أَجْبِنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥٦)

٤٤٩ - رد معاوية على علي

فكتب معاوية إلى علي :

« أَمَا بَعْدُ : عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، فَقَدْ آذَنَّا لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحًا وَأُتَمَّةً بَيْنَنَا ، وَقَدْ فَعَلْتَ الَّذِي فَعَلْتَ ، وَأَنَا أَعْرِفُ حَقِّي ، وَلَكِنِّي اشْتَرَيْتُ بِالْعَقْرِ صَلَاحَ الْأُمَّةِ ، وَلَمْ أَكْثِرْ فَرَحًا بِشَيْءٍ جَاءَ وَلَا ذَهَبَ ، وَإِنَّمَا أَدْخَلَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ ، الْقِيَامُ بِالْحَقِّ فِيمَا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْبَغْيِ عَلَيْهِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَدَعَوْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُنَا وَإِيَّاكَ إِلَّا هُوَ ، نُحْيِي مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَتُتِمَّتْ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَالسَّلَامُ . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

(١) أي تعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم وآرائهم ، فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلهم ، وفي رواية (فتأولوا على الله) وتألَّى : أفسم كائلي وآلى ، وفي الحديث « من تألَّى على الله أكذبه الله » ومعناه : من أفسم نجبراً وافتداراً لأفطن كذا أكذبه الله ولم يبلغه أملاً .

(٢) يغتبط أي يلرح ويسر ، والنقطة بالكسر : السرور ، وفي رواية « يغتبط فيه » أي يتمي مثل حاله ، وأحمد أمره : صار عنده محموداً .

٤٥٠ - كتاب علي إلى عمرو بن العاص

فكتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص - وهو أول كتاب كتبه إليه - :
« أما بعد : فإن الدنيا مشغلة عن الآخرة ، وصاحبها منهوم عليها^(١) ، لم يُصِبْ
شيئاً منها قطُّ إلا فتحت له حِرْصاً عليها ، ولَهَجاً بها^(٢) ، وأدخلت عليه مؤنة تزيد
رغبةً فيها ، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ، ومن وراء ذلك فراقُ
ما جمع ، ونقض ما أبرم ، والسعيد من وعظ بغيره ، فلا تُحْبِط^(٣) أجرَكَ أبا عبد الله ،
ولا تشرك معاوية في باطله ، فإن معاوية غمص^(٤) الناس ، وسفه الحق ، والسلام .»
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ ص ١١٤ ، ونهج البلاغة : ٢ : ٥٦)

٤٥١ - رد عمرو على علي

فكتب إليه عمرو جوابه :

« أما بعد : فإن الذي فيه صلاحنا ، وألفة ذات بيننا الإجابة^(٥) إلى الحق وقد
جعلنا القرآن بيننا حكماً ، وأجبتنا إليه ، فصبر^(٦) الرجل منا نفسه على ما حكم
عاهه القرآن ، وعذره الناس بعد المحاجة ، والسلام .»
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ : ص ١١٤)

(١) من النهم بالتحريك ، وهو الشره وإفراط الشهوة في الطعام .

(٢) لهج بالأمر كفرح : أغرى به فتأبر عليه ، والمؤنة والمثونة : النقل . (٣) أحبطه : أفده .

(٤) غمصه كضرب وسم وفرح : احتقره وعابه ونهاون بحقه ، وسفه الحق . جهله .

(٥) أي الرجوع ، وفي رواية أخرى «أن تنيب إلى الحق ، وأن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشورى ،

(٦) أي أمسكها وحبسها عليه .

٤٥٢ - رد عليّ عليّ عمرو

فكتب إليه علي :

« أما بعدُ : فإن الذي أعجبك من الدنيا بما نازعتك إليه نفسك ، ووثقت به منها ، لمنقلب عنك ، ومفارق لك ، فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٣ - رد عمرو عليّ عليّ

فأجابه عمرو :

« أما بعدُ : فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ، ودعا الناس إلى أحكامه ، فاصبر أبا حسن ، فإننا غير مُنيبلك إلا ما أنالك القرآن ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٤ - رد عليّ عليّ عمرو

وفي رواية أخرى أن عياً كتب إلى عمرو كتاباً غليظاً جواباً عن رده الأول ، وهو :

« أما بعد : فإنك قد جمعت دينك تبعاً لدنياً أمرى^(١) ظاهر غيّه ، مهتوك ستره^(٢) ، يشين الكريم بجلسه^(٣) ، ويسفه الحليم بخيلطته ، فاتبعته أثره ، وطلبت فضله ، اتباعت الكلب للضرغام ، بلوذ بخالبه ، وينتظار ما يلقى إليه من

(١) انظر ما قدمناه في ص ٣٤٣ .

(٢) فقد كان معاوية يعلن للملأ أن غضبته تلك إغما هي غضبته لقتل عثمان ، وأن نهضته ليست إلا قنار به ، ويخني في نفسه ما يطمح إليه من الترتب إلى الخلافة والتربع في دستها ، ولم يخف على علي أمره وتوهميه .

(٣) فطالما شتم بني هاشم وقذفهم في مجلسه ، والخلطة بالكسر : العشرة ، والضرغام ، الأسد .

فَظُلَّ فَرِيستَه ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَأَخْرَتَكَ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ ، أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ (١) ،
فَإِنْ يُمَكِّنَ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، أَجْزِكَ بِمَا قَدَّمْتَا ، وَإِنْ تَعَجَّزَا (٢) وَتَبَقِيَ
فَمَا أَمَّاكَ شَرٌّ لَكَ ، وَالسَّلَامُ . (نهج البلاغة ٢ : ٤٥)

صورة أخرى

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج :

ذكر نصر بن مزاحم في كتاب صنفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضى . قال نصر :

كتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأبر بن الأبر عمرو بن العاص بن وائل ،

شأنى محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام (٣) .

سلام علي من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنك تركت مروءتك لأمرى قاسق

مهتوك ستره ، يسين الكريم بجاسه ، ويسفه الحليم بخناطه ، نصار قلبك لقلبه تبعاً ،

كما قيل : « وافق شن طبة (٤) » ، فسلبك دينك وأمانتك ، ودنياك وآخرتك ،

(١) كان عمرو يطلب ملك مصر ، وقد عاقد معاوية على نصرته على أن يجعل له مصر طعمة كما

قدمنا ، ولم يكن على ابنه مأربه ، فعني أدركت ما طلبت أى في الآخرة فإن ثواب الله فيها خير من عرض

زائل بائد . (٢) أى وإن تعجزانى أو تبقياً بعدى فما أما مكما من عقاب الله شر لكما من جزائى .

(٣) الشانى : المبعض ، ويسهل ، وذلك أن العاص بن وائل سمى النى صلى الله عليه وسلم أبر عند

موت ابنه القاسم فنزل فيه « إن شأنيك هو الأبر » أى المنقطع عن كل خير الذى لا يفوز بالذکر

الحسن بعد موته ، وأما أنت يا محمد فسيتى حسن ذكرك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، فهو الأبر لا أنت

(٤) هو مثل ، وذلك أنه كان رجل من دهاة العرب وعقلاهم يقال له شن ، فقال : والله لأطوفن

حتى أجد امرأة مثلى أتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق ، فسأله شن : أين

تريد ، فقال : موضع كذا ، يريد القرية التى يقصدها شن فرافقه حتى أخذها في مسيرها ، قال له شن :

أتحملى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملى ، فسكت

عنه شن ، وسارا حتى إذا قربا من القرية وإذا بزرع قد استحصد (أى آن له أن يحصد) ، فقال شن :

أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، ترى نبينا مستجهدا فنقول : أكل أم لا ؟

فسكت عنه شن ، حتى إذا دخلا القرية لقيتها جنازة ، فقال شن : أترى صاحب هذا النش حيا أو ميتا ؟ =

وكان علم الله بالظالمين ، فصرت كالدُّب يتبع الضَّرغام إذا ما الليل دجا^(١) أو أتى الصبح ، يلتصق فاضل سُوْرِهِ ، وحوَايَا فريسته ، ولكن لا نجاة من القدر ، ولو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت ، وقد رشِد من كان الحق قائده ، فإن يُمكن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد^(٢) أَلحمتكما بمن قتلَه اللهُ من ظالمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن تُعجزا وتبقيا بعدى ، فالله حسبُكَا ، وكفى بانتقامه انتقاما ، وبعقابه عقابا ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م : ٤ : ص ٦١)

٤٥٥ - كتاب الصلح بين عليّ ومعاوية

وتوافق الفريقان على أن يُقيا حَكَمين بينهما ، ويعملا بما يتفقان عليه ، فأقام معاوية عمرو بن العاص حكما عنه ، وأقام عليّ أبا موسى الأشعري حكما عنه ، .. عليّ كره منه أيضا - فاتفق الحكمان على أن يُكتب بينهما كتاب بعقد الصلح ، واجتمعا عند عليّ رضی الله عنه ، وكتب كتاب القضية بينهما بحضوره ، فكتب فيه بعد البسملة : « هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين » . فقال عمرو : اكتب اسمه وأسم أبيه ،

= فقال له الرجل : ما رأيت أجهد منك ، ترى جنازة تأسل عنها أميت صاحبها أم حي ! فكت عنه شن ، فأراد مفارقه فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ، فضى عنه ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقة إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحدثه ، فقالت : يا أبت هذا بجاهل : أما قوله أتحملي أم أحملك ، فأراد أحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا ؟ وأما قوله : أتري هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد : أباعه أهله فأكلوا منه أم لا ؟ وأما قوله في الجنازة ، فأراد أترك عقبا يحيا هم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ، ثم قال أتعب أن أفسر لك ما سألتني عنه ؟ قال : نعم ، ففسره ، قال شن : ما هذا من كلامك ، فأخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لي ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة ، فذهبت مثلا يضرب للمتوافقين . (١) دجا الليل : أظلم ، والسور : البقية والفضلة ، والحوايا : جمع حوية كقضية ، وهي ما تحوى أى استدار من الأمعاء .

(٢) آكلة الأكباد : هي هند بنت عتبة أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد - وكان قد قتل فيها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم كما قدمنا - بقرت بطنه وأخذت كبده لتأكلها ، تشفيا منه وانتقاما لقتلى بدر - فلا كتبها فلم تستطع أن تسيبها فلفظتها .

هو أميركم ، فأما أميرنا فلا ، فقال له الأحنف : لا تمحُ آسم إمامة المؤمنين ، فإني
 أتخوف إن تحوتها أن لا ترجع إليك أبداً ، لا تمحُها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً ،
 فأبى ذلك عليّ مَلِيئاً من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال : أمحُ هذا الاسم ،
 فأجاب عليّ ومجاه ، ثم قال عليّ : الله أكبرُ ! سُنَّةٌ بسُنَّةٍ ، ومَثَلٌ بمَثَلٍ ، والله إني
 لكاتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخديبية ، فكتبت محمد رسول الله
 فقالوا : لست برسول الله ولا نشهد لك به ، ولكن أكتب أسمك وأسم أبيك ،
 فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه ، فقلت : لا أستطيع أفعل ! فقال : إذن
 أرنيه ، فأربرته فمجاه بيده وقال : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب ، ثم كتب الكتاب .

* * *

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تناقضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية
 ابن أبي سفيان ، قاضى عليّ على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين
 والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين
 والمسلمين ، إنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ، ولا يجمع بيننا غيره ، وإن
 كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نُحْيِي ما أحيأ ، ونُحْيِي ما أُمَات ،
 فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشعريّ عبد الله بن قيس ،
 وعمرو بن العاص التمرشي - عملاً به ، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل ، فالسُنَّةُ
 العارِلةُ الجامعةُ غيرُ المفرقة ، وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ، ومن الجفنديين من
 العهود والميثاق والثقة من الناس أنهما آمنان على أنفسهما وأهلها ، والأمة لهما
 أنصار على الذي يتقاضيان عليه .

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهدُ الله وميثاقه ، أنا على ما في هذه
 الصحيفة ، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، فإن الأمن والاستقامة ، ووضع
 السلاح بينهم أبنا ساروا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وشاهدكم وغائبهم .

وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بالحق لا بالهوى ، ولا يرُدَّاهما في حرب ولا فرقة حتى يقضيا ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحبَّ أن يؤخَّرا ذلك أخراه على تراضٍ منهما ، وإن توفَّى أحد الحكَّمين فلأمير شيعته أن يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المعدلة^(١) والقسط ، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ، وإن رَضيا وأحبا فلا يحضرها فيه إلا من أراد ، وبأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحادا وظلما ، اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة .

شَهِدَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ : الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَوَرَقَاءُ بْنُ سُمَيِّ بْنِ الْجَلِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعِجَلِيِّ وَحُجْرُ بْنُ عَدِيِّ الْكِنْدِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الطُّفَيْلِ الْعَامِرِيُّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ زِيَادِ الْخَضْرَمِيِّ ، وَيَزِيدُ بْنُ حُجَبَةَ التَّمِيمِيِّ ، وَمَالِكُ بْنُ كَعْبِ الْهَمْدَانِيِّ .

وَمِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ : أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ عَمْرُو بْنُ سَفِيَّانٍ ، وَحَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ ، وَالْمُخَارِقُ بْنُ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيُّ ، وَزَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ وَحَمْزَةُ بْنُ مَالِكِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَسُبَيْعُ بْنُ يَزِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَلْقَمَةُ ابْنُ يَزِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي سَفِيَّانٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَرِّ الْعَدَسِيِّ .

وَكُتِبَ كِتَابُ الْقَضِيَّةِ فِيمَا قِيلَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٣٧ مِنْ الْهَجْرَةِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٩ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٧ ، والإمامة والياسة ١ : ٩٨ وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩١)

(١) المعدلة : العدل وكذا القسط .

صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن نسخة كتاب القضية بين عليّ ومعاوية كانت هكذا .
« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما ، فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قضية عليّ على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهدٍ أو غائب ، وقضية معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهدٍ أو غائب ، إننا رَضِينَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَ حَكْمِ كِتَابِ اللَّهِ فِيمَا حَكَمَ ، وَأَنْ نَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا ذَلِكَ ، وَإِنَّا جَعَلْنَا كِتَابَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ حَكْمًا بَيْنَنَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ ، مِنْ قَاتَمَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، نُحْيِي مَا أَحْيَا ، وَنُمِيتُ مَا أَمَاتَ ، عَلَى ذَلِكَ تَقَاضَيْنَا ، وَبِهِ تَرَضَيْنَا ، وَإِنْ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ رَضُوا أَنْ يَبْعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ نَاطِرًا وَمُحَاكِمًا ، وَرَضِيَ مَعَاوِيَةُ وَشِيعَتُهُ أَنْ يَبْعَثُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ نَاطِرًا وَمُحَاكِمًا ، عَلَى أَنَّهُمْ أَخَذُوا عَلَيْهِمَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَأَعْظَمَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، لِيَتَّخِذَانِ الْكِتَابَ إِمَامًا فِيمَا يُبْعَثَانِهِ ، لَا يَبْعُدُونَهُ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ بِمَا وَجَدَا فِيهِ مَسْطُورًا ، وَمَا لَمْ يَجِدَاهُ مُسَمًّى فِي الْكِتَابِ رَدَّاهُ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ الْجَامِعَةِ ، لَا يَتَعَمَّدَانِ لَهَا خِلَافًا وَلَا يَتَّبِعَانِ فِي ذَلِكَ لَهَا هَوًى ، وَلَا يَدْخُلَانِ فِي شُبْهَةٍ .

وقد أخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على معاوية عهد الله وميثاقه بالرّضا بما حَكَمَ بِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، لَيْسَ لَهَا أَنْ يَنْقُضَا ذَلِكَ وَلَا يُخَالِفَا إِلَى غَيْرِهِ ، وَأَنَّهَا آمِنَانِ فِي حُكُومَتِهَا عَلَى دِمَائِهِمَا وَأَمْوَالِهِمَا وَأَهْلِيهِمَا ، مَا لَمْ يَبْعُدُوا الْحَقَّ ، رَضِيَ بِذَلِكَ رَاضٍ ، أَوْ أَنْكَرَ مُنْكَرٌ ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ أَنْصَارُ لَهَا عَلَى مَا قَضِيَ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ .

فإن نُؤَيِّفُ أَحَدَ الْحَكَمَيْنِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحُكُومَةِ ، فَامِيرُ شِيعَتِهِ وَأَصْحَابُهُ يَخْتَارُونَ

مكانه رجلا، لا يألون عن أهل المغدلة والإقساط^(۱)، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق، والحكم بكتاب الله وسنة رسوله. وله مثل شرط صاحبه.

وإن مات واحد من الأميرين قبل القضاء، فليشيعته أن يؤثروا مكانه رجلا يرضون عدله.

وقد وقعت هذه القضية بيننا ومعها الأمن والتفاوض، ووضع السلاح والسلام والوادعة، وعلى الحكيم عهد الله وميثاقه، ليحكمان بكتاب الله وسنة نبيه، لا يدخلان في شبهة، ولا يألوان اجتهاداً، ولا يتعمدان جوراً، ولا يتبعان هوى، ولا يعدوان ما في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، فإن لم يفعلا برئت الأمة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة، وقد وجبت القضية على ما سمينا في هذا الكتاب من موقع الشرط على الأميرين والحكيمين والفرقيين، والله أقرب شهيداً، وأدنى حفيظاً، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انتهاء مدة الأجل، والسلاح موضوع، والسبيل مخلى، والشاهد والغائب من الفرقيين سواء في الأمر وللحكيم أن ينزلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام، ولا يحضرها فيه إلا من أحببنا عن ملاءمة^(۲) منها وتراض، وأجل القاضيين المسلمون إلى رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجبها له عجلها، وإن أراد تأخيرها بعد رمضان إلى انتهاء الموسم، فإن ذلك إليهما.

فإن هالما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انتهاء الموسم، فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب، ولا شرط بين الفرقيين، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على الوفاء والتزام^(۳) على ما في هذا الكتاب، وهم يد على من أراد في هذا الكتاب إلحاداً أو ظلماً أو أراد له نقضاً.

(۱) الإقساط: العدل. (۲) أي عن تشاور.

(۳) يقال: تم على الأمر وتم عليه بإظهار الإدغام أي استمر عليه.

شهد على ما في هذا الكتاب من أصحاب علي: الأشعث بن قيس، وعبد الله بن عباس،
والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني، والحصين والطفيل أبنا الحارث بن المطلب،
وأبو أسيد بن ربيعة الأنصاري، وخباب بن الأرت وسهل بن حنيف الأنصاري وأبو اليسر
ابن عمرو الأنصاري، ورفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري، وعوف بن الحارث بن المطلب
القرشي، وبريدة الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري،
وعمر بن الحقيق الخزاعي والحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن جعفر الهاشمي
واليعمر بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، وورقاء بن سمى البجلي،
وعبد الله بن الطفيل الأنصاري، ويزيد بن حجية، ومالك بن كعب الهمداني، وربيع بن
شرحبيل، وأبو صفرة، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعقبة بن حجية
ومن أصحاب معاوية: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعمور السلمي وبشر
ابن أرطاة القرشي، ومعاوية بن حديج الكندي، والمخارق بن الحارث الحميري،
وزمّل بن عمرو السكسكي، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، وحمزة
ابن مالك الهمداني، وسبع بن زيد الحميري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعلقمة
ابن مرثد الكلبي، وخالد بن الحصين السكسكي، وعلقمة بن يزيد الحضرمي،
ويزيد بن الحرّ العبسي، ومسروق بن حملة القسبي، وشمير بن يزيد الحميري.
وعبد الله بن عامر القرشي، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة القرشي، وعقبة
ابن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، ويزيد بن عمرو
الجذامي، وعمار بن الأخوص الكلبي، ومسعدة بن عمر القيني، وعاصم بن المستنير
الجذامي، وعبد الرحمن بن ذي كلاع الحميري، والصبح بن جلهمة الحميري، وتمامة
ابن حوشب، وعلقمة بن حكيم.

وإن بيننا على ما في هذه الصحيفة عهد الله وميثاقه، وكتب عمير يوم الأربعاء

لثلاث عشرة ليلة بتيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

(صبح الأعشى ١٤ : ٨٠، وشرح ابن أبي الحديد ١، ص ١٩١)

٤٥٦ - كتاب بين عمرو بن العاص وأبي موسى

ولما انقضى الأجل ، اجتمع الحكمان في دومة الجندل ، وخذع عمرو بن العاص
أبا موسى الأشعري ، ففشل التحكيم ، واشتدت الفرقة بين المسلمين .
وروى المسعودي في مروج الذهب قال :

فلما التقى أبو موسى وعمرو ، قال عمرو لأبي موسى تكلم وقل خيراً ، فقال :
أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو ، فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي
قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة ، لِسِنِّكَ وَصُحْبَتِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وأنت ضيف ، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحدّث الذي حلّ بالإسلام ،
والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو هلمّ إلى أمر يجمع الله فيه الألفّة ، ويَلِمُ الشعث ،
ويصلح ذات البين ، فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولاً وآخرأ ، ومتى تنازعنا
الكلامَ خطباً ، لم نبلغ آخره حتى ننسى أوّلَه ، فاجعل ما كان من كلام تتصدر
عليه في كتاب بصير إليه أمرنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكتب ،
وكان الكاتب غلاماً لعمرو ، فتقدم إليه ليتبدأ به أولاً دون أبي موسى ، لما أراد
من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة ، اكتب ، فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً
بأمرك به أحدنا ، حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمرك فاكتب ، وإذا نهاك فانتد حتى
يجتمع رأينا ، اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان » فكتب وبدأ بعمرو ،
فقال له عمرو : لا أمّ لك ، أتقدمني قبله ؟ كأنك جاهل بحقه ! فبدأ باسم عبد الله
ابن قيس ، وكتب : تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون ، ثم قال عمرو : « نشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ « قَالَ أَبُو مُوسَى : اَكْتُبْ ، ثُمَّ قَالَ فِي عَمْرٍو مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ عَمْرٍو اَكْتُبْ : « وَأَنَّ عُمَانَ وَوَلِيَّ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ عَمْرِو عَلِيٍّ إِجْمَاعًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشُورَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضًا مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا » فَقَالَ أَبُو مُوسَى : لَيْسَ هَذَا مِمَّا قَعَدْنَا لَهُ ، قَالَ عَمْرٍو : وَاللَّهِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا ، قَالَ أَبُو مُوسَى : اَكْتُبْ ، قَالَ عَمْرٍو : فَظَالِمًا قُتِلَ عُمَانُ أَوْ مَظْلُومًا ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : بَلْ قُتِلَ مَظْلُومًا ، قَالَ عَمْرٍو : أَفَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوَلِيِّ الْمَظْلُومِ سُلْطَانًا يَطْلُبُ بَدْمَهُ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : نَعَمْ ، قَالَ عَمْرٍو : فَهَلْ تَعْلَمُ لِعُمَانَ وَوَلِيًّا أَوْلَى مِنْ مُعَاوِيَةَ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : لَا ، قَالَ عَمْرٍو : أَفَلَيْسَ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ يَطْلُبَ قَاتِلَهُ حَيْثَمَا كَانَ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَعْجِزَ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : بَلَى . قَالَ عَمْرٍو لِلْكَاتِبِ : اَكْتُبْ ، وَأَمْرُهُ أَبُو مُوسَى فَكَتَبَ ، قَالَ عَمْرٍو : فَإِنَّا نَقِيمُ الْبَيْتَةَ أَنْ عَلِيًّا قُتِلَ عُمَانُ ، قَالَ أَبُو مُوسَى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّمَا اجْتَمَعْنَا لِلَّهِ ، فَهَلُمَّ إِلَى أَمْرِ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، قَالَ عَمْرٍو : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَا يُحِبُّونَ مُعَاوِيَةَ أَبَدًا ، وَأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَا يُحِبُّونَ عَلِيًّا أَبَدًا ، فَهَلْ نَخْلَعُهُمَا جَمِيعًا ، وَنَسْتَخْلِفُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو ؟ قَالَ عَمْرٍو : أَيْفَعَلُ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : نَعَمْ ، إِذَا سَخَّهَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ فَعَلْ ، فَعَمَدَ عَمْرٍو إِلَى كُلِّ مَا مَالَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى فَصَوَّبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ؟ قَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى : لَا ، فَعَدَّدَ لَهُ عَمْرٍو جَمَاعَةً ، وَأَبُو مُوسَى يَأْبَى ذَلِكَ إِلَّا ابْنَ عَمْرِو ، فَأَخَذَ عَمْرٍو الصَّحِيفَةَ وَطَوَّاهَا وَجَعَلَهَا تَحْتَ قَدَمِهِ ، بَعْدَ أَنْ خَتَمَهَا جَمِيعًا ، وَقَالَ عَمْرٍو : أَرَأَيْتَ إِنْ رَضِيَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ، وَأَبَى أَهْلُ الشَّامِ ، أَيْقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : لَا ، قَالَ عَمْرٍو : فَإِنْ رَضِيَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَبَى أَهْلُ الْعِرَاقِ ، أَيْقَاتِلُ أَهْلَ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : لَا ، قَالَ عَمْرٍو : أَمَّا إِذَا رَأَيْتَ الصَّلَاحَ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَالْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقُمْ فَاخْطُبِ النَّاسَ ، وَاخْلَعْ صَاحِبَيْنَا ، وَتَكَلِّمْ بِاسْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي نَسْتَخْلِفُ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى :

بل أنت قم فاخطب ، فأنت أحق بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولى وقولك للناس إلا قول واحد ، قم راشداً .

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرننا من الأمن والصلاح ولم الشعث ، وحقن الدماء ، وجمع الألفة ، خلعتنا علياً ومعاوية ، وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتى هذه - وأهوى إلى عمامته فخلعها - واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله ابن عمر^(١) » وأطراه ورغب الناس فيه ونزل .

فقام عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذى يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني خامت علياً معه ، وأثبت معاوية على وعليكم ، وإن أبا موسى قد كتب فى الصحيفة أن عثمان قد قتل مظلوماً شهيداً ، وأن لوليه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم » وأطراه ورغب الناس فيه ، وقال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان .

(١) وفى غير هذه الرواية أنه لما اتقى الحكمان جعل عمرو يجب إلى أبى موسى أن يولى معاوية ، ويمدده له عاسنه ، ثم عرض له بالسلطان فقال : إن ولى معاوية أكرمك كرامة لم يكرمكها خليفة ، فأبى عليه أبو موسى ، وكان فيما قال له : فوالله لو خرج لى من سلطانه كله ما ولينته ، وما كنت لأرتشى فى حكم الله عز وجل ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأراده أبو موسى على عبد الله بن عمر فأبى عليه ، وقال له : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه ؟ فقال : إن ابنك رجل صدق ولكنك قد نعمته فى هذه الفتنة ، فقال له عمرو : خرنى ما رأيتك؟ قال : رأيت أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختارون لأنفسهم من أحبوا ، فقال له عمرو : فإن رأى ما رأيت ، فقدم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى لى قد خامت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمرهم وولوا عليكم من رأيتهم لهذا الأمر أهلاً ، ثم تنحى ، وقام عمرو فقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية - انظر تاريخ الطبرى ج : ٦ ص ٣٨ - ٤٠ ، ومروج الذهب ج ٢ ، ص ٣٣ .

فقال أبو موسى : كَذَبَ عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلصنا معاوية وعلينا
معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خاع علياً ولم يخلع معاوية .
(مروج الذهب ٢ : ٣١)

٤٥٧ - كتاب ابن عمر إلى أبي موسى

ولما بلغ عبد الله بن عمر ما كان من رأى أبي موسى كتب إليه :
« أما بعد يا أبا موسى ، فإنك تقررت إلى بأمر لم تعلم هواي فيه ، أكنت تظن
أنني أبسط يداً إلى أمرٍ نهاني عنه عمر ؟ أو كنت تراني أتقدم على علي وهو خير
مني ؟ لقد خبتُ إذن وخسرتُ وما أنا من المهتدين ، فأغضبت بقولك وفعلك علياً علياً
ومعاوية ، ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو إياك ، وأنت حامل القرآن ، ووافد أهل
اليمين إلى نبي الله ، وصاحب مقامهم أبي بكر وعمر ، قدّمك عمرو للقول مخادعاً ، حتى
خلعت علياً قبل أن تخلع معاوية ، ولعمري ما يجوز لك علي علي ما جاز لعمرو علي
معاوية ، ولا ما جاز لنا عليه^(١) . »
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

٤٥٨ - رد أبي موسى على ابن عمر

فلما أتى أبا موسى كتاب ابن عمر كتب إليه :
« أما بعد : فإنني والله ما أردت بتوليقي إياك وبيعتي لك القربة إليك ، ما أردت
بذلك إلا الله عز وجل ، وأما تقلدي أمر هذه الأمة غير مستكره فإنهم كانوا على
مثل حدّ السيف ، فقلت : إلى سنة تحيا ومات ، إن بصطلحوا ، فهو الذي أردت ،
والألم يرجعوا إلى أعظم مما كانوا عليه ، وأما إغضابي عليك علياً ومعاوية فقد غضبا

(١) جاء في الأصل بعد ذلك : « ولا كرهنا ما رضيت ، وأردت أن الحاكم بما يحكم الله بين الناس ،
ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما غير أمرك في خلاف هواه . »
وقد راجعت ثلاث طبعات مختلفة من الإمامة والسياسة ، فوجدت ثلاثها متفقة في إيرادها بتلك
الصورة ، وهي عبارة مضطربة معنلة كما ترى ولا بد أن يكون فيها سقط أدخل بمعناها

عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو إياي فوالله ماضراً بخديعته علياً ، ولا نفع معاوية ، وقد كان الشرط ما اجتمعنا فيه ، لا ما اختلفنا فيه ، وأما نهى إليك فوالله لو تم الأمر لأكرهت عليه .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٥٩ - كتاب معاوية إلى أبي موسى

ولما فشل التحكيم خرج أبو موسى الأشعري من فوره إلى مكة مستعيناً بها من علي ، فأقام بها حيناً حتى كتب إليه معاوية :
« سلام عليك ، أما بعد : فلو كانت النية تدفع الخطأ ، لنجا المجتهد ، وأعذر الطالب ، والحق لمن نصب له فأصابه ، وليس لمن عارض له فأخطأه ، وقد كان الحكمان إذ حكما علي علي لم يكن له الخيار عليهما ، وقد اختاره القوم عليك ، فأكره منهم ما كرهوا منك ، وأقبل إلى الشام ، فإني خير لك من علي ، ولا قوة إلا بالله .
(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٠ - رد أبي موسى على معاوية

فكتب إليه أبو موسى :
« سلام عليك ، أما بعد فإني لم يكن مني في علي إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أنني أردت بما صنعت ما عند الله ، وأراد عمرو بما صنع ما عندك ، وقد كان بيني وبينه شروطه وشورى عن تراض ، فلما رجع عمرو رجعت ، وأما قولك : إن الحكامين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما ، فإنما ذلك في الشاة والبعير والدينار والدرهم ، فأما أمر هذه الأمة فليس لأحد فيما تكروه حكم^(١) ، ولن يذهب الحق عجز عاجز ، ولا كيد كائد ، ولا خدعة فاجر ، وأما دعاؤك إياي إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرم إبراهيم^(٢) .
(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

(١) وفي الإمامة والسياسة « قلت تساق إلى ما تكروه » .

(٢) وفيه أيضاً : « فإيس لي بدل ولا إيثار عن قبر ابن إبراهيم أبي الأنبياء » .

٤٦١ - كتاب عليّ إلى أبي موسى

فبلغ عليّاً كتابُ معاوية إلى أبي موسى الأشعري ، فكتب إليه :

« سلام عليك ، أما بعد ، فإنك أمرؤ ضللك الهوى ، واستدرجك الغرورُ ، فإنه من استقال اللهَ أقاله ، حَقَّق بك حسن الظن لزومك بيتَ الله الحرام غيرَ حاجٍ ولا قاطنٍ ، فاستقلِ اللهَ يُقَلِّك عَثْرَتَكَ ، إن الله يغفر ولا يغفلُ ، وأحبُّ عباده إليه التوابون . »
وكتبه سَمَّاك بن حرب .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٢ - رد أبي موسى على عليّ

فكتب إليه أبو موسى :

« سلام عليك ، أما بعد فوالله لولا أني خشيتُ أن يتولَّ مَنْع الجواب إلى أعظمَ مما في نفسك ، لم أجيبك ، لأنه ليس لي عندك عذرٌ ينفعني ، ولا قوة تمنعني ، وأما لزومي بيتَ الله الحرام غيرَ حاجٍ ولا قاطنٍ ، فإنني أسلمت أهل الشام ، وأتقطعت عن أهل العراق ، وأصبتُ أقوامًا صَفَرُوا من ذنبي ما عظمتُم ، وعظّموا من حقي ما صفرتم ، فأمت بين أظهرهم إذ لم يكن لي منكم وليٌّ ولا نصيرٌ . »

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٣ - كتاب أبي موسى إلى عامر بن عبد القيس

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد القيس :

« أما بعدُ ، فإنني عاهدتك على أمر ، وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنتَ على ما عاهدتك فاتقِ اللهَ ودِّه ، وإن كنتَ على ما بلغني فاتقِ اللهَ وعُدُّه . »

(العقد الفريد ١ : ٣٠٠)

٤٦٤ - كتاب عبد الله بن وهب الراسبي

إلى خوارج البصرة

ولقيت الخوارجُ بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، وأجمعوا على الخروج ، وولّوا أمرهم عبد الله بن وهب ، فبايعوه لعشر خلون من شوال ، وأداروا رأيهم بينهم ، فاتفقوا أن ينزلوا جسر النهروان^(١) ، ويكاتبوا إخوانهم من أهل البصرة فيقدموا عليهم ؛ فكتب ابن وهب إلى من بالبصرة منهم :

« أما بعد : فإن أهل دَعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ، ورَضُوا بحكم القاسطين^(٢) على عباده ، تخالفناهم ونابذناهم ، نريد بذلك الوسيلةَ إلى الله ، وقد قَعَدْنَا بِجَسْرِ النهروان وأحَبَبْنَا إِعْلَامَكُمْ ، لتأخذوا بنصيبكم من الأجر ، والسلام . »

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٥ - ردّ خوارج البصرة

فكتبوا إليهم :

« أما بعدُ : فقد بلغنا كتابكم ، وفهّمنا ما ذكرتم ، وقد وهبنا لكم الرأيَ الذي جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله ، وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم ، وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلاً . »

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

(١) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى .

(٢) أى الجائرين ، قسط كجلس قسوطا : جار وعدل عن الحق .

٤٦٦ - كتاب عليّ إلى الخوارج بالنهر

وبلغ عليّاً عليه السلام خروج الخوارج إلى النهر ، فكتب إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصّين ،
وعبد الله بن وهب ، ومن معهما من الناس :

« أما بعد : فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكين الذين ارتضيتهم حاكمين قد خالفا
كتاب الله ، واتّبعوا أهواءها بغير هدى من الله ، فلم يعملوا بالسنة ، ولم ينفذوا للقرآن
حكماً ، فبرئ الله ورسوله منهما وصالح المؤمنين ، فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا
إلينا ، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام .
(تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٧ - ردّ الخوارج عليه

فكتبوا إليه :

« أما بعد : فإنك لم تفضّب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك
بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سؤاء ،
إن الله لا يحبّ الخائنين . »

فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ، ويمضي بالناس إلى أهل
الشام حتى يلقاهم فيناجزهم .

(تاريخ الطبري، ٦ : ٤٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٨ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

ونزل عليّ عليه السلام النخيلة ، ودعا الناس أن يتهبثوا للسير إلى الشام ، وكتب

إلى ابن عباس - وكان قد رده إلى البصرة - :

« أما بعد : فإننا قد خرجنا إلى مُعَسِّكِرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على السير إلى عدونا من أهل الشام ، فأشخص بالناس حتى يأتيك رسولى ، وأقيم حتى يأتيك أمرى ، والسلام . »
(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٩ - كتاب على إلى معاوية

ويفينا على يتأهب للقاء معاوية ، إذ بلغه ما أتاه الخوارج بالنهروان من الأحداث المنكرة^(١) ، فسار إليهم ، وجعل يبذل لهم النصيح ، وصموا عنه آذانهم ، فحمل عليهم حملة مزقهم فيها كل مُمزَّق ، ولم يُفلت منهم إلا عشرة .
وكتب على عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتله الخوارج:

« أما بعدُ : فقد آن^(٢) لك أن تنتفع باللَّعجِ الباصِرِ من عِيَانِ الأمور ، فلقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل ، وأفتحامك غرور المين والأكاذيب ،

(١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت ، ومعه امرأته حبل مَم ، فسألوه : ما تقول في ابن بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها قالوا . فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال إنه أعلم بالله منكم ، وأشد توكفاً على دينه ، وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأرسل إليهم على رسولاً ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، وأصابوا ملداً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له ، فقال : هي لكم ، فقالوا : ما كنا لناخذها إلا بشئ ، قال : ما أعجب هذا ! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ، ولا تقبلون منى جنى نخلة ؟ — انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٤٦ والكامل للبرد ٢ : ١٤٣ .

(٢) آن بشئ ، وأنى يأنى كرمى يرمى : أى حان وقرب ، وما يجرى مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئاً يبصره شديداً ولا يشك فيه : قد رأيت لهما باصراً ، أى نظراً بتحديد شديد ، ومعنى باصر ذو بصرف هو مخرج مخرج لابن وتامر ، والعيان : المعابنة ، والدرج : المذهب والسلوك وزنا ومعنى ، وكذا المدرجة ، والأباطيل جمع أبطولة بالضم ، أو إبطالة بالكسر ، أو هو جمع باطل على غير قياس ، والمين : الكذب .

من أنتحالِكَ ما قد عَلَا عنكَ^(١) ، وابتزازِكَ لما قد اخْتَزِنَ دونَكَ ، فراراً من الحقِّ^(٢) ، وجُحُوداً لِمَا هو أَلْزَمُ لك من نَحْمِكَ وِدَمِكَ ، مما قد وَعَاه سَمْعُكَ ومُلِيَّ به صدرُكَ ، فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال المبين ، وبعد البيان إلا اللَّبْسُ ، فاحذر الشُّبُهَةَ واشتِمْهَا على لُبْسَتِهَا^(٣) ، فإن الفتنَةَ طالما أَغْدَفَتْ جلايِبِهَا ، وأغْشَتِ الأَبْصارَ ظُلْمَتَهَا^(٤) .

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين^(٥) من القول ضَعُفَتْ قُواها عن السَّلْمِ ، وأساطيرَ لم يُحْكَمْها منك عِلْمٌ ولا حِلْمٌ ، أصبحتَ منها كالمخاضِ في الدَّهَّاسِ^(٦) ، والخاطِطِ في الدِّيمَاسِ ، وترقَّيتَ إلى مرَقَبَةٍ^(٧) بعيدة المرام ، نازِحَةَ الأعلام ، تقصُرُ دونها الأَنُوقُ^(٨) ، ويُحاذِي بها العيُوقُ .

وحاشَ لِلَّهِ أن تَلِيََ للمسلمين بعدى صَدَراً أو وِرْدَاً ، أو أُجْرِيَ لك على أحد منهم عَقْداً أو عَهْدَاً ، فمن الآن فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ ، وانظر لها ، فإنك إن فرطتَ حتى ينهد^(٩) إليك عبادُ اللَّهِ ، أُرْتَبِجَتْ عليك الأمورُ ، ومُنِعَتْ أمراً هو منك اليومَ مقبولٌ ، والسلام .

(نهج البلاغة ٢ : ٩٠)

- (١) يعني الخِلافة ، والابتزاز : الاستلاب . (٢) أي من التمسك به .
- (٣) اللبسة : الاشتباه والإشكال ، وأغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، وأغدفت الليل : أرخى سدوله . (٤) أي وجعلت ظلمتها غشاء للأبصار ، ويروي « وأعشت » فظلمتها فاعل .
- (٥) أي أساليب وطرائق ، وحاكه : نسجه ، ونسج الكلام : تأليفه ، والأساطير : الأباطيل ، جمع أسطورة بالضم أو إسطورة بالكسر .
- (٦) الدهاس بالفتح : المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولاطين ، والديماس بالفتح والكسر : السرب المظالم ، وأصله من دمس الليل فهو دامس : أي اشتدت ظلمته ، وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته .
- (٧) المرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب ، ونازحة ، بعيدة ، والأعلام : جمع علم بالتحريك : هو ما ينصب في الطريق ليهتدى به .
- (٨) الأنوق : الرخة ، وفي المثل « أعز من بيض الأنوق » لأنها تمرزه ولا يكاد أحد يظفر به ، لأن أو كارهها في رؤس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، والعيوق : نجم أحمر مضيء يتلو الثريا .
- (٩) ينهد : ينهض ، وأرتبجت : أي أغلقت .

خروج الخريت بن راشد الناجي

وكان من الخوارج الذين خرجوا على عليّ عليه السلام بعد وقعة النهروان الخريّيت ابن راشد الناجي ، فارقه في جماعة من بني ناجية ، وطمعوا عن الكوفة (سنة ٣٨ هـ) فبعث عليّ في إثرهم زياد بن خصفة ، وقال له : أخرج رحمتك الله حتى تنزل دير أبي موسى ، ثم لا تتوجه حتى يأتيك أمرى ، فخرج زياد فيمن معه إلى دير أبي موسى ، فنزله وأقام فيه ينتظر أمر أمير المؤمنين .

٤٧٠ - كتاب عليّ إلى عماله

وكتب عليّ إلى عماله فيهم نسخة واحدة :

« أما بعد : فإن رجلا خرجوا هربا ، ونظفهم توجّهوا نحو بلاد البصرة ، فسل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ، واكتب إلى بما ينتهي إليك عنهم ، والسلام » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٥)

٤٧١ - كتاب قرظة بن كعب إلى عليّ

فورد عليه كتاب من قبل قرظة بن كعب الأنصاري أحد عماله ، وفيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من قرظة بن كعب ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني أخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرّت بنا من قبل الكوفة ، متوجهة نحو « نفر^(١) » وأن رجلا من دهاقين

(١) نفر : بلد أو قرية على نهر النرس من نواحي بابل من أعمال الكوفة ، والدهاقين : جمع دهقان يالكسر والضم وهو : زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرب .

أسفل الفرات قد صَلَّى^(١) ، يقال له « زاذان فروخ » أقبل من قبل أخواله بناحية نقره ، فعرَضُوا له ، فقالوا : أُمْسِلِمِ أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولك في علي ؟ قال : أقول فيه خيراً : أقول إنه أمير المؤمنين ، وسيد البشر ، ووصي رسول الله ، فقالوا له : كفرت يا عدو الله ، ثم حَمَلت عليه عِصَابَةً مِنْهُمْ فَتَطَعَوْهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، وَوَجَدُوا مَعَهُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَهُودِيًّا ، فَقَالُوا : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، قَالُوا : أَمَا هَذَا فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الذَّمِي فَأَخْبَرَنَا هَذَا الْخَبْرَ ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُمْ فَلَمْ يُخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ ، فَلْيَكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِهِ فِيهِمْ أَنْتَهُ إِلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ .
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م : ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٢ - رد عليّ على قرظة بن كعب

فكتب إليه عليّ :

« أما بعدُ : فقد فهمتُ ما ذكرتَ من أمر العصابة التي مرّت بك ، فقمتُ البرّ المسلم ، وأمين عندهم المخالف الكافر ، وإن أولئك قوم استهواهم^(٢) الشيطان فضلوا ، وكانوا كالذين حَسَبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ، فَأَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تُخْبَرُ أَعْمَالُهُمْ ، فَالزَّمْ عَمَلَكَ ، وَأَقْبِلْ عَلَى خَرَاஜِكَ ، فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ ، وَالسَّلَامُ . »
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م : ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٣ - كتاب عليّ إلى زياد بن خصفة

وكتب عليّ عليه السلام إلى زياد بن خصفة :

« أما بعد : فإني كنت أمرتك أن تنزل دَيْرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي ، وَذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ إِلَى أَيِّ وَجْهِ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ ، وَقَدْ بَاغَى أَنَّهُمْ أَخَذُوا نَحْوَ قَرْيَةٍ

(١) أي أسلم ، وفي ابن أبي الحديد « قد أسلم وصلي » . (٢) استهواه : استماله .

يقال لها « نَفَرٌ » فاتَّبَعَ آثارهم وسَلَّ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل السَّواد مُصَلِّياً ، فإذا أنت لِحَقَّتْهم فارددهم إلى ، فإن أبوا ففاجزهم ، واستعين بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحق ، وسَفَكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل ، والسلام .
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٤ - كتاب زياد بن خصفة إلى عليّ

نخرج زياد فتبعهم حتى لحقهم بالمدار^(١) ، ودعا الخريّيت إلى الدخول فيما خرج منه فأبى ، وسأله أن يدفع إليه قتلة الدهقان ، فقال ما إلى ذلك سبيل ، ففاجزه واقتلا قتلاً شديداً ، وقتل من أصحاب زياد رجلاً ، وصرع من أصحاب الخريّيت خمسة ، وحجّز الليل بين الفريقين ، فهرب الخريّيت بمن معه فأتوا الأهواز ، وسار زياد إلى البصرة لداواة الجرحى ، وكتب إلى عليّ :

« أما بعد : فإننا لقينا عدوّ الله الناجي وأصحابه بالمدار ، فدعوناهم إلى الهدى والحق وإلى كلمة السَّواء ، فلم ينزلوا على الحق ، وأخذتهم العزّة بالإثم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ، فقصدوا لنا ، وصدّنا صمد^(٢) ، فاقتلنا قتلاً شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دُلوك^(٣) الشمس ، فاستشهد منا رجلاً صالحاً ، وأصيب منهم خمسة نفر ، وخلّوا لنا المعركة ، وقد فشت فينا وفيهم الجراح .

ثم إن القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحتهم متكبّين^(٤) إلى أرض الأهواز ، فبلغنا أنهم نزلوا منها جانباً ، ونحن بالبصرة نُدأوى جراحنا ، وننتظر أمرك ، رحمك الله ، والسلام عليك .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

(١) في ميسان ، بين واسط والبصرة .

(٢) صمد ، صمد الأمر : قصده واعتمده .

(٣) أي غروبها . (٤) تنكب عن الطريق : عدل ، وفي ابن أبي الحديد « متكبرين » .

٤٧٥ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

وسير عليّ عليه السلام إلى الخريّت معقل بن قيس، وندب معه ألفين من أهل الكوفة، وكتب إلى ابن عباس - أمير البصرة - :

« أما بعدُ : فابعث رجلاً من قبلك صليلاً شجاعاً معروفاً بالصّلاح في ألقى رجل ، فليتبّع معقلاً ، فإذا مرّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقلاً ، فإذا لقي معقلاً فمعقل أمير الفريقين ، وليسمع من معقل وليطّعه ولا يخالنه ، ومُرّ زياد بن خصفة فليقبل إلينا ، فنعم المرّة زياد ، ونعم القبيل قبيله ، والسلام . »
(تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

٤٧٦ - رد عليّ على زياد بن خصفة

وكتب عليّ إلى زياد بن خصفة :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت من أمر الناجي وإخوانه ، الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان فهم يعمّون^(١) ، ويحسبون أنهم يحسنون صنماً ، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأما أنت وأصحابك فله سعيكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ، وأبسر^(٢) ثواب الله للؤمنين خير له من الدنيا^(٣) التي يقتل الجاهل أنفستهم عليها ، فإن ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . »

وأما عدوكم الذين لقيتموهم فحسبهم خروجه من الهدى إلى الضلال ، وارتكاسهم^(٤) فيه ، وردّهم الحق ، وبلّاجهم في الفتنة^(٤) ، فذرهم وما يفترون ،

(١) العمه بالتحريك : التردد في الضلال .

(٢) وفي الطبري « فأبسر بثواب الله خير من الدنيا التي . . . » أي فتوابه خير .

(٣) أركه : نكه ، وارنكس : اتكس .

(٤) وفي ابن أبي الحديد : « وجاحهم في التيه » والتيه « بالكسر : الضلال .

وَدَعَهُمْ فِي طَفْيَانِهِمْ يَمْتَهُونَ ، فَاسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ فَكَأَنَّكَ بِهِمْ عَنْ قَلِيلٍ ، بَيْنَ
أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

أَقْبِلْ إِلَيْنَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مَأْجُورِينَ ، فَقَدْ أَطْعَمْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ الْبَلَاءَ ، وَالسَّلَامُ .
(تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

٤٧٧ - كتاب ابن عباس إلى معقل بن قيس

وَنَزَلَ الْخَرِيتُ جَانِبًا مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُلُوجٌ^(١) مِنْ أَهْلِهَا كَثِيرٌ ،
أَرَادُوا كَثْرَ الْخِرَاجِ ، وَلِصُوصِ كَثِيرَةٍ ، وَطَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الْعَرَبِ تَرَى رَأْيَهُ .
وَخَرَجَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى نَزَلَ الْأَهْوَازَ ، وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا
أَبْطَنُوا عَلَيْهِ أَخَذَ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْخَرِيتِ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَدْرَكَهُ رَسُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ
بِكِتَابٍ فِيهِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنْ أَدْرَكَكَ رَسُولِي بِالْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مَقِيمًا ، أَوْ أَدْرَكَكَ
وَقَدْ شَخَّصْتَ مِنْهُ ، فَلَا تَبْرَحِ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ إِلَيْكَ رَسُولِي ، وَآثَبْتُ فِيهِ
حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ بَعُثْنَا الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ خَالِدَ بْنَ مَعْدَانَ
الطَّائِيَّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَاسْمَعْ مِنْهُ ، وَاعْرِفْ ذَلِكَ
لَهُ ، وَالسَّلَامُ » .

فَقَرَأَ مَعْقِلُ الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ ، وَحَمِدَ اللَّهَ - وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْوَجْهَ هَاهُمْ - فَأَقَامَ
حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الطَّائِيَّ ، وَاجْتَمَعَا جَمِيعًا فِي عَسْكَرٍ وَاحِدٍ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٨)

(١) علوج : جمع علج بالكسر : وهو الرجل من كفار النجم .

٤٧٨ - كتاب معقل بن قيس إلى عليّ

وسار معقل إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز ، يريدون قلعة بها حصينة ، فلحقهم وقد دنوا من الجبل ، وقاتلهم فما صبروا له ساعة حتى ولّوا ، وشدّخ منهم سبعون عربياً من بني ناجية ، وقتل نحو من ثلثمائة من العلوج والأكراد ، وخرج الخريت منهزماً ، حتى لحق بسيف^(١) من أسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يدعوهم إلى خلاف عليّ حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من معقل بن قيس :

سلام عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإننا لقينا المارقين وقد استظفروا علينا بالمشركين ، فقتلناهم قتل عاد وإرم^(٢) ، مع أنا لم نعد فيهم سيرتك ، ولم نقتل من المارقين مذبذباً ولا أسيراً ، ولم نذق^(٣) منهم على جريح ، وقد نصرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٨)

٤٧٩ - كتاب عليّ إلى معقل بن قيس

فقرأ عليّ عليه السلام كتاب معقل عليّ أصحابه ، واستشارهم فاجتمع رأي عامتهم على قول واحد ، قالوا : نرى أن تكتب إلى معقل فيتبع أثر الفاسق ، فلا يزال في طلبه ، حتى يقتله أو ينفيه ، فإننا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس ، فكتب إليه :

(١) السيف بالكسر : ساحل البحر .

(٢) أي أبادناهم كما أباد هؤلاء . وإرم : والدعاد الأولى أو الأخيرة ، وقيل : اسم بلدتهم ، وقيل :

اسم أمهم . (٣) ذفف على الجريح : أجهز عليه .

« أما بعدُ : فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخِذْلان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتُم ما عليكم ، وسَلَّ عن أخي بني ناجية ، فإن بلغك أنه قد استقر ببلد من البلدان ، فسيرُ إليه حتى تقتله أو تنفيه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدواً ، وللقاسِطين^(١) ولياً ، ما بقي ، والسلام عليك . »

فسال معقل عن مستقره ، فنُبئ بمكانه بالأسياف ، وأنه قد ردَّ قومه عن طاعة علي ، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب ، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صيفين (سنة ٣٧ هـ) ومنعوها في ذلك العام أيضاً ، فسار إليهم معقل ، فلما سمع الخريت بسيره إليه ، احتمال فاستمال إليه الناس^(٢) كما استمال إليه قوماً من النصارى كانوا أسلموا ، ثم ارتدوا إلى النصرانية ، وتبعه خاق كثير :

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٨)

٤٨٠ - كتاب عليّ إلى أشياع الخريت

ولما انتهى إليهم معقل بن قيس بالأسياف قرأ عليهم كتاباً من عليّ ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى من يُقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين والمارقين والنصارى والمرتدين :

(١) أي الجائرين . (٢) وذلك أنه أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأي الخوارج ، فأسر لهم أني أرى رأيكم ، فإن علياً لن ينفي له أن يحكم الرجال في أمر الله . وقال للآخرين منداهم : إن علياً حكم حكماً ورضي به ، فغلمه حكمه الذي ارتضاه لنفسه ، فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه . وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة - وقال سرا لمن يرى رأي عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قتل عثمان مظلوماً ، فأرضى كل صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلوا بها أرحامكم ، وعودوا بها إن شئتم على فرائضكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلما اختلف الناس بينهم ، قالوا . والله لدينا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه ، ما ينههم دينهم عن سفك الدماء ، وإخافة السبيل ، وأخذ الأموال ، فرجعوا إلى دينهم ، فلق الخريت أولئك فقال لهم : وبحكم ! أتدرون حكم عليّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيته ؟ لا والله ما يسم لهم قولا ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل منهم توبة ، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم ، فما زال حتى جمعهم وخذعهم ، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناس كثير .

سلام علی من اتبع الهدی ، وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت ، وأوفى بعهد الله ، ولم يكن من الخائنين .

أما بعد : فإني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، والعمل بالحق ، وبما أمر الله في كتابه ، فمن رجع إلى أهله منكم ، وكفَّ يده ، واعتزل هذا المارق المهالك الحارِبَ^(١) الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى في الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودمه ، ومن تابعه على حربنا ، والخروج من طاعتنا ، استعناً بالله عليه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيراً .

وأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال : من أتانا من الناس فهو آمن ، إلا الخريمت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أول مرة ، ففترق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٩)

٤٨١ - كتاب معقل بن قيس إلى علي

وعبأ معقل بن قيس أصحابه ، ثم زحف بهم نحو الخريمت ، وقد حضر معه قومه مسلموم ونصارام ومائنة الصدقة منهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل الخريت وقتل معه في المعركة سبعون ومائة ، وذهب الباقي يميناً وشمالاً .

وسبى معقل رجالاً كثيراً ونساءً وصبياناً ، ثم نظر فيهم : فأما من كان مسلماً فغلاه وأخذ بيعته وترك له عياله ، وأما من كان ارتد فعرض عليهم الإسلام فرجعوا وخلي سبيلهم ، إلا شيخاً منهم نصرانياً أبا فقدمه فضرب عنقه ، وأخذ من المسلمين عقاكين^(١) ، وعمد إلى النصارى وعيالهم فاحتلمهم مُقبلاً بهم ، وكتب إلى علي :

(١) أي السالب الناهب ، حربه يحربه حرباً كطلبه يطلبه طلباً : إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء .
وفي ابن أبي الحديد « الحارب » . (٢) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم .

« أما بعدُ : فإني أخبر أمير المؤمنين عن جنده وعن عدوه : إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف ، فوجدنا بها قبائل ذات عِدَّةٍ وَحِدَّةٍ وَجِدِّ ، وقد جمعت لنا ، وتحزبت علينا ، فدعوناهم إلى الطاعة والجماعة ، وإلى حكم الكتاب والسنة ، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين ، ورفعنا لهم راية أمان ، فمالت إلينا منهم طائفة ، وبقيت طائفة أخرى مُنَابِذَةً ، فقبِلنا من التي أقبلت ، وصمدنا^(١) صمداً للتي أدرت ، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم . »

فأما من كان مسلماً فإننا منننا عليه ، وأخذنا ببيعة أمير المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم ، وأما من ارتدَّ فإننا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا قتلناه ، فرجعوا غير رجل واحد فقتلناه ؛ وأما النصارى فإننا سببناهم ، وقد أقبلنا بهم ، ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، لكيلا يمنعوا الجزية ، ولكيلا يجترثوا على قتال أهل القبلة ، وهم أهل الصغار والذل ، ربحك الله يا أمير المؤمنين ، وأوجب لك جنات النعيم ، والسلام عليك . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٢ - كتاب عليّ إلى مصقلة بن هبيرة

ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني - وهو عامل عليّ على أردشير^(٢) خُرَّة ، وهم خمسمائة إنسان - فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامي الرجال ، وفكأك العناة^(٣) ، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا ، فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدقن عليهم ، إن الله يجزي المتصدقين ، وبعث إلى معتل فقال له : بعني نصارى بنى ناجية ، فقال : نعم أبيعكم بألف ألف درهم ، فأبى عليه ، فلم يزل يراوده حتى باعه إياهم بخمسمائة ألف درهم ، ودفعهم إليه ، وقال له : عجل بالمال إلى

(٢) كورة من كور فارس .

(١) صده وصمد إليه : قصد .

(٣) العناة جمع العاني ، وهو الأسير .

أمير المؤمنين ، فقال : أنا باعثُ الآن بصَدْرٍ^(١) منه ، ثم أبعث بصَدْرٍ آخر كذلك ، حتى لا يبقى منه شيء ، إن شاء الله تعالى .

وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليّ ، وأخبره بما كان منه في ذلك ، وانتظر عليّ مصقلة أن يبعث إليه بالمال فأبطأ به ، وبلغ عايًا أن مصقلة خلى سبيل الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه في فكك أنفسهم بشيء ، فقال : ما أرى مصقلة إلا قد تحمل حَمَالَةً^(٢) ، ولا أراكم إلا سَتَرُونَهُ عن قريب مُبَلِّدِهَا^(٣) ، ثم إنه كتب إليه :

« أما بعدُ : فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فأبعث بها إلى ساعةٍ بأتيك رسولى ، وإلا فأقبل إلى حين تنظر في كتابى ، فإنى قد تقدمت إلى رسولى إليك إلا يدعك أن تُقيم ساعةً واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعثَ بالمال ، والسلام عليك . »

فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة فمكث بها أياما ، ثم إن ابن عباس سأله المال - وكان عمال البصرة يحملون المال من كُور البصرة إلى ابن عباس ، ويكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى عليّ - فقال له : أنظرنى^(٤) أياما ، ثم أقبل حتى أتى عايًا بالكوفة فأقره أياما ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتى ألف درهم ، ثم إنه عجز عن الباقي فلم يقدر عليه ، وما لبث أن لحق بمعاوية .

وبلغ ذلك عليا فقال : ماله - تَرَحَّه اللهُ^(٥) - فَعَلَ فَعَلَ السَّيِّد ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْد ، وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِر ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زِدْنَا عَلَى حَبْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْنَا لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَا ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مَالًا تَرَكَنَاهُ . »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٢٧٠)

(١) الصدر : الطائفة من الشيء .
(٢) الحَمَالَة : الدية يحملها قوم عن قوم . (٣) بلدح : وعد ولم ينجز العدة ، وأعيا وبلد :
(٤) أى أمهلى . (٥) ترحه : أى أحزنه ، من الترح بالتحريك ضد الفرح .

٤٨٣ - كتاب مصقلة إلى أخيه نعيم

وكان أخوه نعيم بن هُبَيْرَة شِيعِيًّا ، ولعلِّي مُنَاصِحًا ، فكتب إليه مصقلة من الشَّام مع رجل من النصارى ، من بني تغلب يقال له حُلوان :

« أما بعدُ : فإني كلمت معاوية فيك ، فوَعَدَكَ الإِمَارَةَ ، وَمَنَّكَ الكِرَامَةَ ، فأقبل إلى ساعة يلقاك رسولى إن شاء الله والسلام . »

فأخذه مالك بن كعب الأَرَحَبِيُّ ، فسَرَّحَ به إلى عليّ ، فقطع يد النصراني فمات .
(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٤ - رد نعيم على مصقلة

وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة :

لا تَرَمِيْنِي (هَدَاكَ اللهُ) مُعْتَرِضًا
بالظنِّ منك ، فما بالى وحلوانا ؟
ذاك الحريصُ على ما نال من طمعٍ
وهو البعيد فلا يحزنُك إذ خانا^(١)
ماذا أردتَ إلى إرسالِهِ سَفَهًا
ترجو سِقَاطَ أُمْرِي لم يُلَفَّ وَسَفَانًا^(٢)
عرضتَهُ لِعَلِيٍّ ، إنه أَسَدٌ
يمشى العِرْضَةَ من آسادٍ خَفَانًا^(٣)
قد كنتَ فى خيرٍ مُصْطَافٍ ومرتبِعٍ
تحمي العِراقَ وتُدعى خَيْرَ شَيْبَانًا^(٤)
حتى تَقَعَمْتَ أَمْرًا كنتَ تَكَرَّهُهُ
لرا كبين له مِيرًا وإعْـلَانًا
لو كنتَ أَدَيْتَ مَالَ اللهِ مُصْطَافِيًا
للحقِّ ، أَحْيَيْتَ أَحْيَانًا وَمَوْتَانًا

(١) وفي ابن أبي الحديد « فلا يورثك أحزاناً » .

(٢) السقاط: الخطأ والقول والحساب والكتاب ، والوسنان : النائم .

(٣) من قولهم : فلان يمشى العرضة والعرضى بالقصر : أى فى مشيته بغير من نشاطه . وخفان : مأسدة قرب الكوفة .

(٤) ارتبنا بوضع كذا : أقنأ به فى الرميم ، واسم المكان مرتبج واصطفنا به : أقنأ به فى الصيف والوضع مصطاف ، وو الطبرى : « قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع » .

لكن لحقت بأهل الشام مُلتَمِسًا فضل ابن هندی، وذلك الرأي أشجانا^(١)
 فالیوم تفرع سن الغرم من قدم ماذا تقول، وقد كان الذي كانا؟^(٢)
 أصبحت تُبغضك الأحياء قاطبةً لم يرفع الله بالعصيان إنسانا^(٣)
 فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك، فوداه^(٤)

(تاريخ الطبری ٦ : ٧٦ ، و شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧١)

٤٨٥ - كتاب قوم مصقلة إليه

وذكروا أنه قام إلى عليّ وجوه بكر بن وائل، فقالوا: يا أمير المؤمنين: إن
 نعيماً أخوا مصقلة يستحي منك، لما صنع مصقلة، وقد أتانا اليقين أنه لا يمنع مصقلة من
 الرجوع إليك إلا الحياء، ولم يبدسط منذ فارقنا لسانه ولا يده، فلو كتبنا إليه كتاباً،
 وبعثنا من قبلنا رسولاً! فإننا نستحي أن يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق
 إلى معاوية، فقال عليّ: اكتبوا، فكتبوا:

« أما بعد: فقد علمنا أنك لم تلحق بمعاوية رضاً بدينه، ولا رغبة في دنياه،
 ولم يعطفك عن عليّ طمن فيه، ولا رغبة عنه، ولكن توسّطت أمراً فقويت فيه
 الظن، وأضعفت فيه الرجاء، فكان أولاهما عندك أن قلت: أفوز بالمال، وألحق
 بمعاوية، ولعمرونا ما استبدلت الشام بالعراق، ولا السكاسك^(٥) بربيعة، ولا معاوية
 بعليّ، ولا أصبت دنياً تهناً بها، ولا حظاً تُحمد عليه، وإن أقرب ما تكون مع الله
 أبعد ما تكون مع معاوية، فارجع إلى مصرك، فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب،
 واحتمل الثقل^(٦) .

(١) أشجانا: أحزننا . (٢) وفي ابن أبي الحديد « سن العجز » .
 (٣) قاطبة: جميعاً، وفي الطبري « لم يرفع الله بالبغضاء » . (٤) أي دفع دينه .
 (٥) حتى من اليمن . (٦) الثقل: الحمل الثقيل .

واعلم أن رجعتك اليوم خير منها غدا ، وكانت أمس خيراً منها اليوم ، وإن كان عليك حياة من أبي الحسن ، فما أنت فيه أعظم ، فبِح الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٧)

٤٨٦ - رد مصقلة علي قومه

فكتب مصقلة إلى قومه :

« أما بعد : فقد جاءني كتابكم ، وإني أخبركم أنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير . وقد علمت الأمر الذي قطعني من علي وأضافني إلى معاوية ، وقد علمت أني لو رجعت إلى علي وإليكم لكان ذنبي مغفوراً ، ولكنني أذنبتُ إلى علي وصحبتُ معاوية ، فلو رجعت إلى علي أحدثتُ عيباً ، وأحييتُ عاراً ، وكنتُ بين لائمين : أولها خيانة وآخرها غدر ، ولكنني أقيم بالشام ، فإن غلب معاوية فداري العراق ، وإن غلب علي فداري أرض الروم ، فأما الهوى فإليكم طائر ، وكانت فرقتي علياً - على بعض العذر - أحب إلى من فرقتي معاوية ، ولا عذر لي . »

فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه علياً ، فقال : كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت ، فقال حصين : أما والله ما به إلا الحياء !
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٧)

٤٨٧ - كتاب علي إلى أهل مصر

وولي الإمام علي كرم الله وجهه بدء خلافته قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر ؛ فلما دخلها صعد المنبر فجلس عليه ، وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرأ على أهلها ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . »

سلام عايكم فاني اُحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ : فإن الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسوله ، وبعث به الرُّسُلَ عليهم السلام إلى عباده ، وخصَّ به من انتخبَ من خلقه ، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة ، وخصَّهم به من الفضيلة ، أن بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا ، وزكاهم لكيما يتطهروا ، ورفَّهم^(١) لكيما لا يجوروا ، فلما قضى من ذلك ما عليه ، قبضه الله عز وجل ، صلواتُ الله عليه ورحمته وبركاته .

ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا به أميرين صالحين ، عملاً بالكتاب والسنة ، وأحسنًا السيرة ، ولم يعدوا السنة ، ثم توفاهما الله عز وجل رضى الله عنهما ، ثم ولي بعدها وال ، فأحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيروا ، ثم جاءونى فبايعونى ، فأشهدى الله عز وجل بالهدى : وأستعينه على التقوى .
ألا وإنَّ لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيام عليكم بحقه ، والتنفيذ لسنته ، والنصح لكم بالغيب ، والله المستعان ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

وقد بعثتُ إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً ، فوازرُوه^(٢) وكانفوه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى مُحسِنِكُمْ ، والشدة على مُريبِكُمْ ، والرفق بقوامِكُمْ وخوادمِكُمْ ، وهو من أرضى هديته ، وأرجو صلاحه ونصيحته ، أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زاكياً^(٣) ، وثواباً جزيلاً ، ورحمةً واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) رفة : أحسن إليه . (٢) وازره وكانفه : عاونه .

(٣) زاكياً : أى صالحاً ، والنجوم الزاهرة « عملاً صالحاً » .

وكتب عبید بن أبی رافع^(١) في صفر سنة ٣٦ هـ .

ثم قام قيس بن سعد خطيباً وأمر الناس بالبيعة فبايعوا ، وأستقامت له مصر ، وبعث عليها عماله إلا قريةً منها يقال لها خرّبتاً^(٢) فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان ، فبعثوا إليه : إنا لانقاتك فابعث عمالك فالأرض أرضك ، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلام يصير أمر الناس^(٣) ، فبعث إليهم : إني لا أكرهكم على البيعة ، وأنا أدعكم وأكف عنكم ، فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد من الناس ينازعه .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٧)

٤٨٨ - كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وخرج أمير المؤمنين عليّ إلى أهل الجبل ، وقيس على مصر ، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقل خلق الله على معاوية ، لقربه من الشام ، مخافة أن يقبل إليه عليّ في أهل العراق ، ويقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر ، فيتمع بينهما ، فكتب معاوية إلى قيس - وعليّ يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين - :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنكم إن كنتم فقمتم على عثمان بن عفان رضي الله عنه في أثره^(٤) رأيتموها ، أو غزبته سوطاً ضربتها ،

(١) وفي النجوم الزاهرة « وكتبه عبد الله بن أبي طالب » وفي ابن أبي الحديد « وكتبه عبد الله بن أبي رافع » . (٢) قرية بمديرية البحيرة مركز كوم حمادة .

(٣) ووثب مسعدة بن مخلد الأنصاري من رهط قيس بن سعد ، فمضى عثمان ودعا إلى الطلب يديه ، فأرسل إليه قيس : ويحك اعلني ثوباً فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر ، وأنتي قتلتك ، فبعث إليه مسعدة إني كاف عنك مادمت أنت والى مصر .

(٤) وفي النجوم الزاهرة « في أمور » .

أَوْ شَتِيمَةَ رَجُلٍ ، أَوْ فِي تَسْيِيرِهِ آخَرَ أَوْ فِي اسْتِعْمَالِهِ الْفُتَى مِنْ أَهْلِهِ ^(١) ، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ
 — إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ — أَنَّ دَمَهُ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكُمْ بِذَلِكَ ، فَقَدَرَكُمُ عَظِيمًا مِنَ
 الْأَمْرِ ، وَجِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ^(٢) ، فَتُبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، فَإِنَّكَ كُنْتَ
 فِي الْمُجَلِبِينَ ^(٣) عَلَى عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِنْ كَانَتْ التَّوْبَةُ مِنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ
 تُغْنِي شَيْئًا .

فَأَمَّا صَاحِبُكَ فَإِنَّا اسْتَيْقَنَّا أَنَّهُ الَّذِي أُغْرِيَ بِهِ النَّاسَ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ،
 وَأَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ دَمِهِ عَظْمُ قَوْمِكَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ يَا قَيْسُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَطْلُبُ بَدْمَ
 عُمَانَ فَافْعَلْ ، تَابِعْنَا عَلَى أَمْرِنَا ، وَلَكَ سُلْطَانُ الْعِرَاقَيْنِ إِذَا ظَهَرَتْ مَا بَقِيَتْ ، وَلِمَنْ

(١) الفتى جمع فتى ، وفي النجوم الزاهرة « أو شتمة شتمها ، أو في سيره ، أو في استعماله
 الراء ، علمتم . . . الخ » وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا
 كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه ، وكان مما ضمنوه كتابهم هتبه
 خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من إفشائه العمل
 والولايات في أهله وبنى عمه من بنى أمية وهم أحداث لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمر ،
 وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم ، ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد
 عثمان ، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا به ليدفعوه
 إلى عثمان والكتاب في يد عمار ، جعلوا يتسللون عنه حتى بقي وحده ، فضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن
 عليه فأذن له فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال :
 أنت كتبت هذا الكتاب؟ فقال : نعم ، قال : ومن كان معك؟ قال معى نفر تفرقوا فرقا منك ، قال : ومن
 هم؟ قال : لا أخبرك بهم ، قال : فلم اجزأت على من بينهم؟ فقال مروان ، إن هذا العبد الأسود (يعنى
 عمارا) قد جراً الناس عليك ، وإنا إن قتلته نكلت به من وراءه فقال عثمان : اضربوه ، فضربوه
 وضربه عثمان معهم حتى فتقوا طنه ، ففشى عليه ، فخره حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج
 النبي عليه الصلاة والسلام فأدخل منزلها — انظر الإمامة والسياسة ١ : ٢٦ — وما طعنوا به على عثمان تسييره
 أبانر الغفارى إلى الربذة — وقدما لك خبره في ص ٢٦٣ وقد فصل ابن أبى الحديد في شرحه لنهج البلاغة
 الكلام في المطاعن التي طعن بها على عثمان ، انظر م ١ : ص ٢٢٦ إلى ٢٤٥ ، وانظر أيضا العقد الفريد
 ج ٢ : ص ٢١٤ وتاريخ الطبرى ج ٥ : ١٠١ ومروج الذهب ج ١ : ص ٤٣٧ وغيره .

(٢) الإدا : : الأمر الفظيح المنكر .

(٣) الجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات ، وقد جلبوا كضرب ونصر وأجلبوا وجلبوا ، وفي النجوم

الزاهرة « فإنك ممن أعان على قتل عثمان » .

أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسألني غير هذا عما تحب ، فإنك لاتسألني شيئاً إلا أوتيتّه ، واكتب إلى برأيتك فيما كتبتُ به إليك ، والسلام .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٨٩ - رد قيس بن سعد على معاوية

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافع ولا يُبدي له أمره ، ولا يتعجل حربته ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من قتل عثمان رضي الله عنه ، وذلك أمرٌ لم أفرقه ولم أُطِف به ^(١) ، وذكرت أن صاحبِي هو الذي أغرمي الناس بعثمان ، ودَمَّهم إليه حتى قتلوه ، وهذا ما لم أُطَّلِع عليه ، وذكرت أن عظيمَ عشيرتي لم تَسَلَم من دم عثمان ، فلعمري إن أول الناس كان فيه قياماً عشيرتي ، ولهم أسوة ^(٢) غيرهم ، وأما ما سألتني من متابعتك على الطلب بدمه ، وما عرضتَ عليَّ من الجزاء به فقد فهمتُه ، وهذا أمرٌ لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يُسرَّع إليه ، وأنا كافٍ عنك ، ولن يأتيك من قبلي شيءٌ تكرهه حتى ترى ، ونرى إن شاء الله ، والمستخارُ الله عز وجل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٩٠ - رد معاوية على قيس

فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مُقارباً مُباعدًا ، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مُخادعاً مُكايِّداً ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد قرأتُ كتابك ، فلم أرك تدنو فأعدك ميامنًا ، ولم أرك تباعد

(١) قارف الذنب واقترفه : أتاه وفعله ، وأطاف به : ألم به وقاربه ، وفي النجوم الزاهرة « فأما ما ذكرت من أمر عثمان فذلك أمرٌ لم أفرقه ولم أُطِف به » - وتنظف بالأمر : تلتطخ به واتهم -
(٢) الأسوة بالكسر والضم : القدوة .

فَأَعَدَّكَ حَرْبًا ، أَنْتَ فِيهَا هَاهُنَا كَجِبِلِ الْجُرُورِ^(١) وَلَيْسَ مِثْلِي بِصَانِعِ الْخِدَاعِ ، وَلَا يَخْدَعُ
بِالْمَكَايِدِ ، وَمَعَهُ عَدَدُ الرِّجَالِ ، وَبِيَدِهِ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ^(٢) ، فَإِنْ قَبِلْتَ الَّذِي عَرَضْتُ عَلَيْكَ
فَلَا مَا أَعْطَيْتُكَ ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ مِصْرَ عَلَيْكَ خَيْلًا وَرِجَالًا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

٤٩١ - رد قيس على معاوية

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل منه المدافعة والمطالبة ،
أظهر له ذات نفسه ، فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد : فإن العجب من اغترارك بي ، وطمعك في ، واستسقاطك^(٣) رأيي ،
أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالإمرة ، وأقربهم للخلافة ، وأقربهم للحق ،
وأهداهم سبيلا ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، وأوفرهم
فضيلة ، وتأمرنى بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقربهم للزور ،
وأضلهم سبيلا ، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة ،
وَلَدٍ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ ، طَاغُوتٍ^(٤) مِنْ طَوَاغِيَتِ إبليس .

وأما قولك^(٥) إنك تملأ على مصر خيلا ورجالا ، فوالله إن لم أشغلك بنفسك ،

حتى تكون نفسك أهم إليك ، إنك لذو جد^(٦) ، والسلام .

فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه ، وثقل عليه مكانه .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

(١) الجرور البئر البعيدة القمر: يعني بذلك بعد غوره، وفي الطبري « كحكك الجزور » وهو تحريف .

(٢) وفي النجوم الزاهرة « وليس مثلي من يخدع ويبيده أعنة الخيل ومهه أعداد الرجال » وفي

الطبري « وليس مثلي بصانع الخداع ولا ينتزع للمكاييد » .

(٣) استسقطه وتسقطه : باءه على أن يسقط فيخطئ أو يكذب أو يبوخ بما عنده .

(٤) الطاغوت : الشيطان ، وكل رأس ضلال ، وفي ابن أبي الحديد : « ولديك قوم ضالون مضلون

طاغوت من طواغيت إبليس » . (٥) وفي النجوم الزاهرة « وأما قولك : معك أعنة الخيل وأعداد

الرجال ، انشغلن بنفسك حتى العدم » . (٦) الجد : الحظ .

٤٩٢ - كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وكتب معاوية إلى قيس حين بثس منه :

« أما بعد ، فإنما أنت يهودى ابن يهودى ^(١) ، تُشقى نفسك وتمتلها فيما ليس لك .
إن ظفراً أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ^(٢) ، وإن ظفراً أبغضهما إليك
قتلك ونكلك بك ^(٣) ، وقد كان أبوك وتر قوسه ^(٤) ، ورعى غرضه ، فأكثر الخبز
وأخطأ المفصل ^(٥) ، حتى خدله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات طريداً غريباً بحوران ^(٦) ،
والسلام . »

٤٩٣ - رد قيس بن سعد على معاوية

فكتب إليه قيس بن سعد :

« أما بعد ، فإنما أنت وثنى ابن وثنى ^(٧) دخلت في الإسلام كرها ، وأقت فيه
فرقا ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث

(١) عن معاوية بذلك أن يشبه قيساً وأباه باليهود ، وقد كانت اليهود تسكن الأنصار بالمدينة -
انظر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود وقد قدمناه في ص ٣١
(٢) وفي رواية ابن أبي الحديد « نبتك وغدرك » . (٣) وفي رواية للكامل « ومثل بك »
(٤) أوتر القوس : جعل لها وتراً ، ووترها توتيراً : شد وترها ، ووترها بترها : علق عليها
وترها ، وفي رواية الكامل « فوق سهمه » وفوق السهم جعل له فوقاً بالضم وهو موضع الوتر
من السهم .

(٥) عكس هذا في المدح قولهم للرجل إذا أصاب الحجية : إنه يطبق المفصل ، وقولهم للبليغ من
الرجال : قد طبق المفصل ، من طبق السيف بالثدي إذا أصاب المفصل فأبان العضو .

(٦) حوران بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق وذلك أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم
طمع سعد بن عباد في الخلافة وجلس في سقيفة بني ساعدة ليأيم لنفسه ، وتمت البيعة لأبي بكر فبايعه
الناس وعدلوا عن سعد ، فلم يبايع سعد أبابكر ولا عمر ، وسار إلى الشام فأقام به بحوران إلى أن مات
سنة ١٥ وقبل سنة ١٤ وقبل ١١ - انظر أسد الغابة ٢ : ٢٨٣ - .

(٧) وثنى : أى عابد وثن وهو الصنم ، وهذا باعتبار ما كان ، وإنما أراد قيس أن يرد به على قول
معاوية له : إنما أنت يهودى ابن يهودى .

فناقك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ولنبيه
وللمؤمنين من عباده ، وقد كان أبي وترَّ قوسه ، ورعى غرضه ، فشغب عليه^(١) من
لم يباغ كعبه ، ولم يشقَّ غباره ، ونحن أنصار الدين الذي منه خرجت ، وأعداء الدين
الذي فيه دخلت ، والسلام .

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته ، فقال له عمرو : مهلاً ، فإنك إن كاتبته
أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسك عنه .

(مروج الذهب ٢ : ٦٢ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٣ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، وعيون
الأخبار م ٢ : ص ٢١٢ ، والكامل للمبرد ١٥١ : ٢٥١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٥)

٤٩٤ - كتاب اختلقه معاوية على قيس بن سعد

ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره ، شقَّ عليه ذلك ، لما يعرف
من حزمه وبأسه ، وأظهر للناس قبيله إن قيس بن سعد قد تابعكم فادعوا الله له ، وقرأ
عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه .

واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد :
سلام عليك ، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنَّ قتلَ عثمانَ
كانَ حَدَثًا في الإسلامِ عَظِيماً ، وَقَدْ نَظَرْتُ لِنَفْسِي وَدِينِي فَلَمْ أَرَ يَسَعُنِي مَظَاهِرَةٌ^(٢) قَوْمٍ
قَتَلُوا إِمَامَهُمْ مُسْلِمًا مُحَرَّمًا^(٣) بَرًّا تَقِيًّا ، فَتَسْتَغْفِرُ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ لِدُنُوبِنَا ، وَنَسْأَلُهُ العِصْمَةَ
لِدِينِنَا ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَلْفَيْتُ إِلَيْكُمْ بِالسَّلَامِ^(٤) ، وَإِنِّي أَجِبْتُكَ إِلَى قِتَالِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ

(١) شغبهم وهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم ، ويقولون : طلب فلاناً فما شقَّ غباره
أى لم يدركه ، وفي رواية الكامل « وقد كان أبي فوق سهمه ، ورعى غرضه ، فسحبت (والظاهر أنه
خسفت) عليه أنت وأبوك ونظراؤك ، فلم تشقوا غباره ، ولم تدركوا شأوه . »
(٢) مظاهره : عاونه . (٣) المحرم الذي له حرمة ، والذي يحرم علينا قتاله .
(٤) السلم : الاستسلام .

رضى الله عنه ، إمام الهدى المظلوم ، فعولاً علىّ فيما أحببت من الأموال والرجال أعجّلهُ
إليك إن شاء الله ، والسلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

فشاع في أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية ، وسرّحت عيون علىّ إليه
بذلك ، فأعظمه وأكبره وتمجّب له ، ودعا بنيه ودعا عبد الله بن جعفر ، فقال : ما رأيكم ؟
فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، اعزل
قيساً عن مصر ، قال لهم علىّ : إني والله ما أصدق بهذا على قيس !

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠١)

٤٩٥ — كتاب قيس بن سعد إلى علىّ

فإنهم لكذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمّه الله أن قبلى
رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكفّ عنهم ، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر
الناس فتري ويروا رأيهم ، فقد رأيتُ أن أكفّ عنهم وألاً أنعجلَ حربهم ، وأن
أتألفهم فيما بين ذلك ، لعل الله عز وجل أن يقبلَ بتلوّبهم ، ويُفرّقهم عن ضلالتهم ،
إن شاء الله ، والسلام . »

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ما أخوفنى أن يكون هذا ممّالاً لهم
عنه ، فمرّه يا أمير المؤمنين بتناهم .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٦ — رد علىّ على قيس بن سعد

فكتب إليه علىّ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ : فسِرّ إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا
فيما دخل فيه المسلمون ، وإلاً فتأجّزهم إن شاء الله والسلام . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

(٣٠ — جبهة رسائل العرب — أول)

٤٩٧ - رد قيس بن سعد على عليّ

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب ، لم يتألك أن كتب إلى عليّ :
« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فقد عجبتُ لأمرِك ! أتأمرني بقتال قوم كافين عنك ،
مُفرّغيك لقتال عدوك ، لم يمدُّوا يداً للفتنة ، ولا أرضدُّوا لها ؟ وإنك متى حاربتهم
ساعدوا عليك عدوك ، فأطعتني يا أمير المؤمنين واكففت عنهم ، فإن الرأي ترَكُّهم ،
والسلام . »

فلما أتاه هذا الكتاب ، قال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد
ابن أبي بكر على مصر يكفك أمرها ، واعزل قيساً ، فبعث عليّ محمد بن أبي بكر^(١)
على مصر ، وعزل عنها قيساً .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٨ - عهد عليّ إلى محمد بن أبي بكر

فلما قدّم محمد بن أبي بكر مصر ، قرأ على أهلها عهده ، وفيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهدَ عبدُ الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمد
ابن أبي بكر ، حين وَّلاه مصر :

أمره بتقوى الله والطاعة في السرِّ والعلانية ، وخوفِ الله عزَّ وجل في المنعيب
والمشهد ، وباللّين على المسلم ، وبالغليظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمّة ،
وبالإنصاف للمظلوم ، وبالشدّة على الظالم ، وبالغفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع

(١) أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت من
المهاجرات إلى أرض الحبشة وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب ، ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل
جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر هذا عام حجة الوداع سنة ١٠ هـ ثم مات
عنها فتزوجها عليّ عليه السلام ، ونشأ محمد في حجره وكان عليّ يثنى عليه ويفرظه ويفضله ، وكان محمد
رحمه الله عبادة واجتهاد - انظر شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٣ .

والله يَجْزِي المحسنين ، وَيُعَذِّب المجرمين ، وأمره أن يدعوا من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظيم الثوبة ما لا يقدرون قدره ، ولا يعرفون كنهه ، وأمره أن يجزي خراج الأرض على ما كانت تُجزي عليه من قبل ، لا ينتقص منه ولا يتدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم جناحه ، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ، وليكن القريب والبعيد عنده في الحق سواء ، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتبع الهوى . ولا يخف في الله عز وجل لومة لائم ، فإن الله جل ثناؤه مع من اتقاه وآثر طاعته وأمره على ما سواه .

وكتب عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرقة شهر رمضان سنة ٥٣٦ هـ .

(تاريخ الطرى ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٥)

صورة أخرى

وروى الشريف الرضى في نهج البلاغة قال :

ومن عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر :

« فَأخْفِضْ لَهُم جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُم جَانِبَكَ ، وَأَبْسِطْ لَهُم وَجْهَكَ ، وَأَسِ بَيْنَهُمْ ^(١) فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ^(٢) ، وَلَا يَأْمَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسْأَلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ ، فَإِنْ يُعَذِّبُ فَاتِمُّ أَعْظَمُ ^(٣) ، وَإِنْ يَغْفُ فَبِهِرٌ أَكْرَمُ .

واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل

(١) آس بينهم : أى سو بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض .

(٢) أى فى جورك لأجلهم . (٣) أفل هنا بمعنى الصفة ، أى فأنتم الظالمون .

ما سَكِنَتْ ، وَأَكْلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ ،
وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَ الْجَبَّارَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْتَغَّى ، وَالْمُتَجَرِّ
الرَّابِحَ ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ ،
لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ،
وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ : خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ،
أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا ، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ^(۱) ؟ وَمَنْ أَقْرَبُ
إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ؟ وَأَنْتُمْ طَرْدَاهُ ^(۲) الْمَوْتَ ، إِنْ أَقْتَمْتُمْ لَهُ أَخْذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ
أَدْرَكَكُمْ ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ، وَالدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ
خَلْفِكُمْ ، فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا
رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ
مِنْ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ يَكُونُ حَسَنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ،
طَلَى قَدْرَ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسَ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ حَوْفًا لِلَّهِ .

واعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتكَ أعظمَ أجنادي في نفسي : أهلَ مصر ،
فأنت مُحْتَقِقٌ أَنْ تَخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُنَافِحَ ^(۳) عَنْ دِينِكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْقًا مِنْ غَيْرِهِ ،
وَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمَوْقِيتِ لَهَا ، وَلَا تَعْجَلْ وَقْتَهَا لِفِرَاقِهَا ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا
لِاسْتِفْغَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ .

ومنه : فإنه لا سواه إمامُ الهدى ، وإمامُ الردى ^(۴) ، ووليُّ النبي ، وعدوُّ النبي ،

(۱) أي من العامل لها . (۲) طرداه: جمع طريد، أي يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها .

(۳) أي حقيق وجدير وخليق ، وناخه : كاخفه ودافعه .

(۴) يعني بإمام الهدى نفسه ، وإمام الردى معاوية كما سيرد عليك بعد .

ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : «إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيْمَانِهِ ، وأما المُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ»^(١) ، ولكنني أخاف عليكم كلَّ منافقِ الجَنَانِ ، عالمِ اللسانِ ، يقول ما تعرِّفون ، ويفعل ما تُنْكِرُونَ .
(نهج البلاغة ٢ : ١٩)

٤٩٩ - كتاب عليّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر^(٢)

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب عليّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر :

« أما بعدُ ، فإني أوصيكم بتقوى الله والعملِ بما أتم عنه مسئولون ، فأنتم به رهنٌ ، وإليه صائرون ، فإن الله عز وجل قال : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » وقال : « وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ » وقال « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » فاعلموا عبادَ الله أن الله سائلُكم عن الصغير من أعمالكم والكبير ، فإن يُعَذَّبُ فنحن الظالمون ، وإن يُغْفِرَ وَيَرْحَمَ فهو أرحم الراحمين ، واعلموا أن أقرب ما يكون العبدُ إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة ، فعليكم بتقوى الله عز وجل فإنها تجمَعُ من الخير ما لا يجمَعُ غيرها ، ويدركُ بها من الخير ما لا يدركُ غيرها : خير الدنيا وخير الآخرة ، يقول الله سبحانه : « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » واعلموا عبادَ الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجلِ الخير وآجلِهِ ، شرِّكوا أهلَ الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم

(١) أي أن مظهر الشرك يخذه الله ويصرف قلوب الناس عن اتباعه لإظهاره كلمة الكفر ، فلا تظن قلوبهم إليه .

(٢) أرجح أن هذا الكتاب أصل للكتاب السابق له ، لاحتوائه على جل عباراته وزيادته عليه ، وقد آثرت أن أورد الكشايين جميعاً كما روي .

يقول الله عز وجل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ ، وَآكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ ، شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَأَكَلُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَأْكُلُونَ ، وَشَرَبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَشْرَبُونَ ، وَلبَسُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ ، وَسَكَنُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ ، أَصَابُوا لَذَّةَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَ أَنَّهُمْ غَدَاءٌ مِنْ حَيْرَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَتَمَنَّوْنَ عَلَيْهِ لَا يَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ لَذَّةً ، أَمَا فِي هَذَا مَا يَشْتَاقُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ ؟

واعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم ربكم ، وحفظتم نبيكم في أهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد ، وذكركتموه بأفضل ما ذكر ، وشكركتموه بأفضل ما شكر ، وأخذتم بأفضل الصبر ، وجاهدتم بأفضل الجهاد ، وإن كان غيركم أطول صلاة منكم ، وأكثركم صياماً ، إذ كنتم اتقى الله ، وأنصح لأولياء الله من آل محمد صلى الله عليه وآله وأخشع ، واحذروا عباد الله الموت ونزوله ، وخذوا له عدته ، فإنه يدخل بأمر عظيم : خير لا يكون معه شرٌّ أبداً ، أو شر لا يكون معه خير أبداً ، وليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلتين بصير : إلى الجنة أم إلى النار ؟ أعدوه هو الله أم ولي له ؟ فإن كان ولياً فتحت له أبواب الجنة ، وشرع له طريقها ، ونظر إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه فيها ، وفرغ من كل شغل ، ووضع عنه كل ثقل ^(١) ، وإن كان عدواً لله فتحت له أبواب النار ، وسئل له طريقها ، ونظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها ، واستقبل كل مكروه ، وفارق كل سرور ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » .

(١) الثقل : الحمل الثقيل .

واعلموا عبادَ الله أن الموت ليس منه قُوَّةٌ ، فاحذروه وأعدُّوا له عدَّتَه ، فإنكم حُرِّداه الموت ، إن أقمتم أخذكم ، وإن هرَبْتُم أدرككم ، وهو أَلْزَمُ لَكُمْ من ظَلَمِكُمْ ، مَعْقُودٌ بنواصِيِكُمْ ، والدنيا تُطَوَّى من خَلْفِكُمْ ، فأكثِرُوا ذِكْرَ الموت عند ما تُنَازِعُكُمْ إليه أنفسُكم من الشَّهَوَاتِ ، فإنه كَفَى بالموتِ وإِعْظَاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَكثِرُوا ذِكْرَ الموتِ فإنه هَادِمٌ للأذاتِ » ، واعلموا عبادَ الله أن ما بعد الموت أشدُّ من الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه ، واحذروا القبرَ وضَمَّتَه ، وضيقَه وظُلْمَتَه ، فإنه الذى يتكلم كل يوم بقول : « أنا بيت التراب ، وأنا بيت الغرْبَةِ ، وأنا بيت الدُّودِ » والقبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة ، أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النَّارِ ، وأن المسلم إذا مات قالت له الأرض : مَرَحَبًا وأهلاً ، قد كنتَ ممن أَحَبُّ أن تَمْشِيَ على ظهري ، فإذا وَلِيْتُكَ فستعلمُ كيف صُنِى بِكَ ، فتتَّسِعُ له مَدَّةَ بَصَرِهِ ^(۱) ، وإذا دُفِنَ الكافر . قالت له الأرض : لا مَرَحَبًا ولا أهلاً ، قد كنتَ ممن أَبْغَضُ أن تَمْشِيَ على ظهري ، فإذا وَلِيْتُكَ فستعلمُ كيف صُنِى بِكَ ، فتتَضَمُّ عليه حتى تلتقى أضلاعُه ، واعلموا أن المِيشَةَ الضَّنْكَ التى قال سبحانه : « فَإِنَّ لَهُ مِيشَةً ضَنْكاً ^(۲) » هى عذاب القبر ، وأنه يُسَلِّطُ على الكافر فى قبره حَيَاتٌ عظامٌ تنهشُ لحمه حتى يُبْعَثَ ، لو أن تَنِينًا ^(۳) منها نفخَ الأرضَ ما أنبَتَ الزرعُ أبداً .

واعلموا عبادَ الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التى يكفيتها اليسيرُ من العذاب ضعيفةٌ عن هذا ، فإن استطعتم أن ترَّحَمُوا أنفسكم وأجسادكم مما لا طاقةَ لكم به ، ولا صَبْرَ لكم عليه ، فتعملوا بما أَحَبَّ الله سبحانه ، وتتركوا ما كَرِهَ فافعلوا ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله .

واعلموا عبادَ الله أن ما بعد القبر أشدُّ من القبر ، يوم يشيب فيه الصغير ، ويسكرُ

(۱) أى قبر مد بصره . (۲) الضنك : الضيق فى كل شىء ، للذكر والأنثى .

(۳) أى حية عظيمة .

فيه الكبير ، وتذهل كَلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، واحذروا يوماً عبوساً قمطريراً^(١) ،
 كان شرُّه مُسْتَطِيراً^(٢) ، أما إن شرَّ ذلك اليومِ وفزعَه استطار حتى فزعت منه
 الملائكة الذين ليست لهم ذنوب ، والسَّبْعُ الشَّدَادُ ، والجبالُ الأوتادُ ، والأَرْضُونَ
 المِهَادُ^(٣) ، وأنشقت السماءُ فهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وتغيَّرت ، فكانت ورْدَةً كالدهانِ^(٤)
 وكانت الجبالُ سرَّاباً بعد ما كانت صُحماً صِلاباً ، بقول الله سبحانه : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
 فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ » فكيف بمن يعصيه
 بالسمع والبصر واللسان ، واليد ، والرجل ، والفرج ، والبطن ، إن لم يغفر الله وبرحمته؟
 واعلموا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدُّ وَأَذَى : نَارٌ قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وحرُّها
 شديدٌ ، وعذابُها جَدِيدٌ ، ومَقَامُهَا^(٥) حديدٌ ، ونيرانُها صَدِيدٌ ، لا يفتُرُ عذابُها ، ولا يموت
 ساكنُها ، دار ليست لله سبحانه فيها رحمةٌ ، ولا يسمع فيها دعوةٌ ، ومع هذا رحمةُ الله التي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لا تعجز عن العباد ، وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَيْرٌ
 لا يكون معه شرٌّ أبداً ، وشهوةٌ لا تنفدُ أبداً ، ولذَّةٌ لا تنفَى أبداً ، وتجمَعُ لا يتفرَّقُ
 أبداً ، قوم قد جاوروا الرحمن ، وقام بين أيديهم الغلمان ، بصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا الْفَاكِهَةُ
 وَالرَّيْحَانُ ، وأن أهل الجنة يزورون الجبَّارَ سبحانه في كل جُمعة فيكون أقربُهم منه
 على منابرٍ من نور ، والذين يلونهم على منابرٍ من ياقوت ، والذين يلونهم على منابرٍ
 من مسك ، فبيناهم كذلك ينظرون نور الله جَلَّ جَلَالُهُ ، وينظر الله في وجوههم ،
 إذ أقبلت سحابةٌ تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه
 إلا الله سبحانه ، ومع هذا ما هو أفضلُ منه : رِضْوَانُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ . أما إننا لو لم نخوف

(٢) أى منتشرأ

(١) أى شديد العبوس .

(٣) يشير إلى قوله تعالى « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً » وإلى قوله

« وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً » .

(٤) أى حمراء كالوردة مذابة كالدهن ، وهو اسم لما يدهن به وجهه أدهان ودهان ، والدهان

أيضاً : الأدم الأحمر . (٥) المقامع : جمع مقمعة ككفنة ، وهي عمود من حديد .

إلا ببعض ما خوَّفنا به لكننا محقِّقين أن يشتدَّ خوفنا مما لا طاقة لنا به ، ولا صَبْرَ لثَوْتنا عليه ، وأن يشتدَّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ، ولا بُدَّ لنا منه ، فإن استطعتم عباد الله أن يشتدَّ خوفكم من ربكم فافعلوا ، فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه ، وإن أحسنَ الناس لله طاعةً أشدُّهم له خوفاً .

وانظر يا محمدُ : صَلَاتك كيف تَصَلِّيها ، فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تُتِمَّها ، وأن تحفظها بالأركان ، وأن تَصَلِّيها لوقتها ، فإنه ليس من إمام يُصَلِّي بهموم فيكون في صَلَاتِهِ وَصَلَاتِهِمْ نَقْصٌ ، إلا كان إنَّمُ ذلك عليه ، ولا يَنْقُصُ من صَلَاتِهِمْ شَيْءٌ .
واعلم أن كل شَيْءٍ من عمَلِك يَتَّبِعُ صَلَاتك ، فمن ضيَّع الصلاة فهو لغيرها أشدُّ تضييعاً ، وَوُضُوئُك من تمام الصلاة نَأَتْ به على وجهه ، فالوضوء نصف الإيمان ، أَسْأَلُ الله الذي يَرَى ولا يَرَى ، وهو بالمتظر الأعلى ، أن يجعلنا وإياك من محبِّه ويرضاه ، حتى يَبْعَثَنَا على شكره وذكِّره وحسن عبادته وأداء حقه ، وعلى كل شَيْءٍ اختاره لنا في دُنْيَانَا وَدِينِنَا ، وَأَوْلَادِنَا وَأَخْرَانَا ، وأن يجعلنا من المتقين الذين لا خوْفٌ عليهم وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ .

فإن استطعتم بأهلٍ مصر أن تصدِّق أقوالكم وأفعالكم ، وأن يتوافق سيرُّكم وَعَلَانِيَتِكُمْ ، ولا تخالف السننكم قلوبكم فافعلوا ، رَحِمَكُمُ اللهُ وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ ، وَسَلِّكْ بِنَا وَبِكُمُ الْمَحَجَّةَ^(١) الْبَيْضَاءَ ، وَإِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْكَذَّابِ ابْنِ هِنْدٍ ، وَتَأَمَّلُوا واعلموا أنه لا سواه ، إمامُ الهدى وإمامُ الردى ، وَوَحْيُ النَّبِيِّ ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُحِبِّ وَبِرِّضَى ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيُخْزِيهِ اللهُ بِشُرْكَهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ أَلْسَانُهُ يَقُولُ مَا تَهْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تَنْكُرُونَ » .

(١) الحججة : جادة الطريق .

واعلم يا محمد أن أفضل الفقه الورع في دين الله ، والعمل بطاعته ، فعملك بتقوى الله في سِرِّ أمرِك وعلانيتك ، وأوصيك بسبع هُنَّ جوامِعُ الإسلام : آخِشَ الله ولا تَمُنَّشَ الناس في الله ، وخَيْرُ القول ما صدَّقه العملُ ، ولا تقضِ في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتنافضَ أمرُك ، وتزيعَ عن الحق ، وأحِبَّ لعامة رعيَّتِك ما تُحِبُّه لنفسك ، واكْرَهْ لهم ما كرهَ لنفسك ، وأصلِحْ أحوال رعيَّتِك ، وخُضِرِ الفمَّراتِ إلى الحق ، ولا تَمَخَّفْ لَوْمَةَ لَأْمٍ ، وأنصَحْ لمن استشارك ، واجعل نفسك أُسْوَةً لقريب المسالمين وبعيدهم ، جعل الله خلَّتنا^(١) ووَدَّنا خُلَّةَ المتقين ووَدَّ المُخْلِصِينَ ، وَجَمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي دَارِ الرِّضْوَانِ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٦)

٥٠٠ - كتاب علي إلى أهل مصر

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم فيه ويخاطب محمداً أيضاً فيه :

« أما بعدُ : فإني أوصيكم بتقوى الله في سِرِّ أمرِك وعلانيتك ، وعلى أي حال كنتم عليها ، وليعلم المرء منكم أن الدنيا دارُ بلاءٍ وفناء ، والآخرة دارُ جزاءٍ وبِقاء ، فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفتنى فليفعل ، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفتنى ، رزقنا الله وإياكم بصراً لما بهرنا وقهما ما فتمنا ، حتى لا نقصر عما أمرنا ، ولا نتعدى إلى ما نهانا

واعلم يا محمد : أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا ، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوَجُ ، فإن عَرَضَ لك أمران : أحدهما للآخرة ، والآخر للدنيا ، فابداً

(١) الخلة : الصداقة المختصة لا تخل فيها .

بأمر الآخرة ، ولتَعْظُمَ رغبتك في الخير ، ولتَحْسُنَ فيه نيتك ، فإن الله عز وجل يُعْطِي العبدَ عَلَى قدر نيتِهِ ، وَإِذَا أَحَبَّ الخَيْرَ وَأَهْلَهُ ولم يَعْمَلْهُ كانَ إن شاء الله كمن عَمِلَهُ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رَجَعَ من تبوك : « إن بالمدينة لَأَقْوَامًا : ما مِيرَتُم من مَسِير ، ولا هَبَطَتُم من وادٍ إلا كانوا معكم ، ما حَبَسَهُم إلا للمرضُ ، يقول : كانت لهم نيةٌ . »

ثم أعلم يا محمدُ أنِّي قد وُلِّيتُكَ أعظمَ أجنادِي : أهلَ مصر ، وولَّيتُكَ ما وُلِّيتُكَ من أمرِ الناسِ ، فأنتَ محقوقٌ أن تخافَ فيه على نفسك ، وتَحذَرَ فيه على دينك ، ولو كان ساعةً من نهار ، فإن استطعتَ أن لا تُسَخِّطَ رَبَّكَ لِرضا أحدٍ من خلقه فافعل ، فإن في الله خَلْفًا من غيره ، وليس في شيء خَلْفٌ منه ، فاشتدَّ على الظالم ، ولينٌ لأهل الخير ، وقربٌ بهم إليك ، واجعلهم بِطانتك وإخوانك ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٦)

٥٠١ - كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

وروى أن محمد بن أبي بكر لما وصل إلى مصر كتب إلى معاوية كتابا فيه :
« من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي^(١) معاوية بن صخر : سلام على أهل طاعة الله من هو سِلمٌ لأهل ولاية الله ، أما بعد ، فإن الله بجلاله وعظَمته وسلطانهِ وقدرته ، خلقَ خلقه بلا عيبٍ منه . ولا ضعف في قوته ، ولا حاجةً به إلى خلقهم ، لكنه خلقهم عبداً وجعل منهم غويًّا ورشيذاً ، وشقيًّا وسعيداً ، ثم اختار على علمٍ فاصطنع وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فاخصه برسالته ، واختاره لوحيه ، وأتمنه على أمره ، وبعثه رسولا ومُبَشِّرًا ونذيراً مصدِّقا لما بين يديه من الكتب ، ودائلا على الشرائع ، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أوَّلَ من أجاب وأُنبأ وأمنَ وصدَّقَ

(١) أي الضال ، وصف من الغواية بالفتح .

وَأَسْلَمَ وَسَلَّمَ ، أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَدَّقَهُ بِالْغَيْبِ الْمَكْتُومِ ، وَآثَرَهُ عَلِيُّ كُلَّ حَجِيمٍ ، وَوَقَّاهُ بِنَفْسِهِ كُلَّ هَوْلٍ ، وَوَأَسَّاهُ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ خَوْفٍ ، وَحَارَبَ حَرْبَةً ، وَسَالَمَ سِلْمَةً ، فَلَمْ يَبْرَحْ مُبْتَدِلًا لِنَفْسِهِ فِي سَاعَاتِ الْأَزْلِ^(١) وَمَقَامَاتِ الرَّوْعِ ، حَتَّى بَرَزَ سَابِقًا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جِهَادِهِ ، وَلَا مُقَارِبَ لَهُ فِي فِعْلِهِ .

وَقَدْ رَأَيْتُكَ تُسَامِيهِ ، وَأَنْتَ أَنْتَ ، وَهُوَ هُوَ السَّابِقُ الْمُبْرِزُ فِي كُلِّ خَيْرٍ ، أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ نِيَّةً ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ ذُرِّيَّةً ، وَخَيْرُ النَّاسِ زَوْجَةً ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ ابْنَ عَمٍّ ، أَخُوهُ الشَّارِي^(٢) لِنَفْسِهِ يَوْمَ مَوْتِهِ ، وَعَمُّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَأَبُوهُ الذَّابُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حَوَازَتِهِ ، وَأَنْتَ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ^(٣) ، لَمْ تَزَلْ أَنْتَ وَأَبُوكَ تَبْغِيَانِ لِدِينِ اللَّهِ الْغَوَائِلَ^(٤) ، وَتَجْهَدَانِ فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ ، تَجْمَعَانِ عَلَى ذَلِكَ الْجُمُوعِ ، وَتَبْذُلَانِ فِيهِ الْمَالَ ، وَتَوَلَّيَانِ عَلَيْهِ الْقِبَائِلَ ، عَلَى هَذَا مَا تَأْبُوكُ وَعَلَى ذَلِكَ خَافَتَهُ ، وَالشَّاهِدُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ مِنْ تَدْنِي وَيَلْجَأُ إِلَيْكَ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ وَرُؤَسَاءِ النِّفَاقِ وَالشُّقَاقِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالشَّاهِدُ لِعَلِيٍّ مَعَ فَضْلِهِ الْمُبِينِ وَسَابِقَتِهِ الْقَدِيمَةِ أَنْصَارُهُ الَّذِينَ مَعَهُ ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فَفَضَّلَهُمْ وَأَثَنَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَهَمَّ مَعَهُ كِتَابٌ وَعَصَائِبٌ بِجَالِدُونَ حَوْلَهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، وَيُهْرَبُونَ دِمَاءَهُمْ دُونَهُ ، يَرَوْنَ الْحَقَّ فِي اتِّبَاعِهِ ، وَالشَّقَاءَ^(٥) فِي خِلَافِهِ ،

(١) الْأَزْلُ : الضِّيْقُ وَالشَّدَّةُ ، وَالرَّوْعُ : الْفَزَعُ . وَفِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ « فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْحُضُوعِ ، حَتَّى بَرَزَ سَابِقًا لَا نَظِيرَ لَهُ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ » وَبَرَزَ : فَاقَ عَلَى أَصْحَابِهِ .

(٢) شَرَاهُ بِشْرِيهِ : اشْتَرَاهُ وَبَاعَهُ ضِدًّا . وَالْمُرَادُ هُنَا الثَّانِي ، قَالَ تَعَالَى : « وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ » أَيْ يَبِيعُهَا ، وَقَالَ : « وَشَرَوْهُ بِشَمَنِ بَخْسٍ » أَيْ بَاعُوهُ ، وَأَخُوهُ : هُوَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَاتَلَ يَوْمَ مَوْتِهِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ - انْظُرْ ص ٣٩٥ .

(٣) جَاءَ فِي مَقَالِ خَاطِبِ بَيْتِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَاوِيَةَ . « وَأَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا مَعَاوِيَةَ : أَنْذَرَكَ يَوْمَاجَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ ، وَأَنْتَ تَسُوقُهُ ، وَأَخُوكَ عَتَبَةٌ هَذَا يَقُودُهُ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّاكَبَ وَالْفَائِدَ وَالسَّائِقَ ؟ » انْظُرْ تَمْرِحَ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ ص ٢ : ص ١٠٢ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الدَّوَاهِي ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « وَتَخَالِفَانِ فِي ذَلِكَ الْقِبَائِلَ » .

(٥) وَفِيهِ « يَرَوْنَ الْفَضْلَ فِي اتِّبَاعِهِ ، وَالشَّقَاءَ وَالْعَصِيَانَ فِي خِلَافِهِ » .

فكيف يالك الويلُ تعَدِلُ^(١) نفسك بعلى وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيِّه وأبو ولده ، وأول الناس له اتبانا ، وأقربهم به عهداً ، يُخبره بسرّه ، ويُطلِّعه^(٢) على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه .

فتمتّع في دنياك ما استعطتَ بباطلك ، ولئيمدِّدك بن العاص في غوايتك ، فكانَ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يتبين لك لمن تكون العاقبةُ العليا ! واعلم أنك إنما تكايد ربك الذى قد أمّنت كيده ، وأيسّتَ من رَوْجِهِ ، وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتبع الهدى .

(مروج الذهب ٢ : ٥٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٣)

٥٠٢ — رد معاوية على محمد بن أبي بكر

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن صخر إلى الزّارى^(٣) على أبيه محمد بن أبي بكر : سلام على أهل طاعة الله .

أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكّر فيه ما آله في عظّمته وقدرته وسلطانة ، وما أصنّف^(٤) به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير ألفتّه ووضعته ، لرأيتك فيه تضييفٌ ، ولأبيك فيه تعنيفٌ ، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصرتّه له ، ومواساته إياه في كل هول وخوف ، فكان احتجاجك على ونفرك بفضلك لا بفضلك ، فأحمدُ ربّاً صرفَ هذا الفضلَ عنك وجعله لغيرك ، فقد كذا وأبوك معناني حياة نبينا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه عليه

(١) أى تسوى . (٢) وفي ابن أبي الحديد « ويشركه في أمره » .

(٣) زرى عليه : عابه . (٤) أصفاه بكذا : آثره .

الصلاة والسلام ما عنده ، وأتمم له ما وعدده ، وأظهر دعوته ، وأفلج^(١) حجته ، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه ، كان أبوك وفاروقه أول من ابتزاه حقه^(٢) ، وخالفه على أمره ، على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم إنهما دعواهما إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به المموم ، وأرادا به العظيم ، ثم إنه بايعهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما^(٣) ، ولا يطلعا على سرهما ، حتى قبضهما الله ، وانقضى أمرهما ، ثم قام ثائهما عثمان فهدى بهديهما ، وسار بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي ، من أهل المعاصي ، فطلبتما له الفوائل ، حتى بلغتما فيه مناكا .

نخذ حذرک یا بن ابی بکر ، فستری ونبال أمرک ، وقس شبرک بفتک تقصر عن أن توازی أو تساوی من یزین الجبال حله ، ولا تلین علی قسر^(٤) قناته ، ولا یدرک ذو مدی^(٥) أناته ، أبوک مهده مهاده ، وبنی ملکه وشاده ، فإن یک مانحن فی صوابا فأبوك أوله ، وإن یکن جورا فأبوك أسه^(٦) ، ونحن شرکاؤه ، فبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوک من قبل ما خالفنا ابن أبی طالب ، ولسلنا إليه ، ولكننا رأينا أباک فعل ذلك به من قبلنا ، فاحتدینا مثاله ، واقتدینا بفعله ، فعب أباک بما بدالك أو دغ ، والسلام علی من أناب ، ورجع من غوايته وتاب .

(مروج الذهب ٢ : ٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٨٤)

(١) أي نصرها . (٢) أي سلبه إياه .

(٣) أقول: وكيف يتفق هذا مع ما عرف من أن عمر رضي الله عنه كان يستشير في مهام أموره، فيشير عليه بالرأي السديد والفكر الناضج ، من ذلك استشارته لإياه حين أزمع أن يتوجه لغزو الفرس بنفسه وأشار عليه الإمام برأي حكيم حصيف - انظر نهج البلاغة ١ : ١٥٥ - .

(٤) القسر: القهر والإكراه . (٥) وفي مروج الذهب « ذو مقال » .

(٦) وفيه : « فإن يك مانحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شرکاؤه » .

٥٠٣ - كتاب علي إلى الأشتر

وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علياً وثوب أهلها عليه^(١)، وكان علي حين انصرف من صفين رد مالك بن الحارث الأشتر على عمله بالجزيرة، فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى الأشتر - وهو يومئذ بنصيبين^(٢) :

« السلام عليك يا مالك، أما بعد : فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة^(٣) الأئيم، وأسد به الثغر المخوف، وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث السن غير ليس بذى تجربة للحرب، ولا بمجرب للأشياء، فاقدم علي لينظر فيما ينبغي، واستخلف علي عمك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك، والسلام » .

فأقبل إليه، فقال له : ليس لها غيرك، وولاه إياه، فخرج الأشتر إلى مصر، ولكنه مات بالعريش مسموماً^(٤) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٣)

(١) وذلك أن محمد بن أبي بكر لم يلبث بعد توليه مصر شهراً كاملاً، حتى بعث إلى أوائك القوم المعتزلين بخرتبا - الذين كان قيس وادعهم - فقال : يا هؤلاء، إما أن تدخلوا وطاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه : إنا لا نفعل، دعنا حتى ننظر إلام نصير إليه أمورنا؟ ولا تعجل بخرتبا، فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم، فكانت وقعة صفين، وهم لمحمد هائبون، فلما أتاهم صر معاوية وأهل الشام لعل، وأن علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام، وصار أمرهم إلى الحكومة، اجترهوا على محمد بن أبي بكر، وأظهروا له البارزة، فبعث إليهم الحارث بن جهمان الجعفي فقاتلهم فقتلوه، ثم بعث إليهم رجلاً من كلب يدعى ابن مضام فقتلوه، ثم خرج معاوية بن حديج الكندي فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فأجابته ناس آخرون، وفستت مصر على ابن أبي بكر - انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٢ و ٦ : ٥٤ - . (٢) مدينة من بلاد الجزيرة .

(٣) النخوة. الكبر والظلمة، وقعه كنعته : فهره وذلكه والثغر : موضع المخافة من فروج البلدان . (٤) وذلك أن الأشتر لما تهيأ للخروج إلى مصر، أتت معاوية عيونته، فأخبروه الخبر، فعظم ذلك عليه، وكان قد طمع في مصر، وعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، وصار الأشتر بجيش إلى مصر، فبعث معاوية إلى دهقان بالعريش، فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر، فإن أنت كفيئته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فلما نزل الأشتر العريش، سأل الدهقان :

٥٠٤ - كتاب علي إلى أهل مصر

عن مَوْلَى للأشتر قال : لما هلك الأشتر وجدنا في ثَقَلَه ^(١) رسالة علي إلى أهل مصر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غَضِبُوا الله حين عَصَى في أرضه ^(٢) وذُهِبَ بِحَقِّه ، فضرب الجور سُرَادِقَه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظالمين ، فلا معروف يُسْتَرَاخ إليه ، ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عنه .

سلام عايكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيام الخوف ، ولا يَنْكَلُ عن الأعداء ساعات الرَوْع - مدار الدَّوَاثِر ^(٣) ، أشدَّ على الفجَّار ، من حريق النار ، وأبمد الناس من دَنَسٍ أو عار ، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابَقَ الحقُّ ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا كَلِيلَ الظُّبَّةِ ^(٤) ولا نَابِي الصَّرِيبة ، حَكِيمٌ في السِّلم ، رَزِينٌ في الحرب ، ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ ، وَصَبْرٍ جَمِيلٍ ، فَإِنْ أَمَرَكُم أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُم أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا ، فإنه لا يُقَدِّم ، ولا يُخَجِّم ، ولا يُؤَخِّر ، ولا يُقَدِّمُ إلا عن أمرى ،

= أى الطعام والشراب أحب إليه ؟ فقيل : العسل ، فاستقبله ، وقال : أنا رجل من أهل الخراج ، وأنا من أمة علي ، حتى إذا طعم أناه بشربة من عسل قد جعل فيها سما ، فسقاه إياها ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وبلغ ذلك معاوية فقال : إن لله جنوداً منها العسل . انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤ ومروج الذهب ٢ : ٢٩ - . (١) الثقل : متاع المسافر .

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه : هذا الفصل يشكك على تأويله ، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصى في الأرض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالمعصيان وإتيان النكر ، ويمكن أن يقال - وإن كان متمصفاً - إن الله تعالى عصى في الأرض لا من عثمان ، بل من ولاته وأمرائه وأهله ، وذُهِبَ بينهم بحق الله ، وضرب الجور سُرَادِقَه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر والمقيم والظالمين ، فشاع النكر وفقد المعروف الخ .

(٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : نكس وجبن ، والرَّوع : الفزع ، والدَّوَاثِر : جمع دائرة وهي الهزيمة . (٤) الظبة : حد السيف ، والصربية : ما يضرب بالسيف ، وناب السيف عن الصربية : كل ولم يقطع ، والمبى ولا ناب عن الصربية .

وقد آثرتمكم به على نفسى لنصيحتي لكم ، وشدة شكيمته^(١) على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم على اليقين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٩ و ص ٣٠)

٥٠٥ - كتاب آخر إلى أهل مصر

وروى الشريف الرضى في نهج البلاغة أيضاً أن علياً عليه السلام كتب إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها :

« أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، ومهيئنا^(٢) على المرسلين ، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعى^(٣) ، ولا يخطر ببالى أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم منجوه^(٤) عنى من بعده ، فما راعنى إلا انثيال الناس على فلان^(٥) يبايعونه فأمسكت يدي ، حتى رأيت راجعة الناس^(٦) قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه نلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به على أعظم من قوت ولايتكم التى إنما هى متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتشع^(٧) السحاب ، فنهضت فى تلك الأحداث ، حتى زاح^(٨) الباطل وزهق ، واطمان الدين وتنهنه^(٩) . ومنه :

(١) الشكيمة فى الأصل : حديدة الميخام المعترضة فى فم الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبى لايقاد .

(٢) المهيئ : الشاهد ، والنبي عليه الصلاة والسلام شاهد برسالة المرسلين قبله ، قال تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » أى تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك .

(٣) الروح : القلب . (٤) أى مبعدوه . (٥) أى انصبا بهم على أبى بكر من كل وجه .

(٦) يعنى أهل الردة . (٧) أى يتكشف . (٨) زاح يزيج : بعد وذهب كاتزاح .

(٩) تنهنه : سكن ؛ وأصله الكف ، تقول نهيت السبع فتنهنه : أى كف عن حركته ، فكان الدين كان متحركاً مضطرباً فكن وكف عن ذلك الاضطراب .

«إِنِّي وَأَقْبَلُ لَوْ لَقِيْتَهُمْ وَاحِدًا، وَهَمَّ طِلَاعٌ»^(۱) الأَرْضَ كُلَّهَا، مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ،
وإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالْمُهْدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، كَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، وَيَقِينِ
مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلَكِنِّي آسَى^(۲)
أَنْ يَبْلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَفَهًا وَهَذَا وَفُجَّارَهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا^(۳) وَعِبَادَةَ خَوَلَا،
وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا، فَإِنْ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدًّا
فِي الْإِسْلَامِ^(۴)، وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَاخُ^(۵)، فَلَوْلَا ذَلِكَ
مَا أَكْثَرَتْ تَأْلِيْبِكُمْ^(۶) وَتَأْنِيْبِكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيْبَكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ إِذَا أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

(۱) طلاع الشيء : ملؤه . (۲) أسى يأسى كفرح : حزن .

(۳) دولا : جمع دولة بالضم ، يقال : صار النوى دولة بينهم : أى يتداولونه ، يكون مرة لهؤلاء ،
ومرة لهؤلاء ، والحول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، وحرىبا أى أعداء .

(۴) يعنى الوليد بن عقبة بن أبى معيط - انظر ما قدمناه فى ص ۲۶۰ -

(۵) رضخ له من ماله كمنع : أعطاه ، والرضيخة : العطية المقاربة ، والجمع رضائح ، وقوله « من لم
يسلم » يصح أن يكون على حقيقته أو أن يكون معناه من لم يثبت على إسلامه ، يعنى أن من أنصار معاوية
وأشياعه قوما من المؤلفة قلوبهم الذين استسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وورغبتهم فى الإسلام بما أعطاهم
من غنائم حنين (وكانت غزوة حنين سنة ثمان بعد فتح مكة) وكان معاوية وأبوه أبو سفيان
من المؤلفة قلوبهم الذين نالوا عطاء الرسول . روى الطبرى قال : « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرفا من أشرف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب
مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير . . . إلى آخر الخبر - انظر تاريخ الطبرى ج ۳ : ص ۱۳۶ ،
وانظر أيضاً سيرة ابن هشام ج ۲ : ص ۳۲۰ ، وقال ابن أبى الحديد : « فأما الذى رضخت له على الإسلام
الرضائح فمعاوية . . . »

وقال أيضاً : « وقال الراوندى : عنى بقوله رضخت لهم الرضائح عمرو بن العاص ، وليس بصحيح ،
لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح ، وأصحاب الرضائح كلهم بعد الفتح صونوا على الإسلام بغنائم حنين ، ولعمري
إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضاً ، إلا أنه لم يكن عن رضيحة . . . وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده
فى تفسيره : « قالوا إن عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبى فلما أعطاه أسلم » وقد عرفت ما فيه وتعب ابن
أبى الحديد الراوندى أيضاً فقال : « فأما الذى شرب الحرام فقد قال الراوندى هو المنيرة بن شعبة ، وأخطأ
فما قال ، لأن المنيرة إنما آتهم بالزنا ولم يحد ، ولم يجر للمنيرة ذكر فى شرب الخمر ، وأيضاً فإن المنيرة
لم يشهد صفين مع معاوية ولا مع على عليه السلام ، وما للراوندى ولهذا ؟ لا نعرف هذا الفن أربابه اه »
وقد ذكر فى مقدمة شرحه أن الراوندى (وقد شرح نهج البلاغة قبل ابن أبى الحديد) كان من فقهاء
الإمامية ، وأنه اقتصر مدة عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده .

(۶) التأليب : التعريض والإغراء .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَفِصَتْ ، وَإِلَىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتُتِحَتْ ، وَإِلَىٰ مَمَالِكِكُمْ تَزُورُ ^(١) وَإِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ؟ انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَتَأَقَّلُوا إِلَىٰ الْأَرْضِ ، فَتَقَرُّوا ^(٢) بِالْخَسْفِ ، وَتَبْوَسُوا بِالْفُلِّ ، وَيَكُونَ نَصِيبِكُمُ الْأَخْسَىٰ ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمِّ عَنْهُ ، وَالسَّلَامُ .
(نهج البلاغة ٢ : ٨٦)

٥٠٦ - كتاب علي إلى محمد بن أبي بكر

ولما بلغ محمد بن أبي بكر أن علياً قد بعث الأشتر شقاً عليه ، فكتب علي إليه حين بلغه موجدته لقدم الأشتر عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر . سلام عليك ، أما بعد : فقد بلغني موجدتك ^(٣) من تسريحي الأشتر إلى عمك ، وإني لم أفعل ذلك استقباطاً لك في الجهاد ، ولا استزادة لك مني في الجدة ، ولو نزعْتُ ما تحت يدك من سلطانك ، لوليتك ما هو أيسرُ عليك منونةً ، وأعجبُ إليك منه ولايةً .

ألا إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر ، كان لنا رجلاً مناصحاً ، وعلى عدونا شديداً ناصحاً ، فرحمه الله ، فلقد استكمل أباتمه ، ولآقى حمامه ^(٤) ونحن عنه راضون ، أولاه الله رضوانه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب ، فأصحر ^(٥) لعدوك ، وامض علي بصيرتك ، وشمرَّ لحرب من حاربك ، وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة

(١) أي تقيض .

(٢) يصح أن يكون « فتقروا » بفتح التاء والقاف أي تقيموا ، وأن يكون بضم التاء وكسر القاف أي تغزوا ، والخسف : الذل ، والأرق : الماهر هذا وقد أورد الشريف الرضي في نهج البلاغة (ج ٢ : ص ٥٩ - ٨٠) عهداً مطولاً كتبه علي عليه السلام للأشتر المنخني لما ولاه على مصر وأعمالها ، وقد كتبت كلمة عن هذا العهد في كتابي « ترجمة علي بن أبي طالب » ص ١٢٨ فارجع إليه .

(٣) أي من غضبك ، والتسريح : الإرسال . (٤) الحمام : الموت .

(٥) أي كن من أمره على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل : إذا خرج إلى الصحراء ، وفي رواية الطبري « اصبر لعدوك » .

والموعظة الحسنة ، وأكثر ذكر الله ، والاستعانة به ، والخوف منه ، بكفك ما أتممك ، ويعينك على ما ولأك ، أعاننا الله وإياك على ما لا يُقال إلا برحمته ، والسلام عليك .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٢ وتاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٠)

٥٠٧ - رد محمد بن أبي بكر على علي

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله غيره ، أما بعد : فإني قد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين : وفهمته وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين ، ولا أجهد على عدوه ، ولا أراف بوليته مني .

وقد خرجت ففسكرت ، وآمنت الناس ، إلا من نصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خِلافاً ، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين ، وحافظه ، وملتجئ إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كل حال ، والسلام عليك » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٠)

٥٠٨ - كتاب معاوية إلى مسلمة بن مخلد

ومعاوية بن حديج

وكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن حديج الكندي وكانا بمصر قد خانفا علياً كما قدمنا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الله عز وجل قد ابتعثك^(١) لأمر عظيم ، أعظم به أجر كما ، ورفع به ذكر كما ، وزين كما به في المسلمين^(٢) ، طلبتما بدم الخليفة

(١) أي بينكما . (٢) وفي ابن أبي الحديد « ورفع درجتكما ومررتكما في المسلمين » .

المظلوم ، وغضبتما لله إذ ترك حُكْمَ الكتاب ، وجاهدتما أهلَ البغي والعدوان ، فأبشروا برضوان الله ، وعاجلِ نُصرةِ أولياء الله ، والمُواساةِ لكما في الدنيا وسلطاننا ، حتى يَنْتَهِيَ ذلك إلى ما يُرضيكما ، ونؤدِّيَ به حَقكما ، فالزَمَا أمركما ، وجاهدَا عدوكما ، وادعُوا المُدْبِرَ إلى هداكما ، فَكَأَنَّ الجَيْشَ قد أَطْلَقَ عَلَيْكما ، فانتشِعَ كل ما تَكْرَهُان ، وكان كل ما تَهْوَيَان ، والسلام عَلَيْكما ، ورحمة الله .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣١)

٥٠٩ - رد مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج على معاوية

فكتب مسلمة عن نفسه ، وعن معاوية بن حديج :

« أما بعد : فإن هذا الأمر الذى بَدَلْنَا^(١) له أنفسنا ، واتَّبَعْنَا أمر الله فيه ، أمرٌ نرجو به ثوابَ رَبِّنا ، والنصر على من خالفنا ، وتمجيل النِّقمة لمن سَعَى على إمامنا ، وطأطأ^(٢) الرَّكْضَ فى مهادنا ، ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفينا مَنْ كان به من أهل البغي ، وأنهبنا من كان به من أهل القِسْطِ والعدل .

وقد ذكرتِ المِواساةَ فى سلطانك ودنياك ، وتالله إن ذلك لأمرٌ ماله نهبنا ، ولا إياه أردنا ، فإن يجمع الله لنا ما نطلب ، ويؤتينا ما تمنينا ، فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين ، وقد يؤتيهما الله جميعاً عالماً من خلقه ، كما قال فى كتابه - ولا خُلفَ لموعوده - : « فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

عَجَّلْ عَلَيْنَا خَيْلَكَ وَرَجْلَكَ ، فإن عدونا قد كان علينا حرباً ، وكنا فيهم قليلاً ، فقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحنا لهم مُقَرَّبِينَ^(٣) ، فإن بَاتِنَا اللهُ بِمَدَدٍ مِنْ قِبَلِكَ ، يفتح الله عليكم ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بالله ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، والسلام عليك .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣١)

(١) وفيه « فإن هذا الأمر الذى قد تبدلنا أنفسنا ، وابتغيانا الله به على عدونا .

(٢) ظأطأ فرسه : تمزقه بفضديه وحركه للعدو ، وركض الدابة كنصر : ضرب جنبيها برجله واستحثها للعدو . وفى الطبرى « فى جهادنا » .

(٣) أقرن للأمر : أطاله وقوى عليه ، وفى ابن أبي الحديد « منابذين » .

٥١٠ - كتاب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر

فبعث معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في ستة آلاف، (سنة ٣٨ هـ) وسار عمرو حتى نزل أدارني أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر:

« أما بعدُ : فتنحَّ عني بدمك يا بن أبي بكر ، فإنني لا أحبُّ أن يُصيبك مني ظفرٌ^(١) ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مُسلموك^(٢) لو قد التقت حلقنا البطان^(٣) ، فأخرج منها فإني لك من النَّاصحين ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ١٤٢ ،
والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٣٢)

٥١١ - كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه ، وهو :

« أما بعدُ : فإنَّ غيب^(٤) البغي والظلم عظيمُ الوَبَال ، وإن سَفَكَ الدم الحرام لا يَسْلَمُ صاحبه من النَّقْمَةِ في الدنيا ، ومن التَّبعَةِ المُوَبَّقَةِ^(٥) في الآخرة ، وإنا لا نعلم أحداً كان أعظمَ على عثمانَ بغيًّا ، ولا أسوأَ له عيبًا ، ولا أهدأَ عليه خِلافًا منك ، سَعَيْتَ عليه في الساعين ، وساعدتَ عليه مع المساعدين ، وسفكتَ دمه مع السافكين ، ثم أنت تظن أني عنك نائمٌ ، أو ناسٍ لك ، حتى تأتي فتأمراً على بلاد أنت فيها جاري ، وجُلُّ أهلها أنصاري ، يروُن رأبي ، ويرقبون قولي^(٦) ، ويستصرخونني^(٧) »

(١) وفي النجوم الزاهرة « قلامة ظفر » وقلم الظفر : قطع ما طال منه ، والقلامة بالضم : ما سقط منه . (٢) أسلمه : خذله . (٣) البطان : حزام القتب ، ومن أمثال العرب : « التقت حلقنا البطان » وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتد ، كقولهم : بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطيين . (٤) أي طاقية ، (٥) أي المهلكة . (٦) وفي ابن أبي الحديد « ويرفضون قولك » (٧) استصرخه : استفاله .

عليك ، وقد بعثتُ إليك قوما حِنَاقًا عليك ، يَسْتَسْقُونَ^(١) دمك ، ويتقربون إلى الله
بجهادك ، وقد أعطوا الله عهدًا لِيُمَثِّلَنَّ^(٢) بك ، ولو لم يكن منهم^(٣) إليك ما عدا
قتلك ، ما حذرتك ولا أنذرتك ، ولأحبتُ أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك
على عثمان ، يوم يُطعن بِمَشَاقِصِكَ^(٤) بين خُشَشَانِهِ وأوداجه ، ولكن أكرهُ أن أمثَلَ
بقرشي ، ولن يُسلِّمك الله من القصاص أبداً أينما كنت ، والسلام » :
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣٢)

٥١٢ - كتاب محمد بن أبي بكر إلى عليّ

فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما ، وبعث بهما إلى عليّ ، وكتب معهما :
« أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن ابن العاص نزل أداني أرض مصر ، واجتمع إليه
من أهل البلد من كان يرى رأيهم ، وقد جاء في جيشِ لَجَبٍ^(٤) جَرَّارٍ^(٥) ، وقد
رأيتُ ممن قبلي بعض القتل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجةٌ ، فأمدني
بالرجال والأموال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣٢)

(١) وفي ابن أبي الحديد « يسفكون » .

(٢) وفي ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن منهم إليك ما ظالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم
من أوليائه ، وأنا أحذرك وأنذرك فإن الله مقيد منك ومقتس لوليه وخليفته ، بظلمك له وبغيك عليه ،
ووقيعتك فيه ، وعدوانك يوم الدار عليه ، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ، ومع هذا فإن
أكره قتلك ، ولا أحب أن أتولى ذلك منك ، ولن يسلمك الله من النعمة أين كنت أبداً ، فتنح واج
بنفك والسلام » .

(٣) المشالم : جمع مشقم كبير : وهو نصل عريض أو سهم فيه ذلك ، والحشاه : العظم الدقيق
العالى من الشعر الناقى خلف الأذن ، والأوداج : جمع ودج بالتحريك : وهو عرق في العنق .

(٤) جيش لَجَبٍ : ذو لَجَبٍ ، واللجج بالتحريك : الجلبة والصباح .

(٥) وفي الطبري « خراب » بضم الحاء وتشديد الراء ، وهو تحريف ، والخراب : جمع خارب :
وهو المرس .

٥١٣ - رد عليّ على محمد بن أبي بكر

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فقد جاءني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر في لُجْب من جيشه جرّارٍ ، وأن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخرج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك ، وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلاً ، فلا تفشل وإن فشلوا ، حصّن قريبتك ، وأضمم إليك شيعتك ، وأذكرك^(١) الحرس في عسكرك ، واندب إلى القوم كينانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة^(٢) والبأس ، فإني ناديت إليك الناس على الصّعب والذّلول ، فاصبر لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وقائلهم على نيّتك ، وجاهدهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فتتك أقلّ الفئتين ، فإن الله قد يعز القليل ، ويخذل الكثير .

وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا^(٣) ، قد استمتعوا بخلاقيهم^(٤) . كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقيهم ، فلا يهلك إرعاؤها وإبراقها ، وأجيبهما إن كنت لم تُجيبهما بما هما أهلُه ، فإنك تجد مقالاً ما شئت والسلام .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٢)

٥١٤ - رد محمد بن أبي بكر على معاوية

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه :

« أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه ، وتأمروني بالتّمحّي عنك ، كأنك لي ناصح ، وتُخوفني المثلّة ، كأنك عليّ شفيق ، وأنا

(١) أي بت وأرسل . (٢) وفي ابن أبي الحديد « والتجربة » .

(٣) وفي ابن أبي الحديد « والمنكبرين على أهل الدين » . (٤) أي تمنعوا بنصيحتهم من الدنيا .

أرجو أن تكون لى الدائرة عليكم، فأجتاحكم^(۱) فى الوقعة ، وإن توثتوا النصرَ وبكن
لكم الأمر فى الدنيا ، فكم كعمرى من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم
به ، وإلى الله مصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مرَدُّ الأمور وهو أرحم الراحمين ، والله
المستعانُ على ما تصفون ، والسلام .

(تاريخ الطبرى ۶ : ۵۸ ، وشرح ابن أبى الحديد ۲ : ص ۳۲)

۵۱۵ - رد محمد بن أبى بكر على عمرو بن العاص

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص جواب كتابه :

« أما بعد : فقد فهمتُ ما ذكرتَ فى كتابك يابن العاص ، زعمتَ أنك تكبره
أن يصيبنى منك ظفرٌ ، فأشهد بالله إنك لمن المبطلين ، وتزعم أنك لى نصيح ، وأقسم
إنك عندى ظنين^(۲) ، وتزعم أن أهل البلد قد رَفَضُوا رأى وأمرى وندموا على
اتباعى ، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء ، فَحَسَبْنَا الله رب العالمين ، وتوَكَّلْنَا على الله
العزیز الرحيم ، رب العرش العظيم ، والسلام . »

ثم نَسِبَ القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش محمد بن أبى بكر ، وأسلمه
أصحابه وتفرقوا عنه حين بلغهم قتلُ كِنانة بن بشر ، حتى بقى محمد وما معه أحد منهم ،
فلما رأى ذلك خرج يمشى فى الطريق ، حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها ، وخرج معاوية
ابن حُدَيج فى طلبه حتى اهتدى إليه فاستخرجه وقتله ، ثم ألقاه فى جيفة حمار ، ثم أحرقه
بالنار .

(تاريخ الطبرى ۶ : ۵۹ . وشرح ابن أبى الحديد ۲ : ص ۳۲)

(۱) اجتاحه : أهلكه واستأصله ، وفى ابن أبى الحديد : « وأن يهلككم الله فى الوقعة ، وأن
ينزل بكم الذل ، وأن تولوا الدبر . »

(۲) أى متهم .

٥١٦ - كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

« أما بعدُ : فأيا كَفِينَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَكِنَانَةَ بْنَ بَشْرِ فِي جَمْعِ جَمَّةٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْهُدَى وَالسُّنَّةِ وَحُكْمِ الْكِتَابِ ، فَرَفَضُوا الْحَقَّ ، وَتَوَرَّكُوا^(١) فِي الضَّلَالِ ، فَجَاهَدْنَاهُمْ ، وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، وَمَنْحُونَا أَكْتَانَهُمْ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَكِنَانَةَ بْنَ بَشْرٍ وَأَمَائِلَ الْقَوْمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٤)

٥١٧ - كتاب علي بن عباس

وكتب علي بن عباس إلى عبد الله بن عباس - وهو بالبصرة - بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحَدٌ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِن مِصْرَ قَدْ افْتُتِحَتْ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَنَدَّخِرُهُ وَوَلَدًا^(٢) نَاصِحًا ، وَعَامِلًا كَادِحًا وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَرُكْنًا دَافِعًا ، وَقَدْ كُنْتُ حَثَّيْتُ النَّاسَ عَلَى تَلْحَاقِهِ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِفِيَّائِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتَهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَعَوَدًا وَبَدَأًا ، فَفِيهِمُ الْآتِي كَارِهَا وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا

(١) تورك : اعتمد على وركه ، وتورك على الدابة : نثى رجله ووضع إحدى وركيه في السرج ليستريح ، والمعنى تمادوا في الضلال واسترسلوا فيه .

(٢) احنسب فلان ابنا : إذا مات كبيرا ، فإن مات صغيراً قيل : اقترطه ، وسماه ولداً لأنه كان ربيبه - انظر ما قدمناه في ص ٤٦٦ ، وكذبح كنع : سعى وكذ .

وَأَنْ يُرِيحَنِي مِنْهُمْ عَاجِلًا ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوَطُّيئِي
نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ
أَدَاً ، عَزَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَلَى تَقْوَاهُ وَهَدَاهُ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
عَدِيرٌ ، وَالسَّلَامُ .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٥)

٥١٨ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لَعَبَدَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ بَلَغَنِي
كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ آفْتِاحُ مِصْرَ ، وَهَلَاكُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَجْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ
يَجْعَلَ لَكَ مِنْ رِعِيَّتِكَ الَّتِي آبَتُلَيْتَ بِهَا فَرَجًا وَمُخْرَجًا ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّيَ كَلِمَتَكَ ،
وَأَنْ يُعِزَّكَ بِالْمَلَائِكَةِ عَاجِلًا بِالنُّصْرَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ صَانِعُ لَكَ ، وَمُعِزُّكَ ، وَمُجِيبُ
دَعْوَتِكَ ، وَكَابِتُ^(١) عَدُوِّكَ .

وَأخْبِرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّاسَ رُبَّمَا تَشَاقَلُوا ثُمَّ يَنْشَطُونَ ، فَارْفُقْ بِهِمْ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَاجِرِهِمْ^(٢) وَمَنْهُمْ ، وَأَسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ، كَفَاكَ اللَّهُ أَلْمَهُمْ^(٣) ، وَالسَّلَامُ .
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ ، ص ٣٥)

(١) كَبْتُهُ كَضْرِبُهُ : صَرَعَهُ وَأَخْزَاهُ وَكَسَرَهُ وَأَذَلَّهُ . (٢) دَاجِرُهُ : دَاخَمَهُ ، وَفِي ابْنِ
أَبِي الْحَدِيدِ « وَدَارِمٌ » . (٣) وَفِيهِ « كَفَاكَ اللَّهُ أَلْمَهُمْ » .

٥١٩ - كتاب علي إلى أهل العراق

ودخل علي على عليه السلام بعض أهل العراق ، فسأله عن أبي بكر وعمر ، وقالوا : بين لنا قولك فيهما ، وفي عثمان ، فقال لهم : أو قد تفرغتم لهذا ، وهذه مصر قد افتتحت ، وشيعتي فيها قد قتلت ؟ إني مخرج إليكم كتاباً أنبئكم فيه ما سألتوني عنه ، فأقرءوه على شيعتي ، فأخرج إليهم كتاباً فيه (١) :

« أما بعدُ : فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً على هذه الأمة ، وأتم معاشر العرب يومئذ على شرِّ دين ، وفي شرِّ دار ، مُنيخون على حجارة خَشِنة صُم (٢) ، وشوكٍ مَبْثوث في البلاد ، تشربون الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الخبيث ، تَسْفِكُون دماءكم ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل : سُبُلُكُمْ خَائِفَةٌ ، والأصنامُ فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مُشْرِكُونَ ، فَمَنْ أَلَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ فَبِعْثِهِ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَعْرِفُونَ وَجْهَهُ وَنَسَبَهُ ، فَعَلِمَكُمْ الْكِتَابَ ، وَالْحِكْمَةَ ، وَالْفَرَائِضَ ، وَالسُّنَنَ ، وَأَمَرَكُمْ بِصَلَةِ أَرْحَامِكُمْ ، وَحَقْنِ دِمَائِكُمْ ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْ تُؤَفَّقُوا بِالْعَهْدِ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَأَنْ تَعَاظَمُوا ، وَتَبَارَّزُوا ، وَتَبَاذَلُوا ، وَتَرَاحَمُوا ، وَنَهَيْكُمْ عَنِ التَّنَاهُبِ وَالتَّظْلَمِ ، وَالتَّحَاكُمِ ، وَالتَّبَاغِي ، وَالتَّقَاذُفِ ، وَعَنِ شَرْبِ الْخَمْرِ ، وَعَنِ بَخْسِ الْمَكْيَالِ ، وَنَقْصِ الْمِيزَانِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَزْنُوا ، وَلَا تُزْبُوا ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَ

(١) هكذا روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، ومنه ترى أنه كتاب ، وروى ابن أبي الحديد قال : « خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر فقال . . . » ومنه ترى أنه خطبة - هذا ولتنبه إلى أنه يحتوي على جل الكعاب الذي أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة ، وذكر أن علياً كتبه إلى أهل مصر مع الأشتر ، وقد قدمناه في ص ٥٦٧ .

(٢) في الأصل (ابن أبي الحديد) « وحيات صم » والكلمة الأولى محرفة ولعلها « جبال » أو « صخور » وصم جمع أصم وصماء ، حجر أصم : أي صلب مصمت ، وصخرة صماء .

اليتامى ظلماً ، ولا تفتنوا في الأرض مُفسدين ، ولا تصدوا إن الله لا يحب المعتدين ، فكل خير يُدنى إلى الجنة ويباعد عن النار أمركم به ، وكل شر يُدنى إلى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه .

فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا ، توفاه الله ، وهو مشكورٌ سعيه ، مرضىٌ عمله ، مغفورٌ له ذنبه ، شريفٌ عند الله نزلُه ، فيا لها مصيبةً خصت الأقربين ، وعمت المسلمين ، ما أصيبوا قبلها بمثلها ، ولن يعاينوا بعدها أختها ، فلما مضى لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يُلقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عنى من بعده ، فما راعنى إلا أنثيالُ الناسِ على أبي بكر ، وإجفألهم^(١) إليه ليبايعوه ، فأمسكتُ يدي ، ورأيتُ أنى أحقُّ بمقام محمد في الناس ممن تولى الأمر من بعده ، فلبثتُ بذلك ما شاء الله حتى رأيتُ راجعةً من الناس رجعت عن الإسلام بدعون إلى تحق دين الله ، وملة محمد صلى الله عليه وسلم ، فخشيتُ إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه تلمأً وهدماً ، يكون المصابُ بهما على أعظم من فوات ولاية أموركم ، التى إنما هى متاعُ أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول الشرابُ ، وكما يتشعُّ السحابُ ، فخشيتُ عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ، ونهضتُ معه فى تلك الأحداث حتى زاع الباطلُ وزهق ، وكانت كلمة الله هى العليا ، ولو كره الكافرون .

فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الأمور ، فيسر ، وسدد ، وقارب ، واقتصد ، وصحبتُه مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً ، وما طمعت أن لو حدث به حادث ، وأنا حى ، أن يرد إلى الأمر الذى نازعته فيه طمع مستيقن ، ولا يئست منه بأمر من لا يرجوه ، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عنى .

(١) الانثيال : الانصاب ، والإجفال : الإسراع .

فَلَمَّا أُحْتَضِرَ بَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَبَايَعْنَا ، وَنَاصَحْنَا ، وَتَوَلَّى
 عَمْرُؤَ الْأَمْرَ ، فَكَانَ مَرَضِيَّ السَّيْرَةِ ، مَيِّمُونَ النَّقِيْبَةِ (١) أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، حَتَّى إِذَا أُحْتَضِرَ
 قُلْتُ فِي نَفْسِي : لَنْ يَبْعُدَهَا عَنِّي ، لَيْسَ يُدَافِعُنِي عَنْهَا ، فَعَمَلَهَا عَمْرُؤُورِي ، وَجَعَلَنِي
 سَادِسَ سِتَّةٍ ، فَمَا كَانُوا لَوْلَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَشَدَّ كِرَاهَةً لَوْلَايَتِي عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا
 يَسْمَعُونَنِي عِنْدَ وِفَاةِ رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُحَاجُّ أَبَا بَكْرٍ فَأَقُولُ : يَا مَعْشَرَ
 قُرَيْشٍ ، إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، مَا كَانَ فِينَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيَعْرِفُ
 السُّنَّةَ ، وَيَدِينُ بِدِينِ الْحَقِّ ، فَخَشِيَ الْقَوْمُ أَنْ أَنَا وَوَلِيَّتُهُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِي هَذَا
 الْأَمْرِ نَصِيبٌ مَا بَقُوا ، فَاجْتَمَعُوا إِجْمَاعًا وَاحِدًا ، فَصَرَفُوا الْوِلَايَةَ عَنِّي إِلَى عَثْمَانَ ،
 وَأَخْرَجُونِي مِنْهَا ، رَجَاءً أَنْ يَخَالُوهَا وَيَتَدَاوُلُوهَا ، إِذْ يَشُورُونَ أَنْ يَنَالُوهَا مِنْ قَبْلِي ، ثُمَّ
 قَالُوا لِي : هَلُمَّ قَبَايِعَ عَثْمَانَ وَإِلَّا جَاهَدْنَاكَ ، فَبَايَعْتُ مُسْتَكْرَهَا (٢) ، وَصَبَرْتُ مُحْتَسِبًا ،
 فَقَالَ قَائِلُهُمْ : إِنَّكَ يَا بَنَیْ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ كَحَرِيصٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَنْتُمْ أَحْرَصُ مِنِّي
 وَأَبْعَدُ ، أَيْنَا أَحْرَصُ ، أَنَا الَّذِي طَلَبْتُ مِيرَاثَ ابْنِ أَبِي وَحْتِي الَّذِي جَعَلَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 أَوْلَى بِهِ ، أَمْ أَنْتُمْ إِذْ تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ ، وَتَحْوُلُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ فَبِمُتُّوا ، وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ (٣) عَلَى قُرَيْشٍ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي ،
 وَأَضَاعُوا نِيَّيَ ، وَصَفَرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي وَفَضْلِي ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ
 مِنْهُمْ فَسَلْبُونِيهِ ، ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنْ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنْتَفِعَهُ ، فَاصْبِرْ
 كَمِدًّا ، أَوْ مِتْ أَسِيفًا حَنِيفًا (٤) ، فَفَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ مَعِيَ رَافِدٌ (٥) ، وَلَا ذَابٌ ، وَلَا
 نَاصِرٌ ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَيْنِي عَلَى

(١) النقيبة : النفس والطبيعة .

(٢) يقال : امرأة مستكرها بكسر الراء : أي غضبت نفسها (بالبناء للجهول) فأكرهت على

ذلك (٣) استعداد : استعانه واستنصره . (٤) المنق بالتحريك : شدة الاغتيال ،

حنق عليه كفرح فهو حنق كفرح وحنيق ، وبن ابن أبي الحديد « حيقا » وهو تحريف .

(٥) الرافد : الواصل ، من الرفذ : الكسر وهو الصلة ، والذاب : الدائم .

القَدَى^(۱) ، وتجرعت ريقى على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم طعماً ، وآلم للقلب من حَزَّ الشَّفَارِ^(۲) ، حتى إذا نقم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ، ثم جثمتونى لتبايعونى فأبيت عليكم وأبيت على ، وأمسكت يدي فنازعتمونى ودافعتمونى وبسّطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، وازدحمت على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض ، أو أنكم قاتلي ، فقلتم : بايعنا ، لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك ، بايعنا لانفترق ولا نتخلف كلمتنا ، فبايعتكم ، ودعوتم الناس إلى بيعتى ، فمن بايع طوعاً قبلته ، ومن أبى لم أكرهه وتركته ، فأول من بايعنى طلدحة والزبير ، ولو أبى ما أكرهتها كما لم أكره غيرها ، فالبنا إلا بسيراً حتى بلغ أسهما قد خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة ، فى جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطانى الطاعة ، وسمع لى بالبيعة ، فقدمنا على عاملى وخزان بيت مالى ، وعلى أهل مصرى الذين كلهم على بيعتى وفى طاعتى ، فشتتوا كلمتهم ، وأفسدوا على جماعتهم ، ثم وثبوا على شيعتى ، فقتلوا طائفة منهم غدرًا ، وطائفة صبرًا^(۳) ، ومنهم طائفة غضبوا لله ولى ، فشهبوا سيوفهم وضربوا بها ، حتى لقوا الله عز وجل صابرين محتسبين ، فوالله لو لم يُصيَّبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمداً لقتله ، لخل لى بذلك قتل الجيش بأسره ، فدع ما أنتم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التى دخلوا بها عليهم ، وقد أدال^(۴) الله منهم ، فبُعداً للقوم الظالمين .

ثم إني نظرت فى أمر أهل الشام ، فإذا هم أعراب وأحزاب ، وأهل طمع جفأة طفاة^(۵) ، تجمعوا من كل أوب ، ممن ينبى أن يؤدب ، وأن يؤلى عليه ، ويؤخذ على

(۱) القدى : ما يقع فى العين وفى الشراب ، والشجى : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه :

(۲) الشفار : جمع شفرة بالفتح ، وهى الكبن العظيم .

(۳) صبر الإنسان على القتل : أن يجلس ويرى حتى تموت . (۴) أى نصرنا عليهم .

(۵) وفى الإمامة والسياسة : « طفاة » والطفاة كسحاب : أوغاد الناس ، والأوب : الطريق والجهة .

يديه ، ليسوا من الأنصار ، ولا المهاجرين ، ولا التابعين بإحسان ، فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبوا إلا شقاءً ونفاقاً ، ونهضوا في وجوه المهاجرين والأنصار ، ينضحونهم^(١) بالنبل ، ويشجرونهم بالرمح ، فهناك نهدت^(٢) إليهم فقاتلتهم ، فلما عَضَّهم السلاحُ ، ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، فنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وإنما رفعوها مكيدةً وخديعةً ، ووهنا وضعنا ، فامضوا على حكم وقاتلكم ، فأبيتم على واتهموني ، وقلم : اقبل منهم ، فإنهم إن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق ، وإن أبوا كان أعظم لحجبتنا عابهم ، فقبلت منهم ، وكففت عنهم إذ ونيتهم وأبيتهم ، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكَّمين يُحييان ما أحيا القرآن ، ويُميتان ما أمات القرآن ، فاختلف رأيهما ، وتفرق حكمهما ، ونبذنا حكم القرآن ، وخالفنا ما في الكتاب ، واتبعنا هواها بغير هدى من الله فجنبها الله السداد ، وأهوى بهما في غمرة الضلال^(٣) ، وكانا أهل ذلك ، فأنخذلت عنا فرقة منا ، فتركناهم ما تركونا ، حتى إذا عاثوا في الأرض مفسدين ، وقتلوا المؤمنين ، أتيناهم قتلناهم : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ، ثم كتاب الله بيننا وبينكم ، فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم ، وشدت علينا خيلهم ورجلهم ، فصرعهم الله مصارعَ القوم الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم ، أمرتكم أن تَمْضُوا من فوركم ذلك إلى عدوكم ، فإنه أفرعُ لقلوبهم ، وأنهاك لقواهم ، وأهتك لكيدهم ، فقتلتم : كلت أذرعنا وسيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت^(٤) أسنة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ، فأذن لنا فلنرجع

(١) نضحه بالنبل كنفخ : رماه ورشقه ، وشجره بالرمح كقتل : طعنه به .

(٢) نهدت إلى العدو كنفخ وقتل : نهض .

(٣) وفي ابن أبي الحديد « ودلاهما في الضلالة » ، وفيه : « حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون »

وعاث وعثا : أفسد .

(٤) نصل السهم : فهو ناصل خرج منه النصل (والنصل : حديدة السهم والرمح) ورمح قصد

ككثف وصيد وأفصاد : منكسر .

إلى مصرنا حتى نستمد بأحسن عدتنا ، وإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا . فإن ذلك أقوى لنا على عدونا ، فأقبلت بكم حتى إذا أطلتكم على الكوفة ، أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة ، وأن تلموا معسكركم ، وأن تضموا قواصبيكم ، وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم ، ولا تكثرُوا زيارة أبنائكم ونسائكم . فإن ذلك يرق قلوبكم ويلو بكم ، وإن أهل الحرب المصابروها ، وأهل التشمير فيها الذين لا يتوجدون^(١) مهر ليلهم ، ولا يتوجعون ، ولا يسأمون من ظمأ نهارهم ، ولا من خص^(٢) بطونهم ، ولا من نصب أبدانهم ، حتى يُذركوا ثأرهم ، وينالوا بُغيثهم ومطلبهم ، فنزلت طائفة منكم معي مُعذرة ، ودخلت طائفة منكم المصرَ عاصية ، فلا من نزل معي صبراً فشبت ، ولا من دخل المصر عاد إلى ورجع .

ولقد نظرت إلى عكري ، وما فيه معي منكم إلا خمسون رجلاً ، فلما رأيت ما أنيتم دخلت إليكم فما قدرتم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا لله أبأؤمكم ! فما تنتظرون ؟ أما ترون إلى أطرافكم قد انقصت ، وإلى مصركم قد أفتحت^(٣) وإلى شيعتي بها قد قتلت ، وإلى مسالحكم^(٤) تُعري ، وإلى بلادكم تُغزي ، وأنتم ذوو عدد كثير ، وشركة ، وبأس شديد ، فما بالكم ؟ لله أنتم ! من أين تؤنون ؟ وما لكم تؤفكون^(٥) وأنى تُسحرون ، ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا ، ألا إن القوم قد اجتمعوا ، وجدوا وتناصحوا ، وإنكم قد ونيتم وتفرقتم ، واختلفتم ، وتفاشستم ، فأنتم إن اجتمعتم تسعدون .

(١) توجد مهر ليله : شكاً مامسه من مشقته . (٢) الخس بالكون وبالتحريك والخمصه : الجوع .

(٣) المصر : كل كورة يقسم فيها النى والصدقات ، وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف . والتأنيث فتمنع ، وروى في الإمامة والسياسة « قد افتتح » بالتذكير ، وفي ابن أبي الحديد بالتأنيث .

(٤) المسالح جمع سلحة بالفتح : وهي النفر .

(٥) أفك كضربه : صرفه عن الشيء وقلب رأيه .

فَأَيُّقِظُوا رَحِمَ اللَّهِ نَائِمَكُمْ ، وَأَجْمِعُوا عَلَى حَقِّكُمْ ، وَتَجَرَّدُوا لِحَرْبِ عَدُوِّكُمْ ، قَدْ
 أَبَدَتْ الرَّغْوَةَ عَنِ الصَّرِيحِ^(١) ، وَبَانَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ الطُّلُقَاءَ ،
 وَأَبْنَاءَ الطُّلُقَاءِ ، وَأَوْلِيَّ الْجَفَاءِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ كَرَهَا ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنْفٌ^(٢) - الْإِسْلَامُ كُلُّهُ حَرْبًا ، أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ، وَأَهْلُ الْأَحْزَابِ ، وَالْبِدْعِ ،
 وَالْأَحْدَاثِ ، وَمَنْ كَانَتْ بَوَائِقُهُ^(٣) تُتَّقَى ، وَكَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَخُوفًا^(٤) ، أَكَلَةَ الرَّشَاءِ
 وَعَبْدَةَ الدُّنْيَا ، لَمَّا أَنْهَى^(٥) إِلَى أَنْ ابْنَ النَّابِغَةِ لَمْ يَبَايِعْ مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَعْطَاهُ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ
 أَنْ يُعْطِيَهُ إِتَاوَةً هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي يَدَيْهِ مِنْ سُلْطَانِهِ ، أَلَّا صَفَّرَتْ^(٦) يَدُ هَذَا الْبَائِعِ دِينَهُ
 بِالْدُّنْيَا ، وَتَرَبَّتْ يَدُ هَذَا الْمَشْتَرِي نُصْرَةَ غَادِرٍ فَاسِقٍ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ
 قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْخَمْرَ ، وَجَلَّدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ ، يُعْرِفُ بِالْفُسَادِ فِي الدِّينِ وَالْفِعْلِ السَّيِّئِ ،
 وَإِنْ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِّخَ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ رَضِيخَةً^(٧) ، فَهَؤُلَاءِ قَادَةُ الْقَوْمِ ،

(١) رَغْوَةُ اللَّبَنِ مِثْلَةُ : زَبَدُهُ (بِالضَّرْبِ) ، وَالصَّرِيحُ : اللَّبْنُ الْحَالِصُ الَّذِي ذَهَبَتْ رَغْوَتُهُ ، وَأَبْدَاهُ :
 أَظْهَرَهُ ، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى كَشَفَ عَنْهُ : أَي كَشَفَتْ الرَّغْوَةَ عَنِ الصَّرِيحِ وَأَظْهَرَتْهُ . وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ عِنْدَ
 انْكَشَافِ الْأَمْرِ وَظُهُورِهِ ، وَقَدْ رَوَاهُ الْمِيدَانِيُّ فِي بَحْرِ الْأَمْثَالِ « أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ » وَقَالَ فِي
 شَرْحِهِ : « أَبْدَى لِأَزْمٍ وَمُتَعَدٍّ ، يُقَالُ : أَبْدَيْتَ فِي مَنْطِقِكَ أَي جَرْتِ ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى بِدَا الصَّرِيحِ
 عَنِ الرَّغْوَةِ ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مُتَعَدِّيًّا فَالْفِعْلُ مَحْذُوفٌ أَي أَبْدَى الصَّرِيحَ نَفْسَهُ . وَأَقُولُ نَعَمْ قَدْ وَرَدَ أَبْدَى لِأَزْمٍ
 بِمَعْنَى جَارٍ كَمَا ذَكَرَ ، لَكِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَهَذَا الْمَثَلُ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ
 الْهَانِي ، بْنُ عَرُودَةَ الْمُرَادِيُّ ، وَكَانَ مُسْلِمٌ بْنُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَخْفَى عِنْدَهُ أَيَّامَ بَعْثِ الْحَدِيثِ
 ابْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَلَمَّا عَرَفَ مَكَانَهُ عَبِيدُ اللَّهِ أَرْسَلَ إِلَى هَانِيٍّ فَسَأَلَهُ فَكَتَمَهُ فَنَوَّعَهُ وَخَوَّفَهُ ، فَقَالَ
 هَانِيٌّ : هُوَ عِنْدِي ، فَعِنْدَهَا قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ : « أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ » أَي وَضَحَ الْأَمْرَ وَبَانَ ،
 وَمِنْ كِتَابِ الْإِمَامِ الَّذِي نَمَّنَ بِصَدَدٍ يَشْرَحُهُ تَعْرِفُ أَنْ عَبِيدَ اللَّهِ قَدْ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْمَثَلِ وَلَيْسَ بِصَاحِبِهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ
 وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا « صَرَحَ الْخَفِضُ عَنِ الرَّبْدِ » بِضَمِّ الرَّايِ أَي انْكَشَفَ الْأَمْرُ وَتَبَيَّنَ .

(٢) أَنْفٌ كُلُّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ .

(٣) الْبَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ ، وَالرَّشَاءُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ جَمْعُ رَشْوَةٍ مِثْلَةٌ وَهِيَ الْجَعْلُ بِالضَّمِّ

(٤) وَفِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « وَكَانَ عَنِ الدِّينِ مَنْحَرَفًا » .

(٥) أَنْهَى الشَّيْءَ : أَبْلَغَهُ ، وَفِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَقَدْ نَمَى إِلَيَّ » أَي أَبْلَغْتَ أَيْضًا ، وَابْنُ النَّابِغَةِ

هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَقَدْ تَقَدَّمَ . (٦) صَفَّرَ كَفَرِحَ : خَلَا ، وَيُقَالُ : تَرَبَّتْ يَدَاهُ ، أَي لَا أَصَابُ

خَيْرًا ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « وَخَزَيْتَ أَمَانَةَ هَذَا الْمَشْتَرِي . . . » .

(٧) انظُرْ ص ٤٨٢ .

ومن تركتُ ذِكْرَ مساوئِهِ مِنْ قَادَتِهِمْ مِثْلَ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ وَأَضْرَرٌ ،
وهؤلاء الذين ذكرتُ لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الكبر ، والفخر ، والفجور ،
والتساطُ بِجَبْرِيَّةٍ^(١) ، والتطاول بالفضب ، والفساد في الأرض ، ولا تبعوا الهوى
وما حكموا بالرشاد ، ولأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم وأهدى
سبيلاً ، فيكم الحكماء ، والعلماء والفقهاء والنجباء ، وحملة القرآن ، والمتهجدون بالأسحار ،
والعباد ، والزهاد في الدنيا ، وعمار المساجد بتلاوة القرآن ، أفلا تسخطون وتنفمون^(٢)
أن يُنازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم ؟

فاسمعوا قولي إذا قلت ، وأطيعوا أمري إذا أمرت ، واعرفوا نصيحتي إذا نصحت ،
واعتقدوا حزمي إذا حزمت ، والتزموا عزمي إذا عزمتم ، وانهمضوا لهوضي ، وقارعوا
من قارعت ، فوالله لئن أطعتموني لاتنّفون : ولئن عصيتموني لاترشدون ، ولا
تجتمعون خذوا للحرب أهبتّها ، وأعدّوا لها عدتها ، فإنها قد شبت نارها ، وعلا سناها^(٣)
وتجرّد لكم فيها الفاسقون ، كي يعدّوا عباد الله ، ويطفئوا نور الله .

عباد الله : ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء ، بأولي
في الجِدِّ في غيبتهم وضلالهم وباطلهم ، من أهل النزاهة والبر ، والحق والإخبات^(٤) ،
بالجدِّ في حقهم ، وطاعة ربهم ، ومناصحة إمامهم .

إني والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً ، وهم ميل الأرض ما باليتُ بهم ولا استوحشت
منهم ، وإني من ضلالهم الذي هم فيه ، والهدى الذي نحن عليه ، كعلّي ثقةً وبينةً ، وبقين
وبصيرة من ربي ، وإني إلى لقاء ربي لمتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر راج ، ولكن أسفاً
يعتريني ، وحزناً يُخامرني ، أن بلي أمر هذه الأمة سفهاؤها ونجارها ، فيتخذوا مال الله
دولاً ، وعباد الله خولاً ، والصالحين حرباً ، والقاسطين حرباً .

(١) وفي الإمامة والسياسة «بالجبروت» وما واحد . (٢) وفي ابن أبي الحديد «وتنهمون»

(٣) السنة : الضوء الساطع . (٤) أخبت : خضع وتواضع .

وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا أَكْثَرْتَ تَأْيِبِكُمْ وَتَأْلِيْبِكُمْ ، وَتَحْرِيبِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ
إِذْ وَنَيْتُمْ وَأَبَيْتُمْ ، حَتَّى أَتَقَامَ بِنَفْسِي مَتَى حُمٌ^(۱) لِي لِقَاؤُهُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِي الْحَقُّ ،
وَإِنِّي لِلشَّهَادَةِ لِحَبِيبٍ ، أَنَا نَافِرٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَانْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ،
وَلَا تَتَّخِذُوا إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَقَرَّوْا بِالنَّخْسِ ، وَتَبْوءُوا بِالذَّلِّ ، وَيَكُنْ نَصِيبِكُمْ الْخُسْرُ ،
إِنْ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ ، وَمَنْ ضَعُفَ أَوْدَى^(۲) ، وَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ كَانَ كَالْمَغْبُورِ
الْمَهِينِ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْنا وإِيَّاهُمْ عَلَى الْهُدَى ، وَزَهِّدْنا وإِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَاجْعَلِ الْآخِرَةَ خَيْرًا لَنَا
وَلَهُمْ مِنَ الْأُولَى .

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۳۵ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۱۱۳)

(۱) أي قدر . (۲) هلك .

فتنة البصرة

٥٢٠ - كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

ولما ظهر معاوية على مصر، ولى عليها عمرو بن العاص، ثم بداه أن يحتاز البصرة، فكتب إلى عمرو يستطلع رأيه في ذلك.

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص :

سلام عليك : أما بعدُ ، فإنني قد رأيتُ رأياً كهمتُ بِإمضائه ، ولم يَخْذُلْنِي عَنْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاعُ رَأْيِكَ ، فَإِنْ تَوَافَقْتَنِي أَحْمَدُ اللَّهَ وَأَمْضِيهِ ، وَإِنْ تَخَالَفَنِي فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَسْتَهْدِيهِ .

إني نظرت في أمر أهل البصرة فوجدتُ معظم أهلها لنا ولياً ، ولعلِّي وشيعته عدواً ، وقد أوقع بهم عليّ التوقُّع التي علمتُ ، فأحقادُ تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح ولا تريم^(١) ، وقد علمتُ أن قتلنا ابن أبي بكر ، ووقفتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب عليّ في الآفاق ، ورفعت رهوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد ، وقد بلغ من كان بالبصرة على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس ، وليس أحد ممن يرى رأينا أكثر عدداً ، ولا أضرّ خلافاً عليّ من أولئك .

فقد رأيتُ أن أبعث إليهم عبد الله بن عامر الحضرمي ، فينزل في مضر ، ويتودّد الأزدي ، ويحذّر ربيعة ، ويتنفى دم ابن عفان ، ويذكرهم وقعة عليّ بهم التي أهلكت

(١) لا تريم : أي لا تبرح ، يقال : مارمت للكان ومنه : أي ما برحت .

صالحی إخوانهم وآبائهم وأبنائهم ، فقد رجوت عند ذلك أن يُفسد على عليّ وشيعته ذلك الفرج من الأرض ، ومتى يُوتوا من خلفهم وأمامهم يضلّ سعيهم ، ويبطل كيدهم ، فهذا رأيي ، فما رأيك ؟

فلا تحبس رسولی إلا قدرَ مضيّ الساعة التي ينتظر فيها جوابَ كتابي هذا ، أرشدنا الله وإياك ، والسلامُ عليك ، ورحمة الله وبركاته .
(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۳۴۹)

۵۲۱ - رد عمرو على معاوية

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

« أما بعد : فقد بلغني رسولك وكتابك ، فقرأته وفهمتُ رأيك الذي رأيته ، فمجيبتُ له ، وقلتُ : إن الذي ألقاه في روعك ، وجعله في نفسك هو الناثرُ بابن عفان والطالب بدمه ، وإنه لم يك منك ولا منا منذ نهضنا في هذه الحروب ، ونادينا أهلها ، ولا رأى الناس رأياً أضرَّ على عدوك ، ولا أمرَ لوليك من هذا الأمر الذي ألهمته ، فامضِ رأيك مسدداً ، فقد وجهت الصليب الأريب^(۱) ، الناصح غير الظنين ، والسلام . »
(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۳۴۲)

۵۲۲ - كتاب معاوية إلى أهل البصرة

فلما جاء معاوية كتابُ عمرو ، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي ، وقال له : سر على برّكة الله إلى أهل البصرة ، فانزل في مضر ، واحذر ربيعة ، وتودد الأزد ، وانع ابن عفان ، وذكّرهم الوقعة التي أهلكتهم ، ومن من سمع وأطاع دنيا لا تنفني ، وأثرة لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده ، ودفع إليه كتاباً ، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس .

(۱) الصليب : الحديد ، صلب ككرم وسمع صلابة فهو صلب كقفل وصب كسكر وصب كأمير .
والأريب : العاقل ، أرب لربا كصفر صفرا وأرابة ككرامة : عقل فهو أريب .

فسار ابن الحضرمي حتى نزل البصرة في بني تميم ، وسمع بهدومه أهلها ، فاجتمع إليه رؤوسهم ، فخطبهم بما أمره به معاوية ، وقام بعضهم فسفه رأيه ، وتبوءت الخطب في هذا المقام ، ففض ابن الحضرمي كتاب معاوية وقرأه عليهم ، فإذا فيه :

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين ، إلى من قرئ كتابي هذا عليه من المؤمنين والمسلمين من أهل البصرة :

سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن سفك الدماء بغير حِلِّها ، وقتل النفوس التي حرّم الله قتلها ، هلاكٌ موبق^(۱) ، وخُسرانٌ مُبين ، لا يقبل الله ممن سفكها صرفاً ولا عدلاً^(۲) ، وقد رأيتم رَحِمَكُم اللهُ آثار ابن عفان ، وسيرته ، وحبّه للعافية ومعذّلاته ، وسدّه للثغور ، وإعطاءه في الحقوق ، وإنصافه للمظلوم ، وحبّه للضعيف ، حتى توثب عليه المتوثّبون ، وتظاهر^(۳) عليه الظالمون ، فقتلوه مُسلماً مُحَرِّماً^(۴) ، ظماناً صائماً ، لم يسفك فيهم دماً ، ولم يقتل منهم أحداً ، ولا يطلبونه بضربة سيف ولا سوطٍ ، وإنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه ، وإلى قتال من قتله ، فإننا وإياكم على أمرٍ هُدَى واضح ، وسبيل مستقيم ، إنكم إن جامعتمونا طَفِئَتِ النَّارُ^(۵) ، واجتمعت الكلمة ، واستقام أمرُ هذه الأمة ، وأقرّ الظالمون المتوثّبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق ، فأخذوا بجرّ أترهم^(۶) ، وما قدّمت أيديهم .

إن لكم أن تعملَ فيكم بالكتاب ، وأن أُعطيكم في السنّة عطاءً ، ولا أحتمل فضلاً من فيثكم عنكم أبداً ، فسارعوا إلى ما تدعون إليه - رحمك الله - .

(۱) أوبقهُ : أهلكه . (۲) انظر ص ۳۳ . (۳) أي تعاونوا عليه .

(۴) المحرم : الذي له حرمة ، والذي يحرم علينا قتاله .

(۵) النَّارُ : العداوة والشحناء ، وطفئت النار : انطفأت .

(۶) الجرّاء جمع جريرة : وهي الجريمة .

وقد بعثت إليكم رجلاً من الصالحين ، كان من أمناء خليفتم المظلوم ابن عفان
وعُماله وأعوانه على الهدى والحق ، جعلنا الله وإياكم ممن يُجيب إلى الحق ويعرفه ،
وينكر الباطل ويحجده ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : سمعنا وأطعنا .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٣ - كتاب عباس بن صحر العبدى إلى معاوية

وكان الذى سدّد معاوية رأيه فى تسريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس
ابن صحر^(١) العبدى ، ومن كان يرى رأى عثمان ، ويخالف قومه فى حبهم علياً
عليه السلام ونصرتهم إياه ، وكان الكتاب :

أما بعد ، فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بَغَوْا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم
طمعاً وبغياً ، قترت بذلك العيون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أفئدة أقوام
كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوّه مفارقين ، ولكم موالين ، وبك راضين ، فإن
رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين للطلب بدم عثمان فعلت ، فإنى
لا إخال الناس إلا مُجمعين عليك ، وإن ابن عباس غائب عن المصر والسلام .

وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبّيد قد استخلفه عبد الله بن عباس وقدم
الكوفة على عليّ عليه السلام يعزّيه عن محمد بن أبى بكر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٤ - رد معاوية على عباس بن صحر

فلما قرأ معاوية كتابه ، قال : لا عزمتُ رأياً سوى ما كتب به إلىّ هنا ،
وكتب إليه جوابه :

(١) فى الأصل « صحر » بالخاء المعجمة وهو تصحيف .

« أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبيل مشورتك ،
رحمك الله وسددك ، أثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي
سألت قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أطل عليك ، فسرت وحييت ، والسلام » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

۵۲۵ - كتاب زياد إلى ابن عباس

وأقبل الناس إلى ابن الحضرمي ، وكثر تبعه ، ففرغ لذلك زياد وهاله ، وبعث
إلى صبرة بن شيان الأزدي ، فقال : يا بن شيان ، أنت سيد قومك ، وأحد عظماء هذا
المصر ، أفلا تجيرني وتمنعني وتمنع بيت مال المسلمين ، فإنما أنا أمين عليه ؟ فقال :
بلى ، إن تحملت حتى تنزل في داري منعك ، فقال : إني فاعل ، فارتحل ليلاً حتى
نزل دار صبرة ، وكتب إلى عبد الله بن عباس :
« للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد :

سلام عليك ، أما بعد : فإن عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاوية حتى
نزل في بني تميم ، ونعى ابن عفان ، ودعا إلى الحرب ، فبايعه تميم وجُل أهل البصرة ،
ولم يبق معي من أمتنع به ، فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبرة بن شيان وقومه
لنفسى وليت مال المسلمين ، ورحت من قصر الإمارة فزات فيهم ، وإن الأزد معي ،
وشيعه أمير المؤمنين من فرسان القبائل تختلف إلى ، وشيعه عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي
والتصر خال مناومتهم ، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، واعجل إلى
بالذي ترى أن يكون منه فيه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

فرجع ذلك ابن عباس إلى علي عليه السلام .

وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ،
وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥١ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٤)

۵۲۶ - کتاب علیؑ - إلى زياد

وبعث علیؑ عليه السلام أعین بن ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيَّ إلى البصرة وكتب إلى زياد :

من عبد الله علیؑ - أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد :

سلام عليك ، أما بعد ، فإنی قد بعثت أعین بن ضُبَيْعَةَ ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي ، فارقب ما يكون منه ، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يُظنّ به ، وكان في ذلك تفريقُ تلك الأوباش فهو ما نحبّ ، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والتمادي في العصيان ، فانبذ من أطاعك إلى من عصاك ، فجاهدكم ، فإن ظهرت فهو ما ظننت ، وإن رأيت من قبلك تناقلا ، وخفت ألا تبلغ ما تريد ، فطاولهم وماطلهم ، ثم سمع وأبصر ، فكان كتاب المسلمين قد أطلت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ، ونصر المؤمنين المحقّين ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۳۵۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۶۴)

۵۲۷ - کتاب زياد إلى علیؑ

وقدم أعین بن ضُبَيْعَةَ البصرة ، فجمع إليه رجالا من قومه ، وحثهم على الطاعة ، ولزوم الجماعة ، وحذرهم الخلاف والفرقة ، فسمعوا له وأطاعوا ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، ووافقهم عامّة يومه يناشدكم الله ألا ينكثوا بيمينهم ولا يخالفوا إمامهم ، فكفوا عنه ، فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر ، يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، فكتب زياد إلى علیؑ عليه السلام :

«أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن أعین بن ضُبَيْعَةَ قدّم علينا من قبلك بجدّ ومناصحة ، وصدق ويقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته ، فحثهم على الطاعة والجماعة ، وحذرهم الخلاف والفرقة ، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فوافقهم عامّة النهار ، فهال

أهل الخلاف تقدّمه ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته ، فكان كذلك حتى أمسى ، فأتى في رحله ، فبيّته نفرًا من هذه الخارجة المارقة ، فأصيب رحمه الله تعالى ، فأردت أن أناهض ابن الحضرمي عند ذلك ، فحدث أمر قد أمرتُ صاحب كتابي هذا أن يذكره لأمر المؤمنين^(۱) ، وقد رأيت - إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت - أن يبعث إليهم جارية بن قدامة ، فإنه نافذ البصيرة مطاع في العشيرة ، شديد على عدو أمير المؤمنين ، فإن يقدّم يُفرّق بينهم بإذن الله ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ ص ۳۵۳ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۶۴)

۵۲۸ - كتاب عليّ إلى أهل البصرة

فبعث إليهم عليّ عليه السلام جارية بن قدامة ، وكتب معه كتابا إلى أهل البصرة ، وفيه :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن الله حلیم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البينة ، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضى بالإنابة ، ليكون أعظم للحجة ، وأبلغ في المذرة .

وقد كان من انتشار حباكم وشقاقكم ما لم تغبوا^(۲) عنه ، ففوت عن مجرمكم ، ورفعت السيف عن مدبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي ، أعمل فيكم بالكتاب والسنة ، وقصد الحق ،

(۱) أراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي - حين قتل أعين - بجيئة من معه من الأزد وغيرهم من شيعة علي عليه السلام . فأرسل بنو تميم إلى الأزد : والله ما عرضنا لباركم إذ أجزتموه ، ولا نال موله ، ولا لأحد ليس على رأينا ، فأتريدون إلى حربنا وإلى جارنا؟ فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم . . .

(۲) غبي عن الشيء وغيبه كفرح : إذا لم يظن له .

وَأَقِيمَ فِيكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ وَالِيًا بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنِّي ، وَلَا أَعْمَلَ بِقَوْلِي ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَادِقًا غَيْرَ ذَائِمٍ لِمَنْ مَضَى ،
وَلَا مُتَنَقِّصٍ لِأَعْمَالِهِمْ .

وَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأَهْوَاءُ الْمُرْدِيَّةُ ، وَسَفَّهَ الْآرَاءُ الْجَائِرَةُ إِلَى مُنَابَذَتِي تَرِيدُونَ خِلَافِي ،
فَهَذَا نَدَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي ، وَرَحَلْتُ رِكَابِي ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَنْ أَجِئْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ ،
لَأَوْقِعَنَّ بِكُمْ وَقْفَةً ، لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعَقَةِ لَاعِقٍ ، مَعَ أُنَى عَارِفٍ
لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيءٍ ، وَلَا
نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ .

وَإِنِّي لَفَظَانٌ أَنْ لَا تَجْعَلُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، وَقَدْ قَدَّمْتُ هَذَا الْكِتَابَ
إِلَيْكُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ ، وَلَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابًا ، إِنْ أَتَمَّ اسْتَفْشَشْتُمْ
نَصِيحَتِي ، وَنَابَذْتُمْ رَسُولِي ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّخْصُ نَحْوَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٢٥)

٥٢٩ - كتاب زياد إلى عليّ

وَشَخَّصَ جَارِيَةَ بْنَ قُدَّامَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَلَّمَ قَوْمَهُ فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ
أَوْبَاشٌ فَنَآوَشُوهُ بَعْدَ أَنْ شَتَمُوهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ وَالْأَزْدِ يَسْتَصْرِخُهُمْ فَسَارَتْ الْأَزْدُ
بِزِيَادٍ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، فَهَالَبَتُوا بَنِي تَمِيمٍ أَنْ هَزَمُوهُمْ ،
وَحَصَرُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي إِحْدَى دُورِ الْبَصْرَةِ ، فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحَرَقَ جَارِيَةَ الدَّارِ
عَلَيْهِمْ ، فَهَلَكَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَسَارَتْ الْأَزْدُ بِزِيَادٍ حَتَّى أَوْطَنُوهُ قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَمَعَهُ بَيْتُ الْمَالِ ، وَقَالُوا لَهُ :
هَلْ بَقِيَ عَلَيْنَا مِنْ جَوَارِكِ شَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا ، فَانصرفوا عنه .

وَكُتِبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« أما بعد : فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدِمَ من عندك ، فناهض جمع ابن الحضرمي ، بمن نصره وأعانه من الأزدي ، ففضّه واضطرّه إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه ، فلم يخرج حتى حَكَمَ اللهُ تعالى بينهما ، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه ، منهم من أُحْرِقَ بالنار ، ومنهم من ألقى عليه جِدار ، ومنهم من هُدِمَ عليه البيت من أعلاه ، ومنهم من قُتِلَ بالسيف ، وسلم منهم نفرٌ أنابوا وتابوا ، فصَفَحَ عنهم ، وبعُدًا لمن عَصَى وغيوى ، والسلام على أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۳۵۴)

۵۳۰ - كتاب عليّ إلى زياد

وكان عليّ عليه السلام أخرج إلى زياد سعداً مولاه يَحْتُمُه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحاة^(۱) ومنازعة ، وعاد سعد فشكاه إلى عليّ وعابه ، فكتب عليّ إليه :

« أما بعدُ : فإن سعداً ذكر أنك شتمته ظلماً ، وهددته وجبّهته^(۲) تجبراً وتكبراً ، فما دعاك إلى التكبر ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قضمه » وقد أخبرني أنك تُكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد ، وتُدّهِن كل يوم ، فما عليك لو صُمتَ لله أياماً ، وتصدّقت ببعض ما عندك محسباً ، وأكلت طعامك مِرَاراً قفاراً^(۳) ؟ فإن ذلك شعارُ الصالحين ، أفتطمعُ وأنت متمرّعٌ في النعيم تستأثرُ به على الجار ، والمسكين ، والضعيف ، والفقير ، والأرملّة ، واليتيم أن يُحسبَ لك أجرُ المتصدقين ؟ وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت ، وعملك أحبّبت^(۴) ، فتب إلى ربك ، يَصْلِحْ لك عملك ، واقتصد في أمرك ، وقدم إلى ربك الفضل ليوم

(۲) جبهه كنهه : لقبه بما يكره .

(۳) أي أفدت .

(۱) لاحتاه : نازعه .

(۲) أي غير مأدوم .

حاجتک ، وَاَدَّهِنِ غَبَاً^(۱) ، فَإِنِ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « اُدَّهِنُوا
غَبَاً وَلَا تَدَّهِنُوا رَقْمًا^(۲) » . (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۷۳)

۵۳۱ - رد زياد عليه

فكتب إليه زياد :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فَإِنِ سَعِدَا قَدِيمَ عَلِيٍّ فَأَسَاءَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، فَانْتَهَرْتُهُ
وَزَجَرْتُهُ ، وَكَانَ أَهْلًا لِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْرَافِ وَاتِّخَاذِ الْأَلْوَانِ
مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّعْمِ ، فَإِنِ كَانَ صَادِقًا فَأَثَابَهُ اللَّهُ ثَوَابَ الصَّالِحِينَ ، وَإِنِ كَانَ كَاذِبًا فَوَقَّاهُ
اللَّهُ أَشَدَّ عِقَابَ الْكَاذِبِينَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنِّي أَصِيفُ الْعَدْلَ وَأَخَالِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَإِنِ إِذْنٌ
مِنَ الْأَخْسَرِينَ ، فَخُذْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَقَالِ قُلْتَهُ فِي مَقَامِ قَمْتِهِ : « الدَّعْوَى بِلَا بَيِّنَةَ
كَالْتَّهْمِ بِلَا نَصْلٍ » فَإِنِ أَتَاكَ بِشَاهِدِي عَدْلٍ ، وَإِلَّا تَبَيَّنَ لَكَ كَذِبُهُ وَظُلْمُهُ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۷۳)

۵۳۲ - كتاب معاوية إلى زياد بن أبيه

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني قال :

لما كان زمنُ عليٍّ عليه السلام - وَوَلَّى زِيَادًا فَارِسَ^(۳) - أَوْ بَعْضَ أَعْمَالِ
فَارِسَ - فَضَبَّطَهَا ضَبْطًا صَالِحًا ، وَجَبَّيْ خَرَاجَهَا وَتَحَايَا ، وَعَرَفَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

(۱) أي ادهانا متقطعاً لامتاليا .

(۲) الرقم : النقش والوشى - والأصل فيه الكتابة - والمعنى : ولا تدهنوا لأجل التزين .

(۳) روى الطبري . قال : قال الشعبي : « لما قتل علي عليه السلام أهل النهروان خالفه قوم كثير ،
وانتفضت عليه أطرافه ، وخالفه بنوناجية ، وقدم ابن الحضرمي البصرة ، وانتفض أهل الأهواز ، وطمع أهل
الحراج في كسره ، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عامل علي عليها - فقال ابن عباس
اهل : أكفيك فارس بزياد ، فأمره علي أن يوجهه إليها ، فقدم ابن عباس البصرة ، ووجهه الى
فارس سنة ۳۹ في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس فأدوا الحراج » - انظر تاريخ الطبري .

۶ : ۷۱ -

وروى أيضاً أنه لما قتل ابن الحضرمي ، واختلف الناس على علي ، طمع أهل فارس وأهل كرمان =

« أما بعد : فإنه غررتك قلاع تأوى إليها ليلاً ، كما تأوى الطير إلى وكرها ،
 وأيم الله لولا أنتظاري بك ما الله أعلم به ، لكان لك منى ما قاله العبد الصالح (۱) :
 « فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون »
 وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته :

تسنى أباك وقد شالت نعامته إذ تمخبط الناس والوالى لهم عمر (۲)

(شرح ابن أبي الحديد م : ۴ ص ۶۷)

= في كسر الخراج ، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم وأخرجوا عمالهم ، فاستشار على الناس في رجل يوليه
 فارس ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف
 لما ولي ؟ قال : من هو ؟ قال : زياد ، قال : هو لها ، فولاه فارس وكرمان ، ووجهه في أربعة آلاف ،
 فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا . وذكروا أنه لما قدم فارس بعث إلى رؤسائها ، فوعدهم نصره ومناه ،
 وخوف قوما وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة ، وأقامت
 طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً . وصفت له فارس ، فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً ، وفعل مثل ذلك بكرمان ،
 ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناجم ، فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد ، وأنى لصطخر
 فنزلها وحصن قلعة بها ما بين بيضاء وإصطخر فكانت تسمى قلعة زياد وحدث رجل من أهل إصطخر
 قال : أدركت زياداً وهو أمير على فارس وهي تضم ناراً ، فلم يزل بالمدارة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من
 الطاعة والاستقامة ، لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون : مارأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى
 أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمدارة والعلم بما يأتي - انظر تاريخ الطبري ۶ : ۷۹ - .

(۱) يعني سليمان عليه السلام ، قال ذلك لرسول بلقيس ملكة سبأ باليمن وقد بعثت إليه هدية .

(۲) روى الطبري أنه لما فتحت جلولا - من بلاد الفرس سنة ۱۶ هـ - بعث سعد بن أبي وقاص

بأخاس الفخام مع قضاعي بن عمرو الدؤلي ، وبعث بالسبي مع أبي مفرز الأسود ، وبعث الحساب مع
 زياد - وكان زياد الذي يكتب للناس ويدونهم - فلما قدموا على عمر كالم زياد عمر فيما جاء له ووصف
 له ، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به ؟ فقال : والله ما على الأرس شخص
 أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟ فقام في الناس بما أصابوا وما صنعوا
 وما يتأذنون فيه من الانسحاق في البلاد ، فقال عمر : هذا الحطيب المصقع ! فقال : إن جندنا أطلقوا
 بالفعال لساننا - انظر تاريخ الطبري ۴ : ۱۸۲ .

وفي رواية ابن أبي الحديد أن عمر بعث زياداً في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب
 - وهو حدث - عند عمر خطبة لم يسمع مثلها ، وأبو سفيان حاضر وعلى عليه السلام وعمرو بن العاص ،
 فقال عمرو : لله أبو هذا الفلام ، لو كان قرشياً لساق العرب بمصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشي ،
 ولو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعتني رحم أمه ، فقال علي :
 ما يمنعك من استلحاقه ؟ قال أخاف هذا العير الحالس أن يخرق على إهابي - انظر شرح ابن أبي الحديد
 م ۴ : ص ۶۷ و م ۱ : ص ۵۸ ، والنقد الفريد ۳ : ۳ - وشالت نعامتهم : إذا ماتوا ونفروا .

۵۳۳ - کتاب علیؑ إلى زیاد

فكتب زياد إلى عليؑ عليه السلام ، وبعث بكتاب معاوية في كتابه ، فكتب إليه عليؑ :

« أما بعدُ : فإني قد وليتُك ما وليتُك ، وأنا أراك لذلك أهلاً ، وإنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أمانيّ التيه^(۱) ، وكذب النفس ، لم تستوجب بها ميراثاً ، ولم تستحقّ بها نسباً ، وإن معاوية كالشيطان الرجيم ، يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فاحذره ، ثم احذره ، ثم احذره ، والسلام . »
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۶۸)

* * *

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة قال :

« من كتاب لعليؑ عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه :

وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزِل^(۲) لُبّك ، ويستفِلُّ غرْبَكَ ، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله^(۳) ، ليقتحِم غفلته ، ويستلب غرته^(۴) ، وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ، ونزغة من نزغات الشيطان ، لا يثبت بها نسب^(۵) ،

(۱) التيه : الصلف والكبر .

(۲) أي يطلب زلله وخطأه : أي يحاول أن تزل ، واللّب : العقل ، والغرب : الهدى ، ويستفله : أي

يحاول أن يفله . (۳) مأخوذ من قوله تعالى : « ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ »

(۴) الغرة : الغفلة . (۵) لقوله صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» والعاهر

الزاني ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لاشيء له .

ولا يُستحقُّ بها إرث ، والمتعلق بها كالواغِلِ^(١) المدفَع ، والنَّوْطُ المذَبْذَبُ .
فلما قرأ زياد الكتاب ، قال : شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الكَعْبَةِ ، ولم تنزل في نفسه حتى
أدعاه معاوية .
(نهج البلاغة ٢ : ٤٩)

٥٣٤ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

وكتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإن المرء قد يسُرُّه ذرُّك ما لم يكن ليفوته^(٢) ، ويسوءه فوتُ ما لم
يكن ليذرُّك ، فما نالك من دنياك فلا تُكثِرْ به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه
جزعاً^(٣) ، وليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك
منها^(٤) ، وليكن همك فيما بعد الموت . »

(نهج البلاغة ٢ : ١٤ ، والأمالى ٢ : ٩٦ ، وإعجاز القرآن ص ١٢١)

* * *

وقد روى هذا الكتاب في نهج البلاغة أيضاً بصورة أخرى ، وهي :

« أما بعد : فإن المرء ليفرحُ بالشيء الذي لم يكن ليفوته ، ويحزن على الشيء
الذي لم يكن ليصيبه ، فلا يكن أفضلَ ما نلت في نفسك من دنياك بلوغَ لذة ، أو شفاءً
غيبظ ، ولكن إضائه باطلٍ أو إحياء حق ، وليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على
ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت . »
(نهج البلاغة ٢ : ٩٢)

(١) الواغل : هو الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه إليه أو يفتق معهم
مثل ما أنفقوا فلا يزال مدفعاً محاجزاً ، والنوط المذبذب : هو ما يناط أي يعلق برجل الراكب من قعب
أو قدح أو ما أشبه ذلك ، فهو أبداً يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

(٢) وفي إعجاز القرآن « يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه » . (٣) وفي الأمالى « فلا تنسه
أسفاً » وفي إعجاز القرآن « وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعاً ومالته ولا تنم به فرحاً » .
(٤) في الأمالى « فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت » وفي إعجاز القرآن « فليكن
سرورك بما قدمت من أجر أو منطلق ، وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك » .

وكان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتفاعي
بهذا الكلام .

(٣٣ - جمهرة رسائل العرب - أول)

۵۳۵ - کتاب أبي الأسود الدؤلي إلى علي

وروى أن عبد الله بن عباس كان من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب وكان يتدّمه على الأَكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يستعمله قط ، فقال له يوماً : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحلّ النِّيءَ على التأويل ، فلما سار الأمر إلى علي ، استعمله على البصرة - بعد وقعة الجمل كما قدّمنا - فاستحلّ النِّيءَ على تأويل قول الله تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ ... » واستحلّه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَمَرَّ ابن عباس يوماً على أبي الأسود الدؤلي ، فقال له : لو كنت من البهائم لكنت جملاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت المرعى ، ولا أحسنت مهنته في المشي ، فكتب أبو الأسود إلى عليّ :

« أما بعدُ : فإن الله جل وعلا جعلك والياً مؤتمناً ، وراعياً مشئولاً ، وقد بَلَوْنَاكَ^(۱) رَحِمَكَ اللهُ ، فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للأمة ، توفّر لهم قِيَمَتَهُمْ وتَظْلِفُ^(۲) نَفْسَكَ عن دنياهم ، فلا تأكلُ أموالهم ، ولا ترتشي بشيءٍ في أحكامهم . وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتابتك ذلك ، فانظر رَحِمَكَ اللهُ فيما هنالك ، واكتب إلى برأبك ، فما أَحَبَّبْتَ أتبعه إن شاء الله ، والسلام . »
(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۱)

۵۳۶ - رد عليّ إلى أبي الأسود

فكتب إليه عليّ :

« أما بعدُ : فمثلك نصح الإمام والأمة ، وأدّى الأمانة ، ووآلى على الحق وفارق الجور ، وقد كتبتُ إلى صاحبك بما كتبتُ إليك فيه من أمره ، ولم أعلمه بكتابك إلى

(۱) أي اختبرناك .

(۲) ظلف نفسه عنه كضرب ، منها من أن تظله وكفها عنه ، وفي العقد الفريد « وتكف » -

فلا تدع إعلامى بما يكون بحضرتك ، مما النظر فيه للائمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ،
وهو حق واجب لله عليك ، والسلام .

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۱)

۵۳۷ - كتاب على إلى ابن عباس

وكتب على إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنه قد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ،
وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك ، وخنت المسلمين .

بلغني أنك جرّدت^(۱) الأرض ، فأخذت ماتحت قدميك ، وأكلت ماتحت
يديك ، فارفع إلى حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس ،
والسلام . »

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، ونهج البلاغة ۲ : ۴۶)

۵۳۸ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فإن كل الذي ببلغك باطل ، وإني لما تحت يدي ضابط قائم له ،
وعليه حافظ ، فلا تصدق عليّ الضنين^(۲) ، والسلام . »

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۲)

(۱) أي قشرتها ، والمعنى : أخزيتها . (۲) وفي الطبري « فلا تصدق الغنون » والضمنين :
البخيل . وكان أبو الأسود معروفًا بالبخل . ومن طريق ما يروى عنه أن رجلاً قال له : « أنت والله
ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وما خير ظرف لا يتسك ما فيه ؟ »
وسلم عليه أعرابي يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال له : أنأذن و الدخول ؟ قال : وراءك
أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطمعني ، قال : عيالي أحق منك ، قال : ما رأيت
الأم منك ؟ قال : نسبت نفسك . « أمالي المرتضى ۱ : ۲۱۴ » وسمع أبو الأسود رجلاً يقول : من يعشى
الجائع ؟ فمشاه ، ثم قام الرجل ليخرج ، فقال : هبهات ! نخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ! ووضع رجله في
الأدم حتى أصبح . « المحاسن والأضداد ۱ من ۶۹ » .

۵۳۹- رد علی- علی ابن عباس

فكتب إليه علی :

« أما بعد : فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ، من أين أخذته ؟ وما وضعت منها ، فيم وضعته ؟ فاتق الله فيما أئتمنتك عليه ، واسترعيتك إياه فإن المتاع بما أنت رازمه^(۱) قليل ، وتباعته وبيئته لا تبديد ، والسلام » .

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۲)

۵۴۰- رد ابن عباس على علی-

فلما رأى أن علياً غير مُقلع عنه ، كتب إليه :

« أما بعد : فقد فهمت تعظيمك عليّ مرزئته^(۲) مال ، ببلغك أني رزأته أهل هذه البلاد ، وإيم الله لأن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها^(۳) ومحببها ، وبما على ظهرها من طلاّعها ذهباً ، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ، وقد سفكت دماء هذه الأمة لأنالَ بذلك الملك والإمرة .

ابعث إلى عمك من أحببت ، فإني ظاعنٌ عنه ، والسلام » .

ورحل ابن عباس عن البصرة ، وقد حمل ما كان في بيت مالها ، حتى قدم الحجاز ، فنزل مكة ، واشترى من عطاء بن جبير ثلاث مولات حجازيات بثلاثة آلاف دينار .

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۲ ، تاريخ الطبري ۶ : ۸۲ ، وشرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۶۵)

(۱) رزم الشيء كضرب ونصر جمعه في توب ، والتباعة . التبعة .

(۲) رزأه ماله كفتح وفرح : أصاب من ماله شيئاً ويقال . ما رزأته ماله وما رزئته ماله أي

ما نقصته . (۳) العقيان : الذهب ، وطلاع الشيء : ملؤه ، و ابن أبي الحديد « أما بعد :

فإنك قد أكثرت علي ، ووالله لأن ألقى الله قد احتويت علي كنوز الأرض كلها وذهبها وعقيانها ولجينها ، أحب إلي من أن ألقاه بدم امرئ مسلم » - واللجين بالضم : القضة

٥٤١ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

ثم كتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنني كنت أشركتك في أمانتي ، وجعلتك شعارِي ^(١) ويطانتي ولم يكن من أهل بيتي رجلٌ أوثق منك في نفسي ، لمواساتي وموازرتي ، وأداء الأمانة إليّ ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ ^(٢) ، والعدو قد حَرِبَ ، وأمانة الناس قد خَزِبَت ^(٣) ، وهذه الأمة قد فنكت ^(٤) وشغرت ، قَدَبَت لابن عمك ظَهْرَ المِجَنِّ ^(٥) ، فقارقتَه مع المفارقين ، وخذَلتَه أسوأ خِذْلان ، وخنفته مع من خان ^(٦) ، فلا ابن عمك آسيت ^(٧) ، ولا الأمانة إليه أدَّيت ، وكأنك لم تكن الله تُريد جهادك ، وكأنك لم تكن على بينة من ربك ، وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم ، وتنوي غرَّتهم ^(٨) عن قِيَمَتهم ، فلما أمكنتك الشدة ^(٩) في خيانة الأمة ، أمرعت الكرَّة ، وعاجلت الوثبة ، فاختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونَةِ

(١) الشعار : النوب إلى شعر الجسد . (٢) كتاب الرمان : اشتد ، وحرب العدو . استأسد واشتد غضبه ، وفي العقد الفريد « قد حرد » وحرد كسمع وضرب : غضب .

(٣) أي زلت وهانت . (٤) فنك و الأمر كنصر : ايج فيه ، وفنك : كذب ، وفنك في الكذب : مضى واج فيه ، وفنكت الجارية : جننت ، وكل هذه المعاني سالحة هنا ، وفي العقد الفريد « قد فننت » وشغرت (كنع) أي خلت من الخير ، من شغرت الأرس : إذا لم يبق بها أحد بحميتها ويضبطها فهي شاغرة .

(٥) المِجَنِّ : النرس ، وهذا مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ، قال ابن أبي الحديد : « وأصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم إلى وجه العدو ، وبخونها إلى وجه عسكرهم ، فإذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلا من الوضع الذي كان من قبل ، وذلك أن ظهور الترس لا يمكن أن تكون إلا في وجوه الأعداء لأنها مرمى سهامهم اه . »

(٦) وفي نهج البلاغة « وخذلتهم مع الخاذلين ، وخنفته مع الخائنين » .

(٧) آساه : شاركه وأصابه بخير ، وفي الحديث : « ما أحد عندي أعظم بداء من أبي بكر ، آسأني بنفسه ، وماله » . (٨) الغرة : الفعلة .

(٩) الحملة ، وفي العقد « فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأمة أسرع الغدرة » .

لأراملهم وأيتامهم ، اختطاف الذئب الأزل^(۱) دامية المعزى الكسيرة ، فحملته إلى الحجاز ، رحيب الصدر بحمله ، غير متأثم من أخذه ، كأنك - لا أبا لغيرك^(۲) - حذرت إلى أهلك ترائك من أيبك وأمك ، فسبحان الله ! أما تؤمن بالمعاد ؟ أو ما تخاف نقاش الحساب ؟

أيها العدو - كان عندنا من أولى الألباب ، كيف تُسيع^(۳) شراباً وطعاماً ؟ وأنت تعلم أنك تأكل حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاع الإمام ، وتنكح النساء ، من مال اليتامى ، والمساكين ، والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال ، وأحرز بهم هذه البلاد .

فأتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنك إن لم تفعل ، ثم أمكنتني الله منك ، لا أعذر^(۴) إلى الله فيك ، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار ، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفراً مني بإرادة ، حتى آخذ الحق منهما ، وأزيل الباطل عن مظلمتهما ، وإني أقسم بالله ربى وربك رب العزة ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم حلال لي أدعه ميراثاً لعقبى ، فما بال اغتباطك به تأكله حراماً ؟

فضح رويداً^(۵) ، فكأنك قد بلغت المدى ، ودفنت تحت الثرى ، وعرضت عليك أعمالك بالحل الذي ينادى فيه المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيح التوبة ، والظالم الرجعة ، ولات حين مناص ، والسلام .

(نهج البلاغة ۲ : ۴۶ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۴۳ ، وجمع الأمثال للعبدانى ۲ : ۳۲)

(۱) الذئب الأزل : الخفيف الوركين ، وذلك أشد لعدوه وأسرع لوئبته ، والدامية : الجروحة ، والكسيرة : المكسورة ، والرحيب : الواسع .

(۲) كلمة تقال للتوبيخ مع تحامى الدعاء عليه ، وحدره : حطه من علو إلى سهل ، والمعنى : جلبت ، والنقاش مصدر ناقش كالمناقشة . (۳) ساغ الشراب يسوغ : سهل مدخله في الخلق ، وأساغه هو ، وساغه يسوغه وساغه يسيفه سوعاً وسيفاً ، ومن الرباعى قوله تعالى « لا يتمجرأه ولا يكاد يسيفه »

(۴) أعذر : ثبت له عذر . (۵) انظر ص ۴۰۱ .

۵۴۲ - رد ابن عباس على علي

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فقد أتاني كتابك تعظم عليّ أمانة المال الذي أصبت من بيت مال البصرة ، ولعمري إن حق في بيت مال الله أكثر من الذي أخذت والسلام » .
(العقد الفريد ۲ : ۲۵۳ ، وشرح ابن أبي الحديد ۴ : ۴۵ : ۶۴)

۵۴۳ - رد عليّ على ابن عباس

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فإن العجب كل العجب منك أن تزين لك نفسك أن لك في بيت الله من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين ، قد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادّعاؤك مالا يكون ، يُنجيك من الإثم ، ويُحِلّ لك ما حرّم الله عليك ، عمرك الله^(۱) ! إنك لانت البعيد البعيد^(۲) ، وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً ، وضربت بها عطناً^(۳) ، تشتري المولّدات من مكة والمدينة والطائف ، وتختارهنّ على عينيك . وتُعطيّ فيهنّ مال غيرك^(۴) ، فارجع هذاك الله إلى رُشدك ، وتبّ إلى الله ربّك ، واخرج إلى المسلمين من أموالهم ، فعماً قليلاً تفارق من ألفت ، وتترك ما جمعت ، وتُغيّب في صدع^(۵) من الأرض ، غير مؤسّد ولا مُمهّد ، قد فارقت

(۱) عمرك الله عمر اسم بمعنى التعمير ، نصب على معنى عمرك الله : أي سألت الله تعميرك أي أن يطيل عمرك ، فعمرك مفعول ثانٍ لعمل محذوف ولفظ الجلالة مفعول أول ، أو هو من الأسماء الموصولة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل ، وأصله من عمرك الله تعميراً لحذف زيادته ، فعمرك مصدر نائب عن فعله والله مفعوله ، أو هو على معنى بتعميرك الله أي بإقرارك له بالقائه ، فعمرك منصوب بزعم الباء القسمية مضاف إلى فاعله والله مفعوله .

(۲) وفي شرح ابن أبي الحديد « إنك لأنت المهتدى السعيد إذن » .

(۳) العطن : مبرك الإبل . (۴) روى صاحب العقد عقب ذلك : « ولاني أقسم بالله ربّي وربك ورب العزة . . الخ » وقد تقدم . (۵) في شق : أي في قبر .

الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، غنيا عما خلفت ، فقيراً إلى ما قدمت ، والسلام . (العقد الفريد ۲ : ۲۴۳ ، وشرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۶۴)

۵۴۴ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« والله إن لم تدعني من أساطيرك لأخائنك إلى معاوية يقاتلك به »

فكف عنه علي . (العقد الفريد ۲ : ۲۴۴)

۵۴۵ - كتاب عقيل بن أبي طالب إلى عليّ

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه الإمام علي عليه السلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب . سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن الله حارسك من كل سوء^(۱) ، وعاصمك من كل مكروه ، وعلى كل حال ، إني قد خرجت إلى مكة مُعْتَمِراً^(۲) ، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فقلت لهم - وعرفتُ المنكر في وجوههم - إلى أين يا أبناء الشائنين^(۳) ؟ أجمعوا على تلحّثون ؟ العداوة والله لنا منكم ظاهرة غيرُ مستنكرة قديماً ، تُريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعنِي القومُ وأسمعتهم .

(۱) و الأمان « فإن الله جارك من كل سوء » وفي الإمامة والسياسة « أما بعد يا أخي ، كلاك

الله ، والله جارك من كل سوء . . . الخ » .

(۲) في الإمامة والسياسة أيضاً « إني خرجت معتمراً فلقيت عائشة معاطلة والزبير وذوهارم

متوجهون إلى البصرة قد أظهروا الخلاف ، ونسكثوا البيعة ، وركبوا عليك قتل عثمان ، وتبعهم على ذلك

كثير من الناس من طاعتهم وأوباشهم ، ثم مر عبد الله بن أبي سرح . . . الخ » ولأن أسئبت جدّاً

أن يكتب إليه في الكتاب شيئاً بشأن خروج عائشة ومتابعيها إلى البصرة ، إذ قد ذكر بعد أنه قدم مكة

فسمع عارة الضحاك على الحيرة ، وكان خروج عائشة بدء خلافة الإمام في أوائل سنة ۳۶ كإقدامنا ، أما

عارة الضحاك فكانت سنة ۳۹ كما سيأتي ، فكيف يتفق هذا وذاك .

(۳) الشائنين المفضل .

ثم قدمت مكة فسمعتُ أهلها يتحدثون أن الضحَّاک بن قیس أغار على الخيرة^(۱) فاحتَمَلَ من أموال أهلها ما شاء ، ثم أنکفأ راجعاً سالماً ، فأفَّ حياة في دهرٍ جرَّأ عليك الضحَّاک ! وما الضحَّاکُ ؟ وهل هو إلا فقعٌ بقرقرية^(۲) وقد وطَّئت ؟ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إلى يابن أمِّ برأيك ، فإن كنت الموت تُريد ، تحمَّلتُ إليك بيني أخيك وولد أهلك ، فعشنا معك ما عشت ، ومثنا معك إذا مِتَّ ، فوالله ما أحبُّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً^(۳) ، وأقسم بالله الأعرز الأجل ، إن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مریء ولا نجیع^(۴) ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(شرح ابن أبي الحديد م : ۱ : ص ۱۵۵ ، والأمانی ۱۵ : ۲۴ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۳۳)

۵۲۶ - رد عليّ على عقيل

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب :

سلامُ الله عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : كلاًنا^(۵)

الله وإياك كِلالةً من نخشاه بالغيب إنه حميدٌ مجيدٌ ، فقد قدِمَ عليّ عبد الرحمن بن عبید

(۱) وكان ذلك سنة ۳۹ هـ ؛ دعاه معاوية فتال له : سر حتى تمر بإحبة الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأعر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحَّاک فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، وصار بالثعلبية ، فأغار على صالح علي وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القفططانة ، فأتى عمرو ابن عميس بن مسعود - وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود - وكان في خيل لعل وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناساً من أصحابه ، فلما بلغ ذلك علياً سرح حجر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مفضاً في أثر الضحَّاک ، حتى أقيه بناحية تدمر ، فواقعه فاقتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحَّاک تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلاً ، وحجز الليل بينهم ، فهرب الضحَّاک وأصحابه ، ولما أصبحوا لم يجدوا لهم أثراً - انظر شرح ابن أبي الحديد م : ۱ : ص ۱۵ : وتاريخ الطبري ۶ : ۷۸ - .

(۲) انظر ص ۲۰۹ .

(۳) الموق : بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، يقال : ما أقام عنده إلا فواقاً .

(۴) نجح للطعام كنعج نجوعاً : هنا آكله . (۵) كلاًه كنعج : حرسه .

الأزدی بکتابک تذکر فیہ أنك لقیت عبد الله بن سعد ابن أبی سرح متقبلاً من قَدِيدٍ^(۱) فی نحوٍ من أربعین شاباً من أبناء الطُّلُقَاءِ ، متوجَّهین إلى جهة المغرب ، وإنک تُنبئ عن ابن أبی سرح ! طالما کاد الله ورسوله وکتابه ، وصَدَّ عن سبيله ، وبغاهَا عَوْجًا^(۲) ، فدَعَّ ابن أبی سرح عنک ، ودع قريشاً وخلهم وتر کاضهم فی الضلال ، وتَجَوَّأهم فی الشَّقَاقِ ، وجَاحَهم فی التَّيِّهِ ، فإن قريشاً قد أجمعت علی حرب أخیک الیوم إجماعها علی حرب رسول الله صلی الله علیه وسلم قبل الیوم ، فأصبحوا قد جهلوا حتمه ، وجحدوا فضله ، وکادوه بالمداوة ، ونصبوا له الحرب ، وحهدوا علیه کل الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب ، وجدوا فی إطفاء نور الله ، اللهم فاجز عني قريشاً الجوازی^(۳) ، فقد قطعت رجمی ، وتظاهرت^(۴) علی ، ودفعتنی عن حتی ، وسلبتني سلطان ابن أمی^(۵) ، وسدت ذلك إلى من لیس مثلی فی قرابتی من رسول ، وسابقتی فی الإسلام ، إلا أن يدعی مدعی مآلاً أعرفه ، ولا اظن الله یعرفه ، والحمد لله علی کل حال .

(۱) قديد : اسم موضع قرب مكة .

(۲) من خبره أن رسول الله صلی الله علیه وسلم کان فی غزوة الفتح قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فی نفر سمام ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد بن أبی سرح أخو بني عامر بن لؤی وإنما أمر رسول الله بقتله ، لأنه قد کان أسلم ، وكان یكتب لرسول الله الوحي ، فارتد مشركاً رجلاً إلى قريش - ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاع ، فقیبه حتى أتى به رسول الله بعد أن اطمأن أهل مكة ، فاستأمنه له ، فصمت رسول الله طويلاً ثم قال : نعم ، فلما انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه : أما والله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فیضرب عنقه ، فقال رجل من الأنصار فهلا أو مات إلى يارسول الله ! قال : إن النبي لا یقتل بالإشارة - انظر تاریخ الطبری ۳ : ۱۱۹ وسيرة ابن هشام ۲ : ۲۷۱ .

(۳) الجوازی جمع جازية : والجازية ، الجزاء مصدر علی فاعلة كالعافية ، ويجوز أن یكون لجوازی جمع جزاء لمشابهة اسم الفاعل للمصدر ، فكما جمع سبیل علی سوائل كذلك يجوز أن یكون الجوازی جمع جزاء ، والمعنی : اللهم اجز قريشاً عنی ما تستغفه من الجزاء لما صنعت بی .

(۴) أي تعاونت .

(۵) یعنی رسول الله صلی الله علیه وسلم ، وأم علی می فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وقد أسامت بعد عشر من المسلمين فكانت الحادی عشر ، وكان رسول الله یكرمها ویعظمها ويدعوها «أمی» وقد قال : لم یکن أحد بعد أبی طالب أبر بی منها - انظر شرح ابن أبی الحدید م ۱ : ص ۵ وقال ابن أبی الحدید فی تعلیل التعبير «بابن أمی» لأنها ابنا فاطمة بنت عمرو عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله وأبى طالب ، ولم یقل سلطان ابن أبی ، لأن غیر أبی طالب من الأعمام یشرک فی النسب إلى عبد المطلب =

وأما ما ذكرت من غارة الضحاک بن قیس علی أهل الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن یلم^(۱) بها أو یدنوا منها ، فضلا عن الغارة ، ولكنه قد كان أقبل فی جريدة خیل ، فأخذ علی السماء ، حتی مرَّ بواقصة وشراف ، والتقططانة وما والی ذلك الصقع ، فسرحتُ إليه جيشًا كثیفًا من المسلمین ، فلما باغى ذلك شمر هاربا ونكص نادماً ، فاتبعوه فاحرقوه ببعض الطريق ، وقد أمعن فی السیر ، وقد طفلت^(۲) الشمس الاياب ، فاقتلوا شیئاً کلاً ولا^(۳) ، فما كان إلا کموقف ساعة ، حتی ولی هاربا ولم یصبر لوقع المشرفیة^(۴) ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ، ونجا جریضاً^(۵) بعد ما أخذ منه بالخنق^(۶) ، ولم یبق منه غیر الرمق ، فلأیاً بلای^(۷) ما نجا .

= وأرى أن الوجه الذى ذهبت أنا لیه فی ذلك أقرب وأرجح . ومن طریف ما تعقب به ابن أبی الحديد الراوندى هنا ما یأتى : قال الراوندى : « قوله سلطان ابن أمی یعنی نفسه أى سلطانه لأنه ابن أم نفسه ، وهذا من أحسن الكلام » قال ابن أبی الحديد : « ولا شبهة أنه علی تفسیر الراوندى لو قال « وسلبونی سلطان ابن أخت خالنی أو ابن أخت عمی » لكان أحسن وأحسن ، وهذا الرجل قد كان یحب أن یخبر علیه ولا یتكمن من تفسیر هذا الكتاب ، وبؤخذ علیه أیمان البيعة أن لا یتعرض له » .

(۱) أى یقرب ، والجريدة : خیل لارجالة فیها . (۲) طفلت الشمس : ماتت للغروب .
(۳) وفى ابن أبی الحديد « فتناوشوا القتال قليلاً کلاً ولا » ، والعرب إذا أرادوا تقلیل مدة فعل أو ظهور شیء خفی ، قالوا : كان فعله کلاً . وربنا کرروا فقالوا : کلاولا ، قال الشاعر :

* یكون نزول القوم فیها کلاولا *

(۴) المشرفیة : السوف ، نسبة لى مشارف الشام : وهى قرى من أرض العرب تدنومن الريف : (۵) جریصاً : أى مجهوداً یکاد یقضى ، من جرض بریقه کفرح (لا ککسر) إذا ابتلع ريقه علی هم وحزن بالجهد (والجریص أيضاً : النصبة) وفى المثل : « حال الجریص دون القریص » أى دون الشعر ، یضرب لأمر یعوق دونه عائق ، قاله جوشن الکلابی حین منعه أبوه من الشعر فریس حزناً ، فرق له وقد أشرف ، فقال : انطق بما أحببت ، فقال ، والحریص بالحاء : الساقط لا یقدر علی الهوس .

(۶) یقال أخذه یخناقه بالكسر والضم وخنقه أى بحلقه : محل ما یوضع الحناق بالكسر وهو الجبل یخنق به ، ومن أمثالهم « بلغ منه الخنق » وهو مثل یضرب لمن یحمل علیه حتى یبلغ منهته ، والرمق : بقية الروح .
(۷) اللأى : المشقة والعدة والجهد ، وأصله البطء والاحتباس وفعله كسى ، یقولون لأبا عرفت وبعد لأى فملت : أى بعد جهد ومشقة . قال زهير فی معانته :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأیاً عرفت الدار بعد توهم

وفى حدیث أم ایمن « فلأى ما استنفر لهم رسول الله أى بعد مشقة وجهد وإبطاء ، وقال الشاعر : « فلأیاً بلأى ما حملنا غلامنا » أى جمداً بعد جهد قدرنا علی حمله علی الفرس فهو منصوب علی المصدر القائم مقام الحال کطلم بنته وجاء ركضا وقتلته صبرا ولقبته النقاطا ورأبته عيانا والعامل فی المصدر محذوف أى نجا مبطلاً مجوداً والباء فی الثانى یعنی البعدية ، وما زائدة أو مصدرية ، وفى الإمامة والسیاسة « فلولا اللیل ما نجا » .

فأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه ، فإن رأيت قتال النجابين^(۱) حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ، ولا تفرّقهم عني وحشة ، لأنني محقّ ، والله مع المحقّ ، ووالله ما أكره الموت على الحق ، وما الخبير كله إلا بعد الموت لمن كان محقّاً .

وأما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ بينك وبنى أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأقيم راشداً محموداً ، فوالله ما أحبُّ أن تهلكوا معي إن هلكت ، ولا تحسبن أن أبيك ولو أسلمه^(۲) الزمان والناس متضرّراً متخشّعاً ، ولا مقرّاً للضمّ واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا وطيّ الظهر الراكب المقتعد ، ولكنه كما قال أبو بنى سليم :

فإن تسأليني كيف أنت ، فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليّ^(۳)
بِعِزَّةِ عَلِيٍّ أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٍ فَيَشَتَّ عَادِرٌ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٌ

والسلام . (الأغانى ۱۵ : ۲۴ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۵۵) .
ونهج البلاغة ۲ : ۴۳ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۴۵)

۵۴۷ - كتاب صعصعة بن صوحان إلى عقيل بن أبي طالب

ثم غاضب عقيل أخاه ففارقه ولاحق بمعاوية^(۴) ، وقد قال له معاوية يوماً : ميّز لي

(۱) انظر ص ۴۰۳ .

(۲) أسلمه : خذله ، واهنا : ضعيفا ، وسلس : أي ابن سهل الانقياد ، وطيّ الظهر : أي لينة الصليب : الشديد ، والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمي .
(۳) روى أن عقيلاً نزمه دين فقدم على الكوفة ، فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل ، فقال عقيل : ما هو إلا ما أرى ؟ قال : لا ، قال : فتفضى ديتي ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف ، فأدفعه إليك ، فقال : بيوت المال بيدك ، وأنت نسوفي بمطائك ؟ قال : أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها ؟ قال : فإن آت معاوية ، فأذن له ، فأتى معاوية فأكرمه وقربه وقضى حوائجه وأدى عنه دينه ، وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة - انظر أسد الغابة ج ۳ : ص ۲۳ : والفخرى لابن طباطبا ص ۷۶ والعقد القريدي ۲ : ۱۰۹

أصحاب علي ، وابدأ بآل صوحان ، فإنهم مخاريق^(۱) الكلام ، فوصفهم له وصفاً

وسأل معاوية عقيلاً يوماً عن قصة الحديدية المحماة ، فسكى وقال : أنا أحدثك بمعاوية عنه ، ثم أحدثك عما سألت :

« نزل بالحسين ابنه ضيف فاستنصف درهما اشترى به خبزاً واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق غسل جباههم من اليمن ، فأخذ منه رطلا ، فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال : يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث ، فأخبره ، فغضب وقال : علي بحسين فرغم عليه الدرّة ، فقال : بحق عمي جعفر - وكان إذا سئل بحق جعفر سكن - فقال له : ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة ؟ قال : إن لنا فيه حقا ، فإذا أعطيتاه رددناه - قال : فذاك أبوك ، إن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم . أما لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل تبرّكك لأوجعتك ضرباً ، ثم دفم إلى قنبر درهما كان مصروراً في ردائه ، وقال : اشرب به خيراً غسل تغدر عليه . قال عقيل . والله لكأنّي أنظر إلى يد علي وهي على قم الرق ، وقنبر يقبل الغسل فيه ، ثم شده وجعل يسكى ويقول : اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم . فقال معاوية : ذكرت من لا ينكر فضله ، رحم الله أباحسن ، فلقد سبق من كان قبله ، وأعجز من يأتي بعده ، فلم حديث الحديدية ، قال نعم ، أقويت وأصابتي بحصّة شديدة ، فسألته فلم تند صفاته ، شمعت صبياني وجئت بهم والبؤس والضر طاهران عليهم ، فقال : أتني عشية لأدفع إليك شيئاً ، فخشيت أن يفودني أحد ولدي - وكان عقيل قد كف بصره - فأمره بالتمتع ، ثم قال : ألا فدونك ، فأهويت حريصاً قد غلبى الجسم ، أظنها صرة فوضعت يدي على حديدية تلهب ناراً . فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره . فقال لي : تكلمك أمك . هذا من حديدية أوقدت لها نار الدنيا ، فكيف بك وبني غدا إن سلكنا في سلاسل جهنم ؟ ثم قرأ : « إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ » ثم قال : ليس لك عندي فوق حنك الذي فرسه الله امت إلاماترى ، فانصرف إلى أهلك ، فعمل معاوية يتعجب ويقول هيهات هيهات ! عفت النساء أن يدين مثله - انظر شرح ابن أبي الحديد م ۳ ص ۸۲ .

وقد أورد الشريف الرضي كلمة الإمام رضي الله عنه وهذا الصدد ، « والله لأن أبيت على حساب السعدان مسهداً ، أو أجزى الأغلال مصفداً ، أحب إن من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة طائفاً ببعض العباد وغاصبا لشيء من الخضم ، وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قهولها ، ويضول في آخرى حلوقها ؟ والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملى حتى استباحي من بر كم صاعاً ، ورأيت صبيانه شمعت الشموز غير الألوان من فقرهم ، كأننا سودت وجوههم بالعظم (الظلم بالكسر : سواد يصع به) وعادوني مؤكداً ، وكرر على القول مردداً ، فأصفت إليه سمعي ، فظن أني أبيع دني ، وأنتع قياده ، مفارقاً طريقي ، فأجبت له حديدية ثم أدنيتها من جسمه ايمتر بها ، فضح ضحيج ذي دنف من ألبها ، وكاد أن يخرق من ميسمها ، فقلت له تكلمت الثواكل يا عقيل ، أتئن من حديدية أحماها لسانها لآلمه ونجرتني إلى نار سحرها (أي أضرمها) جبارها لنضبه ؟ أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى ؟ انظر نهج البلاغة ج ۱ : ص ۲۸۳ .

(۱) مخاريق : جمع مخراق بالكسر ، وهو السيف ، والسيد ، والنصرف في الأمور الذي لا يقع في أمر إلا خرج منه (والثور الجري يسمى مخراقاً لأن الكلاب تطلبه فيقتل منها) وقلان مخراق حرب : أي صاحب حروب يخف فيها .

امتدحهم فيه بما هم أهله^(۱) ، فانصل كلام عتيل بصعصعة بن صوحان ، فكتب إليه :
 « بسم الله الرحمن الرحيم ، ذِكرُ الله أكبرُ ، وبه يَسْتَفْتِحُ المستَفْتِحُونَ ، وأنتم
 مفاتيح الدنيا والآخرة :

أما بعد: فقد بلغ مَوْلَاكَ^(۲) كلامُكَ لِعَدُوِّ الله وعدوه ، فمِدَّتُ الله على ذلك وسألتُهُ
 أن يَفِيءَ^(۳) بك إلى الدرجة العُلْيَا ، والقَضِيبِ الأحمر ، والعمود الأسود ، فإنه عمودُ
 مَنْ فارقَهُ فارقَ الدينَ الأزهرَ ، ولئن نَزَعْتَ^(۴) بك نفسك إلى معاوية طابا لماله ،
 إنك لذو علمٍ بجميع خصاله ، فاحذَرُ أن تَعَلَّقَ بك نارُهُ ، فيُضِلَّكَ عن الحجَّةِ^(۵) ،
 فإن الله قد رفع عنكم أهلَ البيت ما وَضَعَهُ في غيركم ، فما كان من فضل أو إحسان فيكم
 وَصَلَ إلينا ، فأَجَلَ اللهُ أقداركم ، وَحَمَى أخطاركم^(۶) ، وكتب آثاركم ، فإن أقداركم
 مَرَضِيَّةٌ ، وأخطاركم مَحْمِيَّةٌ ، وآثاركم بَدْرِيَّةٌ ، وأنتم سُلِّمَ اللهُ إلى خَلْقِهِ ، ووسيلةٌ إلى
 طَرِقِهِ ، أَيْدِي عَالِيَةٍ ، ووجوهٌ جَلِيَّةٌ : وأنتم كما قال الشاعر^(۷) :

فما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آباءهم قبل
 وهل يُنْبِتُ الخَطِيَّ إلا وشيجه وتُفْرَسُ إلا في منابتها النخل ؟
 (مروج الذهب ۲ : ۷۶)

(۱) قال فيهم : « أما صعصعة فعضيم الشأن ، غضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ،
 ما فتق ، ويفتق مارتق ، قليل النظر ، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان ، نصب فيهما الخلجان
 وريعات بهما البلدان ، رجلا جد لالعب معه ، وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر :

إذا نزل العدو فإن عندي أسودا تخاس الأسد النفوسا

(۲) مولاك هنا ، معناه عبدك : يعني نفسه . (۳) فاه يفيء : رجم .

(۴) نزع : مالت واشتأقت . (۵) الحججة : جادة الطريق .

(۶) أي أقداركم : جمع خطر بالتجريك .

(۷) هو زهير بن أبي سلمى ، والبيتان من أبيات فالها في مدح هرم بن سنان ، والخطي : الرمح
 نسبة إلى الخط : وهو مرفأ السفن بالبحرين ، نسبت إليه الرماح لأنها كانت تباع به لا أنه منبتها ، والوشيج
 شجر الرماح .

۵۴۸ - كتاب عليّ إلى كعب بن مالك

وكتب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى كعب بن مالك أحد عماله :
« أما بعد : فاستخلف عليّ عملك ، وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض
السّواد كورة كورة ، فتسألهم عن عمالهم ، وتنظر في سيرتهم ، حتى تمرّ بمن كان منهم
فيما بين دجلة والفرات ، ثم أرجع إلى البيهتبا ذات^(۱) فتقول معوتتها ، واعمل بطاعة الله
فيما ولأك منها ، وأعلم أن الدنيا فانية ، وأن الآخرة آتية ، وأن عمل ابن آدم محفوظ عليه ،
وأنتك تجزي بما أسلفت ، وقادِم عليّ ما قدّمت من خير ، فاصنع خيراً تجد خيراً » .
(كتاب الحراج ص ۱۵۱)

۵۴۹ - كتاب عليّ إلى بعض عماله

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة قال :
وكتب عليّ عليه السلام إلى بعض عماله :
« أما بعدُ : فإنك^(۲) ممن أسْتَظْهَر به عليّ إقامة الدين ، وأقَمَع به نَحْوَةَ الأثيم
وأَسَدُّ به لَهَاءَ^(۳) الثَّغْرِ المَخُوف ، فاستعين بالله على ما أَمَّكَ ، واخْلِطِ الشَّدة بِضِفِّ^(۴)
من اللين ، وارفق ما كان الرفقُ أرفقَ ، واعتزم بالشدة حين لا يُفني عنك إلا الشدة ،
واخفِض للرعية جَنَاحَكَ ، وألن لهم جانِبَكَ ، وآس بينهم في اللَّحظة والنَّظرة والإشارة
والتَّحِيَّة ، حتى لا يطمَع العُظماء في حَنيفِكَ ، ولا ييأس الضُّعفاء من عدلك ، والسلام » .
(نهج البلاغة ۲ : ۵۴)

(۱) اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سني الفرات منسوبة إلى قباذ بن فيروز .
(۲) الفقرات الثلاث الأولى رواها الطبري في صدر الكتاب الذي كتبه عليّ إلى الأشتر (انظر ص ۴۷۹)
والفقر الأربع التي بعدها رواها الطبري من وصية وصى بها عليّ الأشتر أيضاً حين ولاء مصر إذ قال له :
ليس لها غيرك ، أخرج رحمك الله فإنني إن لم أوصك اكتفيت برأيك ، واستمن باقة عليّ ما أمرك . . .
(انظر تاريخ الطبري ۶ : ۵۴) وبقية الكتاب واردة في عهد عليّ لمحمد بن أبي بكر (انظر ص ۴۶۷)
(۳) الهاء : اللحمة المشرفة على الخلق .
(۴) الضف : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس .

۵۵۰ - کتاب علیؑ إلى سهل بن حنیف

وكتب علیؑ عليه السلام إلى سهل بن حنیف الأنصاري عامله على المدينة ، وقد لحق قوم من أهلها بمعاوية :

« أما بعد ، فقد بلغني أن رجالاً من قبلك يتسللون^(۱) إلى معاوية ، فلا تأمف على ما يقوتك من عددهم ، ويذهبُ عنك من مددهم ، فكفني لهم غيباً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق ، وإيضاعهم^(۲) إلى العمى والجهل ، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، ومتهطعون^(۳) إليها ، وقد عرفوا العدل ورأوه ، وسموه ووعوه ، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة ، فهربوا إلى الأثرة^(۴) ، فبعثنا لهم وسحقاً ، إنهم والله لم ينفروا^(۵) من جور ، ولم ياحتوا بعدل ، وإنما لنطمع في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه ، ويسهل لنا حزنه ، إن شاء الله ، والسلام . » (نهج البلاغة ۲ : ۹۵)

۵۵۱ - کتاب علیؑ إلى المنذر بن الجارود العبدي

وكتب علیؑ عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد كان استعمله على بعض النواحي نغان الأمانة :

« أما بعد : فإن صلاح أبيك^(۶) غرني منك ، وظننت أنك تتبع هدته ، وتسلكُ

(۱) أي يخرجون في خفية واستتار (۲) وضع البعير وأوضع : أسرع في سيره ، والعمى : الضلال .
 (۳) أهطم : أسرع ، ووعاه : حفظه .
 (۴) استأثر على أصحابه استشاراً : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم منه الأثرة بالتحريك والأثرة بالضم وبالكسر وكالحسنى ، والحق : البعد .
 (۵) وفي رواية « لم يفروا » والحزن : ماغلظ من الأرم ، ضد السهل .
 (۶) هو الجارود بشر بن خنيس بن المعلى ، وبيتهم بيت الشرف في عبد القيس ، كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكان قد وفد مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس ، وكان يقال : أطوع الناس في قومه الجارود ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب خطب قومه فقال : «أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، ومن ذهبه في هذه الفتنة دينار أو درهم أو بفرة أو شاة فعلى مثلاه » فما خالفه من عبد القيس أحد .

سبيله ، فإذا أنت فيمارق^(۱) إلى عنك لا تدع لهواك أنقياداً ، ولا تُبقي لآخرتك عقاداً^(۲) ، تعمّر دنياك بخراب آخرتك ، وتصل عشيرتك بتطاعة دينك^(۳) ، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً ، لجمل^(۴) أهلك ، وشسع^(۵) نفلك ، خير منك ، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به نقر ، أو ينفذ به أمر ، أو يُغلي له قدر ، أو يُشرك في أمانة ، أو يؤمن على جباية ، فأقبل إلى حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله .

(نهج البلاغة ۲ : ۹۶)

۵۵۲ - كتاب وقف للإمام عليّ كرم الله وجهه

ووقف الإمام عليّ كرم الله وجهه لسنتين من خلافته : « عين أبي نيزر والبغيبغة^(۵) » وكتب بذلك كتاباً نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدّق به عبد الله على أمير المؤمنين ، تصدّق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر ، والبغيبغة ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة ، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين ، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين ، فهما طليق^(۶) لهما ، وليس لأحد غيرهما .

(الكامل للبرد ۲ : ۱۴۱ ، ومعجم البلدان ۶ : ۲۵۲)

(۱) أي فيمارق إلى . (۲) العناد : العدة .

(۳) كان فيمارق إليه عنه أنه يقتطع المال ، ويفيضة على رهطه وقومه ، ويخرج بعضه في لذاته ومآربه . (۴) العرب تضرب بالجل المثل في الذلة والهوان ، قال العباس بن مرداس :

لقد عظم البعير بغير لب	فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه	ويحبسه على الحنف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى	فلا غير لديه ولا تكبر

(انظر ديوان الحماسة ۲ : ۱۶) وكذلك ضربوا المثل في الذلة بشع النعل، (وهو سير تشد به) قالوا : لا أذل من النسخ ، كما قالوا : «أذل من النعل» وكان الحارث بن عباد البكري حين نشبت حرب البسوس بين بكر وتغلب قد اهزل القوم ، فلما استنجر القتل في بكر بعث ابنه بجيرا إلى مهلهل بن ربيعة في طلب الصلح ، فقتله مهلهل وقال له : « يؤشع نعل كليب » .

(۵) ضيعتان بالمدينة . (۶) أي حلال .

توقيعات الخلفاء الراشدين

كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما من دومة الجندل
بستأمره في أمر العدو ، فوقع إليه :

« أُذُنُ مِنَ الْمَوْتِ تُوهَبُ لَكَ الْحَيَاةُ^(۱) »

* * *

وكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من الكوفة
بستأذنه في بناء دار الإمارة فوقع إليه :

« ابْنِ مَا يَسْتُرُ مِنَ الشَّمْسِ ، وَيُسْكِنُ^(۲) مِنَ الْمَطَرِ »

وفي رواية : « ابْنِ مَا يَكْنُكَ مِنَ الْهَوَاجِرِ^(۳) وَأَذَى الْمَطَرِ »

* * *

ووقع عمر إلى عمرو بن العاص :

« كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ . »

* * *

ووقع عثمان في قصة قوم نظّموا من مروان بن الحكم ، وذكروا أنه أمر
بوجّه^(۴) أعناقهم :

« فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ بِمَا تَعْمَلُونَ »

* * *

(۱) وجاء في مجمع الأمثال للميداني ج ۲ : ص ۲۷۶ وفي نهاية الأرب ج ۳ : ص ۴ « ومن كلام
أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « احرس على الموت توهب لك الحياة » قاله لخالد بن الوليد حين بعثه
إلى أهل الردة . (۲) كنه كرده وأكنه : ستره وصانه .

(۳) الهواجر : جمع هاجرة : وهي شدة الحر .

(۴) وجاء بالسكين كوضعه ضربه ، وجاء في خاص الخاص : « وكتب إلى عمر نفر من أهل مصر
يشكون مروان بن الحكم ، فوقع له كتابهم : فإن عصوك . . . الخ » .

ووقع عثمان في قصة رجل شكّا عَيْلَةً^(۱) :

« قد أمرنا لك بما يُقيمتك ، وليس في مال الله فضلٌ للمُسْرِفِ »

ووقع عليّ كرم الله وجهه إلى طلحة بن عبّيد الله :

« في بيته يُوثى الحُكْمُ »

وكتب الحسين بن عليّ إلى أبيه رضى الله عنهما في شيء من أمر عثمان رضى الله

عنه ، فوقع إليه :

« رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام »

ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناسُ يوم القيامة - ؟ :

« يحاسبون كما يُرزقون »

وكتب إليه الحُضَيْن بن المنذر بصيفين : « يا أمير المؤمنين ، قد أسرع السيف

في « ربيعة » وخاصةً في أسرى منهم » فوقع إليه :

« بَقِيَّةُ السيفِ أَنْمَى^(۲) عَدَدًا »

ووقع في كتاب جاءه من الأشتر النخعي ، فيه بعض ما يكرهه :

« مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلِّهْ ؟ »

ووقع في كتاب صَفْصَعَةَ بن صُوحان بسأله في شيء :

« قيمة كل امرئ ما يُحْسِنُ »

(العقد الفريد ۲ : ۱۸۵ وخامس الخالص ص ۶۷)

(۱) العيلة : الفقر . (۲) أى أكثر ، من نما ينمو ونمى ينمى : إذا زاد وكثر ، وفى العقد وخامس الخالص « أنهى » وهو تحريف ، وفيها أيضا « الحصين » بالصاد المهملة وهو ترحيف .

تم الجزء الأول بحمد الله وتوفيقه

ويليه

الجزء الثاني

وأوله

الرسائل في العصر الأموي

الباب الثاني

الرسائل في عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بها

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة .	١	٣١
كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش عام الحديبية	٢	٣٥
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم	٣	٣٧
« « « « إلى كسرى ملك الفرس	٤	٤٠
« « « « إلى النجاشي ملك الحبشة	٥	٤٠
ردّ النجاشي على كتابه صلى الله عليه وسلم	٦	٤١
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط	٧	٤٢
ردّ المقوقس على كتابه صلى الله عليه وسلم	٨	٤٣
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحرث بن أبي شبر الغساني صاحب دمشق	٩	٤٤
« « « « إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين	١٠	٤٥
ردّ المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم	١١	٤٦
ردّه صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر	١٢	٤٦
عهد العلاء بن الحضرمي لأهل البحرين	١٣	٤٦
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين	١٤	٤٧
« « « « إلى أهل هجر	١٥	٤٧
« « « « إلى هوذة بن عليّ صاحب اليمامة	١٦	٤٨
ردّ هوذة بن عليّ على كتابه صلى الله عليه وسلم	١٧	٤٨
كتابه صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد الخزاعي	١٨	٤٩
« « « « إلى جيفر وعبد ابنى الجلندي ملكي عمان	١٩	٤٩
عهده « « « « لأهل أيلة بالأمان	٢٠	٥١
كتابه « « « « لأهل أذرح وجرباء بالأمان	٢١	٥٢

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۱۱۸	۷۲	كتاب أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية
۱۱۸	۷۳	» » » » » »
۱۱۸	۷۴	» » » إلى خالد بن الوليد ومن معه
۱۲۰	۷۵	» » » إلى المثني بن حارثة
۱۲۱	۷۶	كتاب مذعور بن عدى إلى أبي بكر
۱۲۱	۷۷	كتاب المثني بن حارثة إلى أبي بكر
۱۲۲	۷۸	كتاب أبي بكر إلى مذعور بن عدى
۱۲۲	۷۹	» » » إلى المثني بن حارثة
۱۲۲	۸۰	» » » إلى خالد بن الوليد
۱۲۳	۸۱	كتاب أبي بكر إلى عياض بن غنم
۱۲۳	۸۲	» » » إلى خالد وعياض
۱۲۴	۸۳	» خالد بن الوليد إلى هرمرز
۱۲۴	۸۴	عهد خالد بن الوليد لأهل الخيرة
۱۲۷	۸۵	عهد خالد بن الوليد لصاحب بانقيا
۱۲۸	۸۶	» » » لصاحب قس الناطف
۱۲۹	۸۷	» » » لدهاقين العراق
۱۳۰	۸۸	كتاب البراءة لأهل الخراج
۱۳۰	۸۹	كتاب خالد بن الوليد إلى ملوك فارس
۱۳۰	۹۰	» » » إلى مرازبة فارس
۱۳۲	۹۱	» » » » » »
۱۳۲	۹۲	» أبي بكر إلى خالد بن الوليد
۱۳۳	۹۳	» » » إلى أهل اليمن
۱۳۴	۹۴	» » » إلى عمرو بن العاص
۱۳۴	۹۵	رد عمرو على كتاب أبي بكر
۱۳۵	۹۶	كتاب أبي بكر إلى خالد بن سعيد بن العاص
۱۳۵	۹۷	كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى أبي بكر
۱۳۶	۹۸	رد أبي بكر على أبي عبيدة

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر	۹۹	۱۳۷
ردّ أبي بكر على يزيد بن أبي سفيان	۱۰۰	۱۳۷
كتاب هرقل إلى أهل الشام	۱۰۱	۱۳۸
« أبي عبيدة إلى أبي بكر	۱۰۲	۱۳۹
ردّ أبي بكر على أبي عبيدة	۱۰۳	۱۳۹
كتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر	۱۰۴	۱۴۰
« أبي بكر إلى خالد بن الوليد	۱۰۵	۱۴۰
« خالد بن الوليد إلى المسلمين بالشام	۱۰۶	۱۴۱
« « « إلى أبي عبيدة	۱۰۷	۱۴۱
« أبي بكر إلى أبي عبيدة	۱۰۸	۱۴۲
« خالد إلى الأمراء	۱۰۹	۱۴۲
« « إلى أبي بكر	۱۱۰	۱۴۳
عهد أبي بكر عند موته لعمر بن الخطاب	۱۱۱	۱۴۴

خلافة عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ

كتابه إلى أبي عبيدة بن الجراح	۱۱۲	۱۴۵
كتاب عمر إلى الأمصار	۱۱۳	۱۴۶
« « إلى أبي عبيدة	۱۱۴	۱۴۶
« أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب	۱۱۵	۱۴۷
ردّ عمر على أبي عبيدة ومعاذ	۱۱۶	۱۴۸
كتاب عمر إلى أبي عبيدة	۱۱۷	۱۵۰
عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق	۱۱۸	۱۵۰
« أبي عبيد لأهل دمشق	۱۱۹	۱۵۱
كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة	۱۲۰	۱۵۳
« أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب	۱۲۱	۱۵۳
ردّ عمر على أبي عبيدة	۱۲۲	۱۵۴

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۱۵۵	۱۲۳	كتاب أبي عبيدة إلى عمر
۱۵۶	۱۲۴	» » » » »
۱۵۷	۱۲۵	ردّ عمر على أبي عبيدة
۱۶۰	۱۲۶	عهد أبي عبيدة لأهل بعلبك
۱۶۰	۱۲۷	كتاب أبي عبيدة إلى عمر
۱۶۱	۱۲۸	ردّ عمر على أبي عبيدة
۱۶۱	۱۲۹	كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق
۱۶۲	۱۳۰	كتاب أبي عبيدة إلى عمر
۱۶۲	۱۳۱	ردّ عمر على أبي عبيدة
۱۶۳	۱۳۲	كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة
۱۶۴	۱۳۳	ردّ أبي عبيدة على عمرو
۱۶۵	۱۳۴	كتاب عمرو بن العاص إلى بطارقة إبلياء
۱۶۶	۱۳۵	» أهل إبلياء إلى عمرو بن العاص
۱۶۶	۱۳۶	» أبي عبيدة إلى عمر
۱۶۷	۱۳۷	ردّ عمر على أبي عبيدة
۱۷۰	۱۳۸	كتاب باهان إلى قيصر
۱۷۰	۱۳۹	» أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق
۱۷۰	۱۴۰	» » » أهل إبلياء
۱۷۱	۱۴۱	» » » عمر
۱۷۲	۱۴۲	ردّ عمر على أبي عبيدة
۱۷۲	۱۴۳	كتاب سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة
۱۷۳	۱۴۴	» أبي عبيدة إلى عمر
۱۷۴	۱۴۵	» عمر إلى معاوية
۱۷۴	۱۴۶	» أرطوبون الرومي إلى عمرو بن العاص
۱۷۵	۱۴۷	ردّ عمرو على كتاب أرطوبون
۱۷۵	۱۴۸	عهد عمر بن الخطاب لأهل إبلياء
۱۷۷	۱۴۹	كتاب عمر إلى عمار بن ياسر

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتب بين عمر وبين خالد	۱۵۰	۱۷۷
كتاب عمر إلى أبي عبيدة	۱۵۱	۱۷۸
كتب بين أبي عبيدة وبين عمر	۱۵۲	۱۷۹
كتاب عمر إلى أبي عبيدة	۱۵۳	۱۸۱
رد أبي عبيدة على عمر	۱۵۴	۱۸۱
كتب بين أبي عبيدة وبين عمر	۱۵۵	۱۸۲
كتاب معاذ بن جبل إلى عمر	۱۵۶	۱۸۳
عمر وبن العاص إلى عمر	۱۵۷	۱۸۴
عمر إلى يزيد بن أبي سفيان	۱۵۸	۱۸۴
أمرام الأجناد	۱۵۹	۱۸۴
يزيد بن أبي سفيان إلى أمرام الأجناد	۱۶۰	۱۸۵
عمر إلى معاوية	۱۶۱	۱۸۵
عمر وبن العاص	۱۶۲	۱۸۶
عمر وبن العاص	۱۶۳	۱۸۷
عهد عمرو بن العاص لأهل مصر	۱۶۴	۱۸۷
كتاب عمر إلى عمرو بن العاص	۱۶۵	۱۸۸
عمر وبن العاص	۱۶۶	۱۸۹
عمر وبن العاص	۱۶۷	۱۹۰
عمر وبن العاص إلى عمر	۱۶۸	۱۹۰
معاوية إلى عمر	۱۶۹	۱۹۲
عمر وبن العاص إلى عمر	۱۷۰	۱۹۳
كتاب عمر إلى عمرو بن العاص	۱۷۱	۱۹۳
عمر وبن العاص	۱۷۲	۱۹۴
رد عمرو على عمر	۱۷۳	۱۹۴
كتاب عمر إلى عمرو	۱۷۴	۱۹۵
عمر وبن العاص إلى عمرو	۱۷۵	۱۹۵
عمر وبن العاص	۱۷۶	۱۹۶

رقم الرسالة	رقم الصفحة	الرسالة
۱۷۷	۱۹۷	كتاب عمر إلى عمرو
۱۷۸	۱۹۹	رد عمرو على عمر
۱۷۹	۲۰۰	« عمر على عمرو
۱۸۰	۲۰۰	« عمرو على عمر
۱۸۱	۲۰۱	كتاب عمر إلى عمرو
۱۸۲	۲۰۱	رد عمرو على عمر
۱۸۳	۲۰۲	رد عمر على عمرو
۱۸۳م	۲۰۵	كتاب أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى عمر
۱۸۴	۲۰۶	« عمر إلى المثني بن حارثة الشيباني
۱۸۵	۲۰۷	« عمر إلى عماله
۱۸۶	۲۰۷	« سعد بن أبي وقاص إلى عمر
۱۸۷	۲۰۸	« عمر إلى سعد بن أبي وقاص
۱۸۸	۲۰۸	« « « « « « «
۱۸۹	۲۰۸	« « « « « « «
۱۹۰	۲۱۰	« « « « « « «
۱۹۱	۲۱۱	« « « « « « «
۱۹۲	۲۱۲	رد سعد على كتاب عمر
۱۹۳	۲۱۳	رد عمر على سعد
۱۹۴	۲۱۳	كتاب عمر إلى سعد
۱۹۵	۲۱۳	« سعد إلى عمر
۱۹۶	۲۱۴	« عمر إلى سعد
۱۹۷	۲۱۴	« سعد إلى عمر
۱۹۸	۲۱۴	« عمر إلى سعد
۱۹۹	۲۱۵	« سعد « عمر
۲۰۰	۲۱۶	« « « « « « «
۲۰۱	۲۱۶	« « « « « « «
۲۰۲	۲۱۶	« عمر « سعد

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمر إلى سعد	۲۰۳	۲۱۷
» » » »	۲۰۴	۲۱۷
إلى قطبة بن قنادة	۲۰۵	۲۱۸
عتبة بن غزوان	۲۰۶	۲۱۸
» » » »	۲۰۷	۲۲۰
» » » »	۲۰۸	۲۲۱
المغيرة بن شعبة	۲۰۹	۲۲۱
أهل البصرة	۲۱۰	۲۲۲
أبي موسى الأشعري	۲۱۱	۲۲۲
» » » »	۲۱۲	۲۲۳
» » » »	۲۱۳	۲۲۴
» » » »	۲۱۴	۲۲۵
سعد بن أبي وقاص إلى عمر	۲۱۵	۲۲۶
رد عمر على كتاب سعد	۲۱۶	۲۲۷
كتاب عمر إلى سعد	۲۱۷	۲۲۷
» » » »	۲۱۸	۲۲۷
» » » »	۲۱۹	۲۲۸
» » » »	۲۲۰	۲۲۸
» » » »	۲۲۱	۲۲۹
» » » »	۲۲۲	۲۲۹
» » » »	۲۲۳	۲۲۹
» » » »	۲۲۴	۲۳۰
كتب بين سعد وبين عمر	۲۲۵	۲۳۰
كتاب عمر إلى سعد	۲۲۶	۲۳۱
» » » »	۲۲۷	۲۳۱
أبي عبيدة	۲۲۸	۲۳۲

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمر إلى سعد	۲۲۹	۲۳۲
عهد عياض بن غنم لأهل البصرة	۲۳۰	۲۳۳
كتاب عياض إلى أسقف الرها	۲۳۱	۲۳۳
عهد عياض لأهل الرها	۲۳۲	۲۳۳
كتاب عمر إلى ملك الروم	۲۳۳	۲۳۴
» » » حرقوص بن زهير	۲۳۴	۲۳۴
» » » سعد	۲۳۵	۲۳۵
» » » أبي موسى	۲۳۶	۲۳۵
» » » أبي سبرة	۲۳۷	۲۳۶
» النعمان بن مقرن إلى عمر	۲۳۸	۲۳۶
كتاب عمر إلى سعد	۲۳۹	۲۳۷
كتاب عهد الله بن عبد الله بن عتبان إلى عمر	۲۴۰	۲۳۷
» عمر إلى النعمان بن مقرن	۲۴۱	۲۳۷
» » » » »	۲۴۲	۲۳۸
» عبد الله بن عهد الله بن عتبان	۲۴۳	۲۳۸
» القواد بفارس	۲۴۴	۲۳۸
عهد النعمان بن مقرن لأهل ماء بهرذان	۲۴۵	۲۳۹
كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن	۲۴۶	۲۳۹
» » » » »	۲۴۷	۲۴۰
» نعيم بن مقرن	۲۴۸	۲۴۰
» عهد الله بن عبد الله بن عتبان	۲۴۹	۲۴۰
» أهل الكوفة	۲۵۰	۲۴۱
عهد عبد الله بن عهد الله للفاذوسفان ، وأهل أصبهان	۲۵۱	۲۴۱
كتاب عمر إلى عبد الله بن عهد الله	۲۵۲	۲۴۲
كتب بين عمر وبين حذيفة بن اليمان	۲۵۳	۲۴۲
» » » » » عثمان بن حنيف	۲۵۴	۲۴۲

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۲۴۳	۲۵۵	كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن
۲۴۳	۲۵۶	عهد نعيم بن مقرن لأهل الري
۲۴۴	۲۵۷	عهد سويد بن مقرن لأهل دنباوولد
۲۴۵	۲۵۸	كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن
۲۴۵	۲۵۹	عهد سويد بن مقرن لأهل قومنس
۲۴۵	۲۶۰	» » » » جرجان
۲۴۶	۲۶۱	» » » » طبرستان
۲۴۷	۲۶۲	عهد عتبة بن فرقد لأهل أذر بيجان
۲۴۷	۲۶۳	عهد سراقه بن عمرو لأهل أرمينية
۲۴۸	۲۶۴	عهد بكير بن عبد الله لأهل موقان
۲۴۹	۲۶۵	كتاب عمر إلى الأحنف بن قيس
۲۴۹	۲۶۶	» » » ابنه عبد الله
۲۵۰	۲۶۷	» شريح
۲۵۰	۲۶۸	» عمر إلى النعمان بن حدي
۲۵۱	۲۶۹	» نضر بن حجاج إلى عمر
۲۵۲	۲۷۰	» عمر لأنس بن مالك
۲۵۲	۲۷۱	» أبي موسى الأشعري إلى عمر
۲۵۲	۲۷۲	رد عمر عليه
۲۵۳	۲۷۳	كتاب عمر إلى عماله
۲۵۴	۲۷۴	» أمير الطائف على عمر
۲۵۴	۲۷۵	رد عمر عليه
۲۵۴	۲۷۶	كتاب عمر إلى يعلى بن أمية
۲۵۵	۲۷۷	كتاب فلام لعبد الله بن عمر إليه
۲۵۵	۲۷۸	رد عبد الله بن عمر على فلامه
۲۵۵	۲۷۹	كتاب عمر إلى الحصين بن الحر
۲۵۵	۲۸۰	» » » المغيرة بن شعبة
۲۵۶	۲۸۱	» المغيرة بن شعبة إلى عمر

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه		
كتابه إلى عماله	٢٨٢	٢٥٧
« « « أمراء الأجناد	٢٨٣	٢٥٧
كتابه إلى عمال الخراج	٢٨٤	٢٥٨
« « « العامة	٢٨٥	٢٥٨
« « « عماله	٢٨٦	٢٥٨
« « « «	٢٨٧	٢٥٩
« « « الوليد بن عقبة	٢٨٨	٢٥٩
« « « عماله	٢٨٩	٢٦٠
« « « أهل الأمصار	٢٩٠	٢٦٠
كتاب عثمان إلى أهل الكوفة	٢٩١	٢٦٠
« « « سعيد بن العاص إلى عثمان	٢٩٢	٢٦١
رد عثمان على كتاب سعيد	٢٩٣	٢٦١
كتب بين عثمان وبين سعيد بن العاص	٢٩٤	٢٦١
كتاب معاوية إلى عثمان	٢٩٥	٢٦٢
« « « عثمان إلى معاوية	٢٩٦	٢٦٣
« « « عبد الرحمن بن ربيعة	٢٩٧	٢٦٣
« « « موزهان مرو إلى الأحنف بن قيس	٢٩٨	٢٦٤
رد الأحنف على كتابه	٢٩٩	٢٦٥
عهد حبيب بن مسلمة لأدل دبيل	٣٠٠	٢٦٦
كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل جرزان	٣٠١	٢٦٦
عهد حبيب لأهل جرزان	٣٠٢	٢٦٧
كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان	٣٠٣	٢٦٨
« « « عثمان إلى معاوية	٣٠٤	٢٦٨
« « « معاوية إلى عثمان	٣٠٥	٢٦٩
« « « عثمان إلى الأشتر وأصحابه	٣٠٦	٢٧٠
كتاب عثمان إلى أهل الكوفة	٣٠٧	٢٧٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى عبد الله بن عامر	۳۳۳	۳۰۳
» » » الوليد بن عقبة	۳۳۴	۳۰۴
» » » يعلى بن أمية	۳۳۵	۳۰۵
» مروان إلى معاوية	۳۳۶	۳۰۶
» عبد الله بن عامر إلى معاوية	۳۳۷	۳۰۷
» الوليد بن عقبة إلى معاوية	۳۳۸	۳۰۸
» يعلى بن أمية إلى معاوية	۳۳۹	۳۱۰
» سعيد بن العاص إلى معاوية	۳۴۰	۳۱۱
كتاب السيدة أم سلمة إلى السيدة عائشة	۳۴۱	۳۱۲
ردّ السيدة عائشة على السيدة أم سلمة	۳۴۲	۳۱۵
كتاب السيدة أم سلمة إلى عليّ	۳۴۳	۳۱۵
» الأشر إلى السيدة عائشة	۳۴۴	۳۱۶
ردّ السيدة عائشة على الأشر	۳۴۵	۳۱۶
كتاب طلحة والزبير إلى كعب بن سور	۳۴۶	۳۱۷
» » » الأحنف بن قيس	۳۴۷	۳۱۷
» » » المنذر بن ربيعة	۳۴۸	۳۱۸
ردّ كعب بن سور على طلحة والزبير	۳۴۹	۳۱۸
» الأحنف على طلحة والزبير	۳۵۰	۳۱۸
ردّ المنذر على طلحة والزبير	۳۵۱	۳۱۹
كتاب السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان	۳۵۲	۳۱۹
ردّ زيد بن صوحان على السيدة عائشة	۳۵۳	۳۲۰
كتاب الصلح بين أصحاب الجمل وبين عثمان بن حنيف	۳۵۴	۳۲۱
» عليّ إلى عثمان بن حنيف	۳۵۵	۳۲۲
» طلحة والزبير إلى أهل الأمصار	۳۵۶	۳۲۳
كتاب السيدة عائشة إلى أهل الكوفة	۳۵۷	۳۲۴
» عليّ إلى أهل الكوفة	۳۵۸	۳۲۶
» » » » »	۳۵۹	۳۲۶

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب علي إلى أبي موسى الأشعري	۳۶۰	۳۲۸
» هاشم بن عتبة إلى علي	۳۶۱	۳۲۸
» علي إلى أبي موسى	۳۶۲	۳۲۹
» » » »	۳۶۳	۳۳۰
» » أهل الكوفة	۳۶۴	۳۳۰
» السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر	۳۶۵	۳۳۲
» علي إلى طلحة والزبير	۳۶۶	۳۳۲
» » السيدة عائشة	۳۶۷	۳۳۳
رد طلحة والزبير على علي	۳۶۸	۳۳۴
» السيدة عائشة على علي	۳۶۹	۳۳۴
كتاب علي إلى هامله بالكوفة	۳۷۰	۳۳۴
» الأحنف بن قيس إلى قومه	۳۷۱	۳۳۵
» علي إلى جرير بن عبد الله البجلي	۳۷۲	۳۳۶
» » الأشعث بن قيس	۳۷۳	۳۳۷
كتاب جرير إلى الأشعث	۳۷۴	۳۳۸
» علي إلى معاوية	۳۷۵	۳۳۸
رد معاوية على علي	۳۷۶	۳۳۹
كتاب علي إلى معاوية	۳۷۷	۳۳۹
رد معاوية على علي	۳۷۸	۳۴۰
كتاب علي إلى معاوية	۳۷۹	۳۴۰
» معاوية إلى عمرو بن العاص	۳۸۰	۳۴۱
» علي إلى جرير بن عبد الله	۳۸۱	۳۴۴
» الوليد بن عقبة إلى معاوية	۳۸۲	۳۴۴
» » » »	۳۸۳	۳۴۵
» » » »	۳۸۴	۳۴۶
رد معاوية على الوليد بن عقبة	۳۸۵	۳۴۷
كتاب علي إلى جرير	۳۸۶	۳۴۷

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۳۴۸	۳۸۷	كتاب عياض الثمالي إلى شرحبيل بن السمط
۳۵۰	۳۸۸	» آخر إلى شرحبيل بن السمط
۳۵۱	۳۸۹	رد معاوية على عليّ
۵۳	۳۹۰	» عليّ على معاوية
۳۵۴	۳۹۱	كتاب معاوية إلى عليّ
۳۵۴	۳۹۲	» » أهل مكة والمدينة
۳۵۵	۳۹۳	رد المسور بن مخرمة على معاوية
۳۵۶	۳۹۴	كتاب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو
۳۵۷	۳۹۵	» معاوية إلى ابن عمر
۳۵۷	۳۹۶	رد ابن عمر على معاوية
۳۵۸	۳۹۷	كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص
۳۵۸	۳۹۸	رد سعد على معاوية
۳۵۹	۳۹۹	كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري
۳۵۹	۴۰۰	رد ابن مسلمة على معاوية
۳۶۰	۴۰۱	كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري
۳۶۱	۴۰۲	رد أبي أيوب على معاوية
۳۶۳	۴۰۳	كتاب شرحبيل بن السمط إلى معاوية
۳۶۴	۴۰۴	» معاوية إلى عليّ
۳۶۵	۴۰۵	رد عليّ على معاوية
۳۶۶	۴۰۶	كتاب معاوية إلى عليّ
۳۶۸	۴۰۷	رد عليّ على معاوية
۳۷۱	۴۰۸	كتاب عليّ إلى معاوية
۳۷۲	۴۰۹	رد معاوية على عليّ
۳۷۲	۴۱۰	رد عليّ على معاوية
۳۷۲	۴۱۱	» معاوية على عليّ
۳۷۳	۴۱۲	» عليّ على معاوية
۳۷۳	۴۱۳	» معاوية على عليّ

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
ردّ عليّ هلي معاوية	٤١٤	٣٧٤
» معاوية عليّ هلي	٤١٥	٣٧٦
» عليّ هلي معاوية	٤١٦	٣٧٧
كتاب معاوية إلى عليّ	٤١٧	٣٧٧
ردّ هليّ عليّ معاوية	٤١٨	٣٧٨
كتاب عليّ إلى معاوية	٤١٩	٣٧٨
ردّ معاوية عليّ عليّ	٤٢٠	٣٨١
كتاب عليّ إلى معاوية	٤٢١	٣٨٢
» » » »	٤٢٢	٣٨٣
» معاوية إلى عليّ	٤٢٣	٣٨٤
ردّ عليّ هليّ معاوية	٤٢٤	٣٨٥
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٢٥	٣٩٠
ردّ عليّ هليّ معاوية	٤٢٦	٣٩٣
كتاب عليّ إلى مخنف بن ساهم	٤٢٧	٤٠٢
» » » » عبد الله بن عباس	٤٢٨	٤٠٣
» » » » » » » »	٤٢٩	٤٠٤
» زياد بن النضر إلى هلي	٤٣٠	٤٠٤
» شريح بن هاني إلى هلي	٤٣١	٤٠٥
» عليّ إلى زياد وشريح	٤٣٢	٤٠٥
» » » » أمراء الأجناد	٤٣٣	٤٠٧
» » » » الأجناد	٤٣٤	٤٠٧
» » » » معاوية ومن قبله من قريش	٤٣٥	٤٠٨
ردّ معاوية عليّ هليّ	٤٣٦	٤٠٩
كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس	٤٣٧	٤٠٩
ردّ ابن عباس عليّ ابن العاص	٤٣٨	٤١١
كتاب معاوية إلى ابن عباس	٤٣٩	٤١٣
ردّ ابن عباس عليّ معاوية	٤٤٠	٤١٤

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عليّ إلى معاوية	۴۴۱	۴۱۴
» معاوية إلى ملك الروم	۴۴۲	۴۱۶
» معاوية إلى عليّ	۴۴۳	۴۱۶
ردّ عليّ على معاوية	۴۴۴	۴۱۷
كتاب معاوية إلى عليّ	۴۴۵	۴۱۹
ردّ عليّ على معاوية	۴۴۶	۴۲۱
كتاب معاوية إلى عليّ	۴۴۷	۴۲۳
ردّ عليّ على معاوية	۴۴۸	۴۲۴
ردّ معاوية على عليّ	۴۴۹	۴۲۵
كتاب عليّ إلى عمرو بن العاص	۴۵۰	۴۲۶
ردّ عمرو على عليّ	۴۵۱	۴۲۶
» عليّ على عمرو	۴۵۲	۴۲۷
» عمرو على عليّ	۴۵۳	۴۲۷
» عليّ على عمرو	۴۵۴	۴۲۷
كتاب الصلح بين عليّ ومعاوية	۴۵۵	۴۲۹
» بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري	۴۵۶	۴۳۵
» ابن عمر إلى أبي موسى	۴۵۷	۴۳۸
ردّ أبي موسى على ابن عمر	۴۵۸	۴۳۸
كتاب معاوية إلى أبي موسى	۴۵۹	۴۳۹
ردّ أبي موسى على معاوية	۴۶۰	۴۳۹
كتاب عليّ إلى أبي موسى	۴۶۱	۴۴۰
ردّ أبي موسى على عليّ	۴۶۲	۴۴۰
كتاب أبي موسى إلى عامر بن عبد القيس	۴۶۳	۴۴۰
» عبد الله بن وهب الراسبي إلى خوارج البصرة	۴۶۴	۴۴۱
ردّ خوارج البصرة	۴۶۵	۴۴۱
كتاب عليّ إلى الخوارج بالنهر	۴۶۶	۴۴۲
ردّ الخوارج عليه	۴۶۷	۴۴۲

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عليّ إلى ابن عباس	۴۶۸	۴۴۲
كتاب عليّ إلى معاوية	۴۶۹	۴۴۳
خروج الخربت بن راشد الناجي		۴۴۵
كتاب عليّ إلى عماله	۴۷۰	۴۴۵
« قرظة بن كعب إلى عليّ	۴۷۱	۴۴۵
ردّ عليّ على قرظة بن كعب	۴۷۲	۴۴۶
كتاب عليّ إلى زياد بن خصفة	۴۷۳	۴۴۶
« زياد بن خصفة إلى عليّ	۴۷۴	۴۴۷
« عليّ إلى ابن عباس	۴۷۵	۴۴۸
ردّ عليّ على زياد بن خصفة	۴۷۶	۴۴۸
كتاب ابن عباس إلى معقل بن قيس	۴۷۷	۴۴۹
كتاب معقل بن قيس إلى عليّ	۴۷۸	۴۵۰
« عليّ إلى معقل بن قيس	۴۷۹	۴۵۰
« « أشياخ الخربت	۴۸۰	۴۴۱
« معقل بن قيس إلى عليّ	۴۸۱	۴۵۲
« عليّ إلى مصقلة بن هبيرة	۴۸۲	۴۵۳
« مصقلة إلى أخيه نعيم	۴۸۳	۴۵۵
ردّ نعيم على مصقلة	۴۸۴	۴۵۵
كتاب قوم مصقلة إليه	۴۸۵	۴۵۶
ردّ مصقلة على قومه	۴۸۶	۴۵۷
كتاب هليّ إلى أهل مصر	۴۸۷	۴۵۷
كتاب معاوية إلى قيس بن سعد	۴۸۸	۴۵۹
ردّ قيس بن سعد على معاوية	۴۸۹	۴۶۱
ردّ معاوية على قيس	۴۹۰	۴۶۱
« قيس على معاوية	۴۹۱	۴۶۲
كتاب معاوية إلى قيس	۴۹۲	۴۶۳
ردّ قيس على معاوية	۴۹۳	۴۶۳

الرسالة	رقم الرسالة	الرقم صفحة
كتاب اختلقه معاوية على قيس بن سعد	۴۹۴	۴۶۴
« قيس بن سعد إلى عليّ	۴۹۵	۴۶۵
ردّ عليّ على قيس بن سعد	۴۹۶	۴۶۵
« قيس بن سعد على عليّ	۴۹۷	۴۶۶
عهد عليّ إلى محمد بن أبي بكر	۴۹۸	۴۶۶
كتاب عليّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر	۴۹۹	۴۶۹
« عليّ إلى أهل مصر	۵۰۰	۴۷۴
« محمد بن أبي بكر إلى معاوية	۵۰۱	۴۷۵
ردّ معاوية على محمد بن أبي بكر	۵۰۲	۴۷۷
كتاب عليّ إلى الأشتر	۵۰۳	۴۷۹
« « « أهل مصر	۵۰۴	۴۸۰
« آخر إلى أهل مصر	۵۰۵	۴۸۱
كتاب عليّ إلى محمد بن أبي بكر	۵۰۶	۴۸۳
ردّ محمد بن أبي بكر على عليّ	۵۰۷	۴۸۴
كتاب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج	۵۰۸	۴۸۴
ردّ مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج على معاوية	۵۰۹	۴۸۵
كتاب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر	۵۱۰	۴۸۶
كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر	۵۱۱	۴۸۶
« محمد بن أبي بكر إلى عليّ	۵۱۲	۴۸۷
ردّ عليّ على محمد بن أبي بكر	۵۱۳	۴۸۸
« محمد بن أبي بكر على معاوية	۵۱۴	۴۸۸
« محمد بن أبي بكر على عمرو بن العاص	۵۱۵	۴۸۹
كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية	۵۱۶	۴۹۰
« عليّ إلى ابن عباس	۵۱۷	۴۹۰
ردّ ابن عباس على عليّ	۵۱۸	۴۹۱
كتاب عليّ إلى أهل العراق	۵۱۹	۴۹۲

الرسالة

رقسم
الرسالة

فتنة البصرة

۵۲۰	كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص	۵۰۱
۵۲۱	رد عمرو على معاوية	۵۰۲
۵۲۲	كتاب معاوية إلى أهل البصرة	۵۰۲
۵۲۳	عباس بن صحر العبدى إلى معاوية	۵۰۴
۵۲۴	رد معاوية على عباس بن صحر	۵۰۴
۵۲۵	كتاب زياد إلى ابن عباس	۵۰۵
۵۲۶	على إلى زياد	۵۰۶
۵۲۷	زياد إلى على	۵۰۶
۵۲۸	على إلى أهل البصرة	۵۰۷
۵۲۹	زياد إلى على	۵۰۸
۵۳۰	على إلى زياد	۵۰۹
۵۳۱	رد زياد عليه	۵۱۰
۵۳۲	كتاب معاوية إلى زياد ابن أبيه	۵۱۰
۵۳۳	على إلى زياد	۵۱۲
۵۳۴	على إلى ابن عباس	۵۱۳
۵۳۵	أبي الأسود الدؤلى إلى على	۵۱۴
۵۳۶	رد على إلى أبي الأسود	۵۱۴
۵۳۷	كتاب على إلى ابن عباس	۵۱۵
۵۳۸	رد ابن عباس على على	۵۱۵
۵۳۹	على إلى ابن عباس	۵۱۶
۵۴۰	ابن عباس على على	۵۱۶
۵۴۱	كتاب على إلى ابن عباس	۵۱۷
۵۴۲	رد ابن عباس على على	۵۱۹
۵۴۳	على إلى ابن عباس	۵۱۹
۵۴۴	ابن عباس على على	۵۲۰

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عقيل بن أبي طالب إلى علي	۵۴۵	۵۲۰
رد عليّ على عقيل	۵۴۶	۵۲۱
كتاب مصعب بن صوحان إلى عقيل	۵۴۷	۵۲۴
« عليّ إلى كعب بن مالك	۵۴۸	۵۲۷
« عليّ إلى بعض عماله	۵۴۹	۵۲۷
« عليّ إلى سهل بن حنيف	۵۵۰	۵۲۸
« عليّ إلى المنذر بن الحارود العبدى	۵۵۱	۵۲۸
« وقف لعليّ كرم الله وجهه	۵۵۲	۵۲۸
توقيعات الخلفاء الراشدين		۵۲۸

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

أرطبون الرومي ١٧٤

الأشتر النخعي ٣١٦

أكثم بن صيفي ٢٥ ، ٢٧

أم سلمة ٣١٥

ب

باهان ١٦٩

بكير بن عبد الله ٢٤٨

ج

جرير بن عبد الله البجلي ٣٣٨

ح

حبيب بن مسلمة ٢٦٦ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

حذيفة بن اليمان ٢٤٢

خ

خالد بن الوليد ٦٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٤

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٠

١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٠

١٧٧

ا

أبو الأسود الدؤلي ٥٨٧

أبو أيوب الأنصاري ٤١٠

أبو بكر رضي الله عنه ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩

٨٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤

١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩

١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٤

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٧

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٤

أبو الدرداء ٢٨٥ ، ٢٨٦

أبو عبيد بن مسعود الثقفي ٢٠٥

أبو عبيدة بن الجراح ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠

١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦

١٦٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤

١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩

١٨١ ، ١٨٢

أبو موسى الأشعري ١٩٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩

٤٤٠ ، ٤٤٠

أبي بن زيد العبدي ١٨

الأحنف بن قيس ٢٦٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٥

عباس بن صهار العبدی ۵۰۴
عبد العزی بن امری القیس الکلبی ۱۴
عبد الله بن هامر ۳۰۷
عبد الله بن عباس ۴۱۱ ، ۴۱۴ ، ۴۴۹ ،
۵۱۵ ، ۵۱۶ ، ۵۱۶ ، ۵۱۷ ، ۵۱۹
عبد الله بن عمر ۳۵۷ ، ۳۵۷ ، ۴۳۸
عبد الله بن وهب ۴۴۱
عبد الله بن عتبان ۲۳۷ ، ۲۴۰
عبد المطلب بن هاشم ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۴
عتبة بن فرقد ۲۴۷
عثمان بن حنیف ۲۴۲ ، ۳۲۱
عثمان رضی الله عنه ۸۱ ، ۲۵۷ ، ۲۵۸ ،
۲۵۹ ، ۲۶۰ ، ۲۶۱ ، ۲۶۲ ، ۲۶۳ ،
۲۶۴ ، ۲۶۵ ، ۲۶۸ ، ۲۷۰ ، ۲۷۱ ،
۲۷۱ ، ۲۷۵ ، ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲۸۴ ،
۶۰۷
عدی بن زید العبادی ۱۶
عقیل بن أبی طالب ۵۲۰
العلاء بن الحضرمی ۴۶ ، ۱۱۵
حلی بن أبی طالب رضی الله عنه ۸۲ ،
۲۹۰ ، ۳۲۲ ، ۳۲۶ ، ۳۲۸ ، ۳۲۸ ،
۳۲۹ ، ۳۳۰ ، ۳۳۱ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ ،
۳۳۴ ، ۳۳۶ ، ۳۳۷ ، ۳۳۸ ، ۳۳۹ ،
۳۴۰ ، ۳۴۴ ، ۳۴۷ ، ۳۵۳ ، ۳۶۵ ،
۳۶۸ ، ۳۷۱ ، ۳۷۲ ، ۳۷۳ ، ۳۷۶ ،
۳۷۸ ، ۳۸۱ ، ۳۸۳ ، ۳۸۵ ، ۳۹۳ ،
۴۰۲ ، ۴۰۳ ، ۴۰۴ ، ۴۰۵ ، ۴۰۷ ،
۴۱۴ ، ۴۱۷ ، ۴۲۱ ، ۴۲۴ ، ۴۲۶ ،
۴۲۷ ، ۴۲۹ ، ۴۴۰ ، ۴۴۲ ، ۴۴۲

ز

الزبیر بن العوام ۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۲۳ ، ۳۳۴
زیاد ابن أبیه ۵۰۵ ، ۵۰۶ ، ۵۰۸ ، ۵۰۹ ،
۵۱۰ ، ۵۱۲
زیاد بن خصفة ۴۴۶
زیاد بن النضر ۴۰۴
زید بن صوحان ۳۲۰

س

سراقه بن عمرو ۲۴۷
سعد بن أبی وقاص ۲۰۷ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ،
۲۱۴ ، ۲۱۵ ، ۲۱۶ ، ۲۲۶ ، ۲۳۰ ،
۳۵۸
سعید بن العاص ۲۶۰ ، ۲۶۱ ، ۲۶۸ ،
۳۱۱
سلمان الفارسی ۲۸۵
سوید بن مقرن ۲۴۵ ، ۲۴۶

ش

شرحبیل بن السمط ۳۶۳
شریح بن هانی ۴۰۵

ص

صعصعة بن صوحان ۵۲۴

ط

طلحة بن عبید الله ۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۲۳ ،
۳۳۴

ع

السيدة عائشة ۳۱۶ ، ۳۱۹ ، ۳۲۴ ، ۳۳۲ ،
۳۳۳

۴۹۰ ، ۵۰۱ ، ۵۰۲

عمرو بن هند ۱۲

عیاض بن غنم ۲۳۳ ، ۲۳۳

عیاض الثمالی ۳۴۸

ق

قرظہ بن کعب ۴۴۵

قیس بن سعد بن عبادة ۴۶۱ ، ۴۶۲

۴۶۳ ، ۳۶۵ ، ۴۶۵ ، ۴۶۶

ك

کعب بن سور ۳۱۸

م

المنفی بن حارثة ۱۲۱

محمد بن ابی بکر ۴۷۵ ، ۴۸۴ ، ۴۸۸

۴۸۹

محمد صلی اللہ علیہ وسلم ۳۱ ، ۳۵ ، ۳۷

۴۰ ، ۴۰ ، ۴۲ ، ۴۴ ، ۴۵ ، ۴۶

۴۷ ، ۴۸ ، ۴۹ ، ۴۹ ، ۵۱ ، ۵۲

۵۳ ، ۵۴ ، ۵۵ ، ۵۸ ، ۵۹ ، ۶۰

۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۶ ، ۶۷ ، ۶۷

۶۸ ، ۶۸ ، ۶۹ ، ۷۰ ، ۷۰ ، ۷۱

۷۲ ، ۷۳ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۵ ، ۸۳

۸۶ ، ۸۷

محمد بن مسلمة ۳۵۹

مذعور بن عدی ۱۲۱

مروان بن الحکم ۲۹۶ ، ۲۹۷ ، ۳۰۶

مسلمة بن مخلد ۴۸۵

، ۴۴۳ ، ۴۴۵ ، ۴۴۶ ، ۴۴۶ ، ۴۴۸

، ۴۴۸ ، ۴۵۰ ، ۴۵۱ ، ۴۵۳ ، ۴۵۷

، ۴۶۵ ، ۴۶۶ ، ۴۶۹ ، ۴۷۴ ، ۴۷۹

، ۴۸۰ ، ۴۸۱ ، ۴۸۳ ، ۴۸۸ ، ۵۹۰

، ۵۹۲ ، ۵۰۶ ، ۵۰۷ ، ۵۰۹ ، ۵۱۲

، ۵۱۳ ، ۵۱۴ ، ۵۱۵ ، ۵۱۷ ، ۵۱۹

، ۵۲۱ ، ۵۲۷ ، ۵۲۸ ، ۵۲۸ ، ۵۲۹

۵۳۱ ، ۵۳۱

عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ ۸۰ ، ۱۴۹

، ۱۴۶ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ، ۱۵۴ ، ۱۵۷

، ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، ۱۶۷ ، ۱۷۲ ، ۱۷۴

، ۱۷۵ ، ۱۷۷ ، ۱۷۷ ، ۱۷۹ ، ۱۸۱

، ۱۸۲ ، ۱۸۴ ، ۱۸۵ ، ۱۸۶ ، ۱۸۷

، ۱۸۸ ، ۱۸۹ ، ۱۹۰ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴

، ۱۹۵ ، ۱۹۶ ، ۱۹۷ ، ۲۰۰ ، ۲۰۱

، ۲۰۲ ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۰۸

، ۲۱۰ ، ۲۱۱ ، ۲۱۳ ، ۲۱۳ ، ۲۱۴

، ۲۱۴ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰

، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۲۳ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵

، ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹

، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۴

، ۲۳۵ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ، ۲۳۷ ، ۲۳۸

، ۲۳۹ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۴۳

، ۲۴۵ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۲

، ۲۵۲ ، ۲۵۴ ، ۲۵۴ ، ۲۵۵ ، ۵۳۰

عمر بن العاص ۱۳۴ ، ۱۵۳ ، ۱۶۳

، ۱۷۵ ، ۱۸۴ ، ۲۸۷ ، ۱۹۰ ، ۱۹۳

، ۱۹۴ ، ۱۹۵ ، ۱۹۹ ، ۲۰۰ ، ۲۰۱

، ۴۰۹ ، ۴۲۶ ، ۴۲۷ ، ۴۳۵ ، ۴۸۶

المفذر بن ساوى ۴۶	المسور بن مخزومة ۳۵۵
ن	مسيلمۃ ۲۶۷
نائلة بنت الفرافصة ۲۸۷	مصقلة بن هبيرة ۴۵۵ ، ۴۵۷
النجاشى ۴۱	معاذ بن جبل ۱۴۷ ، ۱۸۳
نصر بن حجاج ۲۵۱	معاوية ۱۹۲ ، ۲۶۲ ، ۲۶۹ ، ۲۹۴ ،
النعمان بن مقرن ۲۳۶ ، ۲۳۹	۲۹۹ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۳ ،
النعمان بن المفذر ۱۹ ، ۲۰	۳۰۴ ، ۳۰۵ ، ۳۳۹ ، ۳۴۰ ، ۳۴۱ ،
نعيم بن مقرن ۲۴۳ ، ۲۴۴	۳۴۶ ، ۳۴۷ ، ۳۵۱ ، ۳۵۴ ، ۳۵۴ ،
نعيم بن هبيرة ۴۵۵	۳۵۵ ، ۳۵۶ ، ۳۵۷ ، ۳۵۸ ، ۳۵۹ ،
ه	۳۶۰ ، ۳۶۴ ، ۳۶۶ ، ۳۷۲ ، ۳۷۲ ،
هاشم بن عتبة ۳۲۸	۳۷۳ ، ۳۷۳ ، ۳۷۴ ، ۳۷۳ ، ۳۷۳ ،
هرقل ۱۳۸	۳۸۱ ، ۳۸۲ ، ۳۸۴ ، ۳۹۰ ، ۴۰۹ ،
هوذة بن على ۴۸	۴۱۳ ، ۴۱۶ ، ۴۱۹ ، ۴۲۳ ، ۴۲۵ ،
و	۴۳۹ ، ۴۵۹ ، ۴۶۱ ، ۴۶۳ ، ۴۶۴ ،
الوليد بن عقبة ۳۰۸ ، ۳۴۴ ، ۳۴۵ ، ۳۴۶	۴۷۷ ، ۴۸۴ ، ۴۸۵ ، ۴۸۶ ، ۵۰۱ ،
ى	۵۰۲ ، ۵۰۴ ، ۵۱۰
يزيد بن أبى سفيان ۱۳۷ ، ۱۸۵	معقل بن قيس ۴۵۰ ، ۴۵۲
يعلى بن أمية ۳۰۸	المغيرة بن شعبة ۲۵۶
	المقوقس ۴۳
	المفذر الأكبر ۱۰
	المفذر بن ربيعة ۳۱۹

فہم — رس

بعض ماورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

رقم الصفحة	رقم الصفحة
٨٠	١٣
حديث «أخرجوا اليهود من الحجاز»	باسمك اللهم
وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب»	١٥
٨٠	٢٣
حديث «لا يبقين دينان في أرض العرب»	فلان يمشى العرضة
٨٦	٢٤
حديث «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة»	هم صباحا
٩١	٣١
النسبة بزيادة الألف والتون في آخر الكلمة	تركناهم على رباعتهم
٩٢	٣٣
لم سمى أبو عبيدة أمين هذه الأمة	لا يؤخذ منه صرف ولا عدل
٩٤	٣٦
نافع حضنيه	بسم الله الرحمن الرحيم
٩٨	٣٨
مالى فيه حوجاء ولا لوجاء	الأريسيون
١٠٠	٣٩
هنية	أعطوا الجزية عن يد
١٠٥	٤١
اطو الثوب على غره	أحمد إليك الله
١٠٨	٥٧
استأصل شافته	ثوب معافى
١١٧	٦٩
الأبناء	إسلام أكرم بن صبي
١٢٣	٧٠
أنجد وأعرق وكوف وبصر	حديث «لا يفرق بين الوالدة وولدها»
١٣١	٧٢
فض الله خدمتهم	تميم بن أوس الدارى
	٧٥
	صهون
	٧٦
	مباهلته صلى الله عليه وسلم لنصارى
	نجران
	٧٨
	أفعل ذلك من ذى قبل

رقم الصفحة	رقم الصفحة
۲۵۳	۱۴۰ الضعيف
۲۷۲	۱۸۱ «لن يغلب عسر يسرين»
۲۸۸	۱۹۷ حديث «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا
۲۸۸	بالبقبط خيراً»
۲۹۱	۱۹۷ هاجر أم إسماعيل
۲۹۶	۱۹۸ معارضض الكلام
۲۹۹	۲۰۰ بنيات الطرق
۳۰۳	۲۰۳ سؤت به ظنا
۳۱۲	۲۰۳ أطلعه طلعه
۳۱۴	۲۰۵ الترسيان
۳۲۱	۲۱۲ هم عليه ألب واحد
۳۲۲	۲۱۹ لالعاله - لاشوى لها
۳۳۰	۲۲۱ رمى المغيرة بن شعبة بالزنا
۳۴۱	۲۲۳ جاءوا الجاه الغفير
۳۴۱	۲۲۴ لا يحنق على جرة
۳۴۳	۲۲۶ حديث «ادراء وا الحدود بالشبهات»
۳۴۶	۲۲۶ حديث «ملعون ملعون من انتمى إلى
۳۴۷	غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه»
۳۵۶	۲۲۸ الصوائى
۳۶۱	۲۳۱ الأفتاء
۳۶۹	۲۳۴ هو من أمره على رجل
۳۷۲	۲۴۴ وزن الدراهم فى عهد سيدنا عمر
۳۷۶	۲۵۲ المتمنية
۳۷۶	۲۵۳ الصراويل
۳۷۸	۲۵۳ تمعددوا - المعدية
(۳۶ - جبهة رسائل العرب - أول)	

رقم الصفحة	رقم الصفحة
۴۱۷ بلسه	۳۷۹ حديث « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم » .
۴۱۹ ليلة الحرير	۳۸۷ أحلسونا الخوف
۴۲۲ مناصرة هاشم وأمية	۳۸۸ دعيت نزال
۴۲۲ مناصرة حرب وعبد المطلب	۳۹۱ ضرب بجرانه
۴۲۵ حديث « من نأى على الله أكذبه الله »	۳۹۱ على وقتل عبید الله بن عمر
۴۲۹ آكلة الأكباد	۳۹۵ ذو الجناحين
۴۶۰ من المطاعن التي طعن بها على عثمان	۳۹۶ أسد الأحلاف
۵۱۰ كلمة عن زهاد	۳۹۷ حلف المطيبين
۵۱۲ حديث الولد للفراس وللعاشر الحجر	۳۹۷ حلف الفضول
۵۱۵ بخل أبي الأسود الدؤلي	۳۹۸ حديث « الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة »
۵۱۷ حديث « ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر آساني بنفسه وماله »	۳۹۸ حديث « خير نساء العالمين أربع . »
۵۱۹ عمرك الله	۳۹۹ حالة الخطب
۵۲۲ الجوازي	۴۰۳ المحلون
۵۲۳ كلا ولا	۴۰۷ حديث « أرسلت إلى الأسود والأحمر »
۵۲۳ لأيا بلائ	۴۱۰ زمزم والسقاية
۵۲۴ مغاضبة عقيل لعلي	۴۱۱ النسب إلى شام ويمن
۵۲۷ البهقيات	

فهرس

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش (عدا أمثال أكرم بن صيفي الواردة

في رسالتيه من ص ٢٥ إلى ص ٣٠)

رقم الصفحة	رقم الصفحة
٢٧٦ بلغ السيل الزبي	١٤ نخذة ولو بقرطى مارية
٢٧٦ جاوز الحزام الطيبين	١٤ جزاء سمار
٣٣١ مايدري أيحتر أم يذيب	٢٤ لا أفعل كذا مايل بحر صوفة
٣٣٢ كالأشقر، إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر	٣٦ إن بينهم عيبة مكفوفة
٣٤٧ كدابغة وقد حلم الأديم	٧٢ أخذه برمته
٣٤٨ كانت عليهم كراغية الهكر	٩٥ يدب له الضراء ويمشى له الخمر
٣٥٠ استنوق الحمل	٩٥ مايققع له بالشنان
٣٥٢ دونه نخرط القتاد	٩٦ ماله سبد ولا ليد
٣٥٦ حذو النعل بالنعل	٩٦ ما أصاب عنده هلة ولا بلة
٣٦١ أذل من فقح بقرقرة	١٠١ لبست له جلد النمر
٣٦٢ أذل من بيضة البلد	١٠١ أسرى من أنقد بات بلبلة أنقد
٣٨٩ ضرب وجه الأمر وعينه	١٠١ إن العوان لا تعلم الخمر
٣٩٣ كستبضع النمر إلى هجر	١٠٣ لاناقي في هذا ولا جلي
٣٩٤ حن قدح ليس منها	٦٠٤ إحدى لياليك فهيسى هيسى
٤٠٠ رب ملوم لا ذنب له	١٣٧ جاء بالشوك والشجر
٤٠١ لبث قليلا يلحق الهيجا حل - ضح	١٦٣ جاءوا بقضهم وقضيضهم
رويدا	٢٥٢ الحق أبلج والباطل لخلج

رقم الصفحة	رقم الصفحة
۴۹۸	۴۱۶
۵۱۷	۴۲۸
۵۲۳	۴۴۴
۵۲۳	۴۷۹
۵۲۹	۴۸۶
۵۲۹	۴۹۸

7